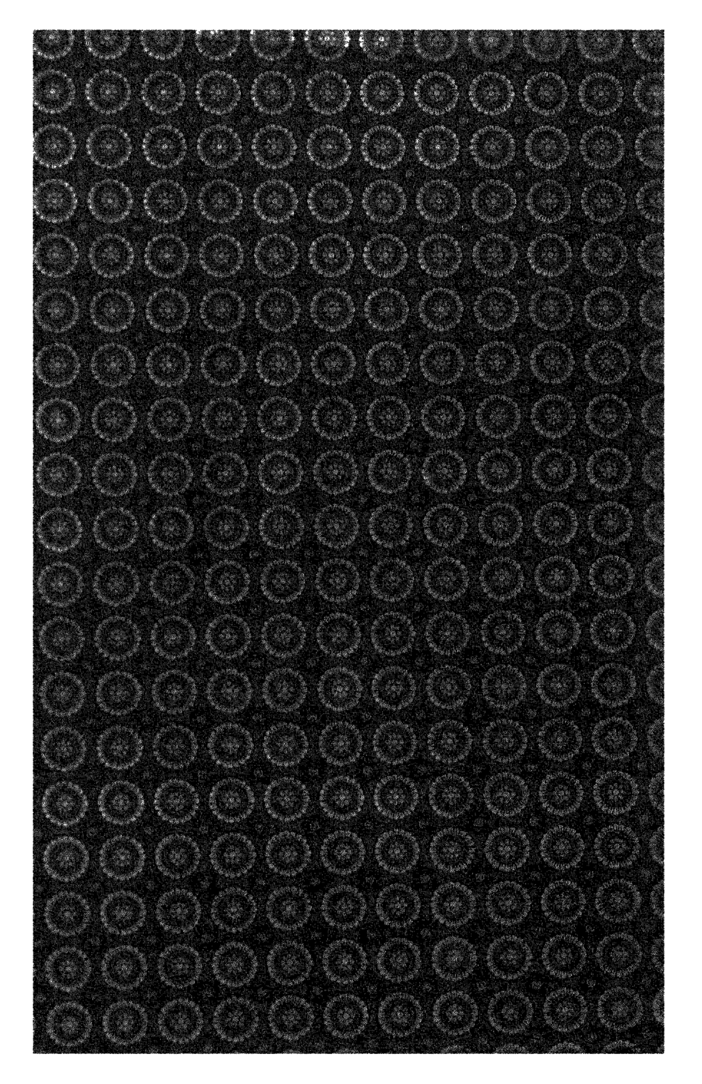
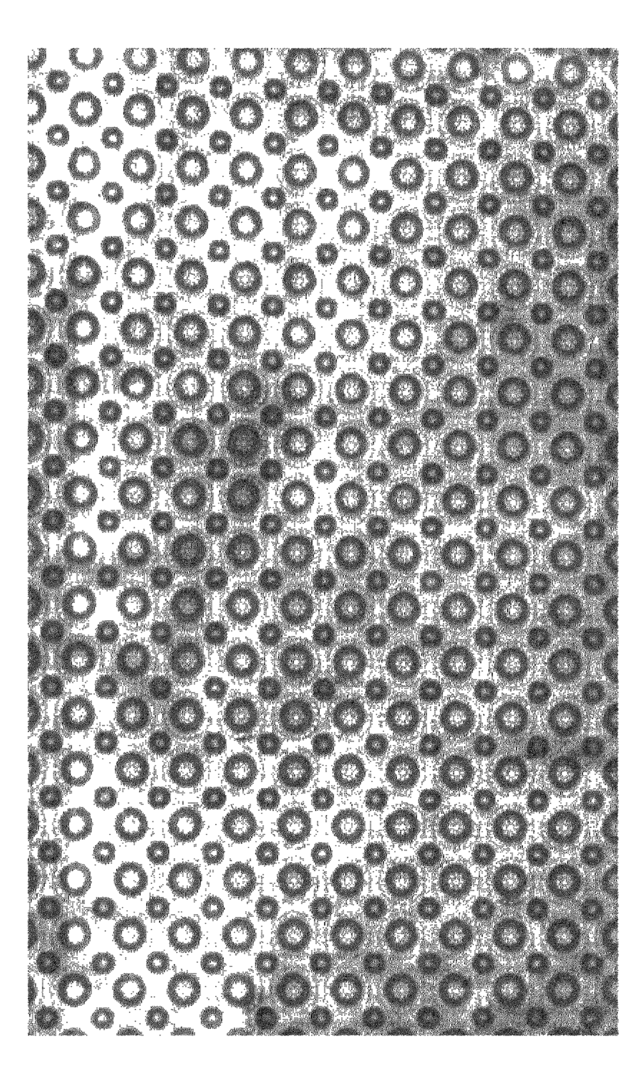








دار الكتب المصرية



كتاب الأغاني

تأليف

أبى الفرج الأصفهانى

الجـــزء الرابـع عشر

تحقيـــق

أحمد زكى صفوت

القاهرة

مطبعة وزارة التربية والتعليم

١٣٧٧ هـ – ١٩٥٨ م

الطبعة الأولى بمطبعة وزارة التربية والتعليم

بيان

رأت دار الكتب المصرية أن تستعين بنخبة من جهابذة العلماء المتضلعين فى فنون العربية وآدابها وتاريخها لإنجاز الكتب التى تقوم بتحقيقها وإخراجها من ذخائر التراث العربى القديم ، وعهدت بالجزء الرابع عشر من كتاب الأغانى إلى العلامة الجليل الأستاذ أحمد زكى صفوت وكيل كلّيّة دار العلوم سابقا ، فقام سيادته بهذا العمل ، و بذل أوسع الجهد فى تحقيقه ومراجعته على النُّسَخ التى رجعت إليها الدار فى تحقيق الأجزاء السابقة ، وهى :

أ ، ب ، ج ، س ؛ وقد سبق وصفها فى مقدّمة الجزء الأوّل .

ط ؛ وقد سبق وصفها فى مقدّمة الجزء الثانى .

ثم حصلت الدار أخيرا على أجزاء متفرّقة من هذا الكتاب ، من مكتبتى ميونيخ وتوبنجن بألمانيا ، فقام موظفو قسم حماية التراث بمقابلتها على ما يوافق هذا الجزء منها ؛ و بيانها :

١ — جزء مصوّر فى مجلدين ، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٥٨ ز ؛ مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ ، برقم ٤٧٠ ؛ مكتوب بخط نسخ جلىّ ؛ بقلم مسعود بن محمد بن غازى ، فى السابع عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة . وجميع الأبيات التى ترد فى أوّل الصفحة وآخرها ، وكذلك البيت الأوّل فى كل صوت ؛ مكتوبة بالخط الثلث الغليظ ؛ وبأوّل الجزء ثبت بأسماء التراجم التى تبدأ ببقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسدىّ [(١)] ، وينتهى بآخر أخبار مقتل ابنى عبيد الله بن العباس [(٢)] .

ويقع فى ٢٩٠ لوحة ، ومسطرته من ١٥ — ١٩ سطرا . وقد أعطى هذا الجزء رمز « مب » .

(١) طبعة الدار ١٤ : ٢٢٨

(٢) طبعة بولاق ١٥ : ٤٨

٢ — جزء مصوّر فى مجلد واحد، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦٦٤ ز، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة ميونيخ برقم ٤٨٠ ، وهو بخط مغربى وليس به تاريخ . و يبتدئ ببقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسدىّ ، و ينتهى بوقفة قلم عند البيت :

أبَعْـدَ نديمىّ اللّذَيْن بماقِـلٍ * بكيتُهما حولًا مـدًى أتوجّسُ

فى أثناء خبر قسّ[1] بن ساعدة الإيادىّ .

و بأوّله ثَبَت بأسماء المترجمين فى هـذا الجزء، من بقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسدىّ، إلى أخبار قسّ بن ساعدة .

و يقع فى ١٦٥ لوحة ، ومسطرته ١٧ سطرا ، وقـد أعطى هـذا الجزء رمز « مط » .

٣ — جزء فى مجلد واحد ، مصوّر بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٠٦٣ ز ، مأخوذ عن أصله المحفوظ بمكتبة توبنجن ، برقم ٧٣٩٧ (أهلوارد) ، يبدأ أوّله ببقية أخبار عبد الله بن الزّبير الأسدىّ . و به نقص من آخره عن نسخة «مب» مقداره صفحة . مكتوب بقلم تعليق . ويبدو من بعض التصويبات التى بحواشيه ، أنه مقابل على نسخة أخرى ؛ ويقع فى ٢١٠ لوحة ، ومسطرته ٢٤ سـطرا . وقد أعطى هذا الجزء رمز « ها » .

---

(١) طبعة بولاق ١٤ : ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه

نسبه

هو الحُصَين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُساب[1] بن حَرام بن وائلة[2] بن سَهْم بن مُرّة ابن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس ابن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

مكانته فى قومه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبَيدة قال : كان الحصين بن الحمام سيِّد بنى سَهم بن مُرّة . وكان خُصَيْلةُ بن مُرّة وصِرْمةُ ابن مرّة وسهم بن مرّة أُمهسم جميعا حُرَقَةُ[3] بنت مَغْنَم بن عَوف بن بَلِيّ بن عمرو بن

---

(١) مساب : جاء فى خزانة الأدب مضبوطا بالعبارة قال : « مساب بضم الميم وتخفيف السين » وجاء مضبوطا بالشكل بفتح الميم فى كتاب أشعار الحماسة شرح التبريزى طبع أوربة ص ١٨٧ ، ولم يرد فى المعجمات اللغوية التى بأيدينا . (٢) ورد هذا الاسم فى الأصول « واثلة » بالثاء ؛ والتصويب من تاج العروس (مستدرك مادة وأل) .

(٣) فى ب ، س : « حرقة » وفى جـ : « حرقفة » وكذا فى مختار الأغانى الكبير لابن المكرم صاحب لسان العرب (نسخة مصوّرة بدار الكتب المصرية) ج ٣ ص ٤٠٣ . وفى أشعار الحماسة طبع أوربة ص ١٩٠ : « حرقفة البلوية » مضبوطا بهذا الضبط بالشكل — والبلوية نسبة إلى جدها بلىّ — ولم يرد فى المعجمات .

الخاف[1] بن قُضاعة ، فكانوا يدًا واحدة على مَنْ سواهم ، وكان حصين ذا رأيهم وقائدَهم ورائدَهم . وكان يقال له : مانع الضَّيم[2] .

وفود ابنه على معاوية

وحدّثنى جماعة من أهل العلم أنّ ابنه أتى بابَ معاوية بن أبى سُفيان فقال لآذِنِه : استأذنْ لى على أمير المؤمنين وقل : ابن مانع الضيم ، فاستأذَنَ له ؛ فقال له معاوية : ويْحَك ! لا يكون هذا إلا ابن عُرْوة بن الوَرْد العَبْسىّ ، أو الحصينِ بن الحُمام المُرِّىّ ، أدخِلْه . فلمّا دخل إليه قال له : ابنُ مَن أنت؟ قال : أنا ابن مانع الضيم الحصينِ بن الحمام ؛ فقال : صدقت ، ورفع مجلسه وقضى حوائجه .

حرب قومه بنى سهم بن مرة مع بنى صرمة بن مرة

أخبرنى ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال :

كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم : بنو سَلامان بن سعد بن زيد بن الحافِ بن قضاعة . وبنو سَلامان بن سعد إخوة عُذْرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبنى صِرْمة بن مُرّة ونزولًا فيهم . وكان الحُرَقة[3] وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَينة حلفاء لبنى سهم بن مرّة ، وكانوا قوما يرمون بالنَّبل رميًا سديدا[4] ، فسُمُّوا الحرقة لشدّة قتالهم . وكانوا نزولًا فى حلفائهم بنى سهم بن مُرّة . وكان فى بنى صِرْمة يهودىٌّ من أهل تَيْماء يقال له جُهَينة بن أبى حَمَل . وكان فى بنى سهم يهودىّ من

١٢٤
١٢

(١) الحاف ؛ أصله الحافى ، وهو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة ، كما قالوا العاص ابن أمية بن عبد شمس ، والعاص بن وائل السهمى ، وحذيفة بن اليمان ؛ والأصل العاصى واليمانى .

(٢) كذا فى ب ، س . وفى حـ : « وكان حصين ذا رأيهم ورائدهم . قال أبو حاتم قال أبو عبيدة قال أبو عمرو : كان الحصين بن الحمام سيد بنى سهم بن مرة ، وكان يقال له مانع الضيم » .

(٣) اختلف اللغويون فى ضبطه : فضبط بضم فسكون ، وبضمتين ، وبضم ففتح . (انظر تاج العروس) .

(٤) فى الأصول « شديدا » ، والصواب « سديدا » ؛ كما فى مختار الأغانى الكبير ج ٣ ص ٤٠٣

أهل وادى القُرى يقال له غُصَين[1] بن حَىّ، وكانا تاجرين فى الخمر[2]. وكان بنو جَوْشَن — أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفان — جيراناً لبنى صِرمة، وكان يُتَشاءم بهم ففقدوا منهم رجلًا يقال له خُصَيلة[3] كان يقطع الطريق وحده. وكانت أُخته وإخوته يسألون الناس عنه، ويَنْشُدونه فى كل مجلس وموسِم. فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجَوْشنىّ فى بيت غُصَين بن حَىّ جارِ بنى سهم يبتاع خمرا، فبينما هو يشترى[4] إذ مَرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيلة[5]، فقال غُصين:

تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ * وعند جُهَينة الخبرُ اليقينُ

فأرسلها مثلا[6]، يعنى بجهينة نفسه. فحفِظ الجوشنىّ هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نَشَدْتُك اللهَ ودينَك هل تعلم لأخى عِلْما؟ فقال له: لا ودينى لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثّل:

---

(١) فى ب، س «حصين» والصواب غصين كما فى جـ ومختار الأغانى الكبير ج ٣: ص ٤٠٤ ولسان العرب مادة جفن، وقد تكرر هذا الاسم بعد محرفا. (٢) كذا فى جـ. وفى ب، س: «وكان تاجرا فى الخمر». (٣) فى ب، س «حصين». (٤) فى جـ ومختار الأغانى. «فبينما هما يشربان». (٥) فى ب، س: «جهينة» وهو تحريف. (٦) ورد فى مجمع الأمثال للميدانى (١: ٣٩٤) فى شرح هذا المثل ما ملخصه: أن حصين بن سبيع الغطفانى خرج مع الأخنس بن كعب الجهنى وتعاقدا على السلب والنهب، وكلاهما فاتك يحذر صاحبه. وكان من أمرهما أن طلبا رجلا من لخم ليسلباه، فوجداه نازلا فى ظل شجرة وقدامه طعام وشراب فنزلا به وأكلا وشربا معه. ثم إن الجهنى ذهب لبعض شأنه، فرجع فرأى الحصين قد فتك باللخمى. وأراد الحصين بعد ذلك أن يتغفل صاحبه الجهنى ليقتله، ولكنه فطن لما يراد به، فبادره بقتله، واحتوى على متاعه ومتاع اللخمى، وانصرف راجعا إلى قومه، فإذا هو بامرأة تنشد الحصين بن سبيع، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا صخرة امرأة الحصين، قال: أنا قتلته. فقالت: كذبت، ما مثلك يقتل مثله، أما لو لم يكن الحى خلوا ما تكلمت بهذا. ثم قال فى ذلك أبياتا منها:

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

اقرأ هذا الخبر أيضا وشرح المثل المذكور فى لسان العرب مادة جفن، وفيه أنه يروى «حفينة» بالحاء، ويروى «جفينة» بالجيم.

لَعَمْرُكَ ماضَلَّتْ ضَلالَ ابن جَوْشنٍ * حَصاةٌ بليلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

— أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبدا — فلما سمع الجوشنىّ ذلك تركه، حتى إذا أمسى أتاه فقتله . وقال الجوشنى :

طَعَنتُ(1) وقـد كاد الظلامُ يُجِنُّنى * غُصَيْنَ بن حَىٍّ فى جِوار بنى سَهمِ

فَأُتِىَ حصين بن الحُمَام فقيل له(2) : إنّ جارك غُصَيْنًا اليهودىّ قد قتله ابن جوشن(3) جار بنى صِرْمة . فقال حصين : فاقتلوا اليهودىّ الذى فى جـوار بنى صرمة، فأَتَوْا جهينة بن أبى حَمَـل فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُمَيس بن عامر جيرانِ بنى سهم فقتلوهم . فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بنى سَلامان ثلاثة نَفَرٍ، ففعلوا. فاستعَرَ الشرُّ بينهم . قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بنى سهم رَهْطِ الحصين بكثير. فقال لهم الحصين : يابنى صرمة ، قتلتم جارنا اليهودى فقتلنا به جاركم اليهـودى ، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نَفَرٍ وقتلنا من جيرانكم بنى سَـلامان ثلاثة نفر ، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قريبـة ، فمُرُوا جيرانكم من بنى سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيرانَنَا من قُضاعة فيرتحلون عنا جميعا، ثم هم أعلم . فأبَى ذلك بنـو صِرْمة ، وقالوا : قد قتلتم جارَنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلا من جيرانكم ؛ فإنك تعلم(4) أنكم أقلُّ منا عددًا وأذلّ ، وإنّما بنا تَعِزّون وتُمْنعون . فناشدهم اللهَ والرَّحِمَ فأبَوْا . وأقبلت الخُضْر(5) من مُحارب، وكانوا فى بنى ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نَهْبَ

(1) فى الأصـول ومختار الأغانى : « ظعنت » وهو تصحيف . وأجنه : ستره .

(2) فى الأصول : « فقال له » والتصويب من مختار الأغانى الكبير . (3) فى الأصول : « أبو جوشن » والتصحيح من مختار الأغانى . (4) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ : « فإنا نعلم » .

(5) فى الأصول « الحضر » بالحاء؛ وهو تصحيف . والصواب الخضر، وهم بطن من قيس عيلان سموا بذلك لخضرة ألوانهم . وقد رأيته بعد فى مختار الأغانى الكبير ج ٣ : ص ٥٠٠ ؛ قال : « وأقبلت الخضر خضر محارب » .

بنى سهم إذا انتهبوا فنصيب منهم . وخذلت غطفان كلها حصينا، وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاعة . وصافهم حصين الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألا يزيدوهم على النبل ، وهزمهم الحصين، وكف يده بعد ما أكثر فيهم القتل . وأبى ذلك البطن[1] من قضاعة أن يكفوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم . وكان سنان ابن أبى حارثة[2] خذل الناس عنه لعداوته قضاعة، وأحب سنان أن يهب الحيان من قضاعة، وكان عيينة بن حصن وزبان بن سيار بن عمرو بن جابر ممن خذل عنه أيضا . فأجلبت بنو ذبيان على بنى سهم مع بنى صرمة، وأجلبت محارب بن خصفة معهم . فقال الحصين بن الحمام فى ذلك من أبيات :

125 / 12

شعره فى لوم بنى عمه على تجردهم لقتاله

ألا تقبلون النصف منا وأنتم[3] * بنو عمنا ! لا بل هامكم القطر
سنأبى كما تأبون حتى تلينكم * صفائح بصرى والأسنة والأصر[4]
أيؤكل مولانا ومولى ابن عمنا * مقيم ومنصور كما نصرت جسر[5]
فتلك التى لم يعلم الناس أننى * خنعت لها حتى يغيبنى القبر
فليتكم قد حال دون لقائكم * سنون ثمان بعدها حجج عشر[6]

---

(١) أى بنو حميس بن عامر . (٢) فى الأصول « أبى جارية » وهو تصحيف .

(٣) النصف : الإنصاف كالنصف محركة . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس . يدعو عليهم بألا يمطروا . (٤) الصفائح : السيوف العريضة . بصرى : بلد بالشام من أعمال دمشق ، وتنسب إليها السيوف البصرية . الأصر : الكسر والحبس .

(٥) فى ب ، س « نعيم » وهو تحريف ، وتصويبه عن حـ ومختار الأغانى . المولى : الحليف والجار . يعنى حلفاءهم من بنى حميس . ومولى ابن عمنا : يعنى بنى سلامان حلفاء بنى عمهم صرمة بن مرة . وجسر : هم جسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان . وقد تقدم فى القصة : أن محارب ابن خصفة أجلبت مع بنى صرمة على بنى سهم قوم الحصين . (٦) حجج : جمع حجة بالكسر وهى السنة .

أَجَدِّىَ لا أَلقاكُمُ الدهرَ مَرّةً * على مَوْطِنٍ إلّا خُدودُكُمُ صُعْرُ (١)
إذا ما دُعُوا للبغى قاموا وأشرقَتْ * وجوهُهمُ، والرُّشْدُ وِرْدٌ له نَفَرْ (٢)
فواعَجَبا حتّى خُصَيلةُ أصبحتْ * مَوالِىَ عِزٍّ لا تَحِلُّ لها الخمرُ !

— قوله : موالى عِزٍّ، يهزأ بهم . ولا تحلّ لهم الخمر، أراد حَرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك — :

أَلَمّا كشفنا لَأْمَةَ الذُّلِّ عنكمُ * تجرّدتَ لا بِرٌّ جميلٌ ولا شكر (٣)
فإنْ يَكُ ظَنّى صادقا تَجْزِ منكمُ * جَوازِىَ الإلهِ والخيانةُ والغدر (٤)

قال : فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم ، وفاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفة . وكان رئيس محارب حُمَيْضة بن حَرْمَلة . ونكَصت عن حصين قبيلتان من بنى سهم وخانتاه، وهما عَدْوان وعبد عمرو بنا سهم، فسار حصين ، وليس معه من بنى سهم إلا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرْقة، وكان فيهم العدد، فالتقَوْا بدارة موضوع ، فظفِر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر . وقال الحصين بن الحُمام فى ذلك :

انتصاره عليهم وشعره فى ذلك وفخره بقومه

جَزَى الله أفناءَ العشيرةِ كلِّها * بِدارةِ موضوعٍ عُقوقًا ومأثَما (٥)
بنى عمِّنا الأدنَيْنَ منهم ورَهْطَنا * فَزارةَ إذ رامت بنا الحربَ مُعْظَما (٦)

(١) تقول العرب : أجدّى وأجدك ، بالنصب وبكسر الجيم وفتحها . فن قال : أجدك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجده وحقيقته ، ومن فتح الجيم استحلفه بجـده وهو بخته . ونصبه على المصدر، كأنه قال : أجدا منك ، أو بطرح الباء ومعناه أبجد هذا منك . ولا يستعمل إلا مضافا . وصعر : جمع أصعر ، وصف من الصعر بالتحريك وهو ميل الخد ؛ يقال : صعر خده ، إذا أماله عن النظر إلى الناس تهاونا .
(٢) النفر : الجماعة يتقدمون فى الأمر . (٣) اللأمة : الدرع . يريد لباس الذل . تجرد للأمر : جدّ فيه ، أى جددت فى قتالنا . (٤) الجوازى : الجزاء ، جمع جازية ، مصدر على فاعلة .
(٥) الأفناء من الناس : الأخلاط ، واحدها فنو بالكسر أو فنا كعصا . ودارة موضوع : موضع بين ديار بنى مرة وديار بنى شيبان .
(٦) أى جزى الله بنى عمنا معظما أى أمرا معظما .

ولمّا رأيت الودّ ليس بنافعي * وإن كان يوماً ذا كواكبَ مُظلِما[1]

صبرنا وكان الصبرُ منا سَجِيَّةً * بأسيافنا يَقْطَعْنَ كَفًا ومِعْصَما

نُفَلِّق هامًا من رجالٍ أعزّةٍ * علينا وهم كانوا أعقّ وأظلَما

نُطاردهم نستنقِذُ الجُرْدَ بالقَنا * ويستنقذون السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّما[2]

ـــ نستنقذ الجرد ، أى نقتل الفارس فنأخذ فرسه . ويستنقذون السمهرىّ وهو القنا الصلب ، أى نطعنهم فتجرّهم الرماح ـــ

لَدُنْ غُدْوةً[3] حتى أتى الليلُ ما ترى * من الخيل[4] إلاّ خارجيًا مُسوَّما

وأجرَدَ كالسِّرحان يَضربُه النَّدى * ومحبوكةً كالسِّيد شَقّاءَ صِلْدِما[5]

يَطَأْن من القَتْلَى ومن قِصَدِ القنا * خَبارًا فما يجرين إلا تَقَحُّما[6]

---

(١) اسم كان ضمير اليوم ، أى وإن كان اليوم يوما ذا كواكب . ويوم ذو كواكب : ذو شدائد ، كأنه أظلم بما فيه من الشدائد حتى رئيت كواكب السماء . (٢) الجرد : جمع أجرد وجرداء . وفرس أجرد : قصير الشعر رقيقه ، وذلك من علامات العتق والكرم . والسمهرى : نسبة إلى سمهر ، وهو رجل كان يثقف الرماح . (٣) ورد نصب غدوة بعد لدن وهو نادر ، فلدن حينئذ منقطعة عن الإضافة لفظا ومعنى ، وغدوة بعدها منصوبة على التمييز للدن أو على أنها خبر لكان محذوفة مع اسمها أى لدن كانت الساعة غدوة . ويجوز جر غدوة بالإضافة على الأصل ، ورفعها بكان تامة محذوفة . والغدوة : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . (٤) فى الأصول : « من الليل » . والتصحيح عن مختار الأغانى والمفضليات ومنتهى الطلب . والخارجى هنا : كل ما فاق جنسه ونظائره . والخيل المسومة : التى عليها سمة أى علامة تعرف بها ، والمرسلة عليها ركبانها .

(٥) السرحان : الذئب ، وكذا السيد . والمحبوك : الفرس الشديد الخلق القوىّ . والأشق من الخيل : ما يشتق فى عدوه ويذهب يمينا وشمالا كأنه يميل فى أحد شقيه ، والطويل . يقال : فرس أشق ، والأنثى شقاء . وفى ب ، س : « نيقا » وهو تحريف ، والصلدم : الصلب ، والشديد الحافر .

(٦) انقصد الرمح : انكسر نصفين حتى يبين ، وكل قطعة قصدة بالكسر والجمع قصد . والخبار من الأرض : ما لان واسترخى وكانت فيه أجحار ، وفى ب ، س : « جيادا » ، وفى ج « شريجا » وهو تحريف . وتقحم الأمر : رمى بنفسه فيه ، وفى المفضليات ومنتهى الطلب : « إلا تجشما » .

عليهنّ فتيانٌ كساهم مُحَرِّقٌ * وكان إذا يكسو اجاد وأ كرما (١)

١٢٦
١٢

صـفائحَ بُصْرَى أخلَصَتْها قُيُونُها * ومُطَّرِدًا من نَسج دَاودَ مُبهما (٢)

جزى الله عنا عبدَ عمرٍو ملامةً * وعَدْوانَ سَهْــمٍ ما أذَلَّ وألأما

فلستُ بمبتاع الحيـاةِ بسُبَّـةٍ * ولا مُرْتقٍ من خشية الموت سُلَّما

رثاؤه نعيم بن الحارث

وقال أبو عبيدة :

وقتل فى تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُبَاد بن حبيب بن وائلة بن سهل ، قتلته بنو صِرْمة يوم دارة موضوع ، وكان وادًّا للحصين فقال يرثيه :

قَتَلْنا خمســةً ورمَــوْا نُعيما * وكان القتــلُ للفتيان زَيْنَـا

لعمــرُ البـاكيات على نعــيمٍ * لقــد جَلَّتْ رَزِيَّتُـه علينـا

فـلا تَبْعَدْ نُعَــيمُ فكـلُّ حَىٍّ * سيَلْقَى من صروف الدهر حَيْنا (٣)

لومه بنى حميس حين فارقوا قومه

قال أبو عبيدة :

ثم إن بنى حميس كرِهوا مجاورة بنى سهم ففارقوهم ومضَوْا ، فلحِق بهم الحصين ابن الحُمَام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتالِه عشيرتَه عنهم ، وقال فى ذلك :

إنّ امرأً بعدى تَبدَّلَ نصرَكم * بنصر بنى ذُبيـانَ حَقًّا لخاسرُ (٤)

أولئـك قومٌ لا يُهـانُ ثَوِيُّهم * إذا صَرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّ الصَّنابِرُ (٥)

(١) محـرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة . وإنما سمى بذلك لأنه أوّل من حرق العرب فى ديارهم ، فهم يدعون آل محرق ؛ وهو أيضا لقب عمرو بن هند لأنه حرق مائة من بنى تميم .

(٢) فى ب ، سـ : « محكما » . والقيون : جمع قين بالفتح ، وهو الحـداد . ومطردا : أى ودرعا مطردا (والدرع قد تذكر) واطرد الشيء : تبع بعضه بعضا ، واطرد الأمر : استقام . والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت ، ومبهما : لا مأتى له ولا ثلم فيه . (٣) فلا تبعد : فلا تهلك . والحين : الموت . (٤) فى البيت خرم . (٥) الثوى : الضيف . كحل : السنة المجدبة (تصرف ولا تصرف) ويقال : صرحت كحل ، إذا لم يكن فى السماء غيم . والصنابر : الرياح الباردة .

وقال لهم أيضا :

أَلَا أبلِغْ لديك أبا حُمَيْس * وعاقبــةُ الملامــة لِلَّئِيمِ[1]

فهل لــكُمُ إلى مَوْلًى نَصُورٍ * وخَطْبُكُمُ من الله العظيمِ

فإنّ ديارَكم بجَنُــوب بُسٍّ[2] * إلى ثَقْفٍ إلى ذات العُظُومِ

— بُسّ: بناء بنته غَطَفان شبّهوه بالكعبة، وكانوا يَحُجّونه و يعظّمونه و يسمّونه حَرَما، ٥

فغزاهم زُهَيْر بن جَناب الكلبيّ فهدمه —

غَذَتكم فى غَداةِ الناس حُجًّا[3] * غِذاءَ الجائع الجَذِع اللئيم

فسيرُوا فى البلاد وودّعونا * بقَحْطِ الغيث والكَلَإِ الوَخيم

قال أبو عبيدة : قال عمرو :

قوله فى بنى حميس أيضا يلومهم و يذكر يده عليهم

زعموا أن المثلَّم بن رَبَاح قتــل رجلا يقال له حُبَاشة فى جِوار الحارث بن ظالم ١٠

المُرّى، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام، فأجاره. فبلغ ذلك الحارث بن ظالم، فطلب

الحصينَ بدم حُباشة، فسأل فى قومه وسأل فى بنى حميس جيرانه فقالوا : إنّا لا نَعقِل[4]

بالإبل، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم . فقال فى ذلك وفى كفرهم نعمته :

---

(١) ألام : أتى ما يلام عليه .

(٢) فى ب، س : « لبس » والتصحيح عن حـ و معجم البلدان فى الكلام على « ثقف » ١٥

ج ٣ : ١٩ — قال فى القاموس المحيط : « بس : بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى

قريشا يطوفون بالكعبة ، ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا

وحجرا من المروة ورجع إلى قومه وبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال : هذان الصفا والمروة ،

فاجتزءوا به عن الحج . فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالما وهدم بناءه » . وثقف وذات

العظوم : موضعان . ٢٠

(٣) فى الأصول : « غدتكم فى غدا الناس حجنا : غداء » وهو تحريف، وحجا بالضم (و يكسر

أيضا) جمع حاج مثل بازل و بزل . والجذع : السيئ الغذاء .

(٤) عقل القتيل : دفع ديته .

خليلىّ لا تستعجلا أن تَزوَّدَا * وأن تجمعا شَمْلى وتنتظرا غدَا

فما لَبَثٌ يوماً بسائقِ مَغْنَمٍ * ولا سرعةٌ يوماً بسابقةٍ غدا (١)

وإن تُنْظِرانى اليومَ أقضِ لُبانةً * وتستوجبا منّا علىَّ وتُحْمَدا (٢)

لعمرُك إنّى يوم أغدو بِصِرْمَتى * تناهَى حُمَيْسٌ بادئين وعوَّدا (٣)

وقد ظهرتْ منهم بوائقُ جَمّةٌ * وأَفْرعَ مولاهم بنا ثم أَصْعدا (٤)

وما كان ذنبى فيهمُ غيرَ أنّنى * بسطْتُ يدًا فيهم وأتبعتُها يدا

وأنى أُحامِى من وراء حَرِيمهم * إذا ما المُنادِى بالمُغيرة نَدّدا (٥)

إذا القَوْمُ لا يَحمِيه إلّا مُحافِظٌ * كريمُ المُحَيّا ماجدٌ غيرُ أجردا

فإن صَرَّحت كَحْلٌ وهَبّت عَرِيّةٌ * من الرِّيح لم تترك لِذِى العَرْض مَرْفدا (٦)

صبرتُ على وَطْءِ الموالى وخَطْبِهم * إذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأَجْمدا (٧)

١٢٧
١٢

الحصين والبرج ابن الجلاس

أخبرنى ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال:

كان البُرْج بن الجُلَاس الطائىّ خليلا للحصين بن الحمام ونديما له على الشراب، وفيه يقول البرج بن الجُلاس:

---

(١) اللبث بالتحريك: المكث والإبطاء كاللبث بفتح اللام وضمها. ويلاحظ أن هنا إيطاء.

(٢) أنظره: أخره وأمهله. واللبانة: الحاجة.

(٣) الصرمة: القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين؛ وقيل غير ذلك. تناهى: كف، أى كف بنو حميس عن معاونتنا فى إبل الدية؛ أو معناه: تناهى بنو حميس أى نهى بعضهم بعضا عن معاونتنا فى ذلك فكفوا.

(٤) بوائق: جمع بائقة، وهى الداهية. وأفرع بهم: نزل.

(٥) بالمغيرة: أى بالخيل المغيرة أى بركابها. وندد: رفع صوته.

(٦) العرية: الريح الباردة. والعرض: السعة. والمرفد بفتح الميم وضمها: المعونة.

(٧) وطئه: داسه. وخطبهم: حالهم وشأنهم. المجمد: البخيل.

ونَدْمانٍ يَزيد الكأْسَ طِيباً * سَقَيتُ وقد تغوَّرتِ النجومُ (١)
رفعتُ برأسه فكشفْتُ عنه * بمُعْرَقةٍ مَلامةَ من يلوم (٢)
ونَشْرَب ما شربنا ثم نصحو * وليس يجانِبُ خَدِّى كُلومُ
ونجعل عِبْأها لبنى جُعَيْلٍ * وليس إذا انتَشَوْا فيهم حليم (٣)

٥ كانت للبرج أخت يقال لها العُفاطة (٤)، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أُخته فافتضّها ، وندِم على ما صنع لمّا أفاق، وقال لقومه : أىُّ رجل أنا فيكم؟ قالوا : فارسُنا وأفضلنا وسيِّدنا. قال : فإنه إن علم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبتُ رأسى فلم ترَوْنى أبدا ، فلم يسمع بذلك أحد منهم . ثم إن أَمَةً لبعض طيئ وقعت إلى الحصين بن الحُمَام ، فرأت عنده البرجَ الطائى يوما وهما يشربان . فلما خرج من عنده قالت للحصين : إنّ نديمك هذا ١٠ سكر عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكيت، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكر عندك . فزجرها الحصين وسبّها، فأمسكَتْ . ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحُرَقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصّريخُ (٥) الحصينَ بن الحمام، فتبع القوم، فأدركهم، فقال للبرج : ما صبّك على جيرانى يا برج ؟ فقال له : وما أنت ١٥ وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منّا . وأنشأ يقول :

---

(١) تغور النجم وغار : غاب .
(٢) بمعرقة : أى بخمر معرقة ؛ يقال : أعرق الشراب : جعل فيه عرقا من الماء : أى قليلا .
(٣) انتشى : سكر .
(٤) كذا فى ب ، س . وفى جـ « القفاطة » .
٢٠ (٥) الصريخ هنا : المستغيث .

أَنَّى لك الحُـرُقاتُ فيما بيننا ! * عَنَّ بعيدٌ منـك يابنَ حُمـامِ (١)

أقبلتَ تُزْجِى ناقـة متباطئـا * عُلُطًا تزجِّيهـا بغـير خِـطامِ

— تزجى : تسوق . علطا : لاخطام عليها ولا زمام، أى أتيت هكذا من العجلة —

فأجابه الحصين بن الحمام :

بُرجٌ يؤثِّمنى ويَكفُر نعمتى * صَمِّى لِما قال الكفيلُ صَمَامِ (٢)

مَهْـلًا أبا زيدٍ فإنّك إنْ تَشَأْ * أُورِدْك عُرْضَ مَناهلٍ أسْدامِ (٣)

أُورِدْك أَقْلِبَــةً إذا حافلْتَها * خَوْضَ القَعودِ خَبِيئةَ الأخصامِ (٤)

أقبلتُ من أرض الحجاز بذَمَّةٍ * عُطُلاً أُسوِّقها بغـير خِطـامِ (٥)

فى إثْرِ إخـوانٍ لنـا من طيِّئٍ * ليسـوا بأكفاء ولا بكرامِ

لا تحسبَنَّ أخا العفـاطة أننى * رَجُلٌ بخُبْرِك ليس بالعَـلّامِ (٦)

فاستنزلوك وقـد بَلَلْتَ نِطاقها * عن بنتِ أمِّك والذيولُ دوامى (٧)

---

(١) أنى لك الحرقات : أى من أين لك قرابتهم . عنّ الشيء عننا : ظهر أمامك وعرض . أى إن ماعنّ لك فى هذا الشأن بعيد وباطل . (٢) أثمه تأثيما : قال له أثمت . الكفيل هنا : الذى لا يثبت على ظهر الدابة (انظر تاج العروس) ومن أمثال العرب : صمى صمام، والخطاب للداهية . وصمام كقطام : الداهية الشديدة . وصمى صمام أى زيدى ياداهية . (٣) العرض من النهر والبحر : وسطه . مياه أسدام : متغيرة . (٤) كذا فى الأصول . والأقلبة : جمع قليب وهى البئر . والأخصام : جمع خصم بالضم . وخصم كل شيء : طرفه وجانبه . ولعل صوابه : * أوردك أقلبة إذا ما خلتها الخ * والمعنى على ذلك : أوردك أقلبة خبيثة الأخصام إذا ما ظننتها سهلة الاستقاء غير شاقة كالمخاضة التى تخوضها القعود بسهولة، أو لعل صوابه « أوردك أقلبة أجاجا ماؤها : خوص القعور ... » وخوص (بالضم) جمع خوصاء، وبئر خوصاء : بعيدة القعر لا يروى ماؤها الأنعام .

(٥) بذمة : أى بناقة ذمة أى مفرطة الهزال شبه الهالكة، فهى مذمومة لأجل ذلك؛ من قولهم : بئر ذمة أى قليلة الماء مذمومة . العطل فى الأصل : المرأة ليس عليها حلى، يريد أن الناقة ليس عليها زمام، أو هو « علطا » كما جاء فى بيت البرج ابن الجلاس السابق . (٦) الخبر : العلم بالشيء . وفى ب، س : « كالعـلام » وهو تحريف . (٧) كذا فى مختار الأغانى الكبير جـ ٣ : ص ٤٠٨ وفى الأصول : « من بيت أمك » وهو تصحيف .

ثم ناصب الحصينُ بن الحُمَام البرجَ الحربَ، فقتل من أصحاب البرج عدّة وهزم سائرهم، واستنقذ ما فى أيديهم، وأسر البرج، ثم عرف له حقّ ندامه وعشرته إياه فمنّ عليه وجزّ ناصيته وخلّى سبيله. فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأخته لامهم وقال: أشمتّم ما فعلتُ بأختي وفضحتمونى، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم، فلم يعرف له خبر إلى الآن.

١٢٨ / ١٢

وقال ابن الكلبيّ: بل شرب الخمر صِرفا حتى قتلته.

غارته على بنى عقيل و بنى كعب وشعره فى ذلك

أخبرنى ابن دريد قال: حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال:

جمع الحصين بن الحمام جمعًا من بنى عَدِىّ ثم أغار على بنى عُقَيل و بنى كعب فأثخن فيهم واستاق نَعَمًا كثيرا ونساء، فأصاب أسماء بنت عمرو سيِّد بنى كعب فأطلقها ومَنّ عليها، وقال فى ذلك:

فِدًى لبنى عدىٍّ رَكْضُ ساقى * وما جَمَّعتُ من نَعَمٍ مُراحِ (١)

تركنا من نساء بنى عُقَيلٍ * أيَامَى تبتغى عَقْدَ النكاحِ (٢)

أرُعيانَ الشَّوِىِّ وجدتمونا * أمَ اصحابَ الكريهة والنِّطاحِ؟ (٣)

لقد علمتْ هَوازِنُ أنّ خيلى * غَداةَ النَّعْف صادقةُ الصَّباحِ (٤)

عليها كلُّ أرْوَعَ هِبْرِزِىٍّ * شديدٍ حَدُّه شاكى السِّلاحِ (٥)

(١) النعم: الإبل والشاء، أو خاص بالإبل. وأراح الإبل: ردها إلى المراح (بالضم) أى المأوى. (٢) أيامى: جمع أيم كسيد، وهى من لا زوج لها بكرا أو ثيبا. (٣) الشوىّ: جمع شاة. (٤) النعف: ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى، وهو هنا موضع بعينه، وصادقة الصباح أى الغارة فى الصباح. وكانوا أكثر ما يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح. (٥) الأروع: من يعجبك بحسنه أو بشجاعته. والهبرزى: المقدام. وحدّه: بأسه. وشاكى السلاح: ذو شوكة وحدّ فى سلاحه.

فكرّ عليهم حتّى التقينا * بمصقولٍ عوارضُها صِباحِ (١)
فأُبْنا بالنِّهاب وبالسَّبايا * وبالبِيض الخرائدِ واللِّقاحِ (٢)
وأعتقنا ابنةَ العَمْرِىِّ عمرٍو * وقد خُضْنا عليها بالقِداحِ

إدراكه الإسلام وشعره الدال على ذلك

أخبرنا ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام . قال : ويدلّ على ذلك قوله :

وقافيةٍ غيرِ إنسيّةٍ * قَرَضْتُ من الشّعر أمثالَها (٣)
شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافقَيْنِ * إذا أُنْشِدَتْ قيل من قالَها (٤)
وحَيرانَ لا يهتدى بالنهار * من الظَّلْع يَتْبَعُ ضُلّالَها (٥)
وداعٍ دعا دعوةَ المستغيثِ * وكنتُ كمن كان لَبَّى لها
إذا الموتُ كان شجًا بالحُلُوق * وبادَرتِ النفسُ أشغالَها (٦)
صبَرْتُ ولم أكُ رِعديدةً * ولَلصَّبرُ فى الرَّوع أنجى لها (٧)

---

(١) بمصقول عوارضها أى بنساء مصقول عوارضها . والعوارض : جمع عارضة ، وهى صفحة الخد . وصباح : جمع صبيحة ، أى جميلة وضيئة الوجه .

(٢) النهاب : جمع نهب ، وهو الغنيمة . والخريد والخريدة والخرود : البكر لم تمسس ، أو الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة ، والجمع خرائد . واللقاح : الإبل ، واحدتها لقوح كصبور .

(٣) غير إنسية : يعنى أنه ألهمه إياها جنىّ . وكانت العرب تزعم أن لبعض الفحول من شعرائهم شياطين يلهمونهم الشعر . ذكر صاحب جمهرة أشعار العرب أنه كان لعبيد بن الأبرص صاحب منهم اسمه هبيد ، وللأعشى صاحب اسمه مسحل ، ولامرئ القيس صاحب اسمه لافظ بن لاحظ ، وللنابغة الذبيانى صاحب اسمه هاذر ... الخ .

(٤) قافية شرود : سائرة فى البلاد تشرد كما يشرد البعير . وتلمع : تبرق وأصله تتلمع لحذفت إحدى التاءين تخفيفا . والخافقان : المشرق والمغرب .

(٥) ظلع الرجل كمنع : عرج وغمز فى مشيه . (٦) الشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٧) فى جـ «ولا الصبر» وفى ب ، س « والصبر » وهما تحريف . ورجل رعديد ورعديدة : جبان يرعد عند القتال جبنا . والروع : الفزع .

ويوم تَسَعَّرُ فيه الحروبُ * لَبِستُ إلى الرَّوْع سِرْبالها [1]
مُضعَّفةَ السَّرْدِ عاديَّةً * وعَضْبَ المضَارِب مِفْصالَها [2]
ومُطَّرِدًا من رُدَيْنيّة * أذودُ عن الوِرْد أبطالَها [3]
فلم يبق من ذاك إلا التُّقَى * ونفسٌ تُعالِج آجالَها
أُمورٌ من الله فوق السماء * مقاديرُ تنزلُ أَنزالَها [4]
أعوذ بربِّي من المُخْزِيا * تِ يوم ترى النفسُ أعمالَها
وخَفَّ الموازينُ بالكافرين * وزُلزِلتِ الأرضُ زِلزالَها
ونادى مُنادٍ بأهل القبور * فهبُّوا لتُبْرِزَ أثقالَها
وسُعِّرت النارُ فيها العذابُ * وكان السلاسلُ أغلالَها

١٢٩ / ١٢

حدّثنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

موته ورثاء أخيه إياه

مات حُصَيْن بن الحُمَام فى بعض أسفاره، فسُمِع صائح فى الليل يصيح لا يُعرف فى بلاد بنى مُرّة :

أَلا هَلَكَ الحُلْو الحَلالُ الحُلاحِلُ * ومَن عَقْدُه حزمٌ وعَزْمٌ ونائلُ [5]

— الحلو : الجميل . والحلال : الذى ليس عليه فى ماله عيب[6] . والحلاحل : الشريف العاقل — :

ومَن خَطبُه فَصْلٌ إذا القوم أُفحِموا * يُصيب مَرادِى قوله مَن يُحاوِلُ

(١) تسعر أصله تتسعر ، أى تتقد . السربال : القميص ، وتطلق على الدرع كما فى البيت .

(٢) السرد : نسج الدرع . ومضعفة : مضاعفة . وعادية : قديمة ، نسبة إلى عاد . وعضب المضارب : سيفا قاطعا . ومفصال : مبالغة فى فاصل أى ماض .

(٣) من ردينية أى من رماح ردينية ، نسبة إلى ردينة زوجة سمهر، وكانا مثقفين للرماح . ورمح مطرد : الأنابيب والكعوب أى مستقيمها متتابعها .

(٤) أنزال جمع نُزُل كعنق وقفل ، وهو المنزل ، أى تقع مواقعها .

(٥) النائل : النوال والعطاء . (٦) فى ب ، س « عين » وهو تحريف .

ـــ المَرادِى : جمع مِرداة ، وهى صخرة تُردَى بها الصخور ، أى تكسر ـــ قال : فلما سمع أخوه مُعَيَّة بن الحُمام ذلك قال : هَلَك والله الحصين ، ثم قال يرثيه :

إذا لاقيتُ جمعًا أو فِئامًا[1] * فإنّى لا أرى كأبى يزيدا

أشدَّ مهابةً وأعزَّ ركنًا * وأصلبَ ساعةَ الضَّرّاء عُودا

صَفِيِّى[2] وابنُ أُمِّى والمُواسِى * إذا ما النفسُ شارفتِ الوريدا

كأنَّ مُصَدَّرًا يحبو ورائى * إلى أشباله يبغِى الأسودا

المُصَدَّر : العظيم الصدر ، شبّه أخاه بالأسد .

صوت

لا أَرَّق الله عينَىْ مَن أرقتُ له * ولا مَلَا مِثلَ قلبى قلبَه تَرَحَا

يَسُرُّنى سوءُ حالى فى[3] مسرّته * فكلّما ازددتُ سُقمًا زادنى فرحا

الشعر لمحمد بن يسير ، والغناء لأحمد بن صَدَقة ، رَمَلٌ بالوسطى .

---

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

(٢) الصفى : الحبيب المصافى .

(٣) فى ب ، س : « من » .

أخبار محمد بن يسير ونسبه

نسبه

محمد بن يسير الرِّياشي[1]، يقال إنه مولًى لبني رِياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشي الأخباري الأديب، ويقال إنه منهم صُلْبِيَّةً. وبنو رِياش يذكرون أنهم من خَثْعَم. ولهم بالبصرة خِطَّة[2] وهم معروفون بها. وكان محمد بن يسير هذا شاعرا ظريفا من شعراء المحدَثين، متقلِّلا، لم يفارق البَصْرة، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنْتَجِعا، ولا تجاوز بلده، وصُحْبتُه طبقتُه، وكان ماجِناً هجَّاء خبيثا. ٥

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة[3] قال:

قصته مع والي البصرة

بعث إليّ محمد بن أيُّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان — وهو يتولّى البصرة حينئذ — في ليلةٍ صبيحتُها يومَ سبتٍ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه ١٠

(١) ورد اسم هذا الشاعر في نسخ الأغاني المطبوعة والمخطوطة. وفي الأمالي، وفي أشعار الحماسة شرح التبريزي طبع أوربة ومصر «محمد بن بشير»؛ وهو تصحيف — وقد تكرر هذا الخطأ إلى آخر الترجمة — والتصويب عن «الشعر والشعراء ص ٥٦٠ طبع أوربة»، ويؤكد ذلك ما ورد في القاموس وتاج العروس، مادة يسر: «وأبو جعفر محمد بن يسير البصري شاعر، وهو القائل يرثي نفسه: ١٥

كأنه قد قيل في مجلس * قد كنت آتيه وأغشاه:

صار اليسيري إلى ربه * يرحمنا الله وإياه

وكذا أخوه عليّ شاعر أيضا ذكرهما الذهبي» وقد جاء هذان البيتان في ترجمته في الأغاني — وسيردان عليك بعد — فعلم أنه هو. وقال فيه ابن قتيبة في الشعر والشعراء: «وكان في عصر أبي نواس وعمر بعده حينا» وقد توفي أبو نواس سنة ١٩٨ هـ. (٢) خطة: أرض اختطوها واتخذوا فيها مساكنهم. ٢٠

(٣) جاء في تاج العروس (مستدرك مادة طرم): «الطارمة: بيت من خشب كالقبة، فارسي معرّب». والظاهر أنه لقب له.

أو أكثر[1] . فقلت له : أنمتَ وانتبهتَ أم لم تنم بعدُ ؟ فقال : قد قضيتُ حاجتى من النوم، وأريد أن أصطبح[2] وأبتدئ الساعةَ بالشرب، وأصِلَ ليلتى بيومى[3] محتجبا عن الناس، وعندى محمد بن رَباح، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش، وحضرتَ أنت، فمن ترى أن يكون خامسَنا ؟ قلت : محمدَ بنَ يسير . فقال : والله ما عَدَوتَ ما فى نفسى . فقال لى ابن رَباح : اكتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طِيبَ هذا الوقت ، وكان يوم غَيم ، والسماء تمطر مطرا غير شديد ولا متتابع ؛ فكتب إليه ابن رَباح :

صـــوت

يـومُ سَبتٍ وشَنْبَذٍ[4] ورَذَاذِ * فعلامَ الجلُوسُ يابنَ يسيرِ؟

قم بنا نأخذ المُدامةَ من كـفِّ غَزالٍ مُضَمَّخٍ بالعَبِـيرِ[5]

— فى هذين البيتين لعباس أخى بحرٍ ثقيل أوّل بالبنصر — وبعث إليه بالرُّقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب . فقال لهم : بعثتكم لتجيئونى برجل فجئتمونى برقعة! فقالوا : لم نَلْقَه، وإنما كتب جوابَها فى منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجُم . فقرأها فإذا فيها :

---

(١) فى الأصول : « أو أكثره » . (٢) اصطبح : شرب الصبوح (كصبور)، وهو شرب الغداة . (٣) فى الأصول : « بنوى » وهو تصحيف .

(٤) شنبذ : كلمة فارسية . جاء فى معجم جونسون — وهو معجم فارسى عربى إنجليزى — «شنبذ = يوم السبت . جنبد = يحرك، يحرك . جنبد = يثب، يقفز، يجرى» . وجاء فى معجم ستنجاس : « جنبد = القفز، اللعب، تقريب عقب الرجل من الرأس » ويفهم من ذلك أن هذا اليوم يوم مرح ولعب ونشاط ونحو ذلك . والرذاذ : المطر الضعيف .

(٥) المدامة والمدام : الخمر . ومضمخ : مدّهن . والعبير : أخلاط من الطيب .

أجىءُ على شَرْطٍ فإن كنتَ فاعلا * وإلّا فإنّى راجعٌ لا أُناظِرُ
لِيُسْرَجَ لىَ البِرْذَوْنُ فى حال دُلْجَتى * وأنت بِدُلْجاتى مع الصبح خابِرُ[1]
لأقضىَ حاجاتى إليه وأنثنى * إليك، وحَجّامٌ إذا جئتُ حاضرُ
فيأخذ من شَعرى ويُصلِحُ لِحْيتى * ومن بعدُ حَمّامٌ وطيبٌ وجامِرُ[2]
ودَسْتِيجَةٌ من طيِّب الراح ضخمةٌ * يُرَوِّدنيها طائعا لا يُعاسِرُ[3]

فقال محمد بن أيوب : ما تقول ؟ فقلت : إنك لا تقوَى على مطاولته ، ولكن اضْمَنْ له ما طلب . فكتب إليه : قد أُعِدَّ لك — وحَياتِك — كلُّ ما طلبت فلا تُبْطِئ؛ فإذا به قد طلع علينا . فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة . فلما أُحضرت أَمَر بمحمد بن يسير فشُدّ بحبل إلى أسطوانة من أساطين المجلس، وجلسنا نأكل بحذائه . فقال لنا : أىُّ شئ يخلِّصنى ؟ قلنا : تُجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب . فقال : كُفّوا عن الأكل إذًا ولا تَستبِقونى به فتَشْغَلوا خاطرى ، ففعلنا ذلك وتوقّفنا، فأنشأ يقول :

أيا عَجَبا مِنْ ذا التَّسرِّى فإنّه * له نَخْوةٌ فى نفسه وتكابُرُ[4]

(١) البرذون من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب . والدلجة : سير السحر .

(٢) جاء فى لسان العرب : « أجمر الثوب وجمره : بخره بالطيب ، والذى يتولى ذلك مجمرومجمّر ، والجامر : الذى يلى ذلك من غير فعل ، إنما هو على النسب .

(٣) فى الأصول « طابعا » وهو تصحيف . والدستيج : آنية تحوّل باليد وتنقل ، فارسى معرب . والراح : الخمر . يروّدنيها : رادت الإبل ترود : اختلفت فى المرعى مقبلة ومدبرة ، ورودتها أنا وأردتها ؛ أى جعلتها ترعى ، فمعنى يروّدنيها هنا على التشبيه بذلك أى يجعلنى أستقى منها غاديا رائحا أى مرارا . ولا يعاسر : لايشاكس .

(٤) السرو : المروءة فى شرف ، سرو، ككرم ودعا ورضى فهو سرى ، وتسرى تسريا : تكلف السرو . وتكابر وتكبر واستكبر بمعنى .

يُشَارِط لمَّا زار حتّى كأنه * مُغَنٍّ مُجِيدٌ أو غلام مُؤاجَر[1]

فلولا ذِمامٌ كان بيني وبينه * لَلَطَّمَ بَشّارٌ قفاه ويَاسِرُ[2]

فقال محمد : حسبُك، لم نُرِدْ هذا كله، ثم حلّه وجلس يأكل معنا، وتممنا يومنا .

أخبرني عمى قال حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ قال :

قصة شاة منيع معه وهجاؤه إياها

كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم ، وهو من خَثْعَم وكان من بخلاء الناس ، وكان له فى داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق[3] قلعها من داره، فغرَس فيه أصلَ رُمّان وفَسِيلةً[4] لطيفة، وزرَع حواليْه بقْلا ، فأفلتت شاةٌ لجار له يقال له : مَنِيع، فأكلت البقل ومَضَغت الخُوص، ودخلتْ إلى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيسَ[5] فيها شِعرهُ وأشياءُ من سَماعاته، فأكلتْها وخرجَتْ ، فعدا إلى الجيران فى المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع :

لىَ بستانٌ أنيقٌ زاهرٌ * ناضرُ الخُضْرة ريّانٌ تَرِفْ[6]

---

(١) فى الأصول «يشابط» وهو تحريف . ومؤاجر : جاء فى المصباح المنير : « قال الأخفش : ومن العرب من يقول آجرته فأنا مؤجر (بسكون الهمز) — فى تقدير أفعلت فأنا مفعل — وبعضهم يقول فأنا مؤاجر — فى تقدير فاعلته ا هـ . (٢) الذمام : الحق والحرمة . والمفهوم أنه يعني بشار وياسر خادمين من خدم الوالى أو رجلين من أتباعه . وفى الأصول : « تلطم » ؛ وهو تحريف . (٣) الطابق كهاجر وصاحب والطاباق : الآجر الكبير . ويظهر من قوله « قلعها من داره » أن البستان كان يدور حول المنزل، وأن ذلك القدر المذكور قدر عرضه .

(٤) الفسيلة : النخلة الصغيرة . (٥) القراطيس : جمع قرطاس (وكسر القاف أشهر من ضمها) ؛ وهو ما يكتب فيه . (٦) أنيق : حسن معجب . وناضر : شديد الخضرة . ويبالغ به فى كل لون فيقال : أخضر ناضر، وأحمر ناضر، وأصفر ناضر . ترف : ترف النبات كفرح : تروّى، فهو ترف .

رَاسِخُ الأَعْراقِ رَيَّانُ الثَّرَى * غَدِقٌ تُرْبَتُه ليست تَجِفُّ (١)

لمجارى الماءِ فيه سُنَنٌ * كيفما صَرَّفته فيه انصرف (٢)

مُشْرِقُ الأنوار ميَّاد النَّدَى * مُنْثَنٍ فى كلِّ ريحٍ مُنعَطِفْ (٣)

تَمْلِكُ الريحُ عليه أمرَه * فإذا لم يُؤْنِسِ الريحَ وقف (٤)

١٣١ / ١٢

يكتسى فى الشرق ثوبَىْ يُمْنَةٍ * ومع الليل عليها يَلْتَحِفْ (٥)

٥

ينطوى الليلُ عليه فإذا * واجَهَ الشرقَ تجلَّى وانكشف

صابِرٌ ليس يُبالى كثرةً * جُزَّ بالمِنْجَل أو منه نُتِفْ

كلما أُلْحِفَ منه جانبٌ * لم يتلبَّثْ منه تعجيلُ الخَلَفْ (٦)

لا ترى للكفِّ فيه أثرًا * فيه بل يَنْمِى على مسِّ الأكُفّ (٧)

فترى الأطباقَ لا تُمْهِلُه * صادراتٍ وارداتٍ تختلف

١٠

فيه للخارِفِ من جيرانه * كلما احتاج إليه مُخْتَرَف (٨)

أُقْحُوانٌ وبَهارٌ مُونِقٌ * وسوى ذلك من كلّ الطُّرَف (٩)

---

(١) أرض غدقة : فى غاية الرى ، وهى الندية المبتلة .

(٢) سنن : جمع سنة وهى الطريقة .

(٣) الأنوار : جمع نور (بالفتح) : وهو الزهر . ويقال للنبت ندى ، لأنه عن ندى المطر نبت .

١٥

(٤) آنس الشىء : أحس به . (٥) اليمنة : برد يمنى ، وهو موشى .

(٦) فى الأصول « ألحق » بدل « ألحف » ؛ وهو تحريف . وألحفه : استأصله . ولم يتلبث : أى لم يتوقف ولم يبطئ .

(٧) نما ينمو نموا ، ونمى ينمى نميا ونماء : زاد . و « فيه » الثانية حشو .

(٨) خرف الثمار خرفا كنصر : جناها ، كاخترفها . ومخترف : مجتنى . أو هو برفع « كل » وفصلها من « ما » ، وكسر الراء من « مخترف » .

٢٠

(٩) الأقحوان : نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . والبهار : نبت أصفر طيب الريح . ومونق : معجب .

وهو زَهْرٌ للنَّدَامَى أُصُـلاً (١) * يرضا قاطفهم ممّا قطف

وهو فى الأيدى يُحيّون به * وعلى الآناف طَـوْرا يُستَشف (٢)

أَعفِـه يا ربِّ مِن واحـدةٍ * ثم لا أَحْفِـلُ أنواعَ التَّلَف (٣)

اِكْفِـه شاةَ مَنيعٍ وَحْـدَها * يوم لا يُصْبِحُ فى البيت علَف

اِكْفِـه ذاتَ سُـعالٍ شَهْلَةً * مُتّعتْ فى شرِّ عيش بالخَـرَف (٤)

اِكْفِـه يا رَبِّ وَقصاءَ الطُّلَى * أَلْحِمِ الكِتْفين منهـا بالكَتِف (٥)

وكُلُـوحُ أبـدا مُفْـتَرَّةٌ * لك عن هُـتْمٍ كَليلاتٍ رُجُف (٦)

ونَثُوسُ الأنفِ لا يَرْقَا ولا * أبـدًا تُبْصِـرُه إلّا يَكِف (٧)

---

(١) أصلا : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب . والندامى : جمع ندمان ، وهو المجالس على الشراب .

(٢) استشفه : تأمل ما فيه ، واستشف ما فى الإناء : شرب جميع ما فيه وتقصى شربه . والمعنى على هذا : يتقصى شمه كما يستشف الماء .

(٣) يقال : ما حفله (كضرب) وما حفل به ، وما احتفل به ، أى ما بالى .

(٤) الشهلة : العجوز . والخرف هنا : الشيص (أردأ التمر) .

(٥) الطلى : الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة . والوقص (بفتحتين) : قصر العنق . وقص (كفرح) فهو أوقص وهى وقصاء . والكتف ، بكسر التاء وسكونها مع فتح الكاف وككرد . ولحمه (كنصر) وألحمه : لأمه ، يدعو عليها أن يلحم الله كتفيها حتى تصيرا كتفا واحدة .

(٦) الكالح : الذى قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رءوس الغنم إذا برزت الأسنان وتشمرت الشفاه . وافترّ عن ثغره : أبدى أسنانه . وعن هتم ؛ أى عن أسنان مكسرة . ورجف : جمع رجوف ، من رجف الشىء (كنصر) إذا خفق واضطرب اضطرابا شديدا .

(٧) نثوس : وصف ، من ناس اللعاب : إذا سال فاضطرب . ويرقأ : يجف ويسكن وينقطع ، سهلت همزته . يعنى أن رقامها (مخاطها) يسيل من منخريها لهزالها . ووكف الدمع والماء (كوعد) : سال .

لم تَــزَلْ أظلافُها حافيَــةً * لم يُظَلِّفْ أهلُها منهــا ظِلَفْ(١)
فترى فى كل رِجْــلٍ ويدٍ * من بقاياهنّ فوق الأرض خُفْ(٢)
تَنسِفُ الأرضَ إذا مرّت به * فلهــا إعْصارُ تُرْبٍ مُنتسِفْ(٣)
تُرْهِجُ الطُّرْقَ عــلى مُجْتــازِها * بيَدٍ فى المشى والخطْوِ القَطِفْ(٤)
٥ فى يَدَيْهــا طَــرَقٌ ، مِشيَتُها * حَلْقةُ القوس ، وفى الرجل حَنَفْ(٥)

(١) أظلاف : جمع ظلف (بالكسر) ، وهو للشاة كالحافر للفرس والقدم للإنسان . يقال : عفا الشعر والنبت وغيرهما إذا كثر وطال . ولم يظلف ؛ اشتق من الظلف ؛ يظلف بمعنى يقلم . وقلم الظفر : قطع ما طال منه . وظلف : أصله ظلفا (بسكون اللام و بالألف ، مفعول يظلف) وقف عليه بنقل فتحة الفاء إلى اللام وحذف الألف وسكن الفاء ؛ لأن الروى مقيد ، متبعا فى ذلك مذهب نحاة الكوفة و بعض نحاة البصرة المعاصرين له . ولبيان ذلك نقول : ذكروا أن فى الوقف على المتحرك — غير هاء التأنيث — ١٠ خمســة أوجه : الإسكان والروم والإشمام والتضعيف والنقل ؛ أى إنه يجوز نقل حركة الحرف الموقوف عليه إلى ما قبله بشروط ، منها : أن يكون ساكنا وألا تكون الحركة فتحة ، كقراءة بعضهم : (وتواصوا بالصبر) بكسر الباء وسكون الراء ، فأما الفتحة فقد منع البصريون نقلها إذا كان المنقول عنــه غير همزة ، فلا يجوز عنــدهم رأيت بكر (بفتح الكاف وسكون الراء) ولا ضربت الضرب ، لمـا يلزم على النقل حينئذ ١٥ فى المنون من حذف ألف التنوين ، وحمل غير المنون عليه ، وأجاز ذلك الكوفيون . ونقل عن الجرمى — وهو نحوى بصرى توفى سنة ٢٢٥ — أنه أجازه . وعن الأخفش — وهو نحوى بصرى أيضا توفى سنة ٢١٥ — أنه أجازه فى المنون على لغة من قال رأيت بكر ، وهم ربيعة . فأما المهموز فيجوز نقل حركته و إن كانت فتحة ، فيقال رأيت الخبأ والردأ فى رأيت الخبء والردء . (انظر شرح الأشمونى باب الوقف) .

(٢) فى الأصول كلها : « جف » بالجيم ؛ وهو تصحيف . والخف : ما يلبس فى الرجل .

٢٠ (٣) فى الأصول : « تبدأ » بدل « بيد » ؛ وهو تحريف . و « به » بالخف . ونسفه وانتسفه : قلعه من أصله . والإعصار : الريح التى تهب من الأرض كالعمود نحو السماء ، أو التى فيها العصار (ككتاب) وهو الغبار الشديد . (٤) أرهج : أثار الغبار . والقطف ، أصله القطف (بسكون الطاء وكسر الفاء) فوقف عليه بالنقل كما تقدم . يقال : قطفت الدابة كضرب قطفا ، وكنصر قطافا وقطوفا ، وككرم فهى قطوف كصبور ، أى بطيئة متقاربة الخطو .

٢٥ (٥) فى الأصول : « فى يدها طرف من مشيتها : خلقة ... » وهو تحريف وخطأ ، وقــد صححته كما ترى . والطرق : ضعف فى ركبتى البعير ويده ، أو اعوجاج فى ساقه ؛ يقال : بعير أطرق وناقة طرقاء ، أى فى يديها لين واسترخاء وتكسر وضعف . مشيتها حلقة القــوس أى مشيتها معوجة كحلقة القوس غير مستقيمة . والحنف : الاعوجاج فى الرجل إلى داخل .

فإذا ما سَعَلَتْ واحْدَوْدَبَتْ * جاوبَ البَعْرُ عليها نَخْصِفُ (١)

وأحصّ الشعرُ منها، جِلْدُها * شَنَّةٌ فى جوف غارٍ مُنْخسِفُ (٢)

ذات قَرْنٍ وهى جَمَّاءُ، ألَا * إنّ ذا الوصفَ كوصفٍ مُخْتلِفْ (٣)

وإذا تدنو إلى مُسْتَعْسِبٍ * عافَها نَتْنًا إذا ما هُو كَرَفْ (٤)

لا ترى تَيْسًا عليها مُقْدِمًا * رُمِيَتْ من كل تيس بالصَّلَفْ (٥)

شُوهة الخِلقة، ما أبصرَها * مِن جميع الناس إلّا وحَلَفْ (٦)

ما رأى شاةً ولا يعلمُها * خُلِقَتْ خِلْقَتَها فيما سَلَفْ

عَجَبًا منها ومن تأليفها * عَجَبًا مِن خَلْقِها كيف ائتلَفْ!

لو يُنادُون عليها عَجَبًا * كَسَبوا منها فُلوسًا ورُغُفْ

---

(١) فى الأصول : « جاوب البعر منها لخصف » وهو خطأ ؛ وقد صححناه كما ترى . خصف الورق على بدنه : ألزقه وأطبقه عليه ورقة ورقة ، أى تخصف عليها ، فلصق بجسمها .

(٢) فى الأصول : « وأخفى الشعر » ؛ وهو تحريف . يقال : حص شعره وانحص إذا انجرد وتناثر . وذنب أحص : لا شعر عليه . وفى كتب اللغة أن الفعل يتعدى بنفسه بدون الهمز ، يقال : حص الشعر كنصر إذا حلقه . والشنة والشنّ : القربة الخلق الصغيرة .

(٣) فى الأصول : « وهى حما » وهو تصحيف . جمت الشاة كتعب ، إذا لم يكن لها قرن ، فهى جماء .

(٤) استعسب التيس : هاج واغتلم . وعافها : كرهها وأعرض عنها . وكرفها : شمها ؛ يقال كرف الفحل إذا شم طروقته ثم رفع رأسه نحو السماء وكشر حتى تقلص شفتاه .

(٥) صلفت المرأة كفرح صلفا : لم تحظ عند زوجها وأبغضها . والصلف أيضا : الكبر . أى صلف التيس وأدل عليها .

(٦) يقال : رجل أشوه وامرأة شوهاء، إذا كانت قبيحة ، والاسم الشوهة بالضم . ولم ترد كلمة « شوهة » فى كتب اللغة وصفا ، فالتقدير فى البيت « شوهة الخلقة صفة ثابتة لها ، أو شوهة خلقتها ليس لها نظير . أو أنه استعمل الاسم استعمال الوصف مجازا .

١٣٢
١٢

ليتها قد أفلتت في جفنة * من عجين أو دقيق مُجْتَرَف (١)

فتلقَّتْ شَفْرةً من أهله * قَدْرَ الإصبع شيئا أو أشَفّ (٢)

أحكمَتْ كفَّا حكيمٍ صُنْعَها * فأتت مجدولةً فيها رَهَف (٣)

أُدْمِجَتْ من كل وجه غيرَ ما * أَلَّلَ الأقيانُ من حَدِّ الطَّرَف (٤)

قابِضُ الرونقِ فيها ماتِعٌ * يَخطَفُ الأبصارَ منها يُستَشَفّ (٥)

لَحَتْها فاستخفّتْ نحوَها * [عَجِلًا] ثم أحالت تنتسِف (٦)

فتناهَتْ بين أضعاف المِعَى * وتبوَّتْ بين أثناء الشَّغَف (٧)

أو رمَتْها قَرْحةٌ زادت لها * ذَوَبانًا كلَّ يومٍ ونَحَف

كل يوم فيه يدنو يومُها * أو تُرَى واردةً حوضَ الدَّنَف

(١) في الأصول : « مخترف » بالخاء، وهو تصحيف والجفنة : القصعة .

(٢) في الأصول : « فتلقت شعرة » ؛ وهو تحريف .

(٣) لعل الأصل « مصقولة » ؛ إذ المناسب للسكين الصقل لا الجدل . ورهف (ككرم) رهافة ورهفا بالفتح وبالتحريك : دق ولطف .

(٤) ألل الشيء تأليلا : حدّد طرفه . والأقيان : جمع قين، وهو الحداد .

(٥) في الأصول « مانع » بالنون وهو تصحيف . والماتع من كل شيء : البالغ في الجودة الغاية في بابه . ورونق السيف : ماؤه وحسنه . وقابض الرونق ، أي ما يمسكه ويحفظه . وخطف كسمع وضرب، أو هذه قليلة أو رديئة . واستشفه : رأى ما وراءه .

(٦) لحتها ، أي الشفرة أسند اللحو اليها ويريد أصحابها . فاستخفت : يريد خفت إليها أي أسرعت لذبحها والقضاء عليها . وقد زدت كلمة «عجلا» ليستقيم الوزن، وأحالت : تحوّلت، أي هوت عليها تنسفها .

(٧) تناهت : انتهت أي بلغت ووصلت . وأضعاف المعى : أثناؤها جمع ضعف بالكسر . وتبوّت مسهل تبوأت، أي حلت وأقامت . والشغف : غلاف القلب أو حبته كالشغاف .

بينا ذاك بهـا إذ أصبحتْ * كَميتٍ[1] مُفْعَمٍ أو مثل جُف

شاغِرًا عُرْقوبُها قد أُعقِبَتْ * بِطْنةً[2] من بعد إدمان الهَيَف

وغدَا الصِّبيـةُ من جيرانهـا * ليجرُّوها إلى مأوَى الجِيَف

فـتراها بينهـم مسـحوبةً * تجرُفُ[3] التُّرب بجَنْبٍ منحرِف

فإذا صاروا إلى المأوَى بهـا * أعمَلُوا الآجُرَّ[4] فيهـا والخَزَف

ثم قالـوا : ذا جَـزاءٌ للتى[5] * تأكلُ البستانَ منا والصُّحُف

لا تلومونى ، فلو أبصرتُ ذا * كلَّه فيهـا إذن لم أنتصـف

شعره إلى امرأته وقد كتبت إليه تعاتبه

أخبرنى علىّ بن سليمان قال حدّثنا محمـد بن يزيد قال حدّثنا عبد الله بن محمد ابن يسير، وحدّثنى سوار بن أبى شُرَاعة[6] قال حدّثنى عبد الله بن محمد بن يسير قال :

هَوِىَ أبى قَينـةً من قِيـان أبى هاشم بالبصرة ، فكتبتْ إليـه أمى تعاتبه ، فكتب إليهـا :

---

(١) فى الأصول « لجيت » باللام ؛ وهو تحريف . والجيت : الزق الذى يجعـل فيه السمن والجف : الشن البالى يقطع من نصفه ويجعل كالدلو .

(٢) فى ب ، س « شاعرا عرقوا بهـا » وفى جـ شاعرا عرقوبها وهو تحـريف . شاغرا عرقوبها أى مرفوعا ، من شغر الكلب برجله كفتح اذا رفعها ، والبطنة : عظم البطن . والهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة . (٣) بجرفه كنصر : كسحه .

(٤) الآجرّ : الطوب . والخزف : الطين المعمول آنية قبل أن يطبخ ؛ وهو الصلصال ، فإذا شوى فهو الفخار . (٥) فى الأصول : « للذى » ؛ وهو تحريف .

(٦) فى الأصول : « سراعة » ؛ وهو تصحيف . والتصحيح عن الأمالى والقاموس المحيط . ومن أسمائهم سوار ككتاب وسوّار كشدّاد .

لا تَذْكُرِي لَوعةً إِثْرِي ولا جَزَعا * ولا تُقاسِنَّ بعدى الهمَّ والهَلَعا (١)

بَلِ ائْتسِي تجدى إِن ائْتسيتِ أُسًا * بمثلِ ما قد فُجِعْتِ اليوم قد فُجِعا (٢)

ما تصنعين بعينٍ عنك قد طمَحَتْ * إلى سواكِ وقلبٍ عنكِ قد نَزَعا (٣)

إن قُلتِ قد كنتُ فى خَفْضٍ وتكرِمَةٍ * فقد صدَقتِ، ولكنْ ذاكِ قد نُزِعا (٤)

وأىُّ شىءٍ من الدنيا سمعتِ به * إلا إذا صار فى غاياته انقطعا

ومَن يُطيقُ خَليعًا عند صَبْوته * أم مَن يقوم لِمستورٍ إذا خَلَعا

هجاؤه أبا النجم المغنى

أخبرنى عمى قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثنا عبد الله بن يسير أن أباه دُعى إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النجم ، فعبِث بأبى وباغضه وأساء أدبه ، فقال يهجوه :

نَشَتْ بأبى النَّجم المغنّى سحابةٌ * عليه من الأيدى شآبيبُها القَفْدُ (٥)

---

(١) فى رواية الأمالى (ج ١ : ص ٢٣) : «ولا تبعن لوعة إثرى ولا هلعا» بتأكيد الفعل بنون التوكيد الخفيفة . وفى الأصول : « ولا تقاسين » تحريف . والهلع : أفحش الجزع .

(٢) أسا (بالضم والكسر) : جمع أسوة (بالضم والكسر أيضا) ، وهى القدوة وما يأتسى به الحزين أى يتعزى به . وائتسى به : اقتدى به ، وجعله أسوة أى قدوة .

(٣) نزع عن الأمر كضرب نزوعا : كف وانتهى عنه وأباه .

(٤) الخفض : الدعة . وفى الأمالى : « فى دِعَةٍ » . وفيه أيضا : « قد منعا » .

(٥) نشت ، نشى بالشىء : عاوده مرة بعد أخرى ، أو هو مسهل من « نشأت » ؛ يقال : نشأت السحابة اذا ارتفعت . وشآبيب : جمع شؤبوب كعصفور ، وهو الدفعة من المطر . وقفده قفدا كضربه : صفع قفاه بباطن كفه . وفى الأصول : « الفقد » ؛ وهو تصحيف .

نَشَا نَوْءُها بالنَّحْس حتى تصرَّمتْ (١) * وغابت فلم يَطلُع لها كوكبٌ سَعْد (٢)

سَقَتْه بجَادتْ فارتَوَى من سِجالِها (٣) * ذُرَا رأسه والوجهُ والجِيدُ والخَدُّ

فلا زال يَسْقِيه بها كلَّ مجلس * به فتيةٌ أمثالُها الهَزْلُ والجِدُّ

أراد به يسقيانه (٤) .

١٣٣ / ١٢

قصته مع صديق له يدعى داود

أخبرنى عمى قال حدّثنا ابن مهرويه قال وحدّثنى عبد الله بن محمد ابن يسير قال :

كان لأبى صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهًا وأقلّهم أدبًا ، إلا أنه كان وافر المتاع ، فكان القيان يواصلنه ويكثُرن عنده ، ويُهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب ، فيدعو بأبى فيعاشره . فهَوِيته قينةٌ من قيان البصرة ، كانت من أحسن الناس وجها ، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدًّا تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره (٥) . فسأل أبى أن يُجيبها عنه ، فقال أبى : اكتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أجيب عنها :

وابلائى من طول هذا الكتاب * أسْعِدُونى عليه يا أصحابى

أسْعِدونى على قِرَاةِ (٦) كتابٍ * طولُه مثل طولِ يوم الحساب

(١) فى ب وس : « نشأنأها » ، وهو تحريف . والنوء : سقوط نجم فى المغرب وطلوع آخر فى المشرق . وكانت العرب فى الجاهلية تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها أو إلى الطالع ، فإذا سقط نجم وطلع آخر قالوا لا بد من أن يكون عند ذلك مطر أو رياح ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم ، فيقولون : مطرنا بنوء الثريا ، والدبران ، والسماك .

(٢) فى الأصول : «وغاب» وهو تحريف . وفى البيت تهكم به وتعريض لأنه يدعى «أبا النجم» .

(٣) سجال : جمع سجل بالفتح ، وهو الدلو العظيمة مملوءة . (٤) أى فلا زال الهزل والجد يسقيانه أمثال هذه السحابة فى كل مجلس به فتية . (٥) فى الأصول « فبعث إلى داود برقعة طويلة جدا يعاتبه فيها ويستجفيه ويستزيده» وكله تحريف . وتستجفيه : تنسبه إلى الجفاء، وتعدّه جافيا . وتستزيره : تسأله أن يزورها . (٦) قراة ، مسهل عن قراءة .

إنّ فيه منّى البلاءَ مُلَقّى * ولغيرى فيه الهوَى والتّصابى

وله الودُّ والهوى ، وعلينا * فيه للكاتبين رَدُّ الجواب

ثم ممن يا سيِّدى ؟ وإلى من ؟ * من هَضيم الحَشا لعُوبٍ كَعَاب (١)

وإلى مَنْ إنْ قلتُ فيه يَعيب * لم أُحِطْ فى مقالتى بالصواب (٢)

٥ لا يُساوى على التأمّل والتف * تيش يوماً فى الناس كفَّ تراب

فقال عبد الله : وكان أبى إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه ، فيمشى قُدّامه ، فإن كان فى الطريق طين أو بئر أو أذًى لَقِى داود شرّه وحَذِره أبى . فمات داود . وانصرف أبى ذات ليلة وهو سكران ، فعثَر بدُكّان (٣) وتلوّث بطين ودخل فى رجله عظم ولقِى عَنَتاً ، فقال يرثى داود :

شعره فى رثاء داود

١٠ أقول والأرضُ قد غشّى وجَلّلها (٤) * ثوبُ الدُّجَى فهْو فوق الأرض ممدود

وسَدَّ كلَّ فُروج الجوِّ مُنْطَبِقاً * وكلُّ فَرْجٍ به فى الجوِّ مسدود

وفى الوَدَاع وفى الإبداء (٥) لى عَنَتٌ * دون المسير وبابُ الدار مسدود

مَن لى بداودَ فى ذى الحال يُرْشدنى؟ * مَن لى بداود؟ لَهْفى ! أين داودُ؟

لَهْفى على رِجْله ألّا أُقدّمها * قُدّامَ رجلى فتَلْقاها الجَلاميدُ

١٥ (١) امرأة هضيم : لطيفة الكشحين ضامرة البطن . ولعوب : حسنة الدل . وكعاب : كعب ثديها ، أى نهد . (٢) فى الأصول «يعيث» «لم أخط» وهو تصحيف وفى ب ، س «من مقالتى» .

(٣) الدكان : بناء يسطح أعلاه للقعود = المصطبة .

(٤) غشاها : غطاها . وجلل المطر الأرض : عمها وطبقها فلم يدع شيئا إلا غطاه .

(٥) الإبداء : الابتداء ، بدأ الشيء وأبدأه : فعله ابتداء .

إذ لا أزال إذا أقبلتُ ينكُبنى * حَرْفٌ وجُرْفٌ ودُكّانٌ وأُخدود (١)

فإن تكن شوكةٌ كانت تحُل به * أونَكتةٌ فى سواد الليل أو عُودُ (٢)

أبيات له فى شاة منيع

أخبرنى عمى قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنى القاسم بن الحسن مولى جعفر ابن سليمان الهاشمى قال :

٥

هجمتْ شاة منيع البقّال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلّها ، فقال فى ذلك :

قل لبغُاة الآداب ما صَنَعَتْ * منها إليكم فلا تُضيعُوها

وضمّنوها صُحُفَ الدّفاتر بال * حِبر وحُسْنَ الخطوط أوعُوها (٣)

فإن عجزتم ولم يكن عَلَفٌ * تُسيغُه عندكم فبيعُوها (٤)

قوله فى يوسف بن جعفر وقد عربد عليه وشجه

١٠

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى ابن شِبْل البُرْجُمِىّ قال :

١٣٤ / ١٢

كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان ، وكان يوسف أشدّ خلق الله عربدةً، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه ، ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولِحاءٌ (٥) ، فعربد يوسف عليه وشجّه ، فقال ابن يسير يهجوه :

١٥

لا تجلسَنّ مع يوسف فى مجلس * أبداً ولم تحمِل دَمَ الأخوينِ (٦)

رَيحانُه بدم الشباب مُلَطَّخٌ * وتحيّةُ النّدْمانِ لَطْمُ العينِ

(١) الجرف (بالضم وكعنق) : ماتجرفته السيول وأكلته من الأرض . والأخدود : الحفرة المستطيلة فى الأرض . (٢) نكتة ، من نكته أى ألقاه على رأسه . (٣) أوعى الشىء فى الوعاء ووعاه : جمعه فيه . (٤) فى الأصول « يسيغها » ؛ وهو تحريف . يقال : ساغ الشراب والطعام : سهل مدخله فى الحلق ، وأساغ هو الطعام والشراب يسيغه .

٢٠

(٥) لاحاه لحاء وملاحاة : نازعه وخاصمه . (٦) فى الأصول « ولا تجلسا » ومع الواو لا يستقيم الوزن . ودم الأخوين = العندم = البقم : صبغ أحمر .

شعر له فى غلام

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال حدّثنى الحسين بن يحيى المنجّم قال حدّثنى أبو علىّ بن الخُراسانىّ قال :

كان لمحمد بن يسير البصرىّ بابانِ يدخل من أحدهما وهو الأكبر، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر، ومَنْ يَسْتَشْرِطُ(1) من المُرْدِ . فجاء يومًا غلامٌ قد خرجتْ لحيته، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر، فمرّ من ذلك [الباب]، فجعل يُخاصم لدالّته(2)، وبلغ ابن يسير فكتب إليه :

قُلْ لِمَنْ رامَ بجَهْلٍ * مَدْخَلَ الظَّبْيِ الغَرِيرِ
بعد أن عَلّق فى خَدّيه مِخْلاةَ الشَّعيرِ
ليتَه يدخل إنْ جا * ء من الباب الكبيرِ

شعر له فى عمرو القصافى وقد عان مغنية

وأخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مِهرويه قال حدّثنى القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال :

كنّا فى مجلس ومعنا محمد بن يسير وعمرو القَصَافىّ(3)، وعندنا مغنية حسنة الوجه شَهْلَة(4) تغنّى غناءً حسنا، فكنّا معها فى أحسن يوم، وكان القَصَافىّ يَعِين(5) فى كل شىء يستحسنه ويحبّه، فما برِحْنا من المجلس حتى عانها، فانصرفتْ محمومةً شاكيةَ العين. فقال ابن يسير :

---

(1) من استشرط المال، أى فسد بعد صلاح . والمرد : جمع أمرد، وهو الشاب لم تنبت لحيته .
(2) أدل عليه وتدلل : وثق بمحبته فأفرط عليه . والاسم الدالة .
(3) القصافى : نسبة إلى بنى قصاف، وهم بطن من العرب .
(4) الشهلة : النّصَف العاقلة .
(5) عانه كباع : أصابه بعينه .

إنّ عمرًا جَنَى بعينيه ذنبًا * قلّ منّى فيه عليه الدّعاءُ

عانَ عَيْنَا(١)، فعينُه للتى عا * ن فِدًى، وقلّ منه الفداءُ

شرُّ عينٍ تَعينُ أحسنَ عينٍ * تَحمِلُ الأرضُ أو تُظِلّ السماءُ(٢)

استعار حمارا من جار له فأبى عليه فقال شعرا يشكوه

أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا القاسم بن الحسن قال: استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حمارا كان له ليمضى عليه فى حاجة أرادها [فأبى عليه](٣)، فمضى إليها ماشيا، وكتب إلى عمرو القصّافىّ — وكان جارا للهاشمىّ وصديقا — يشكوه إليه ويُخبره بخبره:

إنْ كنتُ لا عَيْرَ لى(٤) يومًا يُبلّغنى * حاجِى وأقضى عليه حقّ إخوانى

وضَنّ أهلُ العَوارِى(٥) حين أسألُهم * من أهل ودّى وخُلْصانى وجيرانى

فإنّ رِجلىّ عندى — لا عَدِمْتُهما — * رِجلا أخى ثقةٍ مُذْ كان جَوْلانى(٦)

تُبلّغانِىَ حاجاتى وإن بَعُدتْ * وتُدْنيانِىَ مما ليس بالدانى

كأنّ خَلْفِى إذا ما جدّ جِدُّهما * إعصارَ عاصفةٍ مما تُثيران

رجلاىَ لم تألَمَا نَكْبًا(٧) كأنّهما * قَطًّا وقَدًّا وإدماجًا مَدَاكانِ

(١) عيناء: واسعة العين، قصر للشعر. (٢) فى الأصول: «أو تقل السماء».

(٣) زيادة يستقيم بها الكلام. (٤) العير: الحمار، وغلب على الوحشى. حاج: جمع حاجة.

(٥) العوارى: جمع عارية، وهى ما يستعار، وفى الجمع والمفرد التخفيف والتشديد. وفلان خلصى، بالكسر، وهو الخالص المودة، وهم خلصانى، بالضم، يستوى فيه الواحد والجماعة. وتقول: هؤلاء خلصانى وخلصائى (كظرفاء). (٦) فى الأصول: «جولان» وهو تحريف. يقال: رجل جولانىّ (بتشديد الياء) أى عام المنفعة للقريب والبعيد يجول معروفه فى كل أحد.

(٧) لم تألما نكبا، أى من نكب، يقال: نكبت الحجر رجله أو ظفره نكبا إذا أصابها. قطا، فى الأصول «فظا» وهو تصحيف، والقط: القطع عرضا أو عامة. والقدّ: القطع المستطيل أو الشق طولا. والمداك، كالمدوك، وزان مبرد: مدقّ الطيب.

١٣٥
١٢

كأن ما بهما أخطو إذا أرتهيا * فى سكة من أى ذاك سما كان (١)

إن تبعثا فى دهاس تبعثا رهجا * أوفى حزون ذكا فيها شهابان (٢)

فالحمد لله يا عمرو الذى بهما * عن العوارى وعن ذا الناس أغنانى

قصة جلة التمر وشعره إلى والى البصرة فى ذلك

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال

٥ حدّثنى محمد بن سعد الكرانىّ قال :

كنّا فى حلقة التّوّزىّ (٣)، فلما تقوّضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قوله :

جهد المقلّ إذا أعطاه مصطبرا * ومكثر من غنّى سيّان فى الجود (٤)

لا يعدم السائلون الخير أفعله * إمّا نوالى وإمّا حسن مردود (٥)

فقلنا له : ما هذا التكارم (٦)! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جلّة (٧) تمر كانت عنده أكثرها

١٠ وحملنا بقيّتها. فكتب إلى والى البصرة عمر بن حفص :

يا أبا حفص بحرمتنا * عنّ نفسا حين تنتهك (٨)

خذ لنا ثأرا بجلّتنا * فيك الأوتار تدّرك (٩)

---

(١) كذا فى الأصول ! ! (٢) الدهاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب. والرهج : الغبار. والحزون : جمع حزن (بالفتح)، وهو ما غلظ من الأرض. وذكت النار تذكو : اشتدّ لهبها.

١٥ والشهاب : شعلة من نار ساطعة. وفى ب، س : « إن يبعثا فى دهاسا يبعثا » وفى جـ : « إن يبعثانى دهاث يبعثا » وهو تحريف. (٣) التوّزى : نسبة إلى توّز بلد بفارس؛ وهو عبد الله بن محمد ابن هرون التوّزى، من أئمة اللغة والنحو بالبصرة، وقرأ على الجرمى كتاب سيبويه، وتوفى سنة ٢٣٨ هـ.

(٤) قبل هذين البيتين فى « الشعر والشعراء » :

ماذا علىّ إذا ضيف تأوّبنى * ما كان عندى إذا أعطيت مجهودى

٢٠ (٥) فى الشعر والشعراء : « نوالا ». (٦) التكارم : التظاهر بالكرم وادّعاؤه.

(٧) الجلة : وعاء من خوص. (٨) عناه : جشمه العناء وأتعبه، وعناه أيضا : حبسه حبسا طويلا. حين تنتهك، أى تنتهك حرمتنا. (٩) الأوتار : جمع وتر (بالكسر) وهو الثأر. تدّرك : تدرك.

كَهْفُ كَفِّى حين تَطْرَحُها * بين أيدى القوم تَبْتَرِكُ (١)

زارنا زَوْرٌ فـلا سَلِموا * وأُصيبوا أَيَّـةً سَلكوا (٢)

أكلوا حتّى إذا شبِعوا * أخذوا الفضلَ الذى تركوا

قال : فبعث إلينا فأحضرَنا فأغرَمنا مائة درهم ، وأخذ من كلّ واحدٍ منّا جُلَّة تمرٍ ، ودفع ذلك إليه .

قصته مع أحمد بن يوسف

أخبرنى الأخفش قال حدّثنا أبو العَيْناء قال :

كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ ، فزجّه (٣) أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرّه وعَبثاً به ، فأخذ ابن يسير بأُذن الحمار وقال له : قُلْ لهذا الحمار الراكب فوقك لا يُؤذِى الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

قصته مع أبى عمرو المدينى وشعره فى ذلك

أخبرنى عمى قال حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى محمد بن علىّ الشامىّ قال طلب محمد بن يسير من ابن أبى عمرو المدينىّ فراخاً من الحمام الهُدَّاء (٤) ، فوعده أن يأخذها له من المُثَنَّى بن زُهَيْر (٥) ، ثم نوّر عليه (أى أعطاه فراخاً غير منسوبة دلّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه) . فقال محمد بن يسير :

يا ربِّ رَبَّ الرائحين عشيّةً * بالقوم بين مِنًى وبين ثَبِيرِ (٦)

---

(١) الكهف : الملجأ والوزر . وابتركت السحابة : اشتد انهلالها وألحت بالمطر .

(٢) فى الأصول « فلا سلم » والصواب من الشعر والشعراء . والزور : الزائرون .

(٣) زجه : طعنه بالزج ورماه به . والمعنى هنا صدمه .

(٤) فى ب ، س « المنادى » وهو تحريف . وفى جـ « الهدى » بألف مقصورة . والهُدّاء : ضرب من الحمام وهو ما يعرف بالزاجل . الواحد الهادى ، جاء فى المخصص ٨ : ١٧٠ « وهنّ اللاتى يدرّبن ويرفعن من مرحل الى مرحل حتى يجئن من البعد ؛ من بلاد الروم وعريش بمصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة ، وهى محفوظة أنسابهن ... » .

(٥) نوّر عليه : لبّس عليه أمره ، وأصله أن امرأة كانت تسمى « نورة » بالضم ، وكانت ساحرة ، فقيل لمن فعل فعلها قد نوّر .

(٦) ثبير : جبل بمكة .

والواقفين على الجبالِ عشيّةً * والشمسُ جانحةٌ إلى التغويرِ (١)

حتى إذا طَفَلَ العشيُّ ووجّهتْ * شمسُ النهار وآذنتْ بغُئُورِ (٢)

رحلوا إلى خَيْفِ نَواحِلَ ضَمّها * طُولُ السِّفارِ وبُعْدُ كلِّ مسيرِ (٣)

اِبعثْ على طيرِ المَدينيِّ الذى * قال المُحالَ وجاءنى بغُرورِ (٤)

اِبعث على عَجَلٍ إليها بعد ما * يأخُذْنَ زينتَهنّ فى التحسيرِ (٥)

فى كلِّ ما وَصَفُوا المراحِلَ وابتَدَوْا * فى المُبتَدين بهنّ والتكسيرِ (٦)

ومَضَيْنَ عن دُورِ الخُرَيْبةِ زُلْفةً * دونَ القصورِ وتَجْرةِ المـاخُورِ (٧)

مع كلِّ ريحٍ تغتدِى بهبوبها * فى الجوِّ بين شَواهِنٍ وصُقورِ (٨)

---

(١) جانحة : مائلة . وغوّرت الشمس تغويرا : غارت وغربت .

(٢) طفلت الشمس كنصر : دنت للغروب . وجهت : توجهت ، أى ولت وذهبت . وغارت غيارا وغئورا : غابت .

(٣) خيف ، يريد خيف منى ، وهو ناحية منها . والخيف ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمى مسجد الخيف من منى ؛ قال مجنون ليلى :

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة * بخيف منى ترمى جمار المحصّب

وفى ب ، س : « جيف » وهو تصحيف . رحلوا نواحل ، أى إبلا نواحل مهزولة . ورحل البعير : حط عليه الرحل . (٤) أى ابعث عليها ما يؤذيها ويهلكها .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . وانحسرت الطير : خرجت من الريش العتيق إلى الحديث .

(٦) كذا فى الأصول ! ! ولعله « التكثير » .

(٧) الخريبة : موضع بالبصرة يسمى البصيرة الصغرى . والزلفة : الطائفة من أول الليل . وزلف الليل : ساعات من أوله . والتجرة : الناحية ؛ يقال : قعد تجرة وتجرا بالفتح ، أى ناحية . وفى الأصول « وحجرة » بالميم وهو تحريف . الماخور : مجمع أهل الفسق والفساد ، وبيوت الخمارين .

(٨) فى الأصول « يغترى » وهو تحريف . والشاهين : من سباع الطير ، معرب ، والجمع شواهين .

١٣٦ / ١٢

من كلِّ أكلَفَ بات يَدْجُنُ ليلُه * فغدا بغُـدْوةِ ساغبٍ ممطورِ (١)

ضَرِمٍ يقلِّب طَـرْفَه مُتأنِّسـا * شـيئًا فكُنّ له من التقـديرِ (٢)

يأتى لهنّ ميـامنًا ومَيـاسرًا * صَـكًّا بـكل مُزلَّقٍ ممْكُورِ (٣)

من طائرٍ مُتحيِّرٍ عن قصـدِه * أو ساقطٍ خَلِجِ الجَناحِ كَسِيرِ (٤)

لم ينجُ منه شريدُهن فإنْ نجا * شيءٌ فصار بجانبـات الدُّورِ (٥)

لمُشمِّرِين عن السواعد حُسَّرٍ * عنهـا بكل رشيقةِ التَّوتـيرِ (٦)

سُدُدِ الأكُفِّ إلى المَقاتلِ صُيَّبٍ * سَمْتَ الحُتوفِ بجُؤْجُؤٍ ونُحورِ (٧)

٥

(١) فى الأصول « فغدا بعدوة » وهو تصحيف . والكلفة بالضم : لون بين السواد والحمرة . والدجن بالفتح : إلباس الغيم أقطار السماء ، يقال : دجن يومنا كنصر وأدجن إذا أضبّ فأظلم . والغدوة : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . والساغب : الجائع . والممطور الذى أصابه المطر .

١٠

(٢) ضرم كفرح : اشتد جوعه ، وضرم فى الطعام : جدّ فى أكله لا يدفع شيئا منه . وفى الأصول « متناسيا » ؛ وهو تحريف ، وتأنس البازى نظر رافعا رأسه وطرفه . وفى الأصول أيضا : « فكان له » ؛ وهو تحريف ، والتصحيح عن الحيوان للجاحظ (٥ : ٢٣٤) . (٣) فى الأصول : « يأتى بهن » والتصويب من الحيوان . وصكه : ضربه شديدا . و بكل مزلق ، أى بكل منقار أو مخلب مزلق ، من زلق الحـديدة : أدمن تحديدها . والممكور : المصبوغ بالمكر أى المغرة (بفتح الميم فيهما) وهى حمراء أى كأنه مصبوغ بها . وفى الحيوان « مذلق مطرور » وذلق السكين : حدّده ، والمطرور : المحدّد أيضا .

١٥

(٤) خلج كفرح : اشتكى لحمه وعظامه من عمل يعمله ، أو من طول مشى وتعب .

(٥) فى الأصول « شيئا » وهو تحريف . جانبات : جمع جانبة ، والجانب : الغريب .

(٦) لمشمرين ، أى هذه الشواهين والصقور لصيادين مشمرين ؛ وحسر : جمع حاسر ؛ يقال : حسره كنصر وضرب إذا كشفه ؛ وتّر القوس توتيرا : شدّ وترها . والرشـيق من الغلمان والجوارى : الخفيف الحسن القد اللطيفه ، وناقة رشيقة : خفيفة سريعة . و يقال للقوس ما أرشقها أى ما أخفها وأسرع سهمها . والرشـق محركة : القوس السريعة السهم الرشيقة . وفى البيان والتبين (ج ٣ : ص ٣٦) : « دقيقة التوتير » . (٧) فى الأصول « الجيوف » ، وهو تصحيف . سدد : جمع سديد ، وصاب يصيب (كيصوب) صيبا : أصاب ، فهو صائب ، والجمع صيب . وسهم صيوب كغيور والجمع صيب كعنق . والسمت : الطريق والمذهب والقصد ؛ والجؤجؤ : الصدر .

٢٠

٢٥

ليس الذى تُخطِى يداه رَمِيَّةً (١) * منهم بمصدودٍ ولا معذورِ
يَتَبوَّعون وتمتطى أيديهمُ * فى كل مُعْطِيةِ الجِذابِ نَتورِ (٢)
عُطُفَ السِّياتِ دوائرًا فى عِطْفها (٣) * تُعزَى صناعتُها إلى عُصفورِ
يَنفُثْن عن جَذْب الأكُفِّ ثواقبًا (٤) * مُتَشابهاتِ القَدِّ والتدويرِ
تجرى بها مُهَجُ النفوسِ وإنّها * لَنواصِلٌ (٥) سُلْتٌ من التَّحبيرِ
ما إنْ تقصِّر عن مَدًى مُتَباعِدٍ (٦) * فى الجوِّ يحسِرُ طَرْفُ كلِّ بصيرِ
حتّى تراه مُزَمَّلًا بدمائه (٧) * فكأنّه مُتَضَمِّخٌ بِعَبيرِ
فيَظَلُّ (٨) يومُهمُ بعيشٍ ناصبٍ * نُصُبَ المَراجِلِ مُعْجَلِي التنويرِ

(١) الرمية : الصيد الذى ترميه . وفى الحيوان والبيان والتبيين : « ... تشوى ... * فهم بمعتذر » يقال : رمى فأشوى : إذا أصاب الأطراف ولم يصب المقتل . (٢) تبوّع : مدّ باعه وملأ ما بين خطوه . وفى الأصول : « يتسرعون ... * فى كل طائفة الجدار بتور » وهو تحريف . والتصحيح من الحيوان . وقوس معطية : لينة ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمدّ وترها . والجذاب : المجاذبة . والنتور : الشديدة الجذب . (٣) سية القوس : ما عطف من طرفيها . وعطف : جمع عطوف . وقوس عطوف كصبور ومعطفة وعطفى ومعطوفة ، أى عطفت سيتها عليها عطفا شديدا . وعطف القوس بالكسر : سيتها . وعصفور : جاء فى الحيوان ٥ : ٢٣٣ « وعصفور القواس : إليه تضاف القسىّ العصفورية ، وقد ذكره ابن يسير حين دعا على حمام بالشواهين والصقور والسنانير والبنادق » .
(٤) فى الأصول : « عن حدب » وهو تصحيف . وثواقبا : فى جـ « ثواقبا » بالثاء ، وفى ب ، س « نواقبا » بالنون ، وكلاهما صحيح ، أى سهاما ثواقب تثقب الرمية وتنفذ فيها ، أو نواقب تنقب الهدف وتخرقه . (٥) فى ب ، س : « لنواضل » وهو تصحيف . ومهج : جمع مهجة ، وهى الدم . ونواصل جمع ناصل ، وسهم ناصل : ذو نصل ، وسهم ناصل أيضا : سقط منه نصله ، ضد . وحبرت الشىء تحبيرا : حسنته ، وسهم محبر : حسن البرى . وسلت : جمع أسلت ، وهو فى الأصل : الرجل الذى أوعب جدع أنفه . يريد به هنا السهم الذى أجيد بريه وأزيل ما فيه من نتوء .
(٦) مدى متباعد : أى مدى طائر متباعد . حسر البصر (لازما) كجلس : كل وانقطع من طول مدى ، وحسر العينَ بُعدُ ما حدّقت إليه (متعديا كنصر) : أكلّها .
(٧) زمله : لفه . وتضمخ بالطيب : تلطخ . والعبير : الزعفران أو أخلاط من الطيب .
(٨) فيظل يومهم : إسناد مجازى ؛ أى فيظلون فى يومهم . عيش ناصب : فيه نصب وكد وجهد ؛ المراجل : جمع مرجل كمنبر ، وهو القدر يطبخ فيها . نصب المراجل : أى قد نصبوا المراجل وأقاموها لطبخ ما صادوه من الطيور . والتنوير : الإنارة ، ويريد إيقاد النار .

ويَشُوب ناجيهنّ بين مُضَرَّجٍ * بدَمٍ ومخلوبٍ إلى مَنْسُورِ (١)

عارِى الجَناحِ من القَوادمِ، والقَرا * كاسٍ بعليه مائرُ التَّامُورِ (٢)

فيَئُودُه مُتبهنِسٌ فى مشيه * خَطِفُ المؤخرِ مُشْبَعُ التصديرِ (٣)

ذو حُلْكةٍ مثلِ الدُّجى أو غُبْثةٍ * شَغِبٌ شديدُ الجِدِّ والتشميرِ (٤)

فيمرُّ منها فى البَرارِى والقُرَى * من كل أعْصَلَ كالسِّنان هَصُورِ (٥)

فى حينِ تُؤذيها المَبايتُ مَوْهِنًا * أو بعد ذلك آخرَ التسحيرِ (٦)

يختصّ كلَّ سليلِ سابقِ غايةٍ * مَحْضِ النِّجار مُجرَّبٍ مخبُورِ (٧)

---

(١) فى الأصول « ميسور » وهو تصحيف . ومضرج : ملطخ . خلبه بظافره كضرب ونصر : جرحه أو خدشه أو قطعه . منسور : النسر : نتف البازى اللحم بمنسره أى بمنقاره ، نسر اللحم كضرب ونصر : نتفه . (٢) فى الأصول : « ما يرى التامور » وهو تحريف . والقوادم : عشر ريشات فى مقدم كل جناح . القرا : الظهر . والتامور والتأمور : الدم ؛ ومار الدم يمور : إذا جرى ، أى إن القرا ، قد كسى بالدم المائر . وفى الحيوان « بصائر التامور » و بصائر جمع بصيرة وهى الدفعة من الدم . (٣) أخذ يدعو على ما بقى من الحمام أن يقع بين مخالب السنانير . جاء فى الحيوان للجاحظ فى « وصف السنور بصفة الأسد » ٥ : ٢٧١ « قال ابن يسير فى صفة السنور فوصفه بصفة الأسد . فى دعائه على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور :

وخبعثن فى مشيه متبهنس * خطف المؤخر كامل التصدير

الخبعثن (كقذ عمل) : الأسد ؛ أراد به السنور ، والمتبهنس : المتبختر ، وفى الأصول : « متيقن » وهو تحريف . وآده يئوده : عطفه ، يعنى فيمسكه . والخطف (كقفل وعنق) : الضمر وخفة لحم الجنب . و إخطاف الحشا : انطواؤه ، والوصف منه : مخطف الحشا (بفتح الطاء) وأخطف الحشا ومخطوفه ، أى ضامره . أما الوصف « بخطف » كما فى البيت فلم يرد فى كتب اللغة . (٤) الحلكة : شدة السواد . والدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة . والغبثة (والبغثة) : لون إلى الغبرة . وشغبهم و بهم وعليهم كمنع وفرح : هيج الشر عليهم ، وهو شغب . وفى الأصول « شديد الجد والتيسير » وأراه « والتشمير » لأنه المناسب للجد . وفى الحيوان :

متسربل ثوب الدجى أو غبثة * شيبت على متنيه بالتنمير

(٥) ناب أعصل : معوج شديد . وفى ب ، س « أعبل » وفى جـ « أعضل » وهو تحريف . وهصور : كاسر . (٦) الموهن (والوهن) : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . (٧) سليل : ولد . والنجار بالكسر والضم : الأصل . والمحض من كل شىء : الخالص . ومخبور : مختبر .

عَجِّل عليه بما دعوتُ له به * أَرِه بذاك عقوبة التَّنوير

حتى يقولَ جميعُ مَنْ هو شامِتٌ * هٰذى إجابةُ دعوة ٱبنِ يسير

فَلأُلْفِيَنَّك عند حالَى حَسْرةٍ * وتأسُّفٍ وتلهُّفٍ وزَفيرِ

ولَتُلْفَيَنَّ إذا رَمَتْك بسهمها * أيدى المصائبِ منك غيرَ صبور

٥ أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال :

قوله فى قصر خرب — خرجنا مع بعض ولد النُّوشَجَانى (١) إلى قصر له فى بستانهم بالجَعْفَرِيّة (٢) ، ومعنا محمد ابن يسير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فإذا هو قد خَرِب واختلّ ، فقال فيه محمد بن يسير :

١٠ ألا يا قصرُ قَصرَ النُّوشَجَانِى * أرى بك بعد أهْلِكَ ما شَجانى (٣)

$\frac{١٣٧}{١٢}$

فلَوْ أعفَى البلاءُ ديارَ قومٍ * لفضلٍ منهمُ ولعُظْمِ شانِ

لَمَا كانت تُرَى بك بَيِّناتٍ * تلوح عليك آثارُ الزمانِ

قوله فى رثاء نفسه — أخبرنى عمّى قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا محمد بن أبى حرب قال أنشدنا يومًا محمد بن يسير فى مجلس أبى محمد الزاهد صاحب الفُضَيْل بن عِياض

١٥ لنفسه قال :

وَيْلٌ لِمَنْ لم يرحمِ الله * ومَن تكونُ النارُ مَثواهُ

وَاغَفلتَا فى كلّ يومٍ مضى * يُذْكِرُنى الموتَ وأنساه

مَن طال فى الدنيا به عمْرُه * وعاش فالموتُ قُصاراه (٤)

(١) نسبة إلى نوشجان ، وهى مدينة بفارس . (٢) الجعفرية : محلة كبيرة فى الجانب

٢٠ الشرقى من بغداد . (٣) شجانى : أحزنى . (٤) قصاراه : غايته .

كأنّه قد قيل فى مجلس * قد كنتُ آتيه وأغشاه
محمّـدٌ صـارَ إلى ربّه * يَـرْحَمُنـا الله وإيّاهُ

قال : فأبكى والله جميع مَنْ حضر .

قصته مع داود بن أحمد بن أبى دواد

أخبرنى الحسن بن علىّ وعمّى قالا حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنى أبو الشِّبْل قال :

٥

كان محمّدُ بن يسير صديقًا لداود(١) بن أحمد بن أبى دُوَاد كثيرَ الغِشْيان له ففقده أهلُه أيّامًا وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه ، فقال لهم : اطلبوه فى منزل «حُسْن» المغنّية فإن وجدتموه وإلا فهو فى حبس أبى شُجاع صاحب شُرْطة «نُمَار» التركى . فلما كان بعد أيامٍ جاءه ابن يسير فقال له : إيهٍ(٢) أيها القاضى ، كيف دَلَلْتَ علىّ أهلى ؟ قال : كما بلَغك ، وقد قلتُ فى ذلك أبياتا . قال : أوَ فعلتَ ذلك أيضا ؟ زِدْنى من بِرّك ، هات ، أيْشٍ(٣) قلتَ ؟ فأنشده :

١٠

ومُرسِلةٍ تُوجّـهُ كلّ يومٍ * إلىّ وما دعا للصبـح داعى
تُسائلنى وقـد فَقَـدوه حتّى * أرادوا بعـده قَسْمَ المتَـاعِ

---

(١) لعله «دواد» اسم جده . (٢) إيه : كلمة استزادة واستنطاق . (٣) جاء فى كتاب «معانى القرآن للفراء» (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية) : «ومما كثر فى كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا (يشير الى حذف الألف من بسم الله) قولهم : أيش عندك ؟ فحذفوا إعراب «أى» وإحدى ياءيه ، وحذفت الهمزة من «شىء» وكسرت الشين» . وجاء فى المصباح المنير فى مادة شيأ : «وقالوا : أى شىء ، ثم خففت الياء وحذفت الهمزة تخفيفا وجعلا كلمة واحدة فقيل : أيش ، قاله الفارابى» وجاء فى شفاء الغليل ص ١٥ : «أيش : بمعنى أى شىء مخفف منه ، نص عليه ابن السيد فى شرح أدب الكاتب ، وصرحوا بأنه سمع من العرب» وفيه أيضا : «قال السهيلى : وأيش فى معنى أى شىء كما يقال ويلمه فى معنى ويل لأمه ، على الحذف لكثرة الاستعمال» .

أقول : وقد جاء فى الأغانى (ج ٢ : ص ٣٦ من هذه الطبعة) قال مجنون ليلى :

قالت جننت على أيش فقلت لها * الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه * وإنما يصرع المجنون فى الحين

١٥ ٢٠ ٢٥

إذا لم تَلْقَه فى بيت «حُسْنٍ» * مقيماً للشراب وللسماع

ولم يُرَ فى طريق بنى سَدُوسٍ * يَخُطُّ الأرضَ منه بالكُراعِ (١)

يدُقُّ (٢) حُزُونَهـا بالوجه طَوْرًا * وطَـوْرًا باليـدين و بالذِّراعِ

فقـد أعياكَ مَطْلَبُه وأمسى * (فلا تَغْلَط) حَبِيسَ أبى شُجاعِ

٥ قال : فجعل ابن يسير يضحك ويقول : أيها القاضى لو غيرُك يقول لى هذا لعرَفَ خبرَه . ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتى درهم وخلَع عليه خِلْعةً من ثيابه .

أبيات له فى الحكم

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا ابن مَهْرُويه قال : حدّثنى علىُّ بن القـاسم طارمةُ قال : كنت مع المعتصم لمـّا غزا الروم ، فجاء بعض سَرَاياه (٣) بخبر عمّه (٤) ، فركب من فَوْره وسار أجَدَّ سيرٍ وأنا أسايره ، فسمع مُنْشِدًا يتمثّل فى عسكره :

١٠ إنّ الأمور إذا انسَدّتْ مَسالِكُها * فالصبرُ يَفْتح منها كلَّ ما ارْتَتَجا (٥)

لا تيأسَنّ وإنْ طالتْ مُطالَبـةٌ * إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فَرَجا

فسُرّ بذلك وطابت نفسـه ، ثم التفتَ إلىّ وقال لى : يا علىُّ أتَروى هـذا الشعر؟ قلت نعم . قال : من يقوله؟ قلت : محمد بن يسير . فتفاءل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود وسير سريع يَعقُب هذا الأمرَ . ثم قال : أنشِدْنى الأبيات ، فأنشدتُه قوله :

١٣٨ / ١٢

١٥ ماذا يكلِّفُـكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجَـا * الـبَرَّ طـورًا وطورًا تَرْكَبُ اللُّجَجا (٦)

---

(١) الكراع من الإنسان : ما دون الركبة إلى الكعب . (٢) فى الأصول : « يدف » بالفاء ، تصحيف . (٣) سرايا : جمع سرية كقضية ، وهى قطعة من الجيش ، من خمسة أنفس إلى ثلثمائة أو أربعمائة . (٤) هو إبراهيم بن المهدى ، وخبره هو خروجه على المأمون .

(٥) رتج الباب وأرتجه : أغلقه إغلاقا وثيقا . وارتتج : استغلق .

٢٠ (٦) الروحات : جمع روحة وهى المرة من الرواح ؛ يقال راح رواحا إذا سار أو عمل فى الرواح وهو العشىّ . والدلج : جمع دلجة بالضم والفتح وهى : السير من أوّل الليل . وفى لسان العرب : « الدلجة بالضم : سير السحر ، والدلجة بالفتح : سير الليل كله . و يقال : خرجنا بدلجة ودلجة : إذا خرجوا فى آخر الليل » . واللجج : جمع لجة ، وهى معظم الماء .

كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فى الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ * أَلْفَيْتَـهُ بِسِهَـامِ الرزق قـد فَلَجَا (١)

لا تَيْأَسَنَّ و إِنْ طَـالَتْ مُطَالَبَـةٌ * إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فَرَجَا

إنّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا * فالصبرُ يفتح منهـا كلَّ ما ارْتُتِجَا

أَخْلِقْ بذى الصبرِ أن يَحْظَى بحاجته * ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجَا

فاطْلُبْ لرِجلك قبل الخَطْوِ مَوْضِعَها * فمَنْ عَلَا زَلَقًا عن غِرَّةٍ زَلَجَا (٢)

ولا يَغُـرَّنْك صَفْوٌ أنت شَـارِبُهُ * فربَّمَـا كان بالتكدير مُمْـتَزِجَا

لا يُنْتِجُ النَّـاسُ إلا الامن لِقَاحِهِـمُ * يبدو لِقَـاحُ الفتى يومًا إذا نُتِجَا (٣)

أبيات له فى وصيفة بخرته وطيبته

أخبرنى عيسى بن الحسين والحسن بن علىّ وعمّى قالوا : حدّثنا محمد بن القاسم ابن مهرويه قال : حدّثنى أبو الشِّبْل قال :

كنّا عند قُثَم (٤) بن جعفر بن سليمان ذاتَ يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ ، فأمر أن نُبَخَّر ونُطَيَّب (٥) ، فأقبلتْ وَصِيفةٌ له حسنةُ الوجه ، فجعلتْ تبخِّرنا وتُغلِّفنا بغاليةٍ (٦) كانت معه . فلما غلَّفت ابنَ يسير وبخَّرته التفتَ إلىّ — وكان إلى جنبى — فأنشدنى :

يا باسِطًا كفّه نَحْوِى يُطَيِّبُنى * كفَّاكَ أطيبُ يا حِبِّى من الطِّيبِ

(١) فلج كنصر : ظفر وفاز . (٢) فى أشعار الحماسة « قدّر لرجلك » . علا زلقا : أى مكانا زلقا ، وهى فى الأصل مصدر . وفى ء « على زلقا » وفى ب ، س : « على زلق » وهو تحريف . الغرة : الغفلة . زلج : زل وزلق . (٣) يقال : نتجت الناقة (بالبناء للمجهول) إذا ولدت ، فإذا وليها الإنسان حتى تضع قيل نتجها نتجا كضرب . واللقاح : اسم ماء الفحل من الإبل والخيل ، وهو فى اللسان والقاموس بالكسر . وفى النهاية بالفتح ، وفى المصباح : والاسم اللقاح بالفتح والكسر . (٤) فى ء « قيم » وفى ب ، س : « قاسم » تحريف . (٥) فى الأصول : « يبخر ويطيب » تصحيف . (٦) الغالية : أخلاط من الطيب وغلف لحيته بالطيب والغالية والحناء : لطخها .

كفَّاكَ يجرى مكانَ الطيب طِيبُهما * فلا تَرُدْنى عليها عنــد تطييبى

يا لائمى فى هــواها أنتَ لم ترهــا * فأنت مُغْــرًى بتأنيبى وتعــذيبى

أُنظُرْ إلى وجهها، هل مِثلُ صورتها * فى النــاس وجهُ مُجَلًّى غيرُ محجوب؟

فقلت له: اسكت ويلكَ! لا، تُصفَعُ والله وتُخْرَجُ. فقال: والله لو وثقتُ بأن نُصْفَع جميعًا لأنشدتُه الأبيات، ولكنى أخشى أن أُفرَدَ بالصَّفع دونك.

٥

أبيات له فى أهل الجــدل

أخبرنى عيسى بن الحسين قال: حدّثنا الكُرَانىُّ قال: حدّثنا الرِّياشى قال: كان محمد بن يسير جالسًا فى حَلْقتنا فى مسجد البَصْرة، وإلى جانبنا حَلْقةُ قومٍ من أهل الجــدَل يتصايحون فى المقــالات والحجج فيها، فقــال ابن يسير: اسمعوا ما قلت فى هؤلاء، فأنشدَنا قوله:

١٠

يا سائلى عن مقالة الشِّــيَع * وعن صنوف الأهواء والبِــدَع

دَعْ عنك ذِكْرَ الأهواء ناحيةً * فليس ممن شَهِــدتُ ذو ورَع

كلُّ أُناسٍ بَدِيُّهــم حَسَنٌ * ثم يصيــرون بعــدُ للشُّنَع

أكثرُ ما فيه أن يقالَ لهــم: * لم يك فى قــوله بمُنْقَطِــع

قوله فى استغنائه عن تدوين مايسمعه

أخبرنى عيسى بن الحسين قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنى محمد بن علىّ الشامىُّ قال:

١٥

كان محمد بن يســير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شىء يسمعه؛ من ذلك قوله:

إذا ما غدا الطُّلّابُ للعلم ما لهم * من الحفظ إلا ما يُدَوَّن فى الكُتْب

١٣٩
١٢

غَدَوْتُ بتشمير وجِدٍّ عليهمُ * فمَحْبَرتى أُذْنى ودفترُها قلبى[(١)]

بيتان من الشعر الحِكَمى

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى إبراهيم بن المدبِّر[(٢)] قال :

كان إبراهيم بن رِيَاح إذا حَزَبه[(٣)] الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير :

تُخْطِى النفوسُ مع العِيا * ن وقد تُصيب مع المَظِنَّهْ

كم من مَضِيقٍ فى الفضا * ء ومَخْرَجٍ بين الأسِنَّهْ

وله فى نعل خلق له

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى الحسن بن أبى السَّرِىّ قال :

مرّ ابن يسير بأبى عثمان المازنىّ فجلس إليه ساعة، فرأى مَنْ فى مجلسه يتعجّبون من نعل كانت فى رجله خَلَقٍ[(٤)] وَسِخةٍ مقطّعة، فأخذ ورقةً وكتب فيها :

كم أرى ذا تعجُّبٍ من نِعالى * ورضائى منها بلُبْسِ البَوالى

كلُّ جَرْداء قد تكنّفها * من أقطارها بسود النّقال[(٥)]

لا تُدانِى، وليس تُشْبِه فى الخِلْ * قةِ إن أُبرِزَتْ، نِعالَ المَوالى

(١) جاء فى المصباح المنير : «فى المحبرة لغات : أجودها محبرة بفتح الميم والباء ، والثانية محبرة بضم الباء ، مثل مأدبة ومأدبة ، والثالثة محبرة بكسر الميم وفتح الباء لأنها آلة » .

(٢) المدبر بفتح الباء، والضبط عن كتاب المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى ص ٤٧٢ طبع أوربة .

(٣) حزبه الأمر ، نابه واشتدّ عليه وضغطه .

(٤) فى الأصول « خلقة » ؛ وهو تحريف . جاء فى لسان العرب : « شىء خلق : بال ، الذكر والأنثى فيه سواء ؛ لأنه فى الأصل مصدر الأخلق وهو الأملس . يقال : ثوب خلق ، وملحفة خلق ، ودار خلق ؛ ويقال : جبة خلق بغير هاء ، ولا يجوز : جبة خلقة . قال اللحيانى : قال الكسائى : لم نسمعهم قالوا : خلقة فى شىء من الكلام » .

(٥) هكذا ورد البيت فى الأصول !!

مَن يُغالِ من الرجال بنَعْلٍ * فسوايَ إذًا بهنّ يُغالى (١)

لو حَذاهنّ للجمالِ فإنّى * فى سواهنّ زينتى وجَمالى (٢)

فى إخائى وفى وفائى ورأيى * ولسانى ومَنطِقى وفَعالى (٣)

ما وقانى الحَفَا وبلّغنى الحا * جةَ منها فإننى لا أُبالى

قوله وقد أخذ منه قثم بن جعفر ألواح آبنوس بعد أن أسكره

٥ أخبرنى عمّى قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنى عبد الله بن محمد بن يسير (٤) قال:

دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبى (٥) فشرب عنده، فلما [سَكِرَ] (٦) سرَق منه ألواح آبنُوس كانت تكون فى كمّه، فقال فى ذلك:

عَيْنُ بَكِّى بعَبْرةٍ تَسْفاحِ * وأقيمى مآتِمَ الألواحِ (٧)

١٠ أوحشَتْ حُجْزَتى ورُدْناىَ منها * فى بُكورى وعند كلّ رَواحِ (٨)

واذكُريها إذا ذَكَرتِ بما قد * كان فيها من مَرْفِقٍ وصلاحِ (٩)

(١) فى الأصول « يغالى » وهو فعل الشرط ، وحذف الياء لا يخل بالوزن ، وفيه كف كما فى أوّل الشطر الثانى .

(٢) فى الأصول « حداهن » تصحيف . وحذا النعل : قدّرها وقطعها . يريد : لو فصلهن ١٥ واقتناهن للتجمل والزينة . (٣) فى الأصول « فى إخاء وفى وفاء » والفعال : اسم الفعل الحسن، والكرم . (٤) فى الأصول « محمد بن عبد الله بن بشير » .

(٥) فى الأصول « إلىّ » تحريف . (٦) تكلمة يقتضيها السياق .

(٧) فى الأصول « عين بل » ... ... « مآتم الأنواح » وهو تحريف .

(٨) ورد هذا البيت فى ب ، س هكذا :

٢٠ أوحشت جسرتى وردّ أناتى * منها فى بكور وعنه كل رواح

وكله تحريف . وفى جـ بأقل من هذا التحريف . وقد صححته كما ترى . والحجزة : معقد الإزار . والردن : أصل الكم . (٩) المرفق من الأمر (كمجلس ومنبر) : ما ارتفقت وانتفعت به .

آبنُوسٌ دَهْماءُ حالِكَةُ اللَّوْ * نِ لُبَابٌ من اللِّطاف المِلاحِ (١)

ذاتُ نفع خفيفةُ القَدْرِ والحَمْ * لِ حُلْكُوكَةُ الذُّرَا والنواحى (٢)

وسريعٌ جُفُوفُها إنْ محاها * عند مُمْلٍ مُستعجِلُ القوم ماحى (٣)

هى كانت على [مُلومِىَ] والآ * دابِ والفقهِ عُدَّتى وسِلاحى (٤)

كنت أغدو بها على طلب العلـ * ـم إذا ماغَدوتُ كلَّ صباح ٥

هى كانت غِذاءَ زَوْرِى إذا زا * رَ، وَرِىَّ النديم يومَ اصطباحى (٥)

- يعنى أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب -

آبَ عُسْرِى وغابَ يُسْرِى وجُودى * حين غابتْ وغاب عنّى سَماحى

هجاؤه أحمد بن يوسف

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيعٌ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدّثنا عبد الله ابن أحمد قال: ١٠

كان محمد بن يسير يُعادى أحمد بن يوسف، فبلغه أنه يتعشّق جاريةً سوداء مغنّية، فقال ابن يسير يهجوه:

١٤٠ / ١٢

أقولُ لمّا رأيتُه كَلِفًا * بكلِّ سوداءَ نَزْرةٍ قَذِرَهْ (٦)

أهْلٌ لعمرى لِمَا كَلِفتَ به * عند الخنازير تنفُق العَذِرَهْ (٧)

(١) فى الأصول: «وهما»؛ تحريف. والدهماء: السوداء، ولباب كل شىء، ولبه: خالصه وخياره. ١٥

(٢) الحلكة بالضم: شدّة السواد، وهو حالك وحلكوك كعصفور.

(٣) فى ب، س: «جفونها» وفى جـ «خفوتها» تحريف.

(٤) زيادة يقتضيها المقام. (٥) الزور: الزائرون.

(٦) كلفا: مولعا، وامرأة نزور ونزرة (بكسر الزاى وسكن هنا للشعر): قليلة الولد أو قليلة اللبن.

(٧) تنفق: تروج. والعذرة: الغائط. ٢٠

أخبرني وكيع قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنا أبو العواذل قال : عُوتِبَ محمدُ بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا مَحْبَرة ، وأنه لا يكتب ما يسمعه ، فقال :

ما دخلَ الحَمّامَ من عِلْمِي * فَذَاكَ ما فازَ به سَهْمِي [1]

والعِلْمُ لا ينفعُني جَمْعُهُ * إذا جَرَى الوهمُ على فهمي

قوله في ألواح الآبنوس أيضا

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمدُ بن يسير يُعاشر ولدَ جعفر بن سُلَيمان ، فأخذ منه قُثَمُ بن جعفرٍ ألواحَ آبنوس كان يكتب فيها بالليل؛ فقال ابن يسير في ذلك :

أبقتِ الألواحُ إذْ أُخِذَتْ * حُرْقةً في القلب تَضْطَرِمُ

زانَها قَصّانِ من صَدَفٍ * واحمِرارُ السَّيرِ [2] والقلمُ

وتولَّى أخذَها قُثَمٌ * لا تولَّى نفعَها قُثَمُ

شعره إلى بعض الهاشميين وقد جفاه

أخبرني الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشميّ لِمَلالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله :

قد كنتُ مُنْقَبِضًا وأنتَ بَسَطْتَنِي * حتى انبسطتُ إليك ثم قَبَضْتَنِي

أَذْكَرْتَنِي خُلُقَ النِّفاق وكان لي * خُلُقًا فقد أحسنتَ إذ أذْكَرْتَنِي

لو دامَ ودُّكَ وانبسطتُ إلى امرئٍ * في الودّ بعدك كنتَ أنت غَرَرْتَنِي

فهَلُمَّ نَجْتَنِبِ التَّذاكُرَ بينَنا * ونعود بعدُ كأنّنا لم نَفْطَنِ [3]

(١) أي ما دخل معي الحمام من علمي؛ وذلك أن المرء إذا دخل الحمام تجرّد من ثيابه وكتبه وغيرها ولكنه لا يتجرّد من علمه ، يريد أن علمه محفوظ في صدره . (٢) السير : ما قدّ من الجلد طولا .

(٣) فطن إليه وله ، كفرح ونصر وكرم : فهم .

شعره وقد أفاق من سكر

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزِىّ قال : حدّثنا مسعود بن بشير قال :

شَرِب محمد بن يسير نبيذًا مع قومٍ فأسكروه، حتى خرج من عندهم وهو لا يعقِل فأخذ رِداءه وعثَر فى طريقه وأصاب وجهَه آثار؛ فلما أفاق أنشأ يقول :

شاربتُ قومًا لم أُطِقْ شُرْبَهم * يَغْرَقُ فى بَحْرِهِمُ بَحْرى

لمّا تَجَارَيْنا إلى غايةٍ * قصَّر عن صَبْرِهمُ صبرى

خرجتُ من عندهمُ مُثْخَنًا(١) * تَدْفَعُنى الجُدْرُ إلى الجُدْرِ

مُقَبَّحَ المَشْى كَسِيرَ الخُطَا * تَقْصُرعند الجِدّ عن سَيْرى(٢)

فلستُ أنسى ما تجشّمت مِنْ(٣) * كَدْحٍ(٤) ومن جُرْحٍ ومن أثْرِ

وشَقِّ ثوبٍ وتَوًى(٥) آخَرٍ * وسَقْطةٍ بانَ بها ظُفْرى

حدّثنى عمّى وجَحْظة عن أحمد بن الطيّب قال : حدّثنا بعضُ أصحابنا عن مسعود بن يسير، ثم ساق الخبر مثلَه سواءً .

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال : حدثنى أبو العَيْناء قال :

اجتمع جُعَيفِرانُ المُوَسْوِس ومحمد بن يسير فى بُسْتان، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط، ثم قام عن شىء عظيم خرج منه، فقال جعيفران :

قد قلتُ لابن يَسيرٍ * لمّا رَمَى من عِجانِه(٦)

---

(١) أثخنه : أوهنه بالجراحة وأضعفه . (٢) فى الأصول :

« مقبح المشى كثير الخطا * يقصرعند الجدّ عن سرى »

(٣) فى الأصول « ما تحبى : من » وهو تحريف والوزن غير مستقيم؛ وقد صححنا كما ترى .

(٤) الكدح : كل أثر من خدش أو عض . وقيل : الكدح أكبر من الخدش . والأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء . (٥) توى كفرح توى : هلك . وفى ب، س «وثور أخذ» وفى جـ : «وثوى أخذ» وهو تحريف . (٦) العجان : الاست .

فى الأرض تَـلٌّ سَمادٍ * عَـلَا عـلى كُثْبانه[1]

طُوبَى لصاحب أرضٍ * خَـرِئْتَ فى بُسـتانه

قال : فجعل ابن يسير يشتمُ جعيفران و يقول : أىَّ شىء أردتَ منى يا مجنونُ يابن الزانية حتى صيّرتنى شُهرةً[2] بشعرك ! !

شعره إلى والى البصرة يستسقيه نبيذا

٥ أخبرنى جحظة قال: حدّثنى سوار بن أبى شُراعة قال : حدّثنى عبدالله بن محمد ابن يسير قال :

كان أبى مشغوفًا بالنبيذ مشتهرًا بالشُّرْب ، وما بات قـطُّ إلّا وهو سكران ، وما نَبَذَ قَطُّ نبيذًا ، وإنمـا كان يشرَبه عنـد إخوانه ويستسقيه منهـم ، فأصبحنا بالبَصْرة يومًا على مطرٍ هادٍّ[3] ، ولم تُمْكِنْه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد ١٠ وكاد يُجَنُّ[4] لمـا فقـد النبيذَ . فكتب إلى والى البَصْرةِ وكان هاشميًّا ، وهو محمد بن أيُّوب بن جعفر بن سُلَيْمَان قال :

كَمْ فى عِـلاجِ نَبيذِ التمرِ لى تَعَبٌ * الطبـخُ والدَّلْكُ والمِعْصارُ والعَكَرُ[5]

وإنْ عَدَلْتُ إلى المطبوخِ مُعْتمِدًا * رأيْتُنى منـه عنـد الناسِ أشتهِرُ[6]

نَقْلُ الدِّنانِ إلى الجيرانِ يَفْضَحُنى * والقِدْرُ تتركنى فى القوم أعتـذِرُ

١٥ فصِرْتُ فى البيت أستسقِى وأطلبه * من الصَّـدِيقِ ورُسْلى فيه تَبْتدِر[7]

فمنهـمُ باذِلٌ سَمْـحٌ بحـاجتنا * ومنهـمُ كاذبٌ بالزُّورِ يعتـذِر

(١) كثبان : جمع كثيب ، وهو التـل من الرمل . (٢) الشهرة : ظهور الشىء فى شنعة .

(٣) هادّ ، من الهدّ وهو الصوت ، يقال هدّ يهدّ (مثل فر) ، وما سمعنا العام هادة ، أى رعدا .

(٤) فى الأصول : «وكان» . (٥) المعصار : الذى يجعل فيه الشىء فيعصر . العكر : دردى

٢٠ كل شىء . (٦) أشتهر : أظهر فى شنعة . شهره كمنعه وشهره واشتهره فاشتهر .

(٧) تبتدر : تستبق .

فَسقِّنِي رِىَّ أيّامٍ لتمنَعَنى * عمّنْ سِواكَ وتُغْنِينِى فقد خَسِروا

إن كانَ زِقٌّ فَزِقٌّ أو فوافِرَةٌ * من الدَّساتِيجِ لا يُزْرِى بها الصَّفَرُ (١)

وإنْ تَكُن حاجتى ليستْ بحاضرةٍ * وليس فى البَيْتِ من آثارها أثَرُ

فاسْتَنْسِقِ غيرَك أو فاذْكُرْه خَبَرِى * إنِ اعْتَراك حَياءٌ منه أو حَصَرُ (٢)

ما كان من ذلكم فليأتِنِي عَجِلًا * فإنّنى واقفٌ بالبابِ أنتظرُ

لا لِى نبيذٌ ولا خُبْزٌ فيدعونى * وقد حَمانِىَ من تَطْفِيلِىَ المَطَرُ (٣)

قال : فضحك لمّا قرأها، وبعث إليه بزقّ نبيذ ومائتى درهم، وكتب إليه : اِشرب النبيذ وأَنفق الدراهم إلى أن يُمسك المطر ويتّسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجْعَلْنى فَيئةً (٤) لك ، والسلام .

صـــوت

أنت حَدِيثِى فى النومِ واليَقَظَةْ * أتعبْتُ ممّا أهْذِى بك الحَفَظَةْ

كم واعِظٍ فيك لِى وواعِظَةٍ * لو كنتُ ممن تنهاه عنك عِظَةْ

الشعر لديك الجنّ الحِمصىّ . والغناء لعَرِيب، هَزَج ، ذكر ذلك ذُكاء وَجْهُ الرُّزّة وقُرَيٌّ جميعًا، والله أعلم .

---

(١) الصفر : الفراغ والخلو، عن أنها مثلثة، وفى ب، س «السفر»، تحريف .

(٢) فى الأصول : «منك» وهو تحريف . والحصر : العى وضيق الصدر .

(٣) طفّل : تطفل .

(٤) الفيئة بالفتح والكسر : الرجوع، أى فاجعلنى مرجعا لك .

أخبار ديك الجنّ ونسبه

١٤٢ / ١٢ — نسبه ونبذة فى ترجمته

ديكُ الجنِّ لَقَبٌ غَلَبَ عليه[1] ، واسمه عبد السّلام بن رَغْبان[2] بن عبد السلام بن حَبِيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد[3] بن تميم . وكان جَدّه تميم ممن أنعم الله — عزّ وجلّ — عليه بالإسـلام من أهل مُؤْتة[4] على يَدَىْ حَبِيب بن مَسْلَمة الفِهْرىّ[5] ، وكان شـديد التشعُّب[6] والعصبيّة على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا و إيّاهم ولادةُ إبراهيم صلّى الله عليه وسلم ، وأسلمنا كما أسلموا ، ومَنْ قَتَل منهم رجلًا منّا قُتِل به ، ولم نَجِد الله عزّ وجلّ فضّلهم علينا ، إذ جَمَعنا[7] الدين .

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهب مذهبَ أبى تمّام والشاميّين فى شعره . من شعراء الدَّوْلة العبّاسيّة . وكان من ساكنى حِمْص ، ولم يبرح نواحىَ الشأم ، ولا وَفَـد إلى العراق ولا إلى غيره مُنتجعًا بشـعره ولا مُتَصَدِّيًا لأحد . وكان يتشيّع تشيُّعا حسنًا ، وله مَراثٍ كثيرةٌ فى الحسين بن علىّ — عليهما السلام — ، منها قوله :

يا عـينُ لا لِلقَضـا ولا الكُتُبِ ٭ بُكَا الرَّزايا سِـوَى بُكَا الطَّرَبِ

---

(١) أصله دويبة توجد فى البساتين (انظر حياة الحيوان الكبرى للدميرى ج ١ : ص ٥١٩ .

(٢) ترجم له ابن خلكان (ج ١ : ٤١٥) وقد جاء فيه : « ومولده سنة ١٦١ ﻫ وتوفى فى أيام المتوكل سنة ٢٣٥ أو سنة ٢٣٦ » .

(٣) كذا فى جـ ، وتاريخ ابن عساكر (نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤١ تاريخ جـ ٢٤ ص ١١٢) . وفى ب ، س ، ووفيات الأعيان « زيد » .

(٤) مؤتة : قرية من قـرى البلقاء بمشارف الشام .

(٥) كان من خواص معاوية وله معه فى وقعة صفين آثار شكرها له .

(٦) الشعوبية (بضم الشين) : الذين يحتقرون أمر العرب و يصغرون شأنهم ولا يرون لهم فضلا على غيرهم ، والواحد شعوبى ، نسبة إلى شعوب . وشعوب : جمع شعب (بالفتح) ؛ وهو ما تشعب من قبائل العرب أو العجم . ولكن الشعوب بلفظ الجمع غلب على العجم ونسبوا إليه فقالوا شعوبى ، كما قالوا أنصارى نسبة إلى الأنصار .

(٧) يحتجون بقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقوله : « إنما المؤمنون إخوة » وبقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبته فى حجة الوداع : "ليس لعربى على عجمى فضـل إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب " .

وهى مشهورة عند الخاص والعام، ويناح بها. وله عدّة أشعار فى هذا المعنى.
وكانت له جاريةٌ يهواها، فاتّهمها بغلامٍ له فقتلها، واستنفد شعره بعد ذلك فى مراثيها.

قصيدته فى هجاء ابن عمه

قال أبو الفرج: ونسختُ خبره فى ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بما فيه ابن أخ لديك الجنّ يقال له أبو وَهْب الحمصىّ، قال:

كان عمّى خليعًا ماجنًا معتكفا على القَصْف(1) واللهو، متلافًا لما وَرِثَ عن آبائه، واكتسبَ بشعره من أحمد وجعفر ابنَىْ علىٍّ الهاشميّين، وكان له ابنُ عم يُكْنَى أبا الطَّيِّب يَعِظُه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يُؤْثِره ويركبه من لذّاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجّان وأهلِ الخَلاعة، فيستخفّ بهم وبه.
فلما كَثُرَ ذلك على عبد السلام قال فيه:

مَولاتَنا يا غـلامُ مُبْتَكِرَهْ * فباكِرِ الكأسَ لى بلا نَظِرَهْ(2)
غَدَتْ على اللهو والمُجونِ، على * أنّ الفتـاةَ الحَيِيّةُ الخَفِرَه(3)
لِحُبِّها ــ لاعَدِمْتُها ــ حُرَقٌ * مطـويّةٌ فى الحشا ومُنْتَشِره(4)
ما ذُقْتُ منها سوى مُقَبَّلِها * وضَمِّ تلك الفُـروعِ مُنْحَدِره(5)
وانْتَهَرَتْنى فَمِتُّ من فَـرَقٍ * يا حُسْنَها فى الرِّضا ومُنْتَهِره!(6)

(1) فى ب، س: «منعكفا» وهو تحريف، يقال: اعتكف وتعكف. قال فى القاموس المحيط: «ولاتقل انعكف». والقصف: اللهو واللعب، ويقال إنها مولدة. قال ابن دريد: لا أحسبه عربيا. (2) باكره: بكر إليه، يريد: أسرع إلىّ بالكأس. النظرة: التأخير فى الأمر.
(3) غدت: فى الأصول «عدت» وهو تصحيف، الحيية: فى الأصول «الخبيثة» وهو تحريف. الخفرة: وصف من الخفر بالتحريك وهو شدّة الحياء. (4) فى ب، س: «يحيا لاعج منها وبى حرق» وهو تحريف. وفى جـ: «يحنها ... خرق». (5) الفروع: جمع فرع، وهو الشعر التام. (6) انتهره ونهره: زجره. وفى الأصول «وابتهرتنى» «ومبتهرة»، وهو تصحيف، والصواب بالنون لأنه فى مقابلة «الرضا». والفرق: الخوف والفزع.

ثم انثنتْ سَوْرةُ الخُمارِ بنا * خِلالَ تلكَ الغدائرِ الخَمِره (١)

وليلةٍ أشرفتْ بكَلْكَلِها * علىَّ كالطَّيْلَسانِ مُعْتجِره (٢)

فتقتُ ديجُورَها إلى قمرٍ * أثوابُه بالعَفافِ مُسْتَتِره (٣)

عُجْ عَبَراتِ المُدامِ نحوىَ مِن * عَشْرٍ وعِشْرِين وأثْنِ عَشَره (٤)

قد ذُكِّرَ الناسُ عن قِيامِهِمُ * ذِكْرَى بعقلى ما أصبحتْ نَكِرَه (٥)

مَعْرفتى بالصوابِ مَعْرِفةٌ * غَرَّاءُ إمَّا عَرفتُمُ النَّكِره (٦)

ياعجبا من أبى الخبيثِ ومِنْ * سُروحِه فى البَقائرِ الدَّثِره (٧)

يَحمِلُ رأسًا تنبو المَعاوِلُ عن * صَفْحتِه والجلامِدُ الوَعِره (٨)

---

(١) انثنت ، فى الأصول « انثبت » وهو تصحيف . سورة الخمر : حدتها . وخمار الخمر : ما أصاب الشارب من ألمها وصداعها وأذاها . الغدائر : جمع غديرة ، وهى الخصلة من الشعر . الخمر بالتحريك : كل ما واراك من شجر وغيره . ومكان خمر (بفتح فكسر) : كثير الخمر (بالتحريك) . والغدائر الخمرة على التشبيه بذلك . (٢) الكلكل : الصدر . وفى ب ، س : « بعد كلكلها » وهو خطأ . الطيلسان : كساء من أكسية العجم أسود ، فارسى معرب . والاعتجار : وليسة كالالتحاف .

(٣) الديجور : الظلام . (٤) عاجه يعوجه : أماله وعطفه ، وأراد بعبرات المدام ما يصب منها فى الكأس . وفى الأصول « نحسوى » وهو تحريف . (٥) قيامهم : أى بعثهم يوم القيامة . نكرة : اسم من الإنكار كنفقة من الإنفاق ، بمعنى اسم المفعول أى منكرة . وفى ب و س « نفرة » وفى جـ « طفرة » وأراه تحريفا . (٦) غراء : معروفة مشهورة . إما : أصله إن ما ، وما زائدة بعد إن . (٧) « من أبى الخبيث » يريد « من أبى الطيب » قلب كنيته إلى الضد تهكما به وزراية عليه . وفى الأصول « سروجه فى البكائر» وهو تحريف . سروحه ، من سرحت الماشية سروحا ، والبقير والبقيرة : برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، والجمع بقائر . الدثرة : الوسخة ؛ وصف من الدثر (بالتحريك) وهو الوسخ .

(٨) تنبو : تكل . المعاول : جمع معول ، وهو الفأس العظيمة التى ينقر بها الصخر . والجلامد : جمع جلمد كجعفر وهو الصخر كالجلمود . والوعرة (بكسر العين) : ضد السهلة كالوعرة (بسكونها) .

١٤٣ / ١٢

لَوِ البِغالُ الكُمْتُ ارتقتْ سَنَدًا * فيـه لَمَدَّتْ قَوائماً خَـدِرَه (١)

ولا المَجانيقُ فِيهِ مُغْنِيَـةٌ * أَلْفٌ تَسامَى وأَلْفُ مُنْكَدِرَه (٢)

أُنظرْ إلى موضعِ المَقَصِّ من الـ * هامَةِ تلك الصَّفيحةِ العَجِرَه (٣)

فلو أخذتمْ لهـا المَطارِقَ حَـ * رّانيَّةً صَنْعَةَ اليَـدِ الخَبِرَه (٤)

إذًا لراحتْ أَكُفُّ جِلَّتِهِـمْ * كَلِيـلَةً والأداةُ مُنْكَسِرَه (٥)

كَمْ طَرَباتٍ أَفْسَـدْتَهُنَّ وكَمْ * صَفْـوةِ عَيْشٍ غادرتَها كَدِرَه

وكَمْ إذًا ما رَأَوْكَ يا مَلَكَ الْـ * مَوْتِ لهم مِنْ أَنامِلٍ خَصِرَه (٦)

وكَمْ لهـم دَعْوةً عليـكَ وكَمْ * قَـذْفَةِ أُمٍّ شَنْعاءَ مُشْتَهِـرَه

كريمةٍ لؤمُكَ استخَفَّ بها * ونالهـا بالمَثالِبِ الأَشِرَه (٧)

قِفُوا على رَحْـلِهِ تَرَوْا عَجَبًا * في الجَهْلِ يَحكِي طَرائِفَ البَصْرَه (٨)

---

(١) فى الأصول: « لولا البغال» تحريف ، وكلمة « الكمت» ساقطة من ب ، س . والكمت: جمع كيت ، كسروه على مكبره المتوهم ، وصف من الكمتة : وهى لون بين السواد والحمرة . والسند: ما قابلك من الجبـل وعلا عن السفح . وخدرت رجله كفرح : غشيها ثقل وفتور فلم تقو على المشى .

(٢) فى الأصول « معنية » وهو تصحيف . والمجانيق : جمع منجنيق (بفتح الميم وتكسر) : آلة ترمى بها الحجارة ، معرّبة . ومنكدرة ، من انكدرت النجوم أى تناثرت ، وانكدر أيضا : أسرع وانقض . وانكدر عليه القوم : انصبوا .

(٣) فى الأصول « الصبيحة » تحريف . والصفيحة : الحجر العريض . والعجرة : الضخمة الصلبة .

(٤) فى الأصول « المطارف » بالفاء ؛ وهو تصحيف . وحرانية : نسبة إلى حران ، وهى مدينة على طريق الموصل والشام والروم ، وقرية من قرى حلب ، وقرية بغوطة دمشـق . وخبر بالشىء : عالم به . مثـل خبير وخابر .

(٥) جلتهم : كبارهم .

(٦) خصرة : باردة . وتبرد أطراف المرء عند نزول الموت به .

(٧) المثالب : العيوب جمع مثلبة (بفتح اللام وتضم) . وفى ب ، س « دنا لها » تحريف . وفى جميع الأصول : « الأشرة » ولعلها محرفة عن « الدفرة » بالدال أو الذال ، وصف من الدفر (بالتحريك) . والذفر كذلك ، وهو النتن .

(٨) الرحل : المـنزل والمسكن . والبصرة : بلد معروف بالعراق وهـو بفتح الباء ، وكسرها ، ويحرك ، وتكسر الصاد .

يا كُلَّ مَنْيٍ وكلَّ طالعةٍ * نَحْسٍ ويا كُلَّ ساعةٍ عَسِره (١)

سبحانَ مَنْ يُمْسِكُ السماءَ على الـ * ـأرض وفيها أخلاقُك القَذِرَهْ

قصته مع زوجه ورد

قال : وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نَصْرانيةٍ من أهل حِمْصَ هَوِيها وتمادَى به الأمرُ حتى غلبتْ عليه وذهبتْ به . فلمّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها ، فأجابته لعلمها برغبته فيها ، وأسلمتْ على يده ، فتزوّجها ، وكان اسمها وَرْدًا ؛ ففي ذلك يقول :

انظر إلى شمس القُصور وبَدْرِها * وإلى خُزَامَاها وبَهْجة زَهْـرِها (٢)

لم تَبْلُ عينُك أبيضًا في أسودٍ (٣) * جَمَعَ الجمالَ كوَجْهِها في شَعْرِها

وَرْدِيَّةُ الوَجَنات يَخْتبر اسمَها * من رِيقِها مَنْ لا يُحيط بخُبْرِها

وتمايلتْ فضَحِكتُ من أردافها * عَجَبًا ولكنّي بكيتُ لخَصْرِها

تَسْقيك كأسَ مُدامةٍ من كَفِّها * وَرْدِيّةٍ ومُدامةً من ثَغْـرِها

قال : وكان قد أعسر واختلّت حالُه ، فرحَل إلى سَلَمْيَةَ (٤) قاصدًا لأحمد بن عليّ الهاشميّ ، فأقام عنده مُدّةً طويلة ، وحَمَل ابنَ عَمّه بغضُه (٥) إيّاه بعد مودّته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أنْ أذاع على تلك المرأة التي تزوّجها عبدُ السلام أنها تهوَى غلامًا له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه ، وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى عبدَ السلام ، فكتب إلى أحمد بن عليّ شعرًا يستأذنه في الرجوع إلى حِمْص ويُعْلِمه ما بلَغه من خبر المرأة من قصيدة أوّلها :

إنّ رَيْبَ الزمان طال انتكاثُه (٦) * كم رمتني بحادثٍ أحداثُه

---

(١) منى : يقال : مناه به يمنيه منيا ، ومناه يمنوه منوا : اذا ابتلاه ، ومنى ببلية : ابتلى بها .

(٢) الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار نفحة . (٣) لم تبل : لم تختبر ولم تر . وفي ب ، س : « لم تبك » وهو تحريف . (٤) سلمية : بليدة بالشام من أعمال حمص .

(٥) في ب ، س « على بغضه » . بزيادة « على » وهو خطأ . (٦) انتكاثه : انتقاضه .

يقول فيها :

ظَبْىٌ إنسٍ قلبى مَقِيلُ ضُحَاهُ * وفُــؤادى بَرِيرُهُ وكَبَاثُهْ (١)

وفيها يقول :

خِيفَةً أن يخونَ عَهْدِى وأن يُضْــ * ـحِى لغيرى حُجُولُه ورِعَاثُهْ (٢)

ومدح أحمد بعد هذا، (٣) وهى طويلة. فأذن له فعاد إلى حمص، وقدّر ابن عمّه وقت قدومه، فأرصد له قومًا يُعْلِمونه بمُوافاته بابَ حِمْص . فلمّا وافاه خرج إليــه مستقبلًا ومعنِّفًا على تمسُّكه بهذه المرأة بعد ما شاع من ذكرها بالفساد، وأشار عليه بطلاقها، وأعلمه أنّها قد أحدثتْ فى مَغِيبه حادثةً لا يجمُل به معها المُقامُ عليها، ودسّ الرجل الذى رماها به، وقال له : إذا قدِم عبدُ السلام ودخل منزله فقِفْ على بابه كأنّك لم تعلَم بقدومه، ونادِ باسمِ وَرْد، فإذا قال: مَنْ أنت؟ فقل: أنا فُلان . فلمّا نزل عبد السلام منزلَه وألقى ثيابه، سألها عن الخبر وأغلظ عليهــا، فأجابتْه جوابَ مَنْ لم يعرف من القِصّة شيئا . فبينا هو فى ذلك إذ قرَع الرجلُ البــابَ فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال لها عبد السلام : يا زانية، زعمتِ أنّك لا تعرفين من هذا الأمر شيئا ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتَلَها، وقال فى ذلك :

لَيتَنى لم أكُنْ لِعَطْفِك نِلْتُ * وإلى ذلك الوِصالِ وصلتُ

فالذى مِنِّىَ اشتملت عليــه * ألِلْعَارِ ما قَدْ عليــه اشتملتُ

قال ذوالجهل قدحَلُمْتَ ولاأعْـ * ـلَمُ أنِّى حَلُمْتُ حتى جَهِلتُ

لائمٌ لى بجهــله ولمــاذا * أنا وَحْدِى أحببتُ ثم قتلتُ !

(١) البرير : الأول من ثمر الأراك . والكباث : النضيج منه .

(٢) حجول : جمع حجــل (بالفتح والكسر) وهو الخلخال . ورعاث : جمع رعثة كوردة ورقبة ، وهى القرط . (٣) فى ب و س « وفر » وهو تحريف .

سوف آسَى طولَ الحياة وأبكيـ * ـكِ على ما فعلتِ لا ما فعلتُ

وقال فيها أيضا :

لَكِ نفسٌ مُواتِيــةْ * والمَنَـايَا مُعَـادِيهْ (١)

أيّها القلب لا تَعُدْ * لِهوَى البِيض ثانيهْ

ليس بَرْقٌ يكون أخـ * ـلبَ من بَرْقِ غانيه (٢)

خُنْتِ سِرّى ولم أَخُنْـ * ـكِ فمُوتِى علانيه

قال : و بلغ السلطانَ الخبرُ فطلبه ، فخرج إلى دِمَشْق فأقام بها أياماً . وكتب أحمد ابن علىّ إلى أمير دمشق أن يُؤَمّنه ، وتحمّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته (٣) . فقَدِم حِمْص و بلغه الخبرُ على حقيقته وصحّته ، واستيقنه فندِم ، ومكث شهرا لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام إلا ما يُقيم رَمَقَه . وقال فى نَدَمه على قتلها :

يا طلعــةً طَلَع الحِمَامُ عليهـا * وَجَنَى لهـا ثَمَـرَ الرَّدَى بيديْها

رَوّيتُ من دَمِها الثّرَى ولطالمـا * رَوّى الهوى شَفَتَىّ من شَفَتيْها

قد بات سَيْفِى فى مَجال وِشاحِها (٤) * ومَدامعى تجرى على خَدّيْهـا

فوحَقّ نَعْلَيْها وما وطِئ الحَصَى * شىءٌ أعزّ علىّ من نَعْلَيْهـا

ما كان قَتْلِيها لأنّى لم أكُنْ * أبكى إذا سَقَط الذُّبابُ عليها

لكنْ ضَنِنْتُ على العيون بحُسْنِها (٥) * وأَنِفْتُ من نَظَر الحسودِ إليها

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن .

---

(١) مواتية : موافقة مطاوعة . (٢) أخلب : أخدع ، من خلبه كنصره : خدعه ؛ و يقال : برق خلب (كسكر) : أى مطمع مخلف . والغانية : المرأة التى تطلب ولا تطلب ، أو الغنية بحسنها عن الزينة . (٣) فى الأصول : « خيانته » تصحيف . (٤) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . وفى تاريخ ابن عساكر « فى مجال خناقها » . (٥) فى وفيات الأعيان وابن عساكر :

لكن بخلت على سواى بحبها * وأنفت من نظر الغلام إليها

أخبرنى بها محمد بن زكريا الصحّاف قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن منصور قال :

كان من غَطَفانَ رجلٌ يقـال له السُّلَيْك بن مُجَمِّع، وكان من الفُرْسان، وكان مطلوبا فى سائر القبـائل بدماء قوم قتلهم، وكان يهوَى ابنة عمٍّ له ، وكان خَطَبَها مُدّةً فمنعها أبوها، ثم زوّجه إياها خوفًا منه، فدخل بها فى دار أبيهـا ثم نقلها بعد أُسبوع إلى عشيرته ، فلقيه من بنى فَزارَة ثلاثونَ فارسًا كلُّهم يطلُبه بذَحْلٍ[1] ، فحلَّقوا[2] عليـه ، وقاتلهم وقتل منهم عددا ، وأُثخن بالجراح آخرين ، وأُثخِن هو حتى أيقن بالموت. فعاد إليها فقال : ما أسمح بك نفسًا لهؤلاء، وإنى أُحِبّ أن أُقَدِّمك قبلى . قالت : افعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعـدَك . فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول : * يا طلعة طلع الحمام عليها *

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجن، ثم نزل إليها فتمرّغ فى دمها وتخضّب به، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتِـل . وبلغ قومَه خبرُه، فحملوه وابنة عمّـه فدفنوهما . قال : وحفِظتْ فَزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغنى أنّ قومَه أدركوه وبه رمق، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات، فنقلوها وحفظوها عنه، وبقِى عندهم يوما ثم مات .

وقال ديك الجن فى هذه المقتولة[3] :

أشفقتُ أن يَرِدَ الزمانُ بغَدْرِهِ * أو أُبْتَلَى بعـد الوِصالِ بهَجْرِه

(١) الذحل : الثأر. وفى ب، س « بدم ». (٢) فى الأصول : « فحنقوا » وأراه محرفا .

(٣) فى وفيات الأعيان : « ويروى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضا، وصنع فيه أبياتا وهى ... وأورد الأبيات » . وفى ابن عساكر : « وكان له غلام كالشمس وجارية كالقمر، وكان يهواهما جميعا، فدخل يوما منزله، فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله ، فشدّ عليهما فقتلهما، ثم جلس عنـد رأس الجارية فبكاها طويلا ، ثم قال : يا طلعة طلع الحمام ... ... الأبيات، ثم جلس عند رأس الغلام فبكاه وأنشأ يقول : أشفقت أن يرد الزمان ... الأبيات » .

قَمَرٌ أنا استخرجتُه من دَجْنِهِ * لِبَلِيَّتِي وجَلَوتُه من خِدْرِهِ
فقتلتــه وله عــليّ كــرامةٌ * مِلْءَ الحَشَى وله الفؤادُ بِأسْرِهِ
عَهْــدِي به مَيْتًا كأحسنِ نائمٍ * والحُزْنُ يَسْفَحُ عَبْرتِي فى نَحْرِهِ
لو كان يَدْرِي المَيتُ ماذا بعدَه * بالحيّ حَــلَّ بَكَى له فى قَبْرِه
٥ غُصَصٌ تكادُ تَفِيظُ منها نَفْسُهُ * وتكاد تُخْرِج قَلْبَه مِنْ صَدْرِهِ (١)

وقال فيهــا أيضا :

أساكِنَ حُفْرةٍ وقَرارِ لَحْــدٍ * مُفارِقَ خُلَّةٍ مِنْ بعــد عهــد (٢)
أجِبْنِي إن قَــدَرْتَ على جوابى * بحقِّ الوُدِّ كيف ظَلِلْتَ بَعْــدِى
وأينَ حَلَلْتَ بعــدَ حلول قلبى * وأحشائى وأضــلاعى وكَبْدِى؟
١٠ أمَا واللهِ لو عايَنْتَ وَجْدِى * إذًا استعبرتَ فى الظُّلُمات وحدِى (٣)
وجَدَّ تَنَفُّسِى وعــلا زَفِيرِى * وفاضتْ عَبْرتِى فى صَحْنِ خَدِّى
إذًا لعلمتَ أنِّى عن قريبٍ * ستُحْفَرُ حُفْرتِى ويُشَقُّ لَحْدِى
ويَعْــذُلُنِى السفيهُ عــلى بُكائى * كأنِّى مبتــلًى بالحزن وحدِى
يقول قتلتَهــا سَــفَهًا وجهــلًا * وتَبْكِيها بكاءً ليس يُجْــدِى
١٥ كصيَّاد الطُّيــورِ له انتحابٌ * عليهــا وَهْوَ يذبحُهــا بحَــدٍّ

وقال فيهــا أيضا :

مالامرئٍ بِيَدِ الدَّهرِ الخَئونِ يَدُ * ولا عــلى جَلَدِ الدُّنيــا له جَلَدُ
طُوبَى لأحبابِ أقوامٍ أصابَهُمُ * من قَبْلِ أن عَشِقوا مَوتٌ فقد سَعِدوا

(١) فاظت نفســه تفيظ : خرجت روحه ، مثل فاضت تفيض ؛ وكرهها بعضهم ، وزعم أبو عبيدة
٢٠ أنها لغــة لبعض تميم . (٢) الخــلة : الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع .
(٣) استعبر : جرت عبرته .

وحقّهم إنّه حقّ أضنّ به * لأُنفِدَنّ(١) لهم دمعى كما نفِدوا
يا دهرُ إنّك مَسْقِىٌّ بكأسهمُ * ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذى وَرَدُوا
الخلْق ماضُونَ والأيامُ تتبعُهمْ * تفنَى[جميعاً](٢) ويبقَى الواحدُ الصَّمَدُ

١٤٦
١٢

وقال فيها :

أمَا آنَ للطَّيف أن يأتيا * وأن يطْرُقَ الوطَنَ الدّانيا ٥
وإنّى لأحْسَبُ ريبَ الزّما * نِ يتركُنى جَسَدًا باليا
سأشكر ذلكَ لا ناسيًا * جميلَ الصّفاء ولا قاليا(٣)
وقد كنتُ أنشُره ضاحكًا * فقد صِرْتُ أنشره باكيا

وقال أيضا :

قُلْ لِمَنْ كان(٤) وجهُه كضياءِ الـ * ـشّمسِ فى حُسْنِه وبَدْرٍ مُنيرِ ١٠
كنتَ زَيْنَ الأحياءِ إذ كنتَ فيهمْ * ثم [قد](٥) صِرْتَ زَيْنَ أهلِ القُبورِ
بأبى أنت فى الحياة وفى المَوْ * تِ وتحتَ الثرى ويوم النُّشورِ
خُنْتَنِى فى المَغِيب والخَوْنُ نُكْرٌ * وذمِيمٌ فى سالفات الدهورِ
فشفانِى(٦) سَيْفِى وأسرعَ فى حَـ * ـزِّ التَّراقى قطْعًا وحَزِّ النُّحورِ

شعره فى غلامه بكر

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : ١٥

كان دِيكُ الجنّ يهوَى غلاما من أهل حِمْصَ يقال له بَكْر، وفيه يقول وقد جلسا يومًا يتحدّثان إلى أن غاب القمر :

دَعِ البَدْرَ فلْيغْرُبْ فأنتَ لنا بَدْرٌ * إذا ما تجلَّى من محاسنِكَ الفجرُ

(١) فى الأصول « لا ينفذن » وهو تحريف . (٢) زيادة يستقيم بها الكلام . وقد جاء هذا الشطر فى س : « تفنى ولم يبق إلا الواحد الصمد » . (٣) قاليا : مبغضا كارها . ٢٠
(٤) فى ب ، جـ : « لمن قال » . (٥) زيادة يستقيم بها الشعر . وقد جاء هذا الشطر فى س : « ولقد صرت ... » . (٦) فى الأصول : « فسقانى » وهو تصحيف .

إذا ما انقضى سِحْــرُ الذين ببابِلٍ (١) * فطرْفُكَ لى سِحْرٌ و رِيقُك لى خمر

ولو قيل لى قُمْ فادْعُ أحسنَ من ترى * لصِحتُ بأعلى الصوت يابَكْرُ يابَكْرُ

قال: وكان هذا الغلام يُعْرَف ببكر بن دهْمرْد. قال: وكان شديد التمنّع والتصوُّن، فاحتال قومٌ من أهل حِمْص فأخرجوه إلى مُتنَزَّهٍ (٢) لهم يعرف بمِيَاس، فأسكروه وفَسَقوا به جميعا، و بلغ ديكَ الجنّ الخبرُ فقال فيه:

قُلْ لهضِيم الكَشْح مَيَّاس (٣) * انْتَقَضَ العهدُ من النّاس

يا طلعــةَ الآس التى لم تَمِدْ (٤) * إلّا أذَلَّتْ قُضُبَ الآس

وَثِقتَ بالكأس وشُرَّابها (٥) * وحَتْفُ أمثالك فى الكاس

وحالِ مِيماسَ و يا بعــدما (٦) * بيْنَ مغيثِيك ومِيمَــاس

تَقْطِيعُ أنفَاسِك فى أثْرِهِمْ (٧) * ومَلْكِهِــمْ قَطَّــعَ أنفاسى

لا بأْسَ مولاىَ، على أنها * نِهَــايَةُ المكروهِ والبـأس

هى اللَّيَــالِى ولهــا دولةٌ * ووحشة من بعــد إيناس

بَيْنَــا أنافتْ وعَلَتْ بالفَتَى * إذْ قيل حَطَّتْه على الرَّاس

(١) بابل: مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر. (٢) فى الأصول «منتزه» وهو تصحيف. جاء فى المصباح المنير وقال ابن قتيبة: «ذهب بعض أهل العلم فى قول الناس: خرجوا يتنزهون إلى البساتين أنه غلط وهو عنــدى ليس بغلط؛ لأن البساتين فى كل بلد إنما تكون خارج البلد، فإذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت، ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة فى الخضر والجنان». (٣) هضيم الكشح: ضامر الخصر. ومياس: متبختر. (٤) الآس: شجر عطر الرائحة. وماد يميــد: تحرك وتبختر. (٥) فى الأصول «وحيف» تصحيف. (٦) كذا فى الأصول، ولا معنى له. ولعل صوابه: «... و يا بعده * بين مغيثيك ومعاس» ومعاس: جمع ماعس، من معس المرأة: وطئها. أى حال ابتعادك فى هــذا المتنزه بين المغيثين لك وبين الفاتكين بك. (٧) الأثر: إكثار الفــحل من ضراب الناقة؛ وقــد أثرها كنصر. وملكهم: من ملك العجين كضرب ملكا: أنعم عجنه. كملكه وأملكه.

فالهُ ودَعْ عنكَ أحاديثَهم * سَيُصْبِحُ الذّاكر كالنّاسى

وقال فيه أيضا :

يا بَكْرُ ما فعلتْ بك الأرطالُ * يا دارُ ما فعلتْ بك الأيّامُ (١)

فى الدار بعْدُ بقيّةٌ نستامُها * إذ ليس فيك بقيّةٌ تُستام (٢)

عَرِمَ الزّمانُ على الدّيار برَغْمِهِمْ * وعليك أيضًا للزمان عُرَامُ (٣)

شَغَلَ الزمانَ كُراكَ فى ديوانه * فتفرّغتْ لِدَواتِك الأقلامُ (٤)

وقال فيه أيضا :

قُولا لبَكْرِ بن دهْمَرْدٍ إذا اعتكرتْ * عَسَاكِرُ اللّيْلِ بين الطّاسِ والجامِ (٥)

ألم أَقُلْ لك إنّ البغىَ مَهْلَكةٌ * والبغىُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقوامِ

قد كنتَ تَفْرَقُ من سَهْمٍ بغانيةٍ * فصِرْتَ غيرَ رَمِيمٍ رُقْعةَ الرامى (٦)

وكنتَ تَفْزَعُ من لَمْسٍ ومن قُبَلٍ * فقد ذَلَلْتَ لإسراجٍ وإلجامِ

إن تَدْمَ فخْذاكَ من رَكْضٍ فرُبّتَما * أُمْسِى وقلبى عليك المُوجَعُ الدامى

(١) فى جـ، ب : « بل يا دار » ولا يستقيم به الوزن . الأرطال : يعنى بها أرطال الخمر . ومن تعبيرهم المألوف فى هذا الصدد قولهم فى الشارب : «شرب رطلا» . قال أحمد بن يوسف من أبيات :

فنين الرأى أن تأتى برطل * فتشربه وتدعو لى برطل

(٢) السوم : عرض السلعة على البيع، واستامه إياها : غالى .

(٣) عرم (كنصر وضرب وعلم وكرم عرامة وعراما) : اشتدّ . وفى الأصول «غرم ... عزم... غرام» وهو تصحيف .

(٤) فى س « فتفرقت » وهو تحريف، وكنى بالدواة والأقلام عما يستقبح ذكره .

(٥) اعتكر الليل : اشتد سواده والتبس ، واعتكروا : اختلطوا فى الحرب، واعتكر العسكر : رجع بعضهم على بعض فلم يقدر على عدّهم . والجام : إناء من فضة .

(٦) تفرق : تفزع . وأراد بسهم الغانية : عينها . غير رميم : غير بال، من رم العظم (كضرب) إذا بلى وربما كان غير ذميم » أو « غير «دميم » .

أخبرنى أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكِيَةَ، وبها أنشدنى قصيدة البُحْتُرِىّ :

مَلاَمَكَ إنّه عهـــدٌ قـريبُ * ورُزْءٌ ما انقضتْ منه النُّدوبُ (١)

وأنشدنى لديك الجنّ يُعَزِّى جعفرَ بن علىٍّ الهاشمىّ :

نَغْفُـــلُ والأيَّامُ لا تَغْفُـــلُ * ولا لَنَـا من زَمَنٍ مَوْئِلُ

والدّهرُ لا يَسْـلَمُ من صَرْفِـهِ * أعصمُ فى القُنَّـةِ مُسْتَوعِـــلُ (٢)

يَتَّخِـــذُ الشِّعْرَى شِـــعارًا له * كأنمـا الأُفْـــقُ له مَـــنْزِلُ (٣)

كأنّه بـــين شَـــنَاظِيرِهـا * بارقـةٌ تَكْمُنُ أو تَمْثُـلُ (٤)

ولا حُبَـابٌ صَلَتَـانُ السُّرَى * أرقمُ لا يعـرِف ما يجهَـــلُ (٥)

نَضْناضُ فَيْفـاءَ يرى أنّــــه * بالرمـل غانٍ وهُـــوَ المُرمِلُ (٦)

يَطْلُبُ من فاجِئـةٍ مَعْقِـــلاً * وَهْــوَ لمـا يطلُب لا يَعْقِـلُ

والدهرُ لا يسـلَمُ من صَرْفِه * مُسَرْبَــلٌ بالسَّرْدِ مستبِســلُ (٧)

(١) البيت مطلع قصيدة للبحترى يرثى غلامه قيصر. ملامك: أى دع ملامك واكفف. وفى الديوان «ما عفت منه الندوب» وعفا الأثر: درس وامّحى. (٢) صرف الدهر: حدثانه ونوائبه. والأعصم من الوعول: ما فى ذراعيه أو فى إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر. والقنة: أعلى الجبل كالقلة. واستوعل الوعل: إذا ذهب فى قلة الجبل. (٣) الشعرى: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، وهما شعريان: الشعرى العبور، والشعرى الغميصاء. وفى ب، سـ «الشعر» وهو تحريف. وأصل الشعار: ما ولى شعر الجسد من الثياب. (٤) شناظير الجبل: أطرافه وحروفه، الواحد شنظير كنزير. (٥) الحباب: الحية، وهو معطوف على أعصم. والصلتان: النشيط الحديد الفؤاد من الخيل. والسرى: سير عامة الليل. والأرقم: أخبث الحيات وأطلبها للناس. (٦) حية نضناض ونضناضة: لا تستقر فى مكان، أو إذا نهشت قتلت من ساعتها. والفيفاء والفيفاة: المفازة. غان: غنىّ. وفى الأصول: «عان» تصحيف. مرمل: من أرمل إذا نفد زاده. (٧) السرد هنا: الدرع المسرودة أى المنسوجة. وسربله: ألبسه السربال، وهو الدرع أو كل ما لبس.

ولا عقنباةُ السُّلامَى لها[(١)] * فى كلّ أفْقٍ عَلَقٌ مُهْمَلُ

فتخاءُ فى الجوّ خداريّةٌ * كالغَيْم والغَيْمُ لها مُثْقِلُ[(٢)]

آمنُ مَنْ كان لِصَرْفِ الرّدَى * أنزلَها مِن جَوِّها مُنْزِل

والدَّهْرُ لا يَحْجُبُه مانِعٌ * يَحْجُبُه العامِلُ والمُنْصُلُ[(٣)]

يُصْغِي جَدِيدَاهُ إلى حُكْمِهِ * ويَفْعَلُ الدهرُ بما يَفْعَلُ[(٤)]

كأنّه مِنْ فَرْطِ عِزٍّ به * أشْوَسُ إذ أقبلَ أو أقْبَلُ[(٥)]

الأقبل : الذى فى عينه قَبَلٌ، وهو دون الحَوَلِ .

فى حَسَبٍ أوْفَى، له جَحْفَلٌ * يَقْدُمُه مِن رَأيه جَحْفَلُ[(٦)]

بينَا على ذلك إذ عَرَّشتْ * فى عَرْشه داهيةٌ ضِئْبِلُ[(٧)]

إنْ يَكُ فى العِزّ له مِشْقَصٌ * ماضٍ فقد تاحَ له مَقْتَلُ[(٨)]

(١) فى معجم البلدان السلامى : اسم موضع مضافا إليه « ذو » . والمعروف فى كلامهم « عقاب ملاع » (كسحاب وكتاب)، وعقاب عقنباة وعبنقاة وبعنقاة : ذات مخالب حداد، ويقال : عقاب ملاع بالإضافة، وعقاب ملاع وملوع كصبور على النعت، أى خفيفة الضرب والاختطاف، وملاع قيل هو من نعت العقاب، وقيل اسم هضبة عقبانها أخبث العقبان، وقيل أرض أضيفت إليها عقاب فى قولهم : أودت بهم عقاب ملاع، وقيل المفازة لا نبات بها . والعرب تقول فى أمثالها : « أبصر من عقاب ملاع » ؛ لأن عقاب الصحراء أبصر وأسرع من عقاب الجبال . والعلق : الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ أو الجامد، يريد به دم الفرائس التى تصرعها العقاب .

(٢) الفتخاء من العقبان : اللينة الجناح . وخدارية : سوداء . (٣) مانع : أى سيد مسلط مانع لحوزته حام لذماره . وعامل الرمح وعاملته : صدره . والمنصل : السيف .

(٤) الجديدان : الليل والنهار . والضمير فى « جديداه » للدهر، وفى « حكمه » للمانع وكذا فى « يفعل » الثانى . (٥) الأشوس : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا . (٦) فى ب وس : « فى حسب » وفى كل الأصول : « فله جحفل » : وهو تحريف . (٧) عرشت : بنت عريشا . والضئبل : الداهية . (٨) المشقص : النصل العريض أو الطويل . وتاح له الشىء يتيح ويتوح : تهيأ .

١٤٨
١٢

جادَ على قبرِك مِن ميّتٍ * بالرَّوْحِ ربٌّ لكَ لا يَبْخَلُ (١)

وحَنَّت المُزْنُ على قبرِه * بِعارِضٍ نَجْوتُه مَحْفِلُ (٢)

غيثٌ تَرى الأرضَ على وَبْلِهِ * تضحَكُ إلا أنّه يَهْمِلُ (٣)

يَصِلُّ والأرضُ تُصلِّي له * مِن صَلَواتٍ مَعَه تَسْأَلُ (٤)

٥ أنتَ أبا العبّاسِ عبّاسُها * إذا استطارَ الحدَثُ المُعْضِلُ (٥)

وأنتَ يَنْبوعُ أفانينِها * إذا هُمُ في سَنةٍ أَمْحَلُوا

وأنتَ عَلّامُ غُيوبِ النَّثا * يوماً إذا نَسْأَلُ أو نُسْأَلُ (٦)

نحن نُعزِّيكَ ومنكَ الهُدَى * مُسْتَخْرَجٌ والنُّورُ مُسْتَقْبَلُ (٧)

نقولُ بالعقلِ وأنتَ الّذي * نأوِي إليه وبِه نَعْقِلُ

١٠ نحن فِداءٌ لكَ مِن أُمّةٍ * والأرضُ والآخِرُ والأوّلُ

إذا غفا عنكَ وأوْدَى بها * ذا الدهرُ فهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ (٨)

رثاؤه جعفر بن علي الهاشمي

قال أبو المعتصم : ثم مات جعفر بن عليّ الهاشمي ، فرثاه ديكُ الجنّ فقال :

على هذه كانتْ تدور النوائبُ * وفي كلِّ جمعٍ للذهابِ مَذاهِبُ

---

(١) الروح : الرحمة . (٢) المزن : السحاب . والعارض : السحاب الذي يعترض في أفق السماء . والنجوة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل . والمحفل : مجتمع الماء حيث يحفل أي يجتمع .

١٥

(٣) الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . وتضحك : يتفتح فيها الزهر ، وهملت السماء : دام مطرها في سكون . (٤) في الأصول « يصلى » وهو تحريف . ويصل : يصوّت . وتصلي له ، أي تصلي لأجله شكرا لله . « معه تسأل » كذا في الأصول ، ولعله « دمعه تسأل » أي تسأل انهلاله وانصبابه . (٥) استطار : انتشر وتفرق . (٦) في ب ، س : « غيوب

٢٠ الثناء » وفي جـ « عيوب الثناء » وهو تصحيف . ونثا الحديث والخبر نثوا : حدّث به وأشاعه وأظهره ، والاسم منه النثا . وفي الأصول « إذا تسأل أو تسأل » وهو تصحيف . (٧) في الأصول : « نحن نجزيك » تحريف ، وفي المثل السائر — باب السرقات ص ٤٩٨ — « والصبر » بدل « والنور » . (٨) في ب ، س : « عفا » وهو تصحيف . وغفا : نام نومة خفيفة .

نزلنا على حُكْم الزّمانِ وأمْرِه * وهل يَقْبلُ النِّصْفَ الألَدُّ المُشاغِبُ؟[1]

وتَضْحَكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ * ويرضَى الفتَى عن دَهْرِه وهو عاتِبُ

ألَا أيُّها الرَّكبانُ والرَّدُّ واجبٌ[2] * قِفُوا حدِّثُونا ما تقولُ النَّوادِبُ

إلى أيِّ فِتْيانِ النَّدَى قَصَد الرَّدَى * وأيُّهُمُ نابتْ حِمَاهُ النَّوائِبُ؟

فيا لِأبِي العَبّاسِ كَمْ رُدَّ راغِبٌ * لِفَقْدِكَ ملهوفًا وكَمْ جُبَّ غارِبُ[3]

ويا لِأبِي العَبّاسِ إنّ مَنَاكِبًا * تَنُوءُ بِما حَمَّلْتَها لَنَواكِبُ

فيا قَبْرَه جُدْ كُلَّ قَبْرٍ بِجُودِه * ففيكَ سَماءٌ ثَرَّةٌ وسَحائِبُ[4]

فإنَّكَ لو تَدْرِي بِما فيكَ مِن عُلًا * عَلَوْتَ وباتَتْ في ذَرَاكَ الكَواكِبُ[5]

أخًا كنتُ أبكيه دمًا وهو نائمٌ * حِذارًا وتَعْمَى مُقْلَتِي وهو غائبُ

فماتَ ولا صَبْرِي على الأجْرِ واقفٌ * ولا أنا في عُمْرٍ إلى اللهِ راغِبُ

أأسعَى لِأحظَى فيكَ بالأجرِ إنَّهُ * لَسَعْيٌ إذنْ مِنِّي لدى اللهِ خائبُ

ومَا الإثْمُ إلَّا الصّبرُ عنكَ وإنَّما * عواقبُ حَمْدٍ أن تُذَمَّ العواقبُ

يقولون: مِقْدارٌ على المرءِ واجبٌ * فقلتُ: وإعوالٌ على المرءِ واجبُ

هو القلبُ لَمّا حُمَّ يومُ ابنِ أُمِّه * وَهَى جانبٌ منه وأُسْقِمَ جانبُ

تَرَشَّفْتُ أيّامِي وهُنَّ كوالحٌ * عليكَ، وغالبتُ الرَّدَى وهو غالبُ

ودافعتُ في صدرِ الزّمانِ ونَحْرِه * وأيُّ يدٍ لي والزمانُ مُحارِبُ؟

وقلتُ له: خَلِّ الجَوادَ لِقومِه * وها أنذا فازْدَدْ فإنّا عَصائِبُ[6]

---

(١) النصف (بفتح النون وضمها وكسرها): الإنصاف. والألد: الخصم الشحيح الذى لا يرجع إلى الحق. (٢) فى الأصول: «إنها»، وهو تصحيف. (٣) فى الأصول: «حب عارب» تصحيف. والغارب: الكاهل. (٤) ثرة: غزيرة. والجود: المطر الغزير. (٥) ذراك: كنفك وظلك. (٦) كذا فى جـ. وفى ب، س: «وهل ند فاردده» وهو تحريف.

فوالله إخلاصًا من القول صادقًا * وإلّا فحُبِّي آلَ أحمدَ كاذبُ

لوَ انّ يدى كانت شِفاءَكَ أودَمِى[1] * دمَ القلبِ حتّى يَقضبَ القلبَ قاضبُ

لَسلَّمتُ تسليمَ الرِّضا وتَخِذتُها * يدًا للرَّدَى ما حجَّ لله راكبُ

فتًى كان مثلَ السيفِ مِن حيثُ جئتَه * لنائبةٍ نابتْكَ فهْوَ مُضاربُ

فتًى همُّه حمدٌ على الدَّهرِ رابحٌ * وإن غاب عنه مالُه فهْو عازبُ

شمائلُ إن يَشهَدْ فهُنَّ مَشاهدٌ * عِظامٌ وإن يرحَلْ فهُنَّ كتائبُ

بكالكَ أخٌ لم تَحْوِهِ بقرابةٍ * بلَى إنَّ إخوانَ الصَّفاءِ أقاربُ

وأظلمتِ الدُّنيا التي كنتَ جارَها * كأنّك للدُّنيا أخٌ ومُناسبُ

يُبرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنّنى * أرى زمنًا لم تَبقَ فيه مَصائبُ

أبيات له فى أهل حمص وقد عزلوا إمام مسجدهم

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر :

إنّ خطيب أهل حِمْص كان يصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم على المنبر ثلاث مرات فى خطبته ، وكان أهل حمص كلُّهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مُضَر إلّا ثلاثةُ أبيات ، فتعصّبوا على الإمام وعزلوه ؛ فقال ديك الجنّ :

سَمِعُوا الصَّلاةَ على النبيِّ توالَى * فتفرَّقُوا شِيَعًا وقالوا : لا لَا

ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامُهم * فتحزَّبوا ورَمَى الرِّجالُ رجالَا

يا آلَ حِمْصَ توقَّعوا مِنْ عارِها * خِزْيًا يَحُلُّ عليكُمُ ووَبالَا

شاهتْ وجوهُكُمُ وجوهًا طالَمَا * رَغِمَتْ مَعاطِسُها[2] وساءتْ حالَا

(١) فى الأصول : « لو أن دمى كانت شفاؤك » وهو تحريف . قضبه : قطعه .

(٢) شاهت : قبحت . ورغم أنفه (مثلثة الغين) : ذل عن كره . والمعطس ، وزان مجلس ومقعد : الأنف .

صـــوت

أيابنــةَ عبـدِ الله وابنــةَ مالكٍ * ويابنةَ ذى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذَا ما صــنعتِ الزادَ فالتمسى له * أكِيلًا فإنّى لستُ آكِلَهُ وَحْدِى

عَرُوضه من الطويل . الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِىّ، والغناء لَعلُّويَه، ثقيلٌ أوّل بالوُسْطَى .

٥

اخبار قيس بن عاصم ونسبه

نسبه

هو قَيْسُ بن عاصِم بن سِنَان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبَيْد بن مُقَاعِس . واسم مقاعس الحارثُ بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَنَاةَ بن تميم . ويُكْنَى أبا عليّ . وأُمّه أمّ أَصْعَر بنتُ خَلِيفَة بن جَرْوَل بن مِنقر .

بعض صفاته

وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ حليمٌ كثير الغارات، مُظَفَّرٌ في غَزَوَاته . أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما . وهو أحَدُ مَنْ وَأَدَ بناتِه (١) في الجاهليّة، وأسلم وحسُن إسلامه، وأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، وصَحِبه في حياته، وعُمِّر بعده زمانا، ورَوَى عنه عِدّةَ أحاديث .

وأده بناته في الجاهلية

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال :

وفَدَ قَيْسُ بن عاصِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فسأله بعضُ الأنصار عما يُتَحَدَّثُ به عنه من الموءودات التي وَأَدهنّ من بناته ؛ فأخبر أنه ما وُلدتْ له بنتٌ قطُّ إلاّ وَأَدها . ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّثه فقال له : كنت أخاف سوء الأُحدوثة والفضيحةَ في البنات ، فما وُلِدتْ لي بنتٌ قطُّ إلا وَأَدْتُها، وما رَحِمتُ منهن موءودةً قطّ إلاّ بُنَيّةً لي ولدتْها أمُّها وأنا في سَفَر، فدفعتْها أمُّها إلى أخوالها فكانت فيهم ؛ وقَدِمتُ فسألت عن الحَمْل ، فأخبرتني المرأة أنها ولدتْ ولدًا ميّتا . ومضت على ذلك سِنونَ حتى كَبِرت الصبيّة ويَفَعتْ ، فزارتْ أُمَّها ذاتَ يوم ، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفَرتْ شَعَرها وجعلتْ في قُرونها شيئا من خَلُوق (٢) ونظمتْ عليها وَدَعًا، وألبستْها قِلادةَ جَزْعٍ (٣)، وجعلتْ في عُنُقها مُخْنَقَة (٤)

(١) وأدبنته : دفنها حية . (٢) الخلوق : ضرب من الطيب . (٣) الجزع بالفتح (ويكسر) : الخرز اليماني الصيني، فيه سواد وبياض، تشبه به الأعين . (٤) المخنقة : القلادة .

بَلَح: فقلتُ، مَنْ هذه الصبيّة فقد أعجبني جمالُها وكَيْسُها(١)؟ فبكتْ ثم قالت: هذه ابنتُك، كنتُ خبّرتك أنّي ولدتُ ولدًا ميتًا، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغتْ هذا المبلغ. فأمسكتُ عنها حتى اشتغلَتْ عنها، ثم أخرجتها يومًا فحفرتُ لها حَفيرةً فجعلتُها فيها وهي تقول: يا أبتِ(٢) ماتصنع بي؟! وجعلتُ أقذف عليها التُّراب وهي تقول: يا أبت أمُغَطِّيَّ أنتَ بالتُّراب؟! أتاركي أنت وحدي ومنصرفٌ عني؟! وجعلتُ أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتُها وانقطع صوتها، فما رَحِمتُ أحدًا ممن واريتُه غيرَها. فدمعتْ عَيْنَا النبيِّ صلّى الله عليه وسلم ثم قال: "إنّ هذه لَقَسْوةٌ، وإنّ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم"(٣) أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال: حدّثني عمّي أبو فِراس محمد بن فِراس عن عمر بن أبي بكّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هُرَيْرة:

أن قَيْس بن عاصم دخل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي حِجْره بعضُ بناته يَشَمُّها، فقال له: ما هذه السَّخْلة(٤) تَشَمُّها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد وُلِدَ لي بَنُونَ ووأدْتُ بُنَيّات ما شَمِمْتُ منهنّ أُنثى ولا ذَكَرًا قطُّ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهل إلا أن يَنْزِعَ الله الرحمةَ من قَلْبِك"(٥)!

(١) الكيس: العقل. (٢) يا أبت: التاء فيه عوض من ياء المتكلم، ويجوز فيها الفتح والكسر، وسمع فيها الضم أيضا. قال في التسهيل: «وجعلها هاء في الخط والوقف جائز»، ورسمت في المصحف بالتاء؛ قال الدماميني: «فرسمها بالتاء أولى». (٣) روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «من لا يرحم لا يرحم». إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٩: ٢٠).
(٤) السخلة: ولد الشاة. (٥) روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تقبلون الصبيان! فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»! إرشاد الساري (٩: ٢١).

سبب وأده لبناته

قال أحمد بن الهيثم قال عمّى فحدّثنى عبد الله بن الأهتم :

أن سبب وأد قيس بناته أن المُشمرج اليشكرىّ أغار على بنى سعد فسبى منهم نساءً واستاق أموالًا ، وكان فى النساء امرأةٌ ، خالها قيس بن عاصم ، وهى رَميم بنت أحمر بن جندل السعدىّ [(1)] ، وأمّها أخت قيس . فرحل قيسٌ إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها ، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه . فسأله فيها ، فقال : قد جعلتُ أمرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخُيِّرت ، فاختارت عمرو بن المشمرج . فانصرف قيس فوأد كلّ بنت ، وجعل ذلك سُنّةً فى كلّ بنتٍ تُولَد له ، واقتدت به العرب فى ذلك ؛ فكان كلُّ سيّد يُولد له بنتٌ يئدها خوفًا من الفضيحة .

خبره مع زوجه منفوسة بنت زيد الفوارس

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنى عمّى عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال :

تزوج قيس بن عاصم المنقرىّ منفوسة بنت زيد الفوارس الضبّىّ ، وأتته فى الليلة الثانية من بنائه بها بطعام ، فقال : فأين أكيلى ؟ فلم تعلم ما يريد ؛ فأنشأ يقول :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البُردين والفرس الوَرد [(2)]

إذا ما صنعت الزاد فالتمسى له * أكيلًا فإنى لستُ آكلَه وحدى

(1) فى الأصول : « بنت أحمد » ، وهو تحريف .

(2) ذو البردين : هو عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ؛ لقب بذلك لأن الوفود اجتمعوا عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء ، فأخرج بردين وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عامر ؛ فقال له : أنت أعز العرب ؟ قال : نعم ؛ لأن العز كله فى معدّ ثم نزار ثم مضر ثم تميم ثم سعد ثم كعب ؛ فمن أنكر ذلك فليناظر ، فسكتوا . فقال : هذه قبيلتك ، فكيف أنت فى نفسك وأهل بيتك ؟ فقال : أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال : من أزالها عن مكانها فله مائة من الإبل ، فلم يقم إليه أحد ؛ فأخذ البردين وانصرف . تاج العروس (مادة برد) . والفرس الورد : الذى بين الكميت والأشقر .

أخًا طارقًا أو جارَ بيتٍ فإنّنى * أخافُ مَلاماتِ الأحاديثِ من بعْدى
وإنّى لعبدُ الضّيْفِ من غير ذِلّةٍ * وما بِىَ إلّا تلك من شِيَمِ العبْدِ [1]

قال : فأرسلتْ جاريةً لها مليحة فطلبت له أُكيلًا ، وأنشأت تقول له :

١٥١
١٢

أبى المرءُ قيسٌ أن يذوقَ طَعامَهُ * بغيرِ أكيلٍ إنّه لكريمُ
فبُورِكْتَ حيًّا يا أخا الجودِ والنّدى * وبُورِكْتَ ميْتًا قد حوَتْكَ رجومُ [2]

٥

أبيات للعباس بن مرداس يمدح فيها قيسا ويهجو جوينا الطائى

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا دَماذ عن أبى عُبَيدةَ قال :

جاورَ رجلٌ من بنى القَيْنِ من قُضَاعَةَ قيسَ بن عاصم ، فأحسن جِوارَه ولم يَرَ منه إلّا خيرا حتّى فارقه ، ثم نزل عند جُوَيْنٍ الطائىّ أبى عامر بن جُوَيْنٍ ، فوثب عليه رجال من طيئ فقتلوه وأخذوا ماله ، فقال العبّاس بن مِرْداس يهجوهم ويمدح قيسًا :

١٠

لَعَمْرِى لقد أوفَى الجوادُ ابنُ عاصمٍ * وأحْصَنَ جارًا يومَ يُحْدِجُ بَكْرَه [3]
أقامَ عزيزًا مُنْتَدَى القومِ عندَه * فلم يرَ سَوْءاتٍ ولم يَخْشَ غَدْرَه [4]

---

(١) وردت هذه الأبيات فى الكامل للبرد ١ : ٢٧٩ ببعض تغيير فى الرواية وكذا فى أشعار الحماسة ج ٢ : ٢٤٤ فانظرها هناك .

(٢) رجوم : تعنى حجارة القبر . والذى فى كتب اللغة : « الرجمة بالضم والفتح : القبر، والجمع رجام، ككتاب ، وهو الرجم، كسبب ، والجمع أرجام ، والرجم والرجام : الحجارة المجموعة على القبر، والرجيم، كشمس : اسم لما يرجم به الشىء المرجوم والجمع رجوم» وليس فيها «رجوم» بمعنى حجارة القبر .

١٥

(٣) فى الأصول : « وأحسن جدا » وهو تحريف ، وأحصنه : منعه وحفظه . وحدج البعير كضرب : شدّ عليه الحدج والأداة ووسقه . والحدج : الحمل ، وزنا ومعنى . والبكر : الفتى من الإبل .

٢٠

(٤) المنتدى : مجلس القوم ومتحدثهم . وغدره : يجوز أن يكون بالتاء و بالهاء .

أقام بِسَعْدٍ يشرب الماءَ آمنًا (١) * ويأكل وُسْطَاهَا ويَرْبِضُ بَجْرَه

فإنّك إذ بادلتَ قيسَ بنَ عاصمٍ (٢) * جُوَيْنًا لَمُخْتارَ المنازلِ شَرَّه

فأصبحَ يحدو رَحْلَهُ بمَفَازةٍ (٣) * وماذا عدَا جارًا كريمًا وأُسْرَه

يَظَلُّ بأرض الغَدْرِ يأكلُ عَهْدَه (٤) * جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خَارِبَيْنِ بِوَبْره

٥ يُذَمّان بالأزواد والزادُ مَحْرَمٌ (٥) * سَرُوقان من عِرقٍ شرورًا وبَجْرَه

حلمه وعفوه عن ابن أخيه وقد قتل ابنه

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرى قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزى قال حدّثنى دَماذ عن أبى عبيدة قال، قال الأحنف :

---

(١) بسعد : أى ببنى سعد وهم قوم قيس بن عاصم . ويأكل وسطاها ، من أمثال العرب : « يرتعى وسطا ويربض حجرة » والوسط من المرعى : خياره ، أى يرتعى أوسط المرعى وخياره ما دام القوم فى خير ، فإذا أصابهم شر اعتزلهم . وربض حجرة أى ناحية . انظر لسان العرب (وسط وحجر) .

١٠ ويروى هذا المثل أيضا : « يأكل خضرة ويربض حجرة » أى يأكل من الروضة ويربض ناحية . انظر مجمع الأمثال للميدانى ٢ : ١٥٠ — وقد ضمن الشاعر البيت المثل فقال : ويأكل وسطاها أى وسطى مآكلها ، ووسطى مؤنث أوسط ، وأوسط الشىء ووسطه (بالتحريك) : أعدله وخياره ، أى يأكل خير مآكلها وأطيبها .

١٥ (٢) شرة : مفعول مختار ، وشرة وشرى أيضا كفضلى مؤنث شر .

(٣) حدا البعير : ساقه ، والمفازة : الفلاة لا ماء بها . وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم .

(٤) يأكل عهده : يريد « ينكث » من قولهم أكل فلان عمره : أفناه . وشمخ : اسم رجل . والخارب : اللص ، وبرة : اسم موضع .

٢٠ (٥) أذم به : تهاون ، والأزواد جمع زاد . المحرم : الحرمة التى لا يحل انتهاكها ، والعرق : الأصل . والفجرة : الفجور ، ويقال : حلف فلان على بجرة ، واشتمل على بجرة : إذا ركب أمرا قبيحا من يمين كاذبة أوزنا أو كذب ، وفى ـ « من عرق سروق ونفره » وفى ب ، حـ « من عرق سرق ونجرة » وهو تحريف .

ما تعلّمت الحلمَ إلّا من قيس بن عاصم المِنْقَرِىّ، فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر؟ فقال : قتل ابن أخ له ابنا له فأُتى بابن أخيه مكتوفا يقاد إليه، فقال: ذَعَرتم الفتى . ثم أقبل عليه فقال : يابُنَىّ، نَقَصتَ عددك ، وأوهيت[1] ركنك ، وفَتَتَّ فى عضدك، وأشمتَّ عدوّك، وأسأت بقومك . خلّوا سبيله ، واحملوا إلى أم المقتول ديته، قال : فانصرف القاتل وما حلّ قيس حِبوته[2] ، ولا تغير وجهه[3] .

وفوده على الرسول عليه السلام

أخبرنى عبيد الله الرازىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنىّ عن ابن جُعْدُبَة وأبى اليقظان قالا :

وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقال النبىّ عليه الصلاةُ والسلام : " هذا سيِّد أهلِ الوَبَر " .

---

(١) وهى الحائط : ضعف وهم بالسقوط ، وأوهاه هو . فت فى عضده : أضعفه .

(٢) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم الحبوة (بفتح و يضم) .

(٣) الخبر فى أمالى السيد المرتضى ١ : ٧٦ . وجاء فى مجمع الأمثال للميدانى ١ : ١٤٨ والعقد الفريد ١ : ١٧٧ «قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى ، حضرته يوما قاعدا بفناء داره ، محتبيا بحمائل سيفه يحدثنا ، إذ جاءوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف ، فقالوا : هذا ابن أخيك قتل ابنك ، فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه ، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إلى ابن أخيه وقال له : يابن أخى ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : يا بنى قم إلى ابن عمك فأطلقه ، وإلى أخيك فادفنه ، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة لعلها تسلو عنه ، ثم أنشأ يقول :

إنى امرؤ لا يعترى خلق * دنس يهجّنه ولا أفن

من منقر من بيت مكرمة * والغصن ينبت حوله الغصن

خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن

لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

قصته مع تاجر خمار

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال : جاور داريٌّ[1] كان يَتَّجِر في أرض العرب قيسَ بن عاصم ، فشرب قيسٌ ليلةً حتى سَكِر ، فربط الداريَّ وأخذ مَالَه ، وشرب من شرابه فازداد سُكْرًا ، وجعل من السكر يتطاول ويُثَاوِرُ[2] النجومَ لِيَبْلُغَها وليتناولَ القمر ، وقال :

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإلهُ به * كأن عُثْنونَه أذنابُ أجمالِ[3]

ثم قَسَمَ صَدَقةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم في قومه وقال :

أَلَا أبلغا عنّي قُـرَيْشًا رسـالةً * إذا ما أتتهم مُهْدَيَاتُ الوَدائـع

حَبَوْتُ بما صدّقتُ في العام مِنْقَرًا[4] * وأيأستُ منها كلَّ أطلسَ طامـع

قال : فلمّـا فعَل بالداريّ ما فعـل وسكِر ، جعـل مالَه نُهْبَى[5] ، فلم تزل امرأته تُسَكّنه حتّى نام . فلمـا أصبح أُخبِر بمـا كان منه ، فآلى ألّا يُدْخل الخمـرَ بين أضلاعه أبدا .

---

(١) داريّ : من الداريين ، وهم بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدى ، ينتهى نسبهم إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٢) ثاوره مثاورة وثِوارا : واثبـه .

(٣) العثنون من اللحيـة : ما نبت على الذقن وتحته سفلا . وأجمال : جمـع جمل . جاء في الكامل للبرد ١ : ٢٨٠ « قال ذلك لأن ذنب البعير يضرب إلى الصهبة وفيه استواء وهو يشبه اللحية » .

(٤) حباه : أعطاه بلا جزاء ولا منّ ، أو هو عام . والمصدق : آخذ الصدقات ، والمتصـدق : معطيها . والأطلس هنا : اللص الخبيث .

(٥) النهبى : اسم للنهوب ، كالنهبة بالضم .

خدعه الزبرقان بن بدر حتى فرّق الصدقات فى قومه

أخبرنى وكيعٌ قال حدّثنا المدائنىّ قال :

وَلِى قيسُ بن عاصم على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صَدَقات بنى مُقَاعِس والبُطونِ كلِّها، وكان الزِّبْرقان بن بَدْرٍ قد وَلِى صَدَقات عوف والأبناء (١) . فلما تُوُفِّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم وقد جَمع كلٌّ واحد من قيس والزِّبْرِقان صَدَقاتِ مَنْ وَلِىَ صدقته دسّ إليه الزِّبْرقانُ مَنْ زَيّن له المَنْع لِما فى يده وخَدَعه بذلك، وقال له : إنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قد تُوُفِّى، فهلُمّ نجمع هذه الصدقةَ ونجعلها فى قومنا؛ فإن استقام الأمرُ لأبى بكر وأدّتِ العربُ إليه الزكاة جمعنا له الثانيةَ . ففرّق قيس الإبلَ فى قَوْمه؛ فانطلق الزِّبرقان إلى أبى بكر بسبعمائة بعير فأدّاها إليه، وقال فى ذلك :

وَفَيْتُ بأذوادِ النبىِّ محمدٍ (٢) * وكنتُ امرأً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ

فلمّا عرف قيسٌ ما كادَه به الزبرقان قال : لو عاهد الزِّبرقانُ أُمَّه لَغَدَر بها .

أسباب سيادته

أخبرنى عبد الله بن محمد الرازىّ قال حدّثنا الحارث بن أسامة قال حدّثنا المدائنىّ ، وأخبرنى الحسن بن علىٍّ قال حدّثنا ثعلبٌ عن ابن الأعرابىّ قال :

قيل لقيس بن عاصم : بماذا سُدْتَ ؟ قال : بِبَذْلِ النَّدَى، وكَفِّ الأَذَى، ونَصْر المَوالِى (٣) .

(١) الأبناء ، هم خمسة من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهم عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم .

(٢) الذود : ثلاثة أبعرة إلى العشرة ، وقيل غير ذلك ، والجمع أذواد .

(٣) فى أمالى الشيد المرتضى ١ : ٧٦ « ونصر الولى »

نصيحته لبنيه

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا العُمَرى عن الهيثم قال :

كان قيسُ بن عاصم يقول لبنيه : إيّاكم والبَغْىَ ؛ فما بَغَى قومٌ قطُّ إلا قَلُّوا وذَلُّوا. فكان بعضُ بَنِيه يَلطِمُه قومُه أوضيرُهم(١) فينهى إخوتَه عن أن ينصروه .

حديث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المال

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازى قال حدّثنا الحارث عن المدائنى عن ابن جُعْدُبة : أنّ قيس بن عاصم قال :

أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحّب بى وأدنانى؛ فقلت : يارسول الله، المالُ الذى لا يكون علىَّ فيه تَبِعةٌ ما ترى فى إمساكه لِضَيْف إن طَرَقنى، وعيالٍ إنْ كَثُروا علىّ؟ فقال : "نِعْمَ المالُ(٢) الأربعون، والأكثرُ الستّون، وويلٌ لأصحاب المِئِين — ثلاثا — إلا منْ أَعطى من رِسْلها(٣) وأطرق فَحْلَها(٤)، وأفقر ظَهْرَها(٥)، ومَنَح غَزِيرتَها(٦)، وأطعم القانعَ والمُعْتَرّ(٧)". فقلت له : يا رسولَ الله، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ ! إنه لا يُحَلُّ بالوادى الذى أنا فيه من كَثْرتها . قال : "فكيف تصنع فى الإطراق ؟" قلت : يغدو الناس، فمَنْ شاء أن يأخُذَ برأس بَعيرذَهَب به، قال : "فكيف تصنع فى الإفقار ؟" فقلت إنّى لأُفْقِرُ النابَ(٨) المُدبرةَ والضَّرَعَ(٩) الصغيرة . قال : "فكيف تَصْنَع فى المَنِيحة(١٠)؟" قلت : إنى لأمنح فى السَّنَة المائة . قال : "إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أو تَصَدَّقْتَ فأبقَيْتَ".

(١) فى أمالى السيد المرتضى : « يظلمه » . (٢) أكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم . (٣) الرسل : اللبن . (٤) أطرقه فحله : أعاره إياه ليضرب فى إبله . (٥) الظهر : الإبل التى يحمل عليها ويركب . وأفقره بعيره : أعاره إياه يركب ظهره فى سفر أو يحمل عليه ثم يرده . (٦) منح غزيرتها : أعطاها من يحلبها ويردّها .

(٧) القانع هنا : الذى يسأل، والمعتر : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل .

(٨) الناب : الناقة المسنة . والمدبرة : الهرمة ، التى هرمت فأدبر خيرها .

(٩) الضرع : الصغير من كل شىء، أو الصغير السن الضعيف الضاوى النحيف . وككتف : الضعيف .

(١٠) فى ب، س : «المليحة» وهو تحريف .

خبره مع الحوفزان

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ حدّثنا أبو غسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيْدَة قال :

قيس بن عاصم هو الّذى حَفَز الحَوْفَزَانَ بن شَرِيك الشَّيْبانى، طَعنه فى اسْتِه فى يوم جَدُود (١) .

أبياته التى قالها فى يوم جدود

وكان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شَرِيك بن عمرو الصُّلْب ابن قَيْس بن شَرَاحِيل بن مُرَّة بن هَمَّام كانت بينه وبين بنى يَرْبُوع مُوَادعةٌ ، ثم هَمَّ بالغدر بهم، بجمع بنى شَيْبَان (٢) وبنى ذُهْلٍ واللَّهازِمَ : قَيْس بن ثَعْلبةَ وتَيْم الله بن ثَعْلبةَ وغيرهم، ثم غزا بنى يربوع، فَنَذِر (٣) به عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهَاب بن شَرِيك، فنادى فى قومه بنى جعفر بن ثَعْلبةَ من بنى يَرْبُوع (٤) فوَادَعه. وأغار الحارثُ بن شريك على بنى مُقَاعِس وإخوتِهم بنى رُبَيْع (٥) فلم يُجِيبوهم، فاستصرخوا بنى مِنْقَر فركبوا حتّى

(١) جدود : اسم موضع فى أرض بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سمت اليمامة ، فيه الماء الذى يقال له الكلاب ، وكان فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب . اقرأ حديث يوم جدود أيضا فى العقد الفريد (٣ : ٧٢) .

(٢) شيبان : حى من بكر بن وائل ، وهما شيبانان : أحدهما شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ، والآخر شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة . واللهازم ، هم قيس بن ثعلبة بن عكابة ، وتيم الله — أو تيم اللات — بن ثعلبة بن عكابة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة — انظر العقد الفريد (٣ : ٦٨) ، ولسان العرب . وفى الأصول « واللهازم وقيس بن ثعلبة » بزيادة الواو وهو خطأ .

(٣) نذر به كفرح : علمه فحذره . وفى ب ، س « عتبة بن الحارث » .

(٤) وذلك أن الحوفزان لما انتهى إلى جدود منعتهم بنو يربوع أن يردوا الماء — ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب — فقاتلوهم ، فلم يكن لبنى بكر بهم يد ، فصالحوهم على أن يعطوا بنى يربوع بعض غنائمهم ، وعلى أن يخلوهم يردون الماء ، فقبلوا ذلك وأجازوهم ، فبلغ ذلك بنى سعد ، فقال قيس بن عاصم فى ذلك : جزى الله يربوعا ... الأبيات الآتية (انظر العقد الفريد (يوم جدود) .

(٥) كذا فى الأصل ، والظاهر أن فى الكلام نقصا . وبنو ربيع (كزبير) هم بنو ربيع بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، وجاء فى النقائض ص ١٤٥ طبع أوربة (بعد أن أورد خبر موادعته بنى يربوع) : « فمضى إلى بنى سعد فأغار على ربيع بن الحارث فأصاب نسوة وهم خلوف وأصاب إبلا ، فأتى الصريخ بنى سعد ، فركب قيس بن عاصم فى بنى سعد ... » .

لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون(١) فى يوم شديد الحرّ . فما شعر الحوفزانُ إلّا بالأهتم بن سُمَىّ بن سِنان بن خالد بن مِنْقَر — واسم الأهتم سنان — وهو واقف على رأسه ، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهتم : مَنْ أنت؟ فانتسب له ، وقال : هذه منقر قــد أتتك . فقال الحوفزان : فأنا الحارث بن شريك ! فنادى الأهتم : ياآل سعد ! ونادى الحوفزان : ياآل وائل ! وحمل كلٌّ واحد منهما على صاحبه ، ولحقت بنو مِنْقَر ، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه(٢) ، ونادت نساءبنى رُبَيْع : يا آل سعد ! فاشــتدّ قتال بنى منقر لصياحهن ، فهُزِمتْ بكرُ بن وائل ، وخلّوا من(٣) كان فى أيديهم من بنى مُقَاعِس ، وما كان فى أيديهم من أموالهم ، وتبِعتهم بنو مِنْقَر بين قَتْلٍ وأَسْرٍ ، فأسَر الأهتمُ حُمْرَان بن عَبْد عمرو(٤) ، وقصد قيسُ بن عاصم الحوفزانَ ، ولم يكن له هِمّة غيرُه ، والحارث على فرس له قارِح(٥) يُدْعَى الزّبِد ، وقيس على مُهْر ، فخاف قيس أن يسبقه الحارث ، فحَفَزه بالرُّمح فى اسْــته ، فتحفّز به الفرسُ فنجا ، فسُمّى الحَوْفَزَان . وأطلق قيس أموالَ بنى مُقَاعِس وبنى رُبَيْع وسَبَاياهم ، وأخذ أموالَ بكر بن وائل وأسَاراهم . وانتقضت طعنــة قيس على الحَوْفزان بعد ســنة فمات . وفى هذا اليوم يقول قيس بن عاصم :

جَزَى الله يَرْبوعًا بأسوأ فِعلها(٦) * إذا ذُكِرتْ فى النائباتِ أمورُها

---

(١) القائلة : نصف النهار ، وقال : نام فى القائلة ، فهو قائل .

(٢) أبرحه : أشده وأشقه .

(٣) فى الأصول : « ما كان » تحريف .

(٤) فى العقد الفريد : « حمران بن بشر بن عمرو بن مرثد » . وفى لسان العرب مادة (حفز) : « حمران بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد » .

(٥) قرح الفرس قروحا : إذا ألقى أقصى أسنانه ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل فى السادسة . والزبد ككتف (كما فى القاموس المحيط)

(٦) فى النقائض والعقد « سعيها » .

وَيومَ جَدُودٍ قد فضحتم ذِمارَكم (١) * وسالَمْتُمُ والخيلُ تَدْمَى نُحورُها

سَتَخطِمُ سعدٌ والرِّبابُ أُنوفَكم (٢) * كما حُزَّ فى أنف القضيب جَرِيرُها

وقال سَوّار (٣) بن حَيّان المِنْقَرِىُّ :

ونحن حَفَزنا الحوفزانَ بطَعْنةٍ * سَقَتْه نَجِيعًا (٤) من دمِ الجَوْف أشْكَلا (٥)

وحُمْرانُ قَسْرًا أنزلتْه رِماحُنا * فعالَجَ غُلًّا فى ذِراعَيْه مُقْفَلا

إغارته على اللهازم يوم النباج وثيتل وما قال ابنه على فى ذلك اليوم

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضا على اللهازم، فتبِعه بنو كَعْب بن سعد بالنِّباج وثَيْتَل (٦)، فتخوَّف أن يَكْرَه أصحابُه لقاءَ بكر بن وائل، وقد كانوا يَتَناجَوْن (٧) فى ذلك، فقام لَيْلًا فشقَّ مَزادَهم (٨)، لئلا يَجِدُوا بُدًّا من لِقاء العدوّ، فلما فَعَل ذلك أذعنوا بلقائهم وصَبَروا له، فأغار عليهم، فكان أشْهَرَ يوم يومَ ثَيْتَل لبنى سعد، وظَفِر قيسٌ بما شاء، وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم. وفى ذلك يقول ابنه علىٌّ (٩) بن قيس ابن عاصم :

(١) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته. وفى معجم البلدان والعقد الفريد والنقائض : «قد فضحتم أباكم»؛ يعنى ما كان منهم من موادعة الحوفزان، وقد تقدّم خبرها.

(٢) خطمه : ضرب أنفه، والرباب : خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة، وهم ضبة وثور وعكل (كقفل) وتيم وعدىّ، والقضيب : الناقة التى لم ترض. والجرير : الزمام.

(٣) كذا فى الأصول وأمالى السيد المرتضى ١ : ٧٧ والنقائض. وفى العقد الفريد : «سويد».

(٤) فى العقد الفريد والنقائض : «تمج نجيعا».

(٥) حفزه بالرمح طعنه. والنجيع من الدم : ما كان الى السواد، أو دم الجوف. والأشكل : ما يخالط سواده حمرة.

(٦) فى ب وس : «نبتل» وفى ح : «ثبتل» تصحيف. والنباج : موضع من البصرة على عشر مراحل. وثيتل : ماء قرب النباج، وبهما يوم من أيام العرب مشهور لتميم على بكر بن وائل كما رأيت.

(٧) يتناجون : يتسارّون. (٨) المزادة : الراوية التى يحمل فيها الماء. قال أبو عبيد : لا تكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع، سميت بذلك لمكان الزيادة.

(٩) وبه يكنى «أبا على». وفى معجم البلدان : «قال قرة بن قيس بن عاصم». وفى العقد الفريد : «مرة».

أنا ابنُ الذى شقّ المَزَادَ وقد رأى * بثَيْتَلَ أحياءَ اللّهازم حُضَّرا
فصبّحهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمٍ * وكان إذا ما أورد الأمرَ أصْدرا (١)

قتاله عبد القيس

قال : وأغار قيسٌ أيضا ببنى سعد على عبد القيْس ، وكان رئيس بنى سَعْد يومئذ سِنَان بن خالد ، وذلك بأرض البَحْرَيْن ، فأصابوا ما أرادوا ، واحتالت عبد القيس فى أن يفعل ببنى تميم كما فُعِل بهم بالمُشَقَّر (٢) حين أغلق عليهم بابه فامتنعوا ، فقال فى ذلك سوّار بن حيان :

فيا لَكَ من أيّامِ صِدْقٍ أَعُدُّها * كيومِ جُؤَاثَى والنِّباجِ وثَيْتَلا (٣)

كان رئيس بنى سعد يوم الكلاب الثانى

قال : وكان قيسُ بن عاصم رئيسَ بنى سعد يوم الكُلَابِ (٤) الثانى ، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف فى أمر عبد يَغُوثَ بن وَقّاص بن صَلَاءةَ الحارثىّ حين أَسَره عِصمةُ بن أُبَيْر التَّيْمِىّ ودَفَعه إلى الأهتم ، فرفع قيسٌ قَوْسَه فضرب فَمَ الأهتم بها فهتَم أسنانه ، فيومئذ سُمّى الأهتم .

١٥٤
١٢

ما قاله لأولاده حين حضرته الوفاة

أخبرنا هشام بن محمد الخُزَاعىّ قال حدّثنا دَمَاذ عن أبى عُبَيدةَ ، وأخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنا أحمد بن الهيثم بن عَدِىّ قال :

(١) رواية معجم البلدان والعقد الفريد :

فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا إلا الأسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان إذا ما أورد الأمر أصدرا

والذيفان، بالفتح و يكسر : السم القاتل . (٢) المشقر : حصن عظيم بالبحرين لعبد قيس ، يلى حصنا لهم آخر يقال له الصفا قبل مدينة هجر ، وفيه يقول يزيد بن مفرغ الحميرى :

* وجاورت عبد القيس أهل المشقر *

وفيه حبس كسرى بنى تميم ، وقد أوقع بهم فأخذ الأموال وسبى الذرارىّ بمدينة هجر . لأنهم أغاروا على لطيمة (أى عير) ، له فيها مسك وعنبر وجوهر كثير . (٣) جؤاثى و يقال له (جواثى وجواثا) : حصن لعبد القيس بالبحرين . (٤) الكلاب : اسم ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة . والعرب فيه يومان مشهوران : هما الكلاب الأوّل ، والكلاب الثانى .

جَمَع قيسُ بن عاصمٍ وَلَدَه حين حضرتْه الوفاة وقال : يا بَنِىَّ ، إذا مُتُّ فسَوِّدُوا كِبَارَكم ، ولا تُسَوِّدُوا صِغارَكم فيُسَفِّهَ الناسُ كِبَارَكم . وعليكم بإصلاح المالِ فإنّه مَنْبَهةٌ للكريم ، ويُستغْنَى به عن اللئيم . وإذا مُتُّ فادْفِنونى فى ثيابى التى كنت أُصَلِّى فيها وأصوم . وإياكم والمسألةَ فإنّها آخِرُ(١) مكاسبِ العبد ؛ وإنَّ امرأ لم يسأل إلّا ترك مكسبه . وإذا دفنتمونى فأخْفُوا قبرى عن هذا الحىّ من بَكْرِ بن وائل ؛ فقد كان بيننا خُمَاشاتٌ(٢) فى الجاهليّة . ثم جمع ثمانين سهمًا فربطها بوَتَرٍ ، ثم قال : اكسِروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرِّقوا . ففرَّقوا ، فقال : اكسِروها سهما سهما ، فكسروها . فقال : هكذا أنتم فى الاجتماع وفى الفُرْقة . ثم قال :

إنما المجدُ ما بَنَى والدُ الصِّدْ * قِ وأحيا فَعالَه المولودُ

وتَمامُ الفضلِ الشجاعةُ والحِلْ * مُ إذا زانَه عَفَافٌ وجُودُ

وثلاثون يا بَنِىَّ إذا ما * جَمَعتْهم فى النائباتِ العُهودُ

كثلاثين من قِداحٍ إذا ما * شَدَّها للزمان قِدْحٌ شديدْ

لم تَكَسَّرْ وإن تفرّقتِ الأسْ * همُ أوْدَى بجمعِها التبديد

وذوو الحِلمِ والأكابرُ أولَى * أن يُرَى منكمُ لهم تسويدُ

وعليكمْ حِفْظَ الأصاغرِ حتّى * يَبْلُغَ الحِنْثَ(٣) الأصغرُ المجهودُ

(١) جاء فى الكامل للبرد : « أخر بقصر الهمزة لا غير ، ومن رواه بالمد أخطأ . ومعنى أخر : أدنى وأرذل » . وجاء فى لسان العرب : « وفى الحديث : المسألة أخر كسب المرء ، أى أرذله وأدناه . ويروى بالمد ؛ أى إن السؤال آخر ما يكتسب به المرء عند العجز عن الكسب » .

(٢) خماشات : جراحات وجنايات .

(٣) بلغ الغلام الحنث : أى الإدراك والبلوغ ، أى بلغ مبلغ الرجال وجرى عليه القلم فكتب عليه الحنث (أى المعصية والإثم) والطاعة .

رثاء عبدة بن الطيب له

ثم مات ؛ فقال عَبَدَةُ بن الطَّبِيبِ يَرثيه :

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ * ورحمتُه ما شاء أن يَتَرَحَّما

تحيّةَ من أوليته منك نعمةً * إذا زار عن شَحْطٍ بلادَك سَلّما

فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تهدّما

تمثل هشام بن عبد الملك ببيت من أبيات عبدة فى رثائه

٥ أخبرنى عُبَيدالله بن محمد الرازىّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنى قال : لمّا مات عبد الملك بن مَرْوان اجتمع وَلَدُه حولَه ، فبكى هشامٌ حتى اختلفت[1] أضلاعه ، ثم قال : رَحِمك الله يا أميرَ المؤمنين ! فأنت والله كما قال عَبْدة بن الطبيب :

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنه بُنْيانُ قومٍ تهدّما

فقال له الوليد : كذبتَ يا أحولُ يا مشئوم ، لسنا كذلك ، ولكنّا كما قال الآخر :

١٠ إذا مُقْرَمٌ مِنّا ذَرَا حَدُّ نابِه * تَخَمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مُقْرَمِ[2]

هو وعبدة بن الطبيب

أخبرنى حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلَّبى قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصبّاح عن ابن الكلبىّ عن أبيه قال :

كان بين قيس بن عاصم وعَبْدة بن الطَّبيب لِحاءٌ ، فهجره قيسُ بن عاصم ، ثم حَمَل عَبْدةُ دمًا فى قومه ، فخرج يسأل فيما تحمّله ، فجمع إبلًا ، ومرّ به قيس

١٥ ابن عاصم وهو يسأل فى تمام الدِّيَة ، فقال : فيمَ يسأل عَبْدة ؟ فأُخبر ؛ فساق إليه الديةَ كاملةً من ماله ، وقال : قولوا له لِيَسْتَمْتِعْ[3] بما صار إليه ، وليَسُقْ هذه

١٥٥ / ١٢

(١) اختلفت : اضطربت . (٢) البيت لأوس بن حجر (اللسان مادة خمط ، وقرم) . ومقرم : سيد ، وهو فى الأصل : البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة والضراب ؛ سمى به السيد الرئيس من الرجال تشبيها بالمقرم من الإبل لعظم شأنه وكرمه عندهم . وذرا نابه ذروا : انكسر

٢٠ حدّه أو سقط ووقع . والتخمط : الأخذ والقهر بغلبة . أراد : إذا هلك منا سيد خلفه آخر . وفى ب ، س : « تحمط » وهو تصحيف . (٣) فى الأصول : « ليستفع » وهو تحريف .

إلى القوم . فقال عَبْدَةُ : أمَا والله لولا أنْ يكون صُلْحِى إيّاه بعَقِب هـذا الفِعْل عارًا علىّ لصالحتُه، ولكنى أنصرف إلى قـومى ثم أعود فأصالحه . ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيسا قد مات ، فوقف على قبره وأنشأ يقول :

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ * ورحمتُه ما شاء أنْ يترحّما

الأبيـات . ٥

سبب تحريمه الخمر على نفسه

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأَزْهَر قال حدّثنـا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشامُ بن الكلبىّ عن أشياخهما :

أنّ قيسَ بن عاصم المِنْقَرِىّ سكِر من الخمر ليلةً قبل أن يُسْلِم ، فغمَز عُكْنَةَ[1] ابنته — أو قال أُختـه — فهربتْ منـه . فلمّا صحا منهـا ، فقيل له : أوَمَا علمتَ ما صنعتَ البـارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصُنْعه ، فحرّم الخمـر على نفسه ، وقال فى ذلك : ١٠

وجدتُ الخمـرَ جامحةً وفيهـا * خِصَالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الكريما
فـلَا واللهِ أشْرَبُهـا حَيـاتِى * ولا أدعـو لهـا أبدًا نَدِيمَـا
ولا أُعطِى بهـا ثمنًا حياتى * ولا أُشْفِى بهـا أبدًا سـقِيما
فإنّ الخمـر تَفْضَحُ شَارِبِيهـا * وتُجْشِمُهُـمْ بهـا أمرًا عظيما[2] ١٥
إذا دارتْ حُمَيَّاها تَعَلَّتْ * طَوَالِـعُ تُسْـفِهُ الرَّجُلَ الحليما[3]

(١) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا .
(٢) جشم (كسمع) الأمر وتجشمه : تكلفه على مشقة ، وأجشمه إياه .
(٣) حمياها : سورتها وشدتها و إسكارها . تعلى : علا فى مهلة .

أخبرنى محمد بن مَزْيَد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال :

قال الزِّبْرقان : إنّ تاجرًا دِيافِيًّا[1] مرّ بحمْل خمرٍ على قَيْس بن عاصم فنزل به ، فقال قيس : اصْبَحْنِى قَدَحًا ، ففعل . ثم قال له : زدنى ، فقال له : أنا رجلٌ تاجرٌ طالبُ رِبحٍ وخير ، ولا أستطيع أن أَسْقِيك بغير ثمن . فقام إليه قيس فربطه إلى دَوْحةٍ فى داره حتى أصبح ، فكلّمته أُخته فى أمره ، فلطَمها وخَمَش وَجْهَها — وزعموا أنّه أرادها على نفسها — وجعل يقول :

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإلهُ به * كأنّ لِحيَتَه أذنابُ أجمالِ

فلما أصبح قال : مَنْ فَعَل هذا بضَيْفِى؟ قالت له أُخته : الذى صنَع هذا بوجهى ، أنت والله صنعتَه ، وأخبرته بما فعل . فأعطى الله عهدًا ألّا يشربَ الخمر أبدًا . فهو أوّل عربىّ حرّمها على نفسه فى الجاهليّة ، وهو الذى يقول :

فوالله لا أحسو يَدَ الدَّهْرِ[2] خمرةً * ولا شَرْبةً تُزْرِى بذى اللُّبِّ والفخرِ

فكيف أذوق الخمرَ والخمرُ لم تزَلْ * بصاحبها حتى تَكَسَّعَ[3] فى الغَدْرِ

وصارتْ به الأمثالُ تُضْرَبُ بَعْدَما * يكونُ عميدَ القومِ فى السِّرِّ والجَهْرِ

وتَبْدُرُهُمْ فى كلِّ أمرٍ يَنُوبُهم * وتَخْصِمُهم ما نابَهم حادِثُ الدَّهْرِ

فياشارِبَ الصَّهْباء دَعْهَا لأهلها الـ * ـغُواةِ وسَلِّمْ للجسيم من الأمرِ

فإنّك لا تَدْرِى إذا ما شَرِبْتَها * وأكثرتَ منها ما تَرِيشُ وما تَبْرِى[4]

(١) ديافى : نسبة إلى دياف ، وهى قرية بالشام وأهلها نبط الشام ، تنسب إليها الإبل والسيوف ، وإذا عرّضوا برجل أنه نبطى نسبوه إليها . (٢) يد الدهر : مدّ زمانه . وفى الأصول : «بذا الدهر» وهو تحريف . (٣) تكسع فى ضلاله : تمادى ، كتسكع . (٤) راش السهم يريشه : ألزق عليه الريش . وقولهم : فلان لا يريش ولا يبرى ، أى لا يضر ولا ينفع .

قصته مع امرأته وقد فارقته لإسلامه

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن منصور قال أخبرنى أبو جعفر المُبَاركىّ قال أخبرنى المدائنى عن مَسْلَمَة بن مُحارِب قال :

قال الأحنف بن قيس : ذكرتُ بلاغة النساء عند زِيَاد، فحدّثته أنّ قيس ابن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بنى حنيفَة، فأبى أهلها وأبوها أن يُسْلِمُوا وخافوا إسلامها، فاجتمعوا إليها وأقسموا أنّها إن أسلمتْ لم يكونوا معها فى شىء ما بقيت، فطالبتْ قيسًا بالفُرقة، ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ : أمّا والله لقد صَحِبْتِنِى سارّة، ولقد فارقْتِنِى غيرَ عارّة[1]، لا صُحْبَتُكِ مملولة، ولا أخلاقُكِ مذمومة، ولولا ما اخترتِ ما فرّق بيننا إلّا الموتُ، ولكنّ أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحقُّ أن يُطاع . فقالت له : أُنبِئتُ بحَسَبِك وفضْلِك، وأنت والله إن كنتَ لَلدّائمَ المحبة، الكثيرَ المودّة، القليلَ اللائمة، المُعْجِبَ الخلوة، البعيدَ النّبْوة . ولَتعلمنّ أنّى لا أسكن بعدك إلى زوج . فقال قيس : ما فارقتْ نفسى شيئًا قطُّ فتَبِعْته كما تَبِعَتْها .

كان يكنى أبا علىّ

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدّثنى أبو فِراس قال :

كان قيسُ بن عاصم يُكْنَى أبا علىّ، وكان خاقان بن الأهْتَم إذا ذكره قال : بَخْ! مَنْ مِثْلُ أبى علىّ !

تُطِيفُ به كَعْبُ بن سعد كأنّما * يُطِيفون عُمّارًا ببيتِ مُحرَّمِ[2]

(١) عرّه بمكروه : أصابه به، وعرّه : ساءه .

(٢) فى الأصول : « ببيت عرمرم » وهو تحريف . وعمارا : أى معتمرين، من العمرة، وهى الحج الأصغر . والفرق بينها وبين الحج أن العمرة الطواف بالبيت الحرام والسعى بين الصفا والمروة فقط، والحج لا يكون إلا مع الوقوف بعرفة يوم عرفة، وأن العمرة تكون فى السنة كلها، والحج لا يكون إلا فى أشهر الحج : شوّال وذى القعدة وعشر من ذى الحجة .

بعض صفات قومه بنى منقر

وقال عَلّان بن الحسن الشُّعوبى : بنو مِنْقَرٍ قومٌ غُدُرٌ، يقال لهم الكَوَادن[1]، ويُلَقَّبون أيضا أعراف البِغال، وهم أسوأ خَلْق الله جِوارا، يسمّون الغدر كَيْسانَ[2]، وفيهم بُخْلٌ شديد .

وصيته لبنيه بحفظ المال

وأوصى قيس بن عاصم بنيه ، فكان أكثر وصيّته إيّاهم أن يحفظوا المالَ ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحا . وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر بن تَوْلَب :

يا مِنْقَرُ بنَ عُبَيْدٍ إنّ لُؤْمَكُمُ * مُذْ عَهْدِ آدمَ فى الدِّيوانِ مكتوبُ

للضَّيْفِ حَقٌّ على مَنْ كان ذا كَرَمٍ * والضَّيْفُ فى مِنْقَرٍ عُرْيانُ مسلوبُ

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغَدْرَ كَيْسانَ فى قصيدة هجاهم بها :

إذا ما دَعَوْا كَيْسَانَ كانتْ كُهُولُهُمْ * إلى الغَـدْرِ أدْنَى من شَبابِهِمُ المُرْدِ

قال : وهذا شائع فى جميع بنى سعد[3]، إلا أنهم يتدافعونه إلى بنى مِنْقَر، وبنو منقر يتدافعونه إلى بنى سِنَان بن خالد بن مِنْقَر، وهو جَدُّ قيس بن عاصم .

وفوده على النبى مع عمرو بن الأهتم وتهاترهما أمامه

وحكى ابن الكلبى أنّ النبى صلّى الله عليه وسلّم لمّا افتتح مكّة قَدِمتْ عليه وفودُ العرب، فكان فيمن قَدِم عليه قيسُ بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عمّه، فلمّا صارا عند النبى صلّى الله عليه وسلّم تَسابّا وتَهاتَرا[4]؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم : والله يا رسولَ الله ما هُمْ منّا، وإنهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن الأهتم : بل هو والله يا رسولَ الله من الروم وليس منا . ثم قال له :

(١) الكوادن : جمع كودن ، وهو البغل والبرذون والفيل ، ويشبه به البليد .

(٢) فى ب ، س : « وكيسان » بالواو، وهو خطأ .

(٣) بنو سعد أخو النمر بن تولب . والبيت فى اللسان (كيس) ، وقبله :

إذا كنت فى سعد وأمك منهم * غريبا فلا يغررك خالك من سعد

(٤) تهاترا : تسابا بالباطل .

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمُنِى * عند الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

الهَلْباء يعنى استه، يعيره بذلك، وبأن عانته وافية .

إن تُبْغِضُونا فإنّ الرُّوم أصلُكُمُ * والرُّوم لا تملك البغضاءَ للعَرَبِ

سُدْنا فسُودَدُنا عَوْدٌ وسُودَدُكُمْ * مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ(1)

قال : وإنّما نسبه إلى الرُّوم لأنه كان أحمرَ . فيقال : إنّ النبى صلى الله عليه وسلم نهاه عن هذا القول فى قيْس ، وقال : إن إسمعيل بن إبراهيم — صلّى الله عليهما وسلم — كان أحمرَ . فأجابه قيس بن عاصم فقال :

ما فى بَنى الأَهْتَمِ من طائلٍ * يُرْجَى ولا خيرٍ لَهُ يَصْلُحونْ

قُلْ لبنى الحِيرِىِّ مَخصوصةً * تُظْهِرُ منهم بعضَ ما يَكْتُمونْ

لولا دِفاعى كُنْتُمُ أَعْبُدًا * مَسْكَنُها الحِيرةُ فالسَّيْلَحونْ(2)

جاءت بكم عَفْرةُ من أرضها * حِيرِيَّةٌ ليست كما تزعُمُونْ

فى ظاهر الكَفِّ وفى بَطْنها * وَسْمٌ(3) من الدّاء الذى تَكْتُمون

ارتداده

وذكر عَلّان أنّ قيْسًا ارتدّ بعد النبىِّ صلّى الله عليه وسلّم عن الإسلام، وآمن بسَجَاحِ ، وكان مُؤَذِّنَها ، وقال فى ذلك :

أضحتْ نَبيَّتُنا أُنْثَى نُطيفُ بها * وأصبحتْ أنبياءُ الله ذُكْرانا

قال : ثم لمّا تزوّجت سَجاحِ بمُسَيْلِمَةَ الكذّاب الحَنفىِّ وآمنت به آمن به قيسٌ معها . فلمّا غزا خالد بن الوليد اليمامةَ وقتل اللهُ مسيلمةَ أخذ قيْسَ بن عاصمٍ أسيراً ، فادّعى عنده أنّ مُسَيْلِمَةَ أخذ ابناً له ، فجاء يطلُبه . فأحلفه خالد على ذلك ، فحلف فخلّى سبيله ، ونجا منه بذلك .

(1) العجب : أصل الذنب ومؤخر كل شىء . (2) السيلحون : بلد قرب الحيرة بين الكوفة والقادسية . (3) فى معجم البلدان : « وشم » .

قصته مع عبادة ابن مرثد

قال : ومما يُعيِّرون به أنّ عُبادة بن مَرْثَد بن عمرو بن مَرْثَد أَسَرَ قيسَ بن عاصمٍ وسَبَى أمّه وأختيه يوم أَبْرَقِ الكِبْريت [1] ، ثم مَنّ عليهم فأطلقهم بغير فِداء ، فلم يُثِبْه قيسٌ ولم يَشْكُرْه على فِعْله بقَوْلٍ يبلُغه . فقال عبادة فى ذلك :

على أَبْرَقِ الكِبْرِيتِ قيسَ بنَ عاصمٍ * أَسَرْتُ وأطرافُ القَنَا قِصَدٌ حُمْر [2]

٥ مَتَى يَعْلَقِ السَّعْدِىَّ منكَ بذِمَّةٍ * تَجِدْهُ إذا يَلْقَى وشِيمَتُه الغَدْرُ

قال : وكان قيسُ بن عاصم يسمَّى فى الجاهلية الكَوْدَنَ .

قصته مع زيد الخيل

وكان زيدُ الخيل الطائىّ خَرَج عن قَوْمه وجاوَرَ بنى مِنْقَرٍ ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدٌ فيهم ، فأعانهم وقاتل بنى عِجْلٍ قتالًا شديدًا ، وأبلى بلاء حسنا ، حتى انهزمتْ عِجل ؛ فكَفَر قيس فِعْلَه وقال : ما هَزَمهم غَيْرِى . فقال زيد الخيل يعيِّره ويُكَذِّبه

١٠ فى قصيدة طويلة :

ولستُ بوَقّافٍ إذا الخيلُ أَجْحمتْ [3] * ولستُ بكَذّابٍ كقَيْسِ بنِ عاصمِ

إسلامه

ومما روى قيس بن عاصم عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : حدّثنا حامد بن محمد ابنِ شعيب البَلْخِىّ قال : حدّثنا أبو خَيْثَمة زُهَيْر بن حَرْب قال : حدّثنا وكيع قال : حدّثنا سُفْيانُ الثَّوْرِىّ عن الأَغَرِّ المِنْقَرِىّ عن خَليفةَ بن حُصَيْن بن قَيْس بن عاصم

١٥ عن أبيه عن جَدّه أنّه أسلَم على عهد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأمره النبى عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ .

---

(١) أبرق الكبريت : موضع كان به يوم من أيام العرب .

(٢) قصد : قطع ، جمع قصدة كقطعة .

(٣) أجحم عنه : كف ، كأجحم ، وفى الأصول « أجمحت » وهو تحريف — انظر هذا الخبر

٢٠ فى الأغانى ١٦ : ٥٦ ساسى — .

حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحدّثنا حامد قال حدّثنا أبو خيثمة قال حدّثنا جرير عن المُغيرة عن أبيه شُعْبةَ عن التَّوْءَم قال :

سأل قيسُ بن عاصم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف، فقال : "لا حِلْفَ[1] في الإسلام، ولكن تمسّكوا بحِلْف الجاهلية" .

أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حدّثني رجلٌ من الرِّباب قال :

ذكر رجلٌ قَيْسَ بن عاصم عند النبي صلى الله عليه وسلّم فقال : لقد هممتُ أنْ آتيَه فأفعلَ به وأصْنَعَ به، كأنه توَعّده . فقال له النبي صلّى الله عليه وسلم « إذاً تَحُولُ سَعْدٌ دونَه بِكَرَاكِرِها[2] » .

١٥٨ / ١٢

قال : ولما مات قيسٌ رثاه مِرْداس[3] بن عَبَدَة بن مُنَبِّه فقال :

وما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ * ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّمَا

(١) جاء فى النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ : ص ٢٤٩ : « لا حلف فى الإسلام : أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق . فما كان منه فى الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذى ورد النهى عنه فى الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم : "لا حلف فى الإسلام" ، وما كان منه فى الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم : "وأيما حلف كان فى الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة" يريد : من المعاقدة على الخير ونصرة الحق . وبذلك يجتمع الحديثان . وهذا هو الحلف الذى يقتضيه الإسلام ، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام . وقيل : المحالفة كانت قبل الفتح، وقوله "لا حلف فى الإسلام" قاله زمن الفتح فكان ناسخا » .

(٢) كراكر : جمع كِركِرة ، بكسر الكافين ؛ وهى الجماعة من الناس .

(٣) تقدم أن هذا الشعر لعبدة بن الطبيب .

صـــــوت

خُذْ من العَيْش ما كَفَى * ومِنَ الدَّهْر ما صَفَا
حَسَنَ الغَدْرُ فى الأَنَا * مِ كما اسْتُقْبِحَ الوَفَا
صِلْ أخا الوَصْلِ إنَّه * ليس بالهَجْرِ مِنْ خَفَا(١)
صَيْنُ مَنْ لا يُرِيدُ وَصْـ * ـلَكَ تُبْدِى لَكَ الجَفَا

الشعر لمحمد بن حازم الباهلىّ، والغناء لابن القَصَّار الطُّنْبُورِىّ ، رَمَلٌ بالبِنْصَر . أخبرنى بذلك جحظة .

(١) فى ب : « من حفا » . وفى س : « من جفا » .

أخبار محمد بن حازم ونسبه

نسبه وشىء من أخباره

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلىّ. ويكنى أبا جعفر. وهو من ساكنى بَغْداد مولدُه ومَنْشَؤه البَصْرة . أخبرنى بذلك ابن عَمّار أبو العبّاس عن محمد بن داوُد بن الجَرّاح عن حسن بن فَهْم .

وهو من شعراء الدولة العبّاسيّة ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثيرَ الهجاء للناس ، فاطُّرِح، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون، ولا اتصل [1] بواحد منهم ، فيكونَ له نباهةُ طَبَقته . وكان ساقط الهمّة ، مُتَقلِّلا جدًا ، يُرْضيه اليسير ، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب .

قصته مع الطاهرىّ

حدثنا محمد بن العبّاس اليزيدى قال حدّثنا الخليل بن أسَد قال :

سمعت محمد بن حازم الباهلىّ فى منزلنا يقول : بعث إلىّ فلانٌ الطّاهرىّ — وكنت قد هجوته فأفرطتُ [2] — بألف دينار وثياب، وقال : أمّا ما قد مضَى فلا سبيلَ إلى رَدّه، ولكن أُحِبُّ ألا تزيدَ عليه شيئا . فبعثت إليه بالألف الدينار [3] والثياب، وكتبتُ :

لا أَلْبَس النعماءَ مِن رجلٍ * ألبستُه عارًا على الدّهْرِ

(١) فى الأصول : « واتصل » وهو خطأ .

(٢) كذا فى حـ . وفى ب ، س « فأفرطنى » وهو تحريف .

(٣) فى الأصول : « بالألف الدرهم » وهو لا يلائم ما قبله ، والأظهر أنه « بألف الدينار » لأن قائله وهو محمد بن حازم بصرى — مولده ومنشؤه البصرة كما تقدم — والبصريون اذا أرادوا تعريف العدد المضاف عرّفوا المضاف اليه . والكوفيون هم الذين يجيزون تعريف المتضايفين . قال الزمخشرى : وذلك بمعزل عند أصحابنا — أى البصريين — عن القياس واستعمال الفصحاء .

خبره مع أحمد بن سعيد بن سالم

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا أبو علي — وسقط اسمه من كتابي — قال قرأتُ في كتاب عمّي :

قال لي محمد بن حازم الباهلي : مر بي أحمد بن سَعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلّم عليّ سلامًا أرضاه، فكتبتُ رُقْعَةً وأتبعته بها، وهي :

وباهــليٍّ من بني وائــلٍ * أفادَ مالًا بعــد إفــلاس
قطّبَ في وجهيَ خَوْفَ القِرَى * تَقْطِيبَ ضِرْغامٍ لدَى البأس
وأظهــرَ التِّيــهَ فتايَهْتُهُ * تِيــهَ امرئٍ لم يَشْقَ بالنّاس[1]
أعرتُه إعْراضَ مُسْتَكْبِرٍ * في مَوْكِب مرَّ بكَنّاس

خبره مع سعد ابن مسعود

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو عليّ قال :

١٥٩ / ١٢

لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلتُ له : يا أبا جعفر، كيف ما بينَك و بين صديقِك سعد بن مَسْعود اليومَ[2] — وهو أبو إسحاق بن سعد، وكان يكتب للنُّوشَجاني — فأنشدني :

راجَع بالعُتْبَى[3] فأعتبتُــه * ورُبَّمــا أعتبَــكَ المُذْنِبُ
وإنّ في الدّهرِ، على صَرْفه * بين الصّديقَين، لمستعتِبُ[4]

(١) في الأصول : « بالباس » . (٢) في الأصول بعد هذه الكلمة : « والرادى علي » . ولا أرى لها معنى ولا موضعا في الكلام . (٣) العتبى : الرضا ؛ أعتبه : أعطاه العتبى ورجع إلى مسرته . (٤) مستعتب : استرضاء ؛ تقول : استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني وكان الأولى أن يقول : « لمستعتبا » بالنصب لأنه اسم « إن » ؛ ولكن على النصب يكون في البيت إقواء أو يخرج الرفع على أن اسم « إن » ضمير الشأن وجملة « في الدهر لمستعتب » خبرها .

قصيدته فى مديح الشباب وذم الشيب

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ وابن الوَشّاء جميعًا قالا حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ قال :

قال ابن الأعرابىّ : أحسنُ ما قال المُحْدَثُون من شُعَراء هذا الزّمان فى مديح الشّباب وذَمّ الشّيْب :

لا حِينَ صَبْرٍ فخَلِّ الدّمعَ ينهمِلُ * فَقْدُ الشّبابِ بيوم المرءِ مُتّصِلُ
سَقْيًا ورَعْيًا لأيّام الشّبابِ وإنْ * لم يَبْقَ منه له رسمٌ ولا طَلَلُ
جَرّ الزّمانُ ذُيولًا فى مَفَارِقِهِ * ولِلزّمانِ على إحسانِه عِلَلُ
ورُبّما جَرّ أذيالَ الصِّبا مَرِحًا * وبين بُرْدَيْه غُصْنٌ ناعمٌ خَضِلُ (١)
يُصْبِي الغَوانِي ويَزْهَاه بِشِرّتِه * شَرْخُ الشّبابِ وثوبٌ حالكٌ رَجِلُ (٢)
لا تَكْذِبَنّ فما الدُّنيا بأجمعِها * من الشّبابِ بيَوْمٍ واحدٍ بَدَلُ
كَفَاكَ بالشّيْب عيبًا عند غانيةٍ * وبالشّبابِ شَفِيعًا أيُّها الرّجُلُ (٣)
بانَ الشّبابُ وولّى عنكَ باطِلُهُ * فليس يَحْسُنُ منك اللّهْوُ والغَزَلُ
أمّا الغَوانى فقد أعرَضْنَ عنك قِلًى * وكان إعراضَهُنّ الدّلُّ والخَجَلُ
أَعْرَنْكَ الهَجرَ ما لاحتْ مُطَوّقةٌ * فلا وِصَالٌ ولا عَهْدٌ ولا رُسُلُ (٤)
ليتَ المَنَايا أصابَتْنِي بأسْهُمِها * فكُنّ يَبْكِينَ عَهْدِى قبلَ أكْتَهِلُ (٥)

(١) خضل : ندٍ، يترشف نداه .

(٢) شرة الشباب : نشاطه . وشرخ الشباب : أوّله . يزهاه : يستخفه ويحمله على الزهو وهو الكبر والتيه والعظمة . وثوب حالك : يريد به شعر الشباب، وشعر رجل : بين السبوطة والجعودة .

(٣) فى ب، س : « عيب عند عائبه » وهو تحريف .

(٤) فى ب، س : « أعرتك » ؛ وهو تصحيف .

(٥) فى الأصول : « تبكين » تصحيف .

عهدَ الشَّبابِ لقد أبقيتَ لى حَزَنًا * ماجَدَّ ذكرُك إلّا جَدَّ لى ثَكَلُ (١)

إنّ الشبابَ إذا ما حلَّ رائدُه * فى مَنْهَلٍ رادَ يقفو إثرَه أَجَلُ (٢)

قال ابن الوَشّاء خاصّةً : وما أساء ولا قصَّر عن الأُولى (٣)، حيث يقول فى هذا المعنى :

بكاؤه الشيب أيضا

أبكى الشَّبابَ لِنَدْمانٍ وغانيةٍ * ولِلْغَانِى ولِلأَطلال والكُتُبِ (٤)

ولِلصَّريخ ولِلآجام فى غَلَسٍ * ولِلقَنَا السُّمْرِ والهِنْدِيَّة القُضُبِ (٥)

ولِلخَيال الذى قد كان يَطْرُقُنى * ولِلنَّدامَى ولِلَّذَّاتِ والطَّرَبِ (٦)

يا صاحبًا لم يَدَعْ فَقْدِى له جَلَدًا * أُضِعتُ بَعدك إنَّ الدهرَ ذُو عُقَبِ (٧)

وقد أكونُ، وشَعْبانا معًا، رَجُلًا * يومَ الكريهةِ فَرّاجًا عَنِ الكُرَبِ (٨)

هجاؤه ابن حميد

أخبرنى ابن عمّار عن العَنَزِىّ قال :

كان محمد بن حازم الباهلىّ مدح بعض بنى حُمَيْد فلم يُثِبْه، وجعل يفتش شعره فيعيب فيه الشىءَ بعد الشىء، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيرا شنيعا، منه قوله :

(١) فى الأصول : « نكل » بالنون وهو تصحيف .

(٢) الرائد : المرسل فى طلب الكلأ . ورادت الدابة ترود : رعت .

(٣) فى الأصول : «ولا قصد» وهو تحريف . وقوله «عن الأولى» أى عن القصيدة الأولى السابقة .

(٤) المغانى : جمع مغنى، وهو المنزل . (٥) الصريخ : المستغيث . والآجام : جمع أجمة، وهى الشجر الكثير الملتف ، أى للصيد والقنص . والغلس : ظلمة آخر الليل ، والقنا : الرماح . والهندية : أى السيوف الهندية . والقضب : القاطعة . (٦) عدد فى الأبيات الثلاثة الأسباب التى من أجلها يبكى الشباب، وهى مظاهر الحياة والنشاط والقوة والمتعة . (٧) عقب : جمع عقبة بالضم، وهى النوبة . (٨) الكريهة : الحرب أو الشدة فى الحرب، والنازلة .

عَدُوّاكَ المَكَارِمُ والكِرَامُ * وخِلُّكَ دونَ خُلَّتِكَ اللِّئامُ (١)

ونَفْسُك نَفْسُ كلبٍ عند زَوْرٍ * وعُقْبَى زائرِ الكلبِ الْتِدَامُ (٢)

تَهِرُّ على الجليسِ بلا احترامٍ * لِتَحْشِمَه إذا حَضَر الطَّعامُ (٣)

إذا ما كانت الهِمَمُ المَعَالِى * فهَمُّك ما يكون بِهِ المَلامُ

قَبُحْتَ ولا سَقَاكَ الله غيثًا * وجانَبَكَ التحيّةُ والسلامُ

هجاؤه ابن حميد أيضا

قال : فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر اليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه :

موضعُ أسرارِك المُرِيبُ * وحَشْوُ أثوابِك العُيوبُ

وتَمنع الضيفَ فضلَ زادٍ * ورَحْلُك الواسعُ الخَصيبُ (٤)

يا جامعًا مانعًا بَخيلًا * ليس له فى العُلَا نَصيبُ

أبِالرُّشَا يُسْتَمَالُ مِثْلى ؟ * كَلّا ! ومَنْ عنده الغُيوبُ (٥)

---

(١) الخلة : الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع . (٢) الزور : الزائر . الالتدام فى الأصل : ضرب النساء صدورهنّ ووجوههنّ فى النياحة . (٣) هرير الكلب : صوته ، وهو دون النباح . والحشمة بالكسر والضم : أن يجلس اليك الرجل فتؤذيه وتسمعه ما يكره ، حشمه كضرب ونصر وأحشمه . وحشمه وأحشمه أيضا : أخجله ؛ يقال للنقبض عن الطعام : ما الذى حشمك أو أحشمك ، من الحشمة بالكسر وهى الاستحياء والانقباض ؛ وحشمه وأحشمه كذلك : أغضبه . وفى ج « لتجمشه » بالجيم وهو خطأ ، ويصح أن يكون « لتحشمه » بالحاء ، يقال حشه وأحشه إذا أغضبه .

(٤) الفضل : البقية . والرحل هنا : منزل الرجل ومسكنه وبيته .

(٥) الرشوة ، مثلثة الراء : الجعل ، والجمع رشا ، بالكسر والضم .

لا أرتدى حُلَّةً لمُثنٍ * بوجهه من يَدِى نُدوبُ(١)

و بين جنبيه لى كُلومٌ * داميةٌ ما لها طَبيبُ

ما كنتُ فى موضع الهَدَايَا * منكَ، ولا شَعْبُنا قَرِيبُ

أنّى وقد نَشَّتِ المَكَاوِى * عن سِمَةٍ شأنُها عَجِيبُ(٢)

٥ وسار بالذّمّ فيك شِعْرِى * وقيل لى مُحسنٌ مُصِيبُ

مالُكَ مالُ اليتيمِ عندى * ولا أرى أكْلَه يَطِيبُ

حَسْبُك من مُوجِزٍ بليغ * يَبْلُغُ ما يبلُغُ الخَطِيبُ

خانه محمد بن حميد فهجاه

حدّثنى عمّى قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنى علىّ بن الحسين الشيبانىّ قال:

١٠ بعث الحسن بن سَهْلٍ محمدَ بن حُمَيْد فى وِجْهةٍ، وأمره بجباية مالٍ، وبحَرْبِ قوم من الشُّرَاة(٣)، فخان فى المال وهَرَب من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهلىّ:

تَشَبَّه بالأَسَدِ الثعلبُ * فغَادَره مُعنَقًا يُجْنَبُ(٤)

وحاولَ ما ليس فى طَبْعِه * فأسلَمه النابُ والمِخْلَبُ

١٥ فلم تُغنِ عنه أباطيلُه * وحاصَ فأحْرَزَه المَهْرَبُ(٥)

(١) الندبة كشجرة: أثر الجرح الباقى على الجلد، والجمع ندب كشجر، وجمع الجمع أنداب وندوب، وقيل: الندب واحد والجمع أنداب وندوب.

(٢) نشت: سمع لها صوت عند الكى.

(٣) الشراة: الخوارج. (٤) أعنق الكلب: جعل فى عنقه قلادة وفى جـ «مفتقا» وهو تحريف، ويجنبه كنصر: قاده إلى جنبه.

٢٠

(٥) حاص: حاد وعدل.

وكان مَضِيًّا على غَدْره * فعيّبَ ، والغادرُ الأخْيَبُ (١)

أيا ابْنَ حُمَيْد كفرتَ النَّعِيـ * ـمَ جهلًا ووَسْوَسَكَ المَذْهَبُ (٢)

ومَنَّتْك نفسُك مالا يكُونُ * وبعضُ المُنَى خُلَّبٌ يكْذِبُ

وما زلتَ تسعَى على مُنْعِمٍ * ببَغْيٍ وتُنْهَى فَلاَ تُعْتِبُ

فأصبحتَ بالبَغْيِ مستبدلًا * رَشاداً وقد فات مُسْتَعْتَبُ ٥

قال : وقال فيه لمّا شخص إلى حيثُ وجّهه الحسن بن سَهْل :

إذا استقلّتْ بك الرِّكابُ * فحيثُ لادَرّتِ السحابُ

زالتْ سِراعًا وزُلْتَ يَجْرِى * ببَيْنِكَ الظَّبْيُ والغُرابُ

بحيثُ لا يُرْتَجَى إيابٌ * وحيثُ لايبلغُ الكتابُ

فقَبْلَ معروفِك امتنانٌ * ودُونَ معروفِك العذابُ ١٠

وخيرُ أخلاقِك اللّواتِى * تعافُ أمثالَها الكلابُ

١٦١ / ١٢

ردّه على من عابه بقصر شعره

حدّثنى أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار قال : حدّثنى أبى قال : قال يحيى بن أكثَم لمحمد بن حازم الباهلىّ : ما نَعيبُ شعرَك إلّا أنّك لا تطيل ؛ فأنشأ يقول :

أبى لِيَ أن أُطيل الشعرَ قَصْدِى * إلى المَعْنَى وعِلْمِى بالصّوابِ

وإيجازِى بمُخْتَصَرٍ قريبٍ * حذفتُ به الفضولَ من الجواب ١٥

فأبعثُهنّ أربعةً وخمسًا (٣) * مُثقّفةً بألفاظٍ عِذاب

(١) مضيا : مبالغة فى ماض . (٢) وسوس المذهب الرجل : كلمه كلاما خفيا ؛ أى ناجاك مذهبك الخبيث الدنىء فسوّل لك أن تفعل ما فعلت . (٣) أى فأبعثهن أربعة أبيات وخمسة أبيات . وقد أنث العدد الأول وذكر الثانى ، وهو جائز . وذلك أنه إذا حذف المعدود مع قصده فى المعنى ، فالفصيح أن يكون كما لو ذكر ؛ تقول : صمت خمسة تريد أياما ، وسهرت خمسا تريد ليالى . ويجوز أن تحذف ٢٠ التاء من المذكر كحديث : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوّال » .

خَوَالِدَ ما حَدَا ليلٌ نهاراً * وما حَسُن الصِّبَا بأخى الشَّبابِ
وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بهنّ قوماً * كأطواقِ الحمائم فى الرِّقابِ
وهُنَّ إذا أقمتُ مُسافراتٌ * تَهَادتْها الرُّواةُ مع الرِّكابِ

حدَّثنى حبيب بن نصر المهلّبى قال: حدثنا علىّ بن محمد بن سليمان النوْفلىُّ قال:

خبره مع أبى ذؤيب

٥ كان بالأهواز[1] رجلٌ يعرف بأبى ذُؤَيب من التّجّار، وكان مَقْصِدَ الشعراء وأهل الأدب، فقصده محمد بن حازم، فدخل عليه يومًا وعليه ثيابٌ بَذَّة[2]، وهيئة رَثّة، ولم يعرّفه نَفْسَه، وصادفهم يتكلمون فى شىء من معانى الشعر، وأبو ذؤيب يتكلّم متحققا بالعلم بذلك. فسأله محمد بن حازم — وقد دخل عليه يوماً — عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جَهِله، فردّ عليه جواباً مُحالًا[3] كالمستصغر له وازدراه، فوثب

١٠ عن مجلسه مُغْضَبًا. فلمّا خرج قيل له: ماذا صنعتَ بنفسك وفتحتَ عليها من الشرّ؟ أتدرى لمن تعرّضتَ؟ قال: ومَنْ ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهلىّ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب إليه حافيًا حتى لحِقه، فحلف له أنه لم يَعْرِفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يقبَل له رِفْدًا ولا يذكره بسوء مع ذلك أبدًا، وكتب إليه بعد أن افترقا:

١٥ أخطَا وردَّ علىَّ غيرَ جوابى * وزَرَى علىّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عَجَبٍ لذاك فزادنى * فيما كَرِهتُ بِظَنّه المُرتابِ
وقضى علىَّ بظاهرٍ من كُسْوةٍ * لم يَدْرِ ما اشتملتْ عليه ثيابى

---

(١) الأهواز: إقليم فى الجنوب الغربى من فارس. (٢) أى رث اللبسة.
(٣) المحال من الكلام: ما عدل به عن وجهه؛ يقال: أحال الكلام إحالة إذا أفسده.

مِنْ عِفَّةٍ وتَكَرُّمٍ وتَحَمُّلٍ * وتَجَلُّدٍ لمصيبةٍ وعِقابِ
و إذا الزمان جنى علىّ وجدتَنى * عُودًا لبعض صفائح الأقتابِ (١)
ولئن سألت ليُخْبِرَنَّك عالِمٌ * أنّى بحيثُ أحبّ من آدابِ
وإذا نَبَا بِىَ منزلٌ خَلَّيْتُه * قَفْرًا مجالَ ثعالبٍ وذِئابِ (٢)
وأكون مُشْتَرَكَ الغِنَى مُتَبَذِّلًا (٣) * فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابى
لكنّه رجعتْ عليه ندامةٌ * لَمَّا نُسِبْتُ وخاف مَضَّ عِتابى (٤)
فأَقَلْتُه لمّا أقرّ بذنبه * ليس الكريمُ على الكريم بنابِ

أخبرنى حبيب بن نصر قال : حدّثنا النوفلىّ قال :

ترضاه صديق له فقال شعرا

كان سعد بن مسعود القُطْرُبُلِّىُّ (٥) : أبو إسحاق بن سعد صديقًا لمحمد بن حازم الباهلىّ، فسأله حاجةً فردّه عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضّاه، فردّها وكتب إليه :

١٦٢ / ١٢

مُتَّسِعُ الصدرِ مُطِيقٌ لِمَا (٦) * يَحارُ فيه الحُوَّلُ القُلَّبُ
راجِعْ بالعُتْبَى فأعتبتُه * وربّما أعتبك المُذْنِبُ
أَجَلْ وفى الدَّهرِ — على أنه * موكَّل بالبين — مُسْتَعْتَبُ

(١) الأقتاب : جمع قتب بالتحريك، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير. وصفائح الأقتاب : ألواحها.
(٢) نبا به منزله : لم يوافقه .
(٣) فى الأصول « متبدلا » . وقد سبقه إلى هذا المعنى جرير فقال :
وإنى لعف الفقر مشترك الغنى * سريع إذا لم أرض دارى احتماليا
(٤) مض عتابى : أى حرقته و إيلامه .
(٥) قطربل : قرية شمالىّ بغداد تنسب إليها الخمر ، وفى جـ « القطربى » .
(٦) فى ب، س : « منطيق » . وفى جـ « مطبق » وهو تحريف .

سَقيًا ورَعْيًا لزمانٍ مَضَى * عَنِّى، وسَهْمُ الشَّامتِ الأخيبُ
قد جاءنى منكَ مُوَيْلٌ فلم * أعْرِضْ له والحُرُّ لا يَكْذبُ[1]
أَخْذِىَ مالاً منكَ بعد الذى * أودعْتَنِيه مَرْكَبٌ يَصْعبُ
أَبَيْتُ أن أشربَ عند الرضا * والسُّخْطِ إلّا مَشْرَبًا يَعْذُبُ
أعزَّنى اليأس وأغْنَى فما * أرجو سِوَى اللهِ ولا أَرْهبُ[2]
قارونُ عندى فى الغِنَى مُعْدِمٌ * وهِمَّتِى ما فوقَها مَذْهَبُ
فأىَّ هاتَيْنِ تَرَانِى بها * أَصبو إلى مالك أو أَرْغَبُ ؟

خبره مع أحمد ابن يحيى

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدى وعيسى بن الحسين الورّاق ، واللفظ له ، قالا : حدّثنا الخليل بن أسَد النُّوشَجانىّ قال ، حدّثنا حَمّاد بن يحيى قال : حدّثنا أحمد بن يحيى قال : آخر ما فارقتُ عليه محمدَ بن حازم أنه قال : لم يَبْقَ شىءٌ من اللّذاتِ إلا بَيْعُ السَّنانير . فقلت له : سَخِنَتْ عينُك[3] ! أَيْشٍ[4] لكَ فى بيع السنانير من اللذّات ؟ قال : يُعْجِبنى أن تَجيئنى العجوزُ الرَّعْناء تُخَاصِمنى[5] وتقول : هذا سِنَّورى سُرِقَ منّى ، وأُخاصمها وأُشَتِّمُها وتشتمنى ، وأُغيظها وأباغضها ؛ ثم أنشدنى :

صِلْ خمرةً بخُمَارٍ[5] * وصِلْ خُمَارًا بخمرِ
وخُذْ بحظِّك منها * زادًا إلى حيث تدرى

قال : قلتُ : إلى أين ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

(١) فى ب ، س : « ذو موئل » وهو تحريف ، ومويل : تصغير مال .
(٢) فى الأصول : «أعزنى اليأس» وهو تصحيف . وكان الأنسب به أن يقول : «ولا أرهب» .
(٣) يقولون فى شتم المرء والدعاء عليه : «سخنت عينه» أى من حرارة البكاء ، و «أسخن الله عينه» أى أبكاه ، وهو نقيض قولهم فى الدعاء له : « قرّت عينه » أى بردت وانقطع بكاؤها ، أو رأت ما كانت متشوّقة إليه ، و « أقر الله عينه » .
(٤) فى الأصول : « أليس » وهو تحريف .
(٥) خمار الخمر : ما خالط من سكرها .

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدّثنى الحسن بن أبى السَّرىّ قال :

ردّه على كتاب أحمد بن أبى نهيك

كان إسحاق بن أحمد بن أبى نَهِيك آنِسًا بمحمد بن حازم الباهلىّ يدعوه ويُعاشره مُدّة . فكتب إليه يَسْتَزِيرُه ويُعاتبه عتاباً أغضبه ؛ وبلغه أنه غضب ، فكتب إليه :

ما مُسْتَزِيرُكَ فى وُدٍّ رأى خَلَلاً * فى موضع الأنْس أهلاً منك للغَضَب (١)

قد كنتَ تُوجِبُ لى حَقًّا وتَعْرِف لى * قَدْرِى وتَحْفَظ منّى حُرمةَ الأدَبِ

ثم انحرفتَ إلى الأُخْرَى فأَحْشَمْتَنى * ما كان منكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ (٢)

وإنّ أدنَى الذى عندى مُسَامحةٌ * فى حاجتى بعد أن أعذرتُ فى الطلب (٣)

فاخْتَرْ فعندىَ من ثِنْتَيْن واحدةٌ * عُذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللَّعِبِ

فإن تُجَدِّد كما قد كنتَ تفعلُه (٤) * ... ...

خبره مع الحسن ابن سهل

حدّثنى محمد بن يونس الأنبارىّ المعروف بمحصنة قال : حدّثنى ميمون بن هارون قال :

قال محمد بن حازم الباهلىّ : عرضتْ لى حاجةٌ فى عسكر أبى محمد الحسن بن سَهْل ، فأتيتُه ، وقد كنتُ قلت فى السفينة شعراً ، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له ، فعَرَفنى ، فقال : ما قلتَ فيه شيئا ؟ فقال له رجل كان معى : بلى ، قد قال أبياتاً وهو فى السفينة ؛ فسألنى أن أُنْشِدَه ، فأنشدته قولى :

١٦٣/١٢

(١) فى الأصول : « عنك » وهو تحريف . (٢) أحشمنى : أغضبنى .
(٣) أعذر : أبدى عذرا وبالغ فيه . (٤) الشطر الثانى من هذا البيت ساقط فى الأصول . وهذه الأبيات كتبت فى النسخة المخطوطة شطرا تحت شطر .

وقالوا لو مدحتَ فَــتًى كريمًا * فقلتُ وكيف لى بفــتًى كريم؟
بَلَوْتُ النــاسَ مُذْ خمسين عامًا * وحَسْبُك بالمُجَــرِّبِ من عالــم
فما أحدٌ يُعَــدُّ ليــوم خــير * ولا أحــدٌ يعــود ولا حمــيم[1]
ويعجبنى الفــتى وأظنّ خيرا * فأكشف منه عن رجل لئــيم
تَقَيَّــلَ بعضُهم بعضًــا فأضحَــوْا * بنى أبَوَيْنِ قُــدًّا من أديــم[2]
فطاف النــاسُ بالحَسَن بن سَهْلٍ * طَوَافَهُــمُ بزَمْزَمَ والحَطِــيم[3]
وقالوا سَــيِّدٌ يُعْطِى جزيــلًا * ويَكْشِف كُرْبَةَ الرجلِ الكَظِيم[4]
فقلتُ مضى بذَمِّ القــومِ شِــعْرى * وقد يُؤْتَى البَرِىءُ من السَّــقيم[5]
وما خَــبَرٌ تُرَجِّمُــه ظُنُــونى * بأشْــفَى من مُعَايَنــةِ الحَلِــيم[6]
بجئتُ وللأمــورِ مُبَشِّــراتٌ * ولن يَخْــفَى الأغَرُّ من البَهِــيم
فإنْ يَــكُ ماتَنَشَّر عنــه حَقًّــا * رجعت بأُهْبَــةِ الرجــلِ المُقِــيم[7]
وإن يَكُ غيرُ ذاكَ حَمِــدتُ ربِّى * وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيم
وما الآمالُ تَعْطِفُــنى عليــه * ولكنَّ الكريمَ أخــو الكريم

قال: فلمّا أنشدتُه هذا الشعر، قال لى: بمثل هذا الشعر تلقَى الأمير! والله لو كان نَظِيرَكَ لَمَا جاز أن تُخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إننى لم أمدحه بعدُ، ولكننى سأمدحه مدحًا يُشْبِه مثله. قال: فافعل، وأنزلنى عنده

(١) يلاحظ أن فى البيت إقــواء. (٢) فى الأصــول: «فــذا» وهو تصحيف. وتقيل: أشــبه. (٣) زمزم: بئر عنــد الكعبة. والحطيم: حجــر الكعبة (بكسر الحاء) أو جداره، أو مابين الركن وزمزم. (٤) الكظيم: المكروب. (٥) كلام مرجم: أى عن غير يقين. (٦) الأغر: ذو الغرة، وهى بيــاض فى الجبهة. والبهيم: الأسود.
(٧) فى الأصول: «جهدت» وهو تصحيف. وفيها أيضا «حليم» وهو تصحيف.

ودخل إلى الحسن فأخبره بخبرى وعجّبه من جَوْدة البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بإدخالى إليه بغير مدح ، فأُدخلت إليه . فأمرنى أن أُنشد هذا الشعر ، فآستعفيته فلم يُعْفِنى ، وقال : قد قَنِعْنا منك بهذا القدر إذ لم تُدخِلْنا فى جملة من ذممتَ ، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة . فأنشدته إيّاه ؛ فضحك وقال : ويحك ! مالكَ وللناس تَعُمُّهم بالهجاء ؟ حَسْبُك الآن من هذا النَمَط وأَبْقِ عليهم . فقلت : وقد وهبتهم للأمير . قال : قد قَبِلْتُ ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أُهديتْ إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها . ثم وصلنى فأجزل وكسانى . فقلت فى ذلك وأنشدته :

وهبتُ القومَ للحَسَن بن سَهْلٍ * فعوّضَنى الجزيلَ من الثّوابِ
وقال دَعِ الهجاءَ وقُلْ جميلاً * فإنّ القصدَ أقربُ للصّواب (١)
فقلت له : برِئتُ إليكَ منهم * فليتَهُمُ بمُنْقَطَعِ التّرابِ (٢)
ولولا نعمةُ الحَسَنِ بن سهلٍ * علىّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العذابِ (٣)
بشعرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منه * يُشَبَّه بالهجاء وبالعِتابِ
أُكيدُهُمُ مُكايَدةَ الأعادى * وأَخْتِلُهُمْ مُخاتلةَ الذّئابِ (٤)
بَلَوْتُ خيارَهم فبَلَوْتُ قوماً * كُهولُهُمُ أخسُّ من الشّبابِ
وما مُسِخُوا كلاباً غيرَ أنّى * رأيتُ القومَ أشباهَ الكلابِ

قال : فضحك وقال : ويحك ! الساعةَ ابتدأتَ بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ . فقلت : هذه بُغْيةٌ طَفَحتْ على قلبى ، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأميرَ .

(١) القصد : استقامة الطريق .
(٢) بمنقطع التراب : أى بالمكان النائى الموحش الذى انقطع وطء ترابه واجتيازه ، أو القبر .
(٣) فى الأصول : «سوم العذاب» تحريف .
(٤) ختله كضرب ونصر : خدعه .

شعره في صديق تغيّر عليه

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ قال :

كان لمحمد بن حازم الباهليّ صديقٌ على طُول الأيام، فنال مرتبةً من السُّلْطان وعَلَا قَدْرُه، بجفا محمدًا وتغيّر له؛ فقال في ذلك محمد بن حازم :

٥
وَصْلُ المُلوكِ إلى التَّعالِي * ووَفَا المُلوكِ من المُحَالِ
مالِي رأيتُكَ لاتَدُو * مُ على المَوَدَّةِ للرجالِ
إنْ كان ذَا أَدَبٍ وظَر * فٍ قلتَ ذاكَ أخو ضَلالِ (١)
أو كان ذا نُسُكٍ ودِيـ * ـنٍ قلتَ ذاكَ من الثِّقالِ (٢)
أو كان في وَسَطٍ من الـ * ـأمْرَيْنِ قلتَ يُرِيغُ مالِى (٣)
١٠ فبِمِثْلِ ذا ـ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ـ تبتغى رُتَبَ المعالى ؟

خبره مع إبراهيم ابن المهدى

حدّثني الحسن قال حدّثني ابن مهرويه قال : حدّثني الحسن بن عليّ الشيبانيّ قال :

كان محمد بن حازم الباهليّ قد نَسَك وترك شُرْبَ النبيذ ، فدخل يومًا على إبراهيم بن المهديّ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعام، ثم جلسوا للشَّراب؛ ١٥ فسأله إبراهيم أن يشرب، فأبى وأنشأ يقول :

أبعد خمسين أَصبو ؟ * والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجَهْلٌ ! * أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يا بنَ الإمامِ فهَلّا * أيّامَ عُودِى رَطْبُ !

(١) أى إن كان الرجل ذا أدب .

٢٠ (٢) النسك مثلثة وبضمتين : العبادة . (٣) فى الأصول « يريع » وهو تصحيف ويريغ : يريد ويطلب .

وشَيْبُ رأسى قليلٌ * ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ
وإذْ سِهامى صِيَابٌ * ونَصْلُ سَيْفِى عَضْبُ (١)
وإذْ شِفاءُ الغَوانى * مِنِّى حديثٌ وقُرْبُ
فالآن لمَّا رأى بى الـ * ـعُذَّالُ لى ما أحَبُّوا
وأقْصَرَ الجهلُ مِنِّى * وساعَدَ الشَّيْبَ لُبُّ
وآنَسَ الرُّشْدَ مِنِّى * قومٌ أعاب وأصبو
آليتُ أشربُ كأسًا * ما حَجَّ لِلّهِ رَكْبُ

خبره مع النوشجانى

حدّثنى الحسن قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنى الحسن بن أبى السَّرِىّ قال:

وعد النُّوشَجانىّ محمد بن حازم شيئا سأله إيّاه ثم مطله، وعاتبه فلم ينتفع بذلك، واقتضاه (٢)، فأقام على مَطْله؛ فكتب إليه:

أبَا بِشْرٍ تَطاوَلَ بِى العِتَابُ * وطالَ بِىَ التَّرَدُّدُ والطِّلَابُ
ولم أتركْ من الأعذارِ شيئًا * ألامُ بهِ وإن كَثُرَ الخِطَابُ
سألتُكَ حاجةً فطويتَ كَشْحًا (٣) * على رَغْمٍ، وللدهرِ انقلابُ
وسُمْتَنِيَ الدَّنِيَّةَ مُسْتَخِفًّا (٤) * كما خُزِمتْ بآنُفِها الصِّعابُ
كأنَّك [كنتَ] (٥) تطلُبنى بثأرٍ * وفى هذا لك العَجَبُ العُجَابُ
فإن تَكُ حاجتى غَلَبَتْ وأعيتْ (٦) * فمعذورٌ، وقد وَجَبَ الثوابُ

١٦٥
١٢

(١) صياب: جمع صائب كصاحب وصحاب. وصائب، يجوز أن يكون من صاب السهم يصوب، أو صاب يصيب، لغة فى أصاب. (٢) اقتضى دينه وتقاضاه بمعنى. (٣) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف. وطوى كشحه عنه: أعرض عنه وقطعه. وطوى كشحه على الأمر: أضمره وستره. (٤) سامه الذل: كلفه إياه وأراده عليه. وآنف: جمع أنف. والصعاب: جمع صعب، وهو من الإبل ضدّ الذلول. (٥) ساقطة من ب. (٦) أعياه الأمر وأعيا عليه: عجز عنه.

وإن يك وَقتُها شَيْبَ الغُراب * فلا قُضيتْ ولا شابَ الغُرابُ
رجوتُك حين قِيل لى آبنُ كِسْرى * وإنَّك سِرُّ مُلْكِهِمُ اللُّبابُ
فقد عَجِّلْتَ لى من ذاك وَعْدًا * وأقربُ من تَنَاوله السَّحابُ
وكلٌّ سوف يُنْشَرُ غيرَ شَكٍّ * ويَحْمِلُه لِطِيَّتِه[1] الكتابُ

خبره مع بعض ولد سعيد بن سالم

أخبرني الحسن قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني الحسن بن أبي السَّرِيّ قال: قصد محمد بن حازم بعضَ وَلَدِ سَعيدِ بن سالم وقد وَلِي عملًا، واسترفده[2]؛ فأطال مُدّته ولم يُعْطِه شيئا؛ وانصرف عنه وقال:

أللدُّنْيا أُعِدُّكَ يا بنَ عَمّى * فأَعْلَمَ أم أُعِدُّك للحسابِ
إلى كَمْ لا أراكَ تُنِيلُ حتّى * أَهُزَّكَ! قد بَرِئتُ من العتاب
وما تنفكُّ من جَمْعٍ ووضعٍ * كأنّك لستَ تُوقِنُ بالإيابِ
فشَرُّكَ عن صديقك غيرُ ناءٍ * وخَيْرُك عند مُنْقَطَعِ التراب
أتيتُك زائرًا فأتيتُ كلبًا * فَحَظِّى من إخائك للْكِلابِ
فبئس أخو العشيرةِ ما عَلِمْنا * وأخبثُ صاحبٍ لأخى اغترابِ
أيَرْحَلُ عنك ضَيْفُك غيرَ راضٍ * ورَحْلُك واسعٌ خِصْبُ الجَنابِ
فقد أصبحتَ من كرمٍ بعيدًا * ومن ضِدِّ المكارم فى اللُّبابِ
وما بِيَ حاجةٌ بِجَداك[3] لكن * أَرُدُّك عن قبيحك للصّوابِ

(١) فى الأصول «لطيتها» وهو تحريف. يقال: مضى لطيته، أى لوجهه الذى يريده. ونيته التى انتواها.   (٢) استرفده: طلب رفده، أى صلته وعطاءه.

(٣) الجدا والجدوى: العطية.

تمثل المتوكل بشعره حينا غاضبته قبيحة

حدّثنى عمّى قال : حدّثنى يزيد بن محمد المهلّبى قال :

كنّا عنـد المتوكل يومًا وقد غاضبتْه قَبِيحةُ ، فخرج إلينا فقال : مَنْ يُنْشِـدُنى منكم شـعرًا فى معنى غَضَب قبيحةٍ علىّ ، وحاجتى أن أَخْضَعَ لهـا حتى ترضى ؟ فقلت له : لقد أحسنَ محمد بن حازمٍ الباهلىّ يا أمير المؤمنين حيث يقول :

صفحتُ برَغْمِى عنكَ صَفْحَ ضرورةٍ * إليك وفى قلبى نُدُوبٌ من العَتْبِ (١)

خضعتُ وما ذَنْبِى إنِ الحُبّ عَزّنِى (٢) * فأغضيتُ صفحًا عن معالجَة الحبِّ

وما زال بى فقـرٌ إليك مُنَـازِعٌ * يُذَلّل منّى كلَّ مُمْتَنِـع صَـعْبِ

إلى الله أشكو أنّ وُدّى مُحَصَّـلٌ (٣) * وقلبى جميعًا عنـد مُقْتَسِمِ القَلْبِ

— الغناء لعُبَيْدَة الطُّنْبوريّة رملٌ بالوسطى — قال : أحسنتَ وحيـاتى يا يزيد ! وأمر بأن يُغَنّى فيه ، وأمر لى بألف دينار .

هجاؤه بنى نمير

حدّثنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنا علىّ بن خالد البرمكىّ قال :

سافر محمد بن حازم الباهلىّ سفرًا ، فمرّ بقومٍ من بنى نُمَـيْر ، فسألوا منه بعيرًا له عليه ثَقَلُهُ (٤) ؛ فقال يهجوهم :

١٦٦/١٢

نُمَـيْرُ : أَجُبْنًا حيث يختلف القنَا * ولُؤْمًا وبُخْـلًا عند زادٍ ومِزْوَدِ (٥) ؟

ومَنْعَ قِرَى الأضيافِ من غيرِ عِلّةٍ * ولا عَدَمٍ ، إلا حِـذَارَ التّعَـوُّدِ

وبَغْيًا على الجارِ الغريبِ إذا طَرَا * عليكم وخَتْـلَ الرّاكبِ المتفرّدِ (٦)

(١) فى جـ «يذوب من العقب» وهو تحريف . (٢) عزنى : غلبنى . (٣) محصل : مجمع ثابت . (٤) فى الأصول : «فسلوا عليه بعيرا ...» ، وسلوا : استلوا . والثقل : متاع المسافر . (٥) المزود : وعاء الزاد . (٦) طرأ على القوم : أتاهم من غير أن يعلموا . وفى الأصول «طرأ إليكم» . والختل : الخدع .

على أنكم تَرْضَوْنَ بالذُّلِّ صاحبًا * وتُعْطُون مَنْ لاحَاكُمُ الضَّيمَ عن يَدِ[1]

أمَا وأبى إنّا لَنَعْفُـو وإنّنـا * على ذاك أحيانًا نَجُـورُ ونعتدى

نَكِيدُ العِـدَا بالحِلْمِ من غير ذِلّةٍ * ونَغْشَى الوَغَى بالصِّدْق لا بالتَّوَعُّد

نَفَى الضَّيمَ عنّـا أنفسٌ مُضَرِيّةٌ * صِرَاحٌ[2] وطَعْنُ الباسـلِ المُتَمرِّدِ

وإنّا لمن قَيْسِ بن عَيْلانَ فى الّتى * هى الغايةُ القُصْوَى بعِزٍّ وسُودَدِ ٥

وإنَّ لنـا بالتُّرْكِ قَـبْرًا مُبَارَكًا * وبالصِّـينِ قبرًا عِزَّ كلِّ مُوحِّدِ[3]

وما نَابَنـا[4] صَرْفُ الزمان بِسَـيِّدٍ * بَكَيْنا عليه أو يُوَافِى بسَـيِّدِ

ولو أنَّ قوما يَسْلَمُونَ من الرَّدَى * سَـلِمْنا ولكنّ المنـايا بِمَرْصَـدِ[5]

أبَى الله أن يَهْدِى نُمَيْرًا لِرُشْدِها * ولا يَرْشُـدُ الإنسانُ إلا بمُرْشِـدِ

هجاؤه عاملا لمحمد ابن حامد على الأهواز

١٠ حدّثنى الحسن بن علىّ قال: حدّثنى محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَد البَخْتَكان[6] من الأهوازِيِّين، أنّ محمد بن حامد وَلِى بعضَ كُوَر الأهواز فى أيّام المأمون، وأنّ محمد بن

---

(١) لاحاه: نازعه. وعن يد: عن ذلة. (٢) فى الأصول: «صراخ بالخاء المعجمة» وهو تصحيف. (٣) فى الأصول «وإنا» تحريف. يفتخر فى هذا البيت بمآثر قتيبة بن مسلم الباهلى — وهو باهلى مثله — ويتمدّح بفتوحه التى كان فيها عز الإسلام والمسلمين. وذلك أن الحجاج

١٥ ولاه خراسان فغزا بلاد ما وراء النهر، وافتتح بخارى وسمرقند وخوارزم؛ ووصل فى فتوحه إلى كشغر من بلاد الصين، وقتل سنة ٩٦ هـ. (٤) فى الأصول: «وما فاتنا» وهو تحريف، وفى حـ «فبينا طلبهـا» وفى ب، س «يثبنا عليها» وهو تحريف. (٥) أخذه من قول عدىّ: «وإن المنايا للرجال بمرصد». رصده كنصر: قعد له على طريقه. والمرصد والمرصاد: الطريق.

(٦) البختكان: هو والد بزرجمهر الوزير العادل لأنوشروان ملك الفرس. وقـد اشتهر هذا الوزير

٢٠ برجاحة عقله وحكمته، وأثرعنه كثير من الحكم البليغة، وأحضر جملة كتب من الهند، وترجمها إلى اللسان البهلوى، وعمر طويلا، وتوفى زمن هرمز الثالث بن أنوشروان بين سـنة ٥٨٠، وسنة ٥٩٠ م. انظر قاموس الأعلام لشمس الدين سامى.

حازِم الباهلىّ قَدِم عليه زائرًا ومَدَحه ، فوَصله وأحسن إليـه ، وكتب له إلى تُسْتَر(١) بحِنْطةٍ وشعير ، فمضى بكتابه ، وأخذ ما كُتِب له به ، وتزوّج هناك امرأةً من الدَّهاقِين(٢) ، فزَرَع الحِنْطة والشعير فى ضَيْعَتها ؛ وولّى محمـد بن حامِد رجلاً من أهل الكوفة الخَرَاج بِتُسْـتَرَ ، فوكل بِغَلَّةِ محمـد بن حازِم ، وطالبـه بالخراج فأدّاه ، فقال يهجوه :

زَرَعنا فلمّـا سلّم الله زَرْعَنا * وأوفى عليــه مِنْجَلٌ بحَصَـادِ(٣)
بُلِينَـا بكُوفِىٍّ حَلِيفِ مَجَـاعةٍ * أَضَرَّ علينا من دَبًا وجَرادِ(٤)
أتى مُسْتَعِدًّا ما يُكَذِّبُ دونه(٥) * وجَدٍّ بإرغامٍ لـه وبِعَـادِ
فطَوْرًا بإلحاحٍ علىَّ وغِلْظَةٍ * وطـورًا بخَبْطٍ دائمٍ وفسـادِ
ولولا أبو العبّاس أعنى ابنَ حامِدٍ * لرَحّلْتُه عن تُسْتَرٍ بسَـوادِ
فكُفُّوا الأذى عن جارِكم وتَعَلَّمُوا * بأنّى لكم فى العالَمين مُنَـادِى

فبعث محمد بن حامِد إلى عامله فصَرَفه عن الناحية ، وقال له : عَرَّضتنى لِمَـا أَكْرَه ، واحتمل خراج محمد بن حازم .

أخبرنى محمد بن الحسـين بن الكِنْدِىّ المؤدِّب قال : حدّثنا الرِّياشى قال : سمعتُ الأصمعىّ يقول :

(١) تستر : مدينة كبيرة بالأهواز .
(٢) الدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحى العجم ، ورئيس الإقليم .
(٣) أوفى عليه : أشرف . (٤) الدبا : أصغر الجراد والنمل . (٥) ما يكذب دونه ، أى ما ينثنى عن الزرع حتى يستولى على حصة الخراج منه ؛ من قولهم : حمل عليه فما كذب (بالتشديد) : أى ما انثنى وما جبن وما رجع .

وصفه للشيب

قال هذا الباهليُّ محمد بن حازمٍ فى وصف الشَّيْب شيئاً حَسَناً، فقال له أبومحمد الباهليّ : تعنى قولَه :

كفاك بالشيب ذنبًا عند غانيةٍ * وبالشَّبَابِ شفيعًا أيُّها الرَّجُلُ

فقال : إيَّاهَ عنَيتُ . فقال له الباهليّ : ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدَثِين أحسنَ منه .

خبره مع محمد ابن زبيدة

٥ حدّثنى عمِّى قال : حدّثنا حسين بن فَهْم قال : حدّثنى أبى قال :

١٦٧/١٢ دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير، فدعاه إلى أن يشرَب معه، فامتنع وقال :

أبعد خمسين أصبو * والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ

سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ ! * أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ

١٠ يآبنَ الإمامِ فهلّا * أيَّامَ عُودِى رَطْبُ!

وشيبُ رأسى قليلٌ * ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ

وإذْ شِفَاهُ الغَوَانِى * منِّى حديثٌ وشُرْبُ

الآن حين رأى بى * عَوَاذِلى ما أَحَبُّوا!

آليتُ أشرَبُ كأساً * ما حجَّ لله رَكْبُ

١٥ قال : فأعطاه محمد بن زبيدة ووَصله .

أخبار ابن القَصّار ونسبه

نسبه

اسمه فيما أخبرنى به أبو الفضل بن بُرْد الخِيَار[١]، سليمان بن علىّ. وذكره جحظة فى كتاب الطُّنْبُورِيِّين[٢]، فتَلَّه[٣] فى نفسه وأخلاقه ومَدَح صَنْعته، وقال: مما أَحْسَنَ فيه قوله:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ لاحَ فى فَحْمةِ الدُّجَى * فأذكَرَنى الأحبابَ والمنزلَ الرَّحْبا

٥

قال: وهذا خفيف رمل مطلق. ومما أحسن فيه أيضًا:

تعالَىْ نُجَدِّدُ عهدَ الصِّبَا * ونَصْفَحُ للحُبِّ عمّا مَضَى

ثلبه جحظة وتنادر عليه

وهو خفيف رمل مطلق أيضا. وذكر أنه كان مع أبيه قَصّارا[٤]، وتعلّم الغناء فبَرَع فيه. ومن طَيِّب ما ثَلَبه به جَحْظة وتَنَادَر عليه[٥] به — وأراها مصنوعةً — أنّه مرّ

---

(١) كذا فى الأصول، ويؤيد هذا ما ورد فى معجم البلدان (فى «ناحية» ج ٤ : ٧٢٧ طبع أوربة): «قرأت بخط بعض الفضلاء الأئمة وهو أبو الفضل العباس بن على المعروف بابن برد الخيار» بالراء أيضا. وجاء فى معجم الأدباء (ج ١ : ص ٢٦٩ طبع هندية فى ترجمة إبراهيم بن عباس الصولى): «واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات وابن برد الخباز» بالزاى.

١٠

(٢) أى الضاربين بالطنبور، وهو من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة أوتار. فارسىّ معرّب.

(٣) فى الأصول «قبله» وهو تصحيف: يقال: تل فلانا بتلة سوء (بكسر التاء): أى رماه بأمر قبيح.

١٥

(٤) القصار والمقصر: محوّر الثياب ومبيضها؛ لأنه يدقها بالقصرة وهى القطعة من الخشب. وحرفته القصارة بالكسر.

(٥) ثلبه: عابه. وجاء فى أساس البلاغة «وفلان يتنادر علينا». ومعناه يحدّثنا بالنوادر والملح، وفى الأصول: «وتبادر» وهو تصحيف.

٢٠

يومًا على أبيه(٣) ، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز(١) نبيذ ، وجوامرجة(٢) مذبوحة مسموطة ، فقال : الحمد لله الذى أرانى ابنى قبل موتى يأكل لحم الجواميرات ، ويشرب نبيذ القاطرميزات(٤) .

وحدّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القصّار غنّى له يوما بحبلٍ ودلوٍ ، وأنّ إسماعيل بن المتوكّل وهب له مائتى أُترُجّة(٥) كانت بين يديه ، فباعها بثلاثة دنانير ، وأنه يحمل بلبكيذه(٦) إلى دار السلطان ، وله فيه خبزٌ وجبنٌ فيأكله ، ويحمل فى البلبكيذ ما يوضع بين يديه فى دار السلطان ، فيدعو إخوانه عليه . وأكثر من ثلب الرجل مما لا فائدةَ فيه . ولو أراد قائلٌ [أنْ](٧) يقول فيه ما لا يبعُد من هذه الأخلاق لوجد مقالًا واسعا ، ولكنه مما يقبح ذكره ، سيّما وقد لقيناه وعاشرناه .

١٠ عفا الله عنا وعنه .

---

(١) كلمة فارسية ، جاء فى شفاء الغليل ص ١٦٥ : « قطرميز : قلة كبيرة من الزجاج معروفة ؛ قال الشاعر :

أنا لا أرتوى بطاس وكاس * فاسقنيها بالزق والقطرميز

وكذلك جاء فى معجم دوزى : « قطرميز : إناء زجاجى برقبة قصيرة وفوهة واسعة » . أقول : ومن البيت

١٥ المذكور يرى أن الطاء ساكنة والراء محركة .

(٢) هكذا فى الأصول . وفى الفارسية : « الجوجة : الفروجة » . وأكبر ظنى أن تلك الكلمة هى المرادة ؛ بدليل قوله « مذبوحة مسموطة » .

(٣) سمط : نتف شعرها بالماء الحار .

(٤) فى حـ : « لحم الجوانيرات ... نبيذ القامرطيرات » .

٢٠ (٥) الأترج : فارسية وعربيته « متك » كقفل انظر كتب اللغة .

(٦) المفهوم من السياق أن تلك الكلمة معناها : حقيبة كان يضع فيها حاجاته . ولعلها كانت من جلد النمر . فالظاهر أن صوابها « پلنكينة » .

(٧) زيادة يقتضيها المقام .

كان مفضلا بحضرة السلطان

أخبرنا ذُكَاء وجه الرُّزّة قال : كنا نجتمع مع جماعة فى الطُّنبُوريِّين، ونشاهدهم فى دُور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضلَ من المسرور وعمر المَيْدانى وابنِ القصّار .

خبره مع زوج البلورى

وحدّثتنى قُمْرِيّة البَكْتَمُرِيّة قالت : كنت لرجلٍ من الكُتّاب يُعرَف بالبَلُّورِىّ، وكان شيخًا ، وكانت سِتّى[1] التى ربّتنى مولاته[2]، وكانت مُغَنِّيةً شَجِيّةَ الصَّوتِ حَسَنة الغناء ، وكانت تَعْشَق ابن القصّار ، وكانت علامةُ مصيره إليها أن يجتاز فى دِجْلةَ وهو يُغنّى، فإنْ قَدَرتْ على لقائه أوصلتْه إليها ، وإلّا مضى . فأذكره وقد اجتاز بنا فى ليلةٍ مُقمِرةٍ وهو يُغنّى خفيفَ رَمَلٍ قال :

١٦٨ / ١٢

أنا فى يُمْنَى يَدَيْهَا * وهى فى يُسْرَى يَدَيْهْ

إنّ هذا لَقَضاءٌ * فيه جَوْرٌ يا أُخَيّهْ

ويُغنّى فى آخِره رَدّه :

* وَيْلَ وَيْلِى يا أُبَيَّهْ[3] *

وكانت سِتّى واقفةً بين يَدَىْ مولاها، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ : أحسنت

(١) فى القاموس : « وستّى للمرأة أى يا ست جهاتى ، أو لحن والصواب سيدتى » . وفى شرح القاموس : « قوله : والصواب سيدتى : ويحتمل أن الأصل سيدتى فحذف بعض حروف الكلمة ، وله نظائر، قاله الشهاب القاسمى . ونقل شيخنا عن السيد عيسى الصفوى ما نصه : ينبغى ألا يقيد بالنداء، لأنه قد لا يكون نداء . قال : والظاهر أن الحذف سماعى ، وأن النداء على التمثيل لا أنه قيد كما توهموه اهـ . ويروى المعرى فى رسالة الغفران :

ست إن أعياك أمرى * فاحمليني زقفونه

(٢) فى جـ محل هذه الكلمة « له » .

(٣) فى الأصول « ويل ويلى » ولا يستقيم به الوزن .

والله يارجلُ! فتَفَضَّلْ وأعِد، ففعل وشَرِب رطلا وانصرف، وعَلِم أنه لايَقْدِر على الوصول إليها . وكان مولاها يعرف الخبر، فتغافلَ عنها لمَوْضعها من قلبه ؛ فلا أذكُر أنّى سمعت قطُّ أحسنَ من غنائه .

صوت

باح بالوجدِ قلبُك المُسْتَهامُ * وجرتْ فى عِظامك الأسقامُ
يوم لا يملك البكاءَ أخو الشَّوْ * قِ فيُشْفَى ولا يُرَدُّ سلامُ ٥

لم يقع إلىّ قائلُ هذا الشعر . والغناء لمعبد اليَقْطِينىّ ثانى ثقيل بالبِنْصَر عن أحمد بن المكىّ .

أخبار معبد

نسبه

كان مَعْبَدٌ اليَقْطِينِىّ غلاماً مُوَلَّدا خِلاسيّاً[(١)] من مُوَلَّدِى المدينة ، اشتراه بعضُ وَلَد علىّ بن يَقْطِين . وقد شَدَا[(٢)] بالمدينة ، وأخذ الغِناء عن جماعةٍ[(٣)] من أهلها ، وعن جماعة[(٣)] أخرى من عِلْيَة المُغَنِّين بالعراق فى ذلك الوقت ، مثل إسحاق وابن جامع وطَبقتهما ، ولم يكن فيما ذُكِر بطيِّب المسموع ، ولا خَدَم أحدًا من الخلفاء إلا الرشيدَ ، ومات فى أيامه ، وكان أكثرُ انقطاعه إلى البرامكة .

أخبرنى عمّى الحسن بن محمد قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال : حدّثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعىّ قال : حدّثنى مَعْبَدٌ الصغير المُغَنِّى مولى علىّ بن يقطين قال :

خبره مع غلام من المدينة

كنت منقطعًا إلى البرامكة ، آخذ منهم وأُلازمهم . فبينا أنا ذاتَ يوم فى منزلى إذا بابى يُدَقّ ، فخرج غلامى ثم رجع إلىّ فقال : على الباب فتًى ظاهرُ المروءة يستأذِن عليك ؛ فأذنتُ له . فدخل علىّ شاب ما رأيتُ أحسنَ وجهًا منه ، ولا أنظف ثوبًا ، ولا أجملَ زِيًّا منه ، من رجلٍ دَنِفٍ عليه آثارُ السَّقَم ظاهرة ، فقال لى : إنِّى أرجو[(٤)] لُقَاكَ منذ مُدّةٍ فلا أجِدُ إليه سبيلا ، وإنّ لى حاجة . قلت : ماهى ؟ فأخرجَ ثلثمائة دينار فوضعها بين يَدَىّ ، ثم قال : أسألك أن تقبلها وتَصْنع فى بيتين قلتُهما لحنًا تُغَنِّينى به . فقلت : هاتهما ، فأنشدهما ، وقال :

(١) الخلاسى : الولد بين أبوين أبيض وأسود .

(٢) فى الأصول « شذا » وهو تصحيف .

(٣) فى الأصول : « من جماعة » .

(٤) فى جـ : « أخاف » وهو خطأ .

صوت

والله ياطَرْفِيَ الجانِي على بَدَنِي * لَتُطْفِئَنَّ بدَمْعِي لوعةَ الحَزَنِ
أو لأبُوحَنَّ حتّى يَحْجُبُواسَكَنِي(١) * فلا أراه ولو أُدْرِجْتُ في كَفَنِي

— الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوُسْطَى — قال: فصنعت فيهما لحنًا ثم غَنّيته إيّاه؛ فأُغْمِي عليه حتى ظننته قد مات. ثم أفاق فقال: أعِدْ فديتك! فناشدته اللهَ في نفسه وقلت: أخشَى أن تموت. فقال: هيهات! أنا أشقَى من ذاك. ومازال يخضع لي ويتضرّع حتى أعدتُه، فصَعِق صعقةً أشدَّ من الأولى، حتى ظننت أنّ نفسَه قد فاظت. فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتُها بين يديه، وقلت: ياهذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي؛ فقد قضيتَ حاجتك، وبلغتَ وطَرًا(٢) ممّا أردته، ولستُ أُحبُّ أن أَشْرَكَ في دَمِك. فقال: ياهذا! لا حاجةَ لي في الدنانير. فقلت: لا والله ولا بعشَرَة أضعافها إلا على ثلاث شرائط. قال: وماهنّ؟ قلت: أولها أن تُقيم عندي وتتحرّم بطعامي، والثانية أن تَشربَ أقداحًا من النّبيذ تَشُدُّ قلبَك وتُسَكِّن مابك، والثالثة أن تُحدّثني بقصّتك. فقال: أفعل ماتريد. فأخذتُ الدنانير، ودعوتُ بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعذِر(٣)، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحًا، وغنّيته بشعرٍ غيره في معناه، وهو يشرب ويبكى. ثم قال: الشرط أعزّك الله، فغنّيته، فجعل يبكى أحرَّ بكاء ويَنْشِج(٤) أشدّ نَشيج

(١) سكنى: محبوبي الذي أسكن إليه. (٢) في الأصول: «نظرا» وهو تحريف، والوطر: الحاجة. (٣) أعذر: أبدى عذرا، وثبت له عذر.
(٤) نشج الباكي كضرب نشيجا: وهو مثل بكاء الصبي إذا ضرب فلم يخرج بكاءه وردّد صوته في صدره.

ويتنحب . فلما رأيت مابه قد خفّ عما كان يلحقه ، ورأيتُ النّبيذ قد شدّ من قلبه، كررت عليه صوته مراراً، ثم قلتُ : حدّثنى حديثك . فقال : أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجتُ متنزّهاً فى ظاهرها وقد سال العقيق(١)، فى فتية من أقرانى وأخدانى(٢)، فبصُرنا بقينات قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حَجْرةً(٣) منّا ، وبصُرتُ فيهنّ بفتاةٍ كأنها قضيبٌ قد طلّه النّدى ، تنظر بعينين ما ارتدّ طرفُهما إلّا بنفْس مَن يُلاحظهما . فأطلنا وأطلْن ، حتى تفرّق الناس ، وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبقتْ بقلبى جُرْحا بطيئا اندمالُه(٤) . فعُدْتُ إلى منزلى وأنا وَقيذٌ(٥) . وخرجتُ من الغد إلى العقيق، وليس به أحدٌ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثرا . ثم جعلتُ أتتبّعها فى طُرُق المدينة وأسواقها ، فكأنّ الأرض أضمرتْها ، فلم أحِسّ لها بعين ولا أثر، وسَقِمتُ حتى أيِس منّى أهلى . ودخلتْ ظِئْرى(٦) فآستعلمتْنى حالى، وضَمِنَتْ لى حالها والسعى فيما أُحِبّه منها ، فأخبرتُها بقصّتى، فقالت : لا بأسَ عليك! هذه أيام الربيع، وهى سَنَة خِصْبٍ وأنواء، وليس يَبْعُدُ عنك المطَر، وهذا العقيق، فتخرُج حينئذٍ وأخرج معك ؛ فإن النسوة سيجئن . فإذا فعلن ورأيتَها تبعتُها حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسعى لك فى تزويجها . فكأنّ نفسى اطمأنت إلى ذلك، ووثقتْ به وسكَنَتْ إليه؛ فقَوِيتُ وطَمِعْتُ وتراجعتْ نفسى ، وجاء مطر بعَقِب ذلك ، فأسالَ الوادىَ ، وخرج النّاسُ وخرجتُ مع إخوانى إليه ، فجلسنا مجلسَنا الأوّل بعَيْنه، فما كنّا والنسوة إلا كفَرَسَىْ رِهانٍ . وأومأتُ إلى ظِئْرى فجلستْ حَجْرةً منّا ومنهنّ، وأقبلتُ على إخوانى فقلت : لقد أحسن القائلُ حيث قال :

---

(١) العقيق : موضع بالمدينة مما يلى الحرة إلى منتهى البقيع . (٢) أخدان : جمع خدن بالكسر، وهو الصديق . (٣) حجرة : ناحية . (٤) اندمل الجرح : برئ . (٥) وقيذ : صريع . (٦) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

رَمَتْنِى بسهم أَقْصَدَ(١) القلبَ وانثنتْ * وقد غادرتْ جُرْحًا به ونُدُوبًا

فأقبلتْ على صواحباتها فقالت : أحسنَ والله القائل ، وأحسَنَ مَنْ أجابه حيث يقول :

بِنَا مثلُ ما تَشْكُو ، فصَبْرًا لعلّنا * نرى فَرَجًا يَشْفِى السَّقَامَ قَرِيبَا

٥ فأمسكتُ عن الجواب خوفًا من أن يظهر منّى ما يَفْضَحُنِى وإيّاها ، وعرفتُ ما أرادتْ . ثم تفرّق الناس وانصرفنا ، وتَبِعَتْها طِرْئى حتّى عرفتُ منزلَها ، وصارت إلىّ فأخذتْ بيدى ومَضَيْنَا إليها . فلم تزل تتلطّف حتّى وصلتُ إليها . فتلاقَيْنَا وتَدَاوَرْنا على حالِ مُخَالَسةٍ ومُرَاقَبة . وشاع حديثى وحديثُها ، وظَهَر ما بينى وبينها ، فحجبها أهلُها ، وتشدّد عليها أبوها . فما زِلتُ أجتهد فى لِقائها فلا أقدِر

١٧٠ / ١٢

١٠ عليه . وشكوتُ إلى أبى — لشدّة ما نالنى — حالى ، وسألته خِطْبَتها لى . فمضى أبى ومَشْيَخةُ أهلى إلى أبيها فخطبوها . فقال : لو كان بَدَأ بهذا قبل أن يَفْضَحَها ويَشْهَرَها لأسعفتُه بما التمس ، ولكنّه قد فَضَحها ، فلم أَكُنْ لأُحَقِّق قولَ الناس فيها بتزويجه إياها ؛ فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نَفْسِى . قال معبد : فسألته أن ينزلَ، فخَبَرَنى(٢) وصارت بيننا عِشْرةٌ . ثم جلس جعفر بن يحيى للشُّرْب فأتيتُه ؛

١٥ فكان أوّلَ صوتٍ غنّيته صوتى فى شعر الفتى، فطرِب عليه طَرَبًا شديدًا ، وقال : ويحك ! إنّ لهذا الصوت حديثًا، فما هو ؟ فحدثته، فأمر بإحضار الفتى، فأُحضر من وقته ، واستعاده الحديثَ ، فأعاده عليه . فقال : هى فى ذِمّتى حتى أُزَوِّجك إيّاها، فطابت نفسه ، وأقام معنا ليلَتنا حتى أصبح . وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدّثه الحديث، فعجب منه،وأمر بإحضارنا جميعًا،فأُحضرنا، وأمر بأن أُغنّيه الصوتَ

٢٠ (١) أقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٢) فى الأصول : « تخبرنى » تصحيف . وخبرنى الأمر (كنصر) وأخبرنى : سرنى .

فغنّته، وشرب عليه، وسمع حديثَ الفتى، فأمر من وقته بالكتّاب إلى عامل الحجاز بإشخاص الرّجُل وابنته وجميع أهله إلى حضرته، فلم يمض إلّا مسافة الطريق حتّى أُحضر. فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأُوصل، وخطب إليه الجاريةَ للفتى، وأقسم عليه ألا يُخالف أمرَه، فأجابه وزوّجه إيّاها، وحَمَل إليه الرشيدُ ألفَ دينار لجهازها، وألفَ دينارٍ لنفقة طريقه، وأمر للفتى بألف دينار، وأمر جعفرٌ لى وللفتى بألف دينار. وكان المدنىّ بعد ذلك فى جملة نُدَماء جعفر بن يحيى. ٥

صـــــوت

هل نَفْسُك المستهامة السَّدِمَهْ * سَالِيـــةٌ مَرّةً ومُعْـــتَرِمَهْ[1]

عن ذكر خَوْدٍ قَضَى لها المَلِكُ الْ * ـخالِقُ ألّا تُكِنّها ظُلُمَـــهْ[2]

الشعر لابن أبى الزوائد، والغناء لحَكَم رملٌ بالوُسْطَى عن الهشامىّ. ١٠

---

(١) فى الأصول: «ومفترمة». والسدمة: وصف من السدم: وهو الهم، وقيل: غيظ مع حزن.

(٢) الخود: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة. والظلمة (بضمة وبضمتين) والظلماء والظلام واحد.

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

نسبه

اسمه سُلَيمان بن يحيى بن زَيد بن مَعْبَد بن أيُّوب بن هِلَال بن عَوْف بن نضلَة ابن عُصَيَّة بن نَصر بن سَعْد بن بَكْر بن هوازِن بن مَنْصُور . ويقال له ابن أبي الزوائد أيضا . شاعرٌ مُقِلٌّ ، من مُخَضْرَمِي الدَّوْلَتين ، وكان يَؤُمُّ الناسَ في مسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

أخبرني بذلك محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدّثنا ابن أبي خَيْثَمَةَ عن بعض رجاله عن الأصمعيّ ، وأخبرني وكيعٌ قال : حدّثني طَلْحة بن عبد الله الطَّلْحيّ قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال :

شعره في جارية كان يتعشقها

كان ابن أبي الزوائد يَتَعَشَّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهَيْبِيّين[1] ، وكان يَخْتَلِف إليها وهي في النَّخْل بحاجزة . فلمّا حان الجَدَادُ قال :

جُبَيْجُ أمسَى جَدَادُ حاجزةٍ * فليتَ أنّ الجَدَادَ لم يَحِنِ[2]

وشَتَّ بَيْنٌ وكُنْتِ لِي سَكَنًا * فيما مَضَى كان ليس بالسَّكَنِ[3]

---

(١) نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي ، وهو من النمر بن قاسط ، سبته الروم وهو غلام صغير ، فنشأ بالروم ، ثم ابتاعته كلب منهم وقدمت به مكة ، فاشتراه منهم عبد الله بن جدعان وأعتقه . وقد أسلم وهاجر إلى المدينة وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات بالمدينة سنة ٣٨ هـ ودفن بالبقيع .

(٢) جد النخل كنصر جدا وجدادا ، كسحاب وكتاب : صرمه وقطعه . وأمسى هنا تامة . والمفهوم من السياق أنه ينادي معشوقته فيقول : ياجبيج حان قطع وحاجزة اسم البقعة التي كان فيها النخل .

(٣) شت كضرب : فرق . والبين هنا : البعد والفراق .

١٧١
١٢

قد كان لِى مِنْكِ ما أُسَرُّ به * وليتَ ما كان مِنْكِ لم يَكُن(١)

نَعِفُّ فى لَهْـونا ويجمعُنـا الـ * ـمَجْلِسُ بين العريش والجُرُن(٢)

يُعجِبُنا اللَّهْـوُ والحديثُ ولا * نَخْلِط فى لهْـونا هَنًا بِهَن(٣)

لَوْ قَدْ رحلتُ الحمارَ منكشفًا * لم أَرَها بَعْـدَها ولم تَرَنِى(٤)

٥ فقال له أبو محمـد الجُمَحِىُّ : إنّ الشعراء يذكرون فى شِعرِهم أنّهم رَحَلوا الإبلَ والنَّجائب، وأنتَ تذكر أنّك رَحَلْتَ حمارًا . فقال : ما قلتُ إلّا حقًّا، والله ما كان لى شىء أُرَحِّلُه غيره . قال : وقال فيها أيضا :

ياليتَ أنَّ العَـرَبَ اسْتَلْحَقُوا * رِيمَ الصُّهَيْبِيِّينَ ذاكَ الأَجَمْ(٥)

وكانَ منهـم فتزوّجتُـه * أوكنتُ من بعض رجال العَجَمْ

هجاؤه لأبى عبيدة ابن عبد الله

١٠ أخبرنى وكيع قال: حدّثنى طلحة بن عبد الله بن الزُّبَيْر بن بَكّار عن عَمّه قال : كان أبو عبيدة بن عبـد الله بن ربيعـة صديقًا لابن أبى الزوائد، ثم تباعد ما بينهما لشىء بلغ أبا عُبَيدةَ عنه، فهجره من أجله، فهجاه، فقال :

قطعَ الصفاء ـــ ولم أكن * أهلا لذاك ـــ أبو عُبَيْـدَهْ

لا تَحْسَبَنَّـكَ عاقـلًا * فَلأَنتَ أحمقُ من حُمَيْـدَهْ(٦)

١٥ حميدة : امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضْرَب بها المَثَلُ فى الحمق .

(١) فى ب، س : « وكان ما كان » . (٢) الجرن كقفل، والجرين : موضع تجفيف التمر وهو له كالبيدر للحنطة . وجمع جرين : أجرنة وجرن ككتق . (٣) الهن : كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة . (٤) رحل البعير كمنع : حط عليه الرحل .
(٥) ريم : مخفف رئم، وهو الظبى الخالص البياض، أجم : ليس له قرنان .
(٦) فى جـ : « من عبيدة » وهو خطأ .

٢٠

حدّثنى عمّى ووكيع قالا : حدّثنا الكُرَانىّ عن أبى غسّان دَمَاذ عن أبى عُبَيْدَةَ قال :

شعره فى قيان حماد بن عمران

دخل ابن أبى الزوائد إلى حمّاد بن عِمْران الطَّلْيَحى ، وكان يُلقَّبُ بعُطْعُط ، وكان له قِيانٌ يسمعهنّ الناسُ عنده ، فرآهن ابن أبى الزوائد فقال فيهنّ :

أقولُ وقد صُفِّت البُظْرُ لِى : * أَلِلْبظْرِ أدخلنى عُطْعُطُ؟

فإنِّى امرؤٌ لا أُحِبُّ الزِّنَا * ولا يَسْتَفِزُّنِى البربطُ[1]

ولو بَعْضُهنّ ابتغى صَبْوَتِى * لخالَط هامَتَها المِخْبَطُ[2]

لبئس فِعالُ امرئٍ قد قرَا * وهمّتْ عوارضُه تَشْمَطُ[3]

وما كنتُ مفترشا جارتى * وسيّدُها نائمٌ يَضْرِطُ

أأُفْرِغُ فى جارتى نُطْفَةً * تراما كما يُفْرَغُ المُسْعُطُ[4]

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنى أبو هَفّان قال : حدّثنى إسحاق بن إبراهيم الموصلىّ قال : حدّثنى المُسَيّبى :

هجاؤه لامرأته الأنصارية

أنّ ابن ابى الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريةٌ ، فطال لُبْثُها عنده حتى مَلَّها وأبغضها ، فقال يهجوها :

---

(١) البربط : العود ؛ معرب .

(٢) المخبط كمنبر : العصا يخبط بها الورق .

(٣) فى الأصول ، « لبئس فعل من قد قرى » وهو تحريف لايستقيم به الوزن . وقرا : مسهل عن « قرأ » أى الذى قد قرأ القرآن ، وقد كان يؤم الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر فى أوّل الترجمة ، والشمط بالتحريك : بياض الرأس يخالط سواده . والعارضة : صفحة الخد .

(٤) المسعط (بضم الميم والعين وكمنبر) : ما يجعل فيه السعوط ويصب منه فى الأنف .

يا رَمْلُ أنتِ الغُولُ بين رِمَالِ * لم تَظْفَرِى بتُقًى ولا بجَمَالِ (١)

يا رَمْلُ لو حُدِّثْتُ أنّكِ سَلْفَعٌ * شَوْهاءُ كالسِّعْلاةِ بين سَعَالِى (٢)

ما جاء يطلبُك الرسولُ بخِطْبَةٍ * مِنِّى ولا ضُمَّت عليكِ حِبَالِى

ولقد نَهى عنكِ النَّصيحُ وقال لى: * لا تَقْرَبَنَّ بَذِيّةً بِعِيَالِ

لمَّا هَزَزْتُ مُهَنَّدِى وقذفتُه * فيها وقد أرهفتُه بصِقالِ

رَجَع المُهَنَّدُ ما لَه من حِيلةٍ * وهناك تَصْعُبُ حِيلةُ المحتالِ

وكأنّما أولجتُه فى قُلّةٍ * قد بُرِّدَتْ للصومِ أو بوقالِ (٣)

ورأيتُ وجهًا كاسفًا مُتَغَيِّرًا * وحِرًا أشقَّ كمِرْكَنِ الغَسَّالِ (٤)

ما كان أيْرُ الفيلِ بالِغَ قَعْرِهِ * بتَحَامُلٍ عَنْهُ ولا إدخالِ

ولقد طعنتُ مَبالَها بسُلاحِها * فوجدتُ أخبثَ مَسْلَحٍ ومَبَالِ

قال : وقال لها وقد نَخَرتْ :

هلّا سألتِ مَنازِلًا بغُرارِ * عَمَّنْ عَهِدْتُ به من الأحرارِ (٥)

أين انتأوْا ونحاهُمُ صَرْفُ النوَى * عنّا وصَرْفُ مُقَحِّمٍ بِغِيَارِ (٦)

---

(١) فى الأصول : « بقا » وهو تحريف .

(٢) والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسعلاة . أخبث الغيلان .

(٣) البوقال : كوز بلا عروة (القاموس) .

(٤) والمركن : الآنيــة التى تغسل فيها الثياب .

(٥) فى الأصول «بغزار» . وغرار : جبل بتهامة .

(٦) انتأى : نأى وبعد ، والنوى : البعد . فى جـ : « ملحم » وفى ب ، س : « مفحم » وأراه « مقحم » بالقاف ، وتقحيم النفس فى الشيء : إدخالها فيه بمن غير روية .

كَرِهَ المُقامَ وظَنَّ بى وبأهلها * ظَنًّا فكان بنا على إضرارِ
عُدِّى رجالَك واسْمَعِى يا هَذِهِ * عَنِّى مَقَالَةَ عالِمٍ مِفْخارِ
سأعُدُّ سادات لنا ومَكارِمًا (١) * وأُبُوَّةً ليستْ علىَّ بِعارِ
قَيْسٌ وخِنْدِفُ والداىَ كلاهُما (٢) * والعمُّ بَعْدُ ربيعةُ بنُ نِزارِ
مَنْ مِثْلُ فارِسنا دُرَيْدٍ فارسًا (٣) * فى كلِّ يومِ تَعانُقٍ وكِرارِ
وبنو زِيادٍ مَنْ لِقَوْمِكِ مِثْلُهُمْ (٤) * أو مِثْلُ عنترةَ الهِزَبْرِ الضّارى
والحىُّ من سعدٍ ذُؤابةُ قَوْمِهِمْ (٥) * والفَخْرُ منهم والسَّنامُ الوارى
والمانِعونَ من العَدُوِّ ذِمارَهُمْ * والمُدْرِكُونَ عَدُوَّهم بالثّارِ
والناكحون بناتِ كلِّ مُتَوَّجٍ * يومَ الوَغَى غَصْبًا بلا إمهارِ
وبنو سُلَيْمٍ نَكْلُ مَنْ عاداهُمُ (٦) * وحَيَا العُفَاةِ ومَعْقِلُ الفُرّارِ
ليسوا بأنكاسٍ إذا حاسَتْهُمُ الـ (٧) * ـمَوْتَ العُداةُ وصَمَّمُوا لِمُغارِ

(١) فى س: «سأعده» ، وفى ب «سأعد سودات» وفى جـ: «سأعده سوادات» ، وكله تحريف .

(٢) قيس ، هو قيس بن الياس وهو عيلان بن مضر بن نزار . وخندف هى ليلى بنت حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة زوجة الياس بن مضر بن نزار .

(٣) دريد : هو دريد بن الصمة فارس العرب ، من بنى جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان . وكرار : مصدر ، كاره مكارة وكرارا .

(٤) هو زياد بن الربيع من بنى عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان . وعنترة الفوارس من بنى عبس . والهزبر : الأسد .

(٥) سعد : هم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عيلان بن مضر ، أوهم بنو سعد بن بكر بن هوزان ... وذؤابة كل شيء : أعلاه . الوارى : الشحم السمين .

(٦) بنو سليم : هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة . والنكل : الموت والهلاك . فى جـ ، ب ، س : « فكل » ؛ وهو تحريف . والحيا : الخصب والمطر . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل أو رزق .

(٧) أنكاس : جمع نكس بالكسر ، وهو الضعيف والمقصر عن غاية النجدة والكرم . وحامى : مفاعلة من الحسو ، والمغار : الإغارة .

أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه قال :

قدومه بغداد وتشوقه إلى المدينة وشعره

كان ابن أبى الزوائد وفد إلى بغداد فى أيّام المهدىّ، فاستوخمها ، فقال يتشوق إلى المدينة ويخاطب أبا غسّان محمد بن يحيي وكان معه نازلا :

يا بْنَ يحيي ماذا بَدَا لك مَاذَا * أمُقامٌ أم قد عزمتَ الخِياذا (١)

فالبراغيثُ قد تثوّرَ منها * سامرٌ ما تَلُوذُ منها مَلاذا (٢)

فتحكُّ الجلودَ طورًا فتدْمَى * وتَحُكُّ الصّدورَ والأفخاذا

فسقى الله طَيْبةَ الوَبْلَ سَحًّا * وسقى الكَرْخَ والصَّراةَ الرَّذاذا (٣)

بلدةٌ لا ترى بها العَيْنُ يومًا * شاربًا للنبيذ أو نَبّاذا (٤)

أو فتًى ماجنًا يرى اللّهْوَ والبا * طِلَ مجدًا أو صاحبًا لَوّاذا (٥)

هذه الذال فاسمعوها وهاتوا * شاعرًا قال فى الرَّوِىِّ على ذا

قالها شاعرٌ لَوَ انَّ القوافى * كُنّ صخرًا أطارهُنّ جُذاذا (٦)

(١) كذا فى الأصول والذى فى لسان العرب وتاج العروس : الخواذ والمخاوذة : الفراق . وجاء أيضا فى القاموس : الخواذ بالخاء : البعد .

(٢) تثور : ثار وهاج ، وسمر كنصر : لم ينم .

(٣) طيبة : المدينة المنورة . جاء فى النهاية لابن الأثير : « وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن تسمى المدينة طيبة وطابة ، وهما من الطيب لأن المدينة كان اسمها يثرب ، والثرب : الفساد ، فنهى أن تسمى به وسماها طيبة وطابة وهما تأنيث طيب وطاب بمعنى الطيب ، وقيل هو من الطيب بمعنى الطاهر لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه » . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والكرخ : محلة ببغداد . والصراة : نهر ببغداد . والرذاذ : المطر الضعيف .

(٤) نبذ نبيذا : اتخذه ، والنباذ : بائع النبيذ ، كالخمار بائع الخمر .

(٥) يحتمل أن يكون « صاخبا » من الصخب وهو كثرة اللغط والجلبة . ولواذ مبالغة فى لاذ ، من لاذ به أى لجأ إليه وعاذ به .

(٦) الجذاذ : قطع ما كسر ، القطعة جذاذة . وقال الفراء فى قوله تعالى : « فجعلهم جذاذا » هو مثل الحطام والرفات ، ومن قرأها جذاذا بالكسر فهو جمع جذيذ مثل خفيف وخفاف .

شعره حين شرب خمرا

قال الزبير : وأنشدنى له أبو غسّان محمد بن يحيى ، وكان قد دخل إلى رجلين من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجوّاب ، والآخر أبو أيّوب ، فسقياه نبيذًا على أنه طَرِىّ لا يُسكِر ، فأسكره ، فقال :

سَقَانِى شربةً فسكِرْتُ منها * أبو الجوَّابِ صاحِبىَ الخبيث

وعاونَه أبو أيُّوبَ فيها * ومِنْ عاداته الخُلُقُ الخَبيثُ

فلمّا أن تَمشَّتْ فى عِظامى * وهَمّتْ وَثْبَتِى منها تَرِيثُ (١)

علمتُ بأنّنى قد جئتُ أمرًا * تسوءُ به المقالةُ والحديثُ

فدَعهمْ ـ لا أبالك ـ واجْتَنِبْهمْ * فإنّ خَلِيطَهُمْ لَهُوَ اللَّوِيثُ (٢)

وتمام الأبيات التى فيها الغناء بعد البيتين المذكورين :

كالشمس فى شَرْقها إذا سَفَرتْ * عنها ومِثْلُ المَهَاةِ مُلْتثِمهْ (٣)

ما صَوّرَ الله حين صَوّرها * فى سائر الناس مثلَها نَسَمَهْ

كلَّ بلادِ الإلهِ جئتُ فما * أبصرتُ شِبْهًا لها ـ وقد عَلِمَهْ ـ

أنثَى من العالمين تُشْبِهُها (٤) * عابسةً هكذا ومُبْتَسِمَهْ

فتّانةُ المُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَةُ الـ * أحشاءِ منها البَنَانُ كالعَنَمَهْ (٥)

إذا تعاطتْ شيئًا لتأخذَه * قلتَ غزالٌ يَعْطُو إلى بَرَمَهْ (٦)

(١) راث يريث : أبطأ . (٢) الخليط : المخالط ، واللويث ، الذى فى كتب اللغة : الألوث : الأحمق ، فالوصف على أفعل ، وقد صاغه الشاعر على فعيل ، أو هو بمعنى ملوّث ملطخ ، فعيل بمعنى اسم المفعول . (٣) سفرت المرأة : كشفت عن وجهها . والمهاة : البقرة الوحشية . (٤) فى س : « أنفى العالمين » وهو تحريف . (٥) إخطاف الحشا : انطواؤه وضمره . والعنم : شجر له ثمر أحمر تشبه به بنان الجوارى . (٦) فى س : « تعاطت شىء » وهو تحريف ، والعطو : التناول ورفع الرأس واليدين . والبرمة : واحدة البرم ، وهو ثمر الطلح أو ثمر الأراك .

يا طِيبَ فِيها وطِيبَ قُبلتها * والقُرْبِ مِنْها فى اللَّيلة الشَّبِمَهْ[1]

إنّ من اللّذةِ التى بَقِيتْ * غِشْيانَكَ الخَوْدَ من بنى سَلَمَهْ

لَا تَهْجُرِ الخَوْدَ إن تُغَالِ بها * بعد سُلُوٍّ، وقبلَ ذاك فَمَهْ[2]

آتِى مُعِدًّا لها الكلامَ فما * أَنطِقُ من هيبةٍ ولا كَلِمَهْ

أُحِبُّ واللهِ أن أزورَكُمُ * وَحْدِى كذا أو أزورَكم بِلُمَهْ[3]

هذا الجمالُ الذى سمعتَ به * سبحانَ ذى الكِبْرِياء والعَظَمَهْ

مَنْ أبصرتْ عَيْنُه لها شَبَهًا * حَلّ عليه العذابُ والنَّقِمَهْ[4]

صوت

يا هِنْدُ يا هِنْدُ نَوِّلِى رَجُلًا * وكيف تنويلُ مَنْ سَفَكْتِ دَمَهْ

أو تُدرِكى نَفْسه فقد هَلَكتْ * أو تَرْحَمِيهِ فِمثْلُكم رَحِمَهْ

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى محمد بن جعفر بن قادم[5] مولى بنى هاشم قال: حدّثنى عمّى أحمدُ بن جعفر عن ابن دَأْب قال:

---

(١) الشبمة: الباردة.

(٢) غالى به: اشتراه بثمن غال. ومه: كف. والمعنى: إن تغال بالحبيبة فلا تهجرها بعد سلوها إياك، وكف عن هجرها قبل السلو — وذاك أولى بك — أى لا تهجرها ولا تقطع وصلها سالية لك أو غير سالية.

(٣) اللمة: الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة.

(٤) النقمة بفتح النون وكسر القاف، كالنقمة بكسر النون وفتحها مع سكون القاف.

(٥) فى ب، س: «قاسم».

أمر المنصور بزواج بني عبد مناف بالمنافيات

خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السَّعْلاء[1] ومعنا مُصْعَبُ بن عبد الله النَّوفليُّ[2] وثابتٌ والزُّبَير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير وابنُ أبي الزوائد السعدي وابنُ أبي ذِئْب مُتَنَزِّهين إلى العَقيق، وقد سال يومئذ، إذ أتانا آتٍ ونحن جُلوس، فسألناه عن الخبر بالمدينة؟ فقال: وَرَدَ كتابُ أمير المؤمنين المنصور أن لا تتزوّج مَنافيةٌ[3] إلا مَنافيًّا. قال ابن أبي ذِئْب[4]: إذن والله لا يَخْطُب قرشيٌّ إلّا منْ لا يُحِبُّها، ولا يَرْغَب فيمن لا يرغَب فيها ممن لا فضلَ له عليها، وكان غيرَ حسن الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا خُبَيْب بمثل ذلك، وقال أحدُهما. إنّ نَسَبَنا من بني عبد مناف قد طال، فأدالنا الله منهم[5]. قال: فغَضِب مُصْعَبٌ النَّوفليُّ وكان أَحْوَلَ فازدادت عيناه انقلابا، فقال: أمّا أنت يا ابن أبي ذئب فوالله ما شرّفتك جاهليّة ولا رفعك إسلام، فيقع في بال أحد أنّك عُنيتَ بما جَرَى. وأما أنتما يا بني خُبَيْب فبغْضُكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث، ولا يزال يتجدّد كلّما ذكرتم قَتْلَ الزُّبير[6]، وإنّكم لمن طِينتين مختلفتين: أما إحداهما فمِنْ صَفيّة[7]، وهي الطِّينة الأَبْطَحيّة السَّنيّة، تَنْزِعانِ إليها إذا نافرتما، وتَفْخَران بها إذا افتخرتما، والأُخرى الطِّينة العَوّاميّة التي تَعْرِفانها، ولو شئتُ أن أقول لقلتُ، ولكنّ صفيّةَ تَحْجُزُني، فأَحْسِنَا الشُّكْرَ لِمَنْ رَفَعكما، ولا تَميلاَ عليه بمن

١٧٤/١٢

٥

١٠

(١) ساقطة من جـ. (٢) النوفلي: نسبة إلى نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

(٣) منافية: نسبة إلى عبد مناف المذكور، وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) كذا في ب، س؛ ويؤيده ما ورد بعد. وفي جـ: «أبي الزوائد». (٥) أداله الله من عدوه: نصره عليه. (٦) قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع في وقعة الجمل، وأتى عليا بسيفه فقال علي: سيف طالما جلى الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه الحين ومصارع السوء، وقاتل ابن صفية في النار، والخبر مشهور. (٧) هي السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم الزبير بن العوام. والأبطحية: نسبة إلى الأبطح وهو أبطح مكة: مسيل واديها. والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة في الحسب.

١٥

٢٠

وضعكما. فقالا له : مَهْلًا، فوالله لقد يُمنا فى الإسلام أفضلُ من قديمك، ولحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضلُ من حظِّك . فقال مُصْعَبٌ : والله ما تفخران فى نَسَبِكما إلّا بعمّتى، ولا تفضُلان فى دينكما إلّا بابن عمّى صلّى الله عليه وسلم؛ فمفاخرُه لى دونكما. ثم تفرقوا؛ فقال ابن أبى الزوائد :

لَعَمْرُكُما يا بَنِىْ خُبَيْبِ بن ثابتٍ * تجاوزتُما فى الفَخْرِ جَهْلًا مَدَاكُمَا

وأنكرتُما فضلَ الّذين بِفَضْلِهِمْ * سَمَتْ بين أيدى الأكرمين يَدَاكُمَا

فإنّكما لم تَعْرِفَا إذ سَمَوْتُمَا * إلى العِزِّ مِنْ آل النبىِّ أباكما

ولم تَعرِفا الفضلَ الذى قد نَخَرْتُما * فليس من العَوّامِ حقًّا أتاكما

فلولا الكِرامُ الغُرُّ من آل هاشمٍ * فلا تجهلا لم تدفعا مَنْ رَمَاكما

صــــوت

مُحِبٌّ صَـــدَّ آلِفُـــهُ * فليس لِلَيْـــلِه صُبْـحُ

يُقَلِّبُــه على مَضَــضٍ * مَــوَاعِدُ مالهـا نُجْـحُ

لــه فى عَيْنِــه غَرْبٌ[1] * وفى أحشائه جُـــرحُ

صحَا عنــه الّذى يرجو * زِيَارَتَه وما يَصْحُــو

الشعر لأبى الأَسَدِ، والغناء لِعَلُّويةَ، هَزَجٌ بالوُسْطَى وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

(١) الغرب هنا : الدمع .

أخبار أبى الأسد ونسبه

نسـبه

اسمه، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تِينَةَ[١] عن القَحْذَمىّ، نُبَاتَةُ بن عبد الله الحِمّانىّ[٢]. وذكر أبو هَفّانَ المِهْزَمىُّ[٣] أنه من بنى شَيْبَان. وهو شاعر مطبوع متوسّط الشِّعْر، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدِّينَوَر[٤].

٥ وكان طَبًّا[٥] مليحَ النَّوادِر مزّاحًا خبيث الهجاء، وكان صديقًا لعَلُّوَيه المُغَنِّى الأعسر، يُنادمه ويُواصل عِشْرَته ويَصِلُه عَلُّويه بالأكابر، ويُعَرِّضُه للمنافع، وله صنعةٌ فى كثير من شعره.

فأخبرنى عمّى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى محمد بن محمد الأبزارىّ[٦] قال:

شعره فى جارية ترقبها فأخلفت

١٠ كان أبو الأَسَد الشاعر صديقًا لعلويه، وكان كثيراً ما يغنّى فى شعره. فدعانا عَلُّويه ليلةً، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعَاذ — وكانت تأخذ عنه الغناء — أن تزورَه تلك الليلةَ، وكانت من أحسن النـاس وجهًا وغناءً، وكان عَلُّويه يَهِيمُ بها، فانتظرناها حتى أَيِسْنا منها احتباسًا. فقال علويه لأبى الأَسَد: قُلْ فى هذا شعراً؛ فقـال:

١٧٥/١٢

---

١٥ (١) تينة: لقب عيسى (كما فى القاموس المحيط).

(٢) الحمانى: نسبة إلى حمان: وهو حى من تميم، أحد حيي بنى سعد بن زيد مناة.

(٣) نسبة إلى مهزم كمنبر، ومن أسمائهم أيضا مهزم كمعظم.

(٤) دينور: مدينة من أعمال الجبل بفارس.

(٥) الطب: الحاذق الماهر. وفى الأصول «طبيا» وهو تحريف.

٢٠ (٦) الأبزارى: نسبة إلى أبزار وهى قرية بنيسابور.

مُحبٌّ صدَّ آلِفُــه * فليس لِليْـلِه صُبْحُ
صحا عنـه الذى يرجو * زيارتَه وما يصحـو

قال : فصَنَع علويه فيه لحنًا من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ فى أيدى الناس، وغنّانا فيه ؛ فلم نَزَلْ نشرب عليه حتى أصبحنا . وصنع فى تلك الليلة بحضرتنا فيه الرَّمَل فى شعر أبى وَجْزَة السَّعْدِىّ :

قَتَلَتْنى بغير ذنبٍ قَتُولُ * وَحَلالٌ لها دَمى المطلولُ
ما على قاتلٍ أصابَ قتيلًا * بدَلالٍ ومُقْلَتَيْنِ سَبِيلُ

طلب من موسى ابن الضحاك غلاما فشاطره غلمانه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال : حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنى أبو هَفّان قال :

كتب أبو الأَسَد وهو من بنى حِمّان إلى موسى بن الضحّاك :

لِموسَى أَعْبُـدُ وأَنَا أخُـوهُ * وصاحِبُه، ومالِى غيرُ عَبْدِ
فلو شاء الإلهُ وشاء موسى * لآنَسَ جانِبِى فَرَجٌ بِسَعْدِ

سبب هجاؤه أحمد ابن أبى دؤاد

قال : و «فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبى الأَسَد ، و «سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد ، وقاسمه بعدَه بقيّة غِلْمانه، فأخذ شَطْرَهم وأعطاه شَطْرَهم .

أخبرنى محمد الخُزاعىّ قال : حدّثنى العَبّاس بن ميمون طائع قال :

هجا أبو الأسد أحمد بن أبى دواد فقال :

أنت امرؤٌ غَثُّ الصَّنِيعَةِ رَثُّها * لا تُحْسِنُ النُّعْمَى إلى أمثالِى
نُعْمَاكَ لا تَعْـدُوكَ إلّا فى امرئٍ * فى مَسْكِ[1] مِثْلِك من ذَوِى الأَشْكالِ

(١) المسك : الجلد .

وإذا نظرتَ إلى صَنِيعِك لم تَجِدْ * أَحَدًا سَمَوْتَ به إلى الإفضَالِ

فاسْلَمْ بغيرِ سَلامةٍ تُرْجَى لها * إلّا لِسَدِّكَ خَلَّةَ الأَنْذالِ (١)

قال : فأدّى إليه سَلامةُ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشةَ هذه الأبياتَ عن أبى الأَسَد، فبعث إليه بِبُرْد واستَكَفَّه (٢)، وبعث بابن عائشة إلى مَظالِمِ ماسَبَذانَ (٣)، وقال له : قد شَرِكْتَه فى التوبيخ لنا فشَرِكْناك فى الصَّفْقَة (٤)، فإنْ كنتما صادِقَيْنِ فى دَعْوَا كما كنتما من الأنذال، وإن كنتما كاذبين فقد جُزِيتما بالقبيح حَسَنًا .

سبب الهجاء

حدّثنى علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : كان سَبَبُ هجاء أبى الأَسَدِ أحمدَ بن أبى دُوَادٍ أنّه مَدَحه فلم يُثِبْه ، ووَعَده بالثواب ومَطَلَه ؛ فكتب إليه :

ليتَك إذ نُبْتَنِى بواحدةٍ * تُقْنِعُنِى منك آخرَ الأبَدِ

تَحْلِفُ أَلّا تَبَرَّنِى أبدًا * فإنّ فيها بَرْدًا على كَبِدِى

إشْفِ فُؤادِى منّى فإنّ به * منّى جُرْحًا نَكَأْتَه بيَدِى (٥)

إنْ كان رِزْقِى إليكَ فارْمِ به * فى ناظِرَىْ حَيّةٍ على رَصَدِ (٦)

قد عشتُ دهرًا وما أقدرُ أنْ * أرضَى بما قد رَضِيتُ من أحدِ

فكيف أخطأتُ ! لا أصبتُ ولا * نَهَضْتُ من عَثْرةٍ إلى سَدَدِ (٧)

لو كنتُ حُرًّا كما زعمتُ وقد * كَدَدْتَنِى بالمِطَالِ لم أَعُدِ

١٧٦ / ٢١

(١) الخلة هنا : الحاجة والفقر . (٢) استكفه : طلب إليه أن يكف عنه .
(٣) ماسبذان : كورة ببلاد فارس . (٤) فى ب، س : « الصنعة » وهو تحريف .
(٥) نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت . (٦) الرصد والمرصد : موضع الرصد . ومرصد الحية : مكمنها . (٧) السدد والسداد : الاستقامة .

صَبَرْتُ لمّا أساتَ بى، فإذا * عُدْتُ إلى مِثْلِها فعُدْ وعُد
فإنّنى أهلُ ذاكَ فى طَمَعى * وفى خَطائى سبيلَ مُعْتَمِد (١)
أبْعَدَنى اللهُ حين يَحْمِلُنى * حرصى على مِثْلِ ذا من الأوَدِ (٢)
الآنَ أيقنتُ بعد فِعْلِكَ بى * أنّى عَبْدٌ لأعْبُدٍ قُفُدِ (٣)
فصِرْتُ من سُوء ما رُميتُ به * أُكْنَى أبا الكَلْبِ لا أبا الأسَدِ

٥

أخبرنى علىّ بن الحسين بن عبد السميع المَرْوَزِىّ (٤) الورّاق قال: حدّثنى عيسى بن إسماعيل تِينةُ عن القَحْذَمىّ قال:

مدحه الفيض ابن صالح

كان أبو الأسد الشاعر — واسمه نُبَاتة بن عبد الله الحِمّانى — منقطعاً إلى الفَيْض بن صالح وزير المَهْدِىّ، وفيه يقول:

ولائمةٍ لامَتْكَ يا فَيْضُ فى النَّدَى * فقلتُ لها لن يَقْدَحَ اللّوْمُ فى البَحْرِ
أرادتْ لِتَنْهَى الفَيْضَ عن عادةِ النَّدَى * ومَنْ ذا الذى يَثْنِى السَّحابَ عن القَطْرِ؟
مَوَاقِعُ جُودِ الفَيْضِ فى كُلِّ بلدةٍ * مَوَاقِعُ ماءِ المُزْنِ فى البَلَدِ القَفْرِ
كأنّ وُفودَ الفَيْضِ لمّا تَحَمَّلُوا * إلى الفيض لاقَوْا عنده ليلةَ القَدْرِ

١٠

وكان أبو الأسد قَبْلَه منقطعاً إلى أبى دُلَف مُدّة، فلمّا قدِم عليه علىُّ بن جَبَلةَ العَكَوّكُ غَلَب عليه، وسقطتْ منزلةُ أبى الأَسَدِ عنده، فانقطع إلى الفيض بعد عَزْلِه عن الوزارة ولزومِه منزلَه، وذلك فى أيام الرشيد. وفيه يقول:

١٥

---

(١) فى الأصول: «فانى» «وفى خطاى» وهو تحريف. والخطاء والخطأ: ضد الصواب. وهو هنا بمعنى إخطاء. (٢) الأود: الاعوجاج.

(٣) قفد جمع أقفد: وهو المسترخى العنق أو الغليظه. وفى الأصول «فقد» وهو تصحيف.

(٤) المروزى: نسبة إلى مرو، وهى بلد بفارس، وكانت قصبة خراسان، نسبة على غير قياس، وينسب إليها أيضا فيقال مروى بسكون الراء وفتحها.

٢٠

أتيتُ الفيضَ مُشتكيًا زمانِي * فأعداني[(١)] عليـه جودُ فيضِ
وفاضتْ كفُّـه بالبذلِ منـه * كما كفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غيضِ[(٢)]

أخبرني عيسى بن الحُسين قال : حدّثني ابن مَهْرويه قال : حدّثني عليّ ابن الحسن بن الأعرابيّ قال :

مدحه حمدون بن إسماعيل وهجاؤه على بن المنجم

سأل أبو الأسد بعضَ الكُتّاب، وهو عليُّ بن يحيى المنجِّم، حاجةً يسأل فيهـا بعض الوزراء، فلم يفعل . وبلغ حَمْدونَ بن إسماعيل الخبرُ، فسأل له فيهـا مبتدئا وتنجزها وأنفذها إليـه . فقال أبو الأسـد يهجو الرجلَ الذى كان سأله الحاجةَ، ويمدح حمدونَ بن إسماعيل :

صُنْعٌ من الله ! أنّى كنتُ أعرِفكم * قبـلَ اليَسارِ وأنتمْ فى التَّبـابِينِ[(٣)]
فـا مضتْ سَـنَةٌ حتّى رأيتكُمُ * تَمْشُون فى القـزِّ والقُوهِيِّ واللِّينِ[(٤)]
وفى المَشارِيق ما زالتْ نساؤكُمُ * يَصِحْن تحت الدَّوالِي بالوَرَاشِينِ[(٥)]

(١) أعداه عليـه : نصره وأعانه وقواه . (٢) غاض الماء غيضا : قل ونقص .

(٣) التبابين : جمع تبان كرمان ، وهو سراويل صغار مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين .

(٤) القز : الحرير . والقوهيّ : ضرب من الثياب بيض ، نسبة إلى قوهستان (بضم القاف وكسر الهاء) وهى كورة بين نيسابور وهراة ، ومدينـة بكرمان . واللين أى لين العيش وخفضه ونعومتـه ، واللين أيضا اسم قـرية بمرو ، وقرية بين الموصـل ونصيبين ، ولعلهـا كانت مشهورة بضرب من الثياب ينسب إليهـا فيقال الليني ، كالقوهيّ المنسوب إلى قوهستان ، وعليه يكون صواب الكلمة « والليني » .

(٥) المشاريق : جمع مشراق كمحراب ، أو مشريق كنديل ، وهو موضع القعود فى الشمس بالشتاء كالمشرقة مثلثة الراء . والدوالى جمع دالية ، وهى الدولاب يستق عليه ، والناعورة . والوراشين : جمع ورشان محركة ، وهو طائر شبه الحمامة . ومن أمثال أهل العراق : « بعلة الورشان ، تأكل الرطب المشان » — وفى الصحاح : تأكل رطب المشان بالإضافة ، قال : ولا تقـل الرطب المشان — والمشان (كغراب وكتاب) من أطيب الرطب . يضرب لمن يظهر شيئا والمراد منه شيء آخر .

فصرْنَ يَرْفُلْنَ فى وَشْيِ العِرَاقِ وفى * طَرائفِ الخَزِّ من دُكْنٍ وطَارُونِى (١)
أُنْسِينَ قَطْعَ الحُلَاوَى من مَعَادِنها * وَحَمْلَهُنَّ كَشُوثًا فى الشَّقابِين (٢)
حتى إذا أيسروا قالوا ـ وقد كذبوا ـ : * نحن الشَّهاريجُ أولادُ الدَّهـاقِين (٣)
فى آسْتِ أُمِّ ساسانَ أَيْرِى إنْ أقرّ بكم * وأَيْرُ بَغْلٍ مُشِظٌّ فى آسْتِ شِيرِين (٤)

(١) رفلت : جرت ذيلها وتبخترت أو خطرت بيدها . والوشى : نقش الثوب . والخز : الحرير ، وفى الأصـول « طوائف » وهو تحريف . ودكن : جمع أدكن ودكناء . والدكنة : لون إلى السواد . والطارونى : ضرب من الطرن (بالضم) وهو الخز . وفى الأصول « وطارون » وهو تحريف .

(٢) فى الأصول «الحلانى» ولم أعثر عليه ، وأرى صوابه « الحلاوى » وهى : نبتة زهرتها صفراء ولها شـوك كثير وورق صغير مستدير ، والجمع الحلاوى أيضا والحلاويات ، وروى عن الأصمعى فى باب فعالى (بالضم والقصر) خزامى ورخامى وحلاوى ، كلهن نبت . ومن معادنها : من منابتها ، والكشوث (بالفتح و يضم) : نبات أصفر يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق فى الأرض ، ويجعل فى النبيذ ، وفى الأصول « كثوثا » وهو تحريف ، و يقال فى مولد الأمثال لمن كان ذليلا : « هو كشوث الشجر » ؛ قال الشاعر :

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق * ولا نسـيم ولا ظـــل ولا ثمر

(انظر اللسان ومجمع الأمثال للميدانى فى المثل : «أذل من فقع بقرقرة»)، والشقبان بالضم : شباك يسويها الحشاشون (الذين يقطعون الحشيش) من الليف والخوص ، تجعل لها عرى واسعة يتقلدها الحشاش فيضع فيها الحشيش . ويقال فيه « شكبان » أيضا .

(٣) الشهاريج : وجوه القوم وأعيانهم ، جمع شهرج ، وأصلها بالفارسية چهره ومعناها : الوجه . والدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم ، وهو رئيس الإقليم ، معرب .

(٤) ساسان ، هو ساسان الأكبر أبو أردشير بابك رأس الدولة الساسانية التى حكمت فارس من سنة ٢٠٢م إلى سنة ٦٣٦م ، وكان آخر أكاسرتها يزدجرد الثالث الذى فتح العرب فى عهده بلاد فارس . وشيرين ، زوجة پرويز ملك الفرس الذى حكم من سنة ٥٩١ إلى سنة ٦٢٧م وكانت زوجته المحبوبة المقربة إليه ، وكانت حبه لها مضرب الأمثال فى الوفاء والإخلاص ، ومادة دسمـة لأدباء الفرس وشعرائهم الروائيين ، وشظ وأشظ : إذا أنعظ حتى يصـير متاعه كالشظاظ (والشظاظ ككتاب : خشبة محددة الطرف تدخل عروتى الجوالقين لتجمع بينهما عند حملهما على البعير) . وفى الأصول : «مشط» وهو تصحيف .

لو سِيلَ أوضَعُهم قَدْرًا وأنذلُهم * لقال من فَخْرِه إنّى ابنُ شُوبِينِ (١)

وقال أقطَعنى كِسْرى ووَرّثنى * فمَن يُفاخِرُنى أم مَن يُناوِيِنى (٢)

من ذا يُخبِّر كسْرَى وهو فى سَقَر * دعوى النَّبِيط وهم بَيْضُ الشياطين (٣)

وأنهم زعموا أنْ قد ولدتَهمُ * كما ادّعى الضب إنى نُطْفةُ النُّونِ (٤)

فكان يَنْحَزُ جَوْفَ النار واحدةً * تَفرِى وتَصدَعُ خوفًا قلبَ قارون (٥)

أمَا تراهم وقد حَطُّوا بَرادِعَهُم * عن أُتْنِهمْ واستبدُّوا بالبَراذِين (٦)

(١) سال يسال كخاف يخاف لغة فى سأل . وشوبين : هو بهرام چوبين ، وكان صاحب الجيش لدى هرمز بن أنوشروان العادل ، وقد سعى بينهما سعاة السوء حتى أفسدوا ذات بينهما ، واعتدى هرمز على قائده وظل يوبخه ويستهزئ به حتى اضطره إلى الخروج عليه . وقد جرت بين چوبين وبين هرمز ثم ابنه خسرو پرويز حروب انتهت بانهزام چوبين وفراره إلى الترك وقتله هناك .

(٢) أقطعه قطيعة من الأرض : أعطاه إياها يتملكها ويستبد بها وينفرد . يناويني مسهل يناوئني ، أى يعاديني .

(٣) فى الأصول « سفر » وهو تصحيف وسقر : جهنم . والنبط والنبيط والأنباط : جيل ينزلون بالبطائح بين العراقين . وبيض الشياطين ، يعنى أولادهم وسلالتهم .

(٤) الضب : دويبة من الحشرات تشبه الورل . قال عبد اللطيف البغدادى : « الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة فى الخلق » . والنون : الحوت ، ومن أمثال العرب : « حتى يؤلف بين الضب والنون » وهما لا يأتلفان أبدا ؛ إذ أن مسكن الأول الرمال ، ومقر الثانى المياه . وهمزة « إنّ » مكسورة لأنه ضمن « ادّعى » معنى قال ، أو التقدير : كما ادّعى الضب قائلا إنى .

(٥) قارون : كان من قوم موسى ، وهو ابن عمه وابن خالته ؛ وفيه يقول الله تعالى « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » ونحزه : ضربه ودفعه ونخسه ودقه ، ونحزه فى صدره : ضربه بجمع كفه ، تفرى : تشق ، وكذا تصدع . وفى ب ، س « ينخر » وفيهما أيضا يفرى ويصدع » وهو تصحيف .

(٦) البرادع : جمع بردعة . وهى بالدال وبالذال ، والأتن (بسكون التاء وبضمها) جمع أتان وهى الحمارة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

وأفرجوا عن مَشارات البُقول إلى * دُورِ المُلوكِ وأبواب السَّلاطِينِ (١)

تَغْلِي على العُرْبِ من غَيْظٍ مَراجِلُهُمْ * عداوةً لرسولِ الله فى الدِّينِ

فقل لهم وهمُ أهلٌ لتَزْنِيَةٍ * شَرُّ الخَلِيقةِ يا بُخْرَ العَثانِينِ (٢)

ما النّاسُ إلا نِزارٌ فى أَرومَتِها * وهاشمٌ سُرُجُها الشُّمُّ العَرانِينِ (٣)

والحَىُّ من سَلَفَىْ قَحْطانَ إنّهمُ * يُزْرُونَ بالنَّبَطِ اللُّكْنِ المَلاعِينِ (٤)

فما على ظهرها خَلْقٌ له حَسَبٌ * ممّا يُناسِبُ كِسْرَى غيرُ حَمْدونِ

قَرْمٌ عليه شَهَنْشاهِيَّةٌ ونَبًا * يُنْبيكَ عن كسروىّ الجَدِّ مَيْمُونِ (٥)

وإنْ شَكَكْتَ ففى الإيوانِ صُورتُه * فانْظُرْ إلى حَسَبٍ بادٍ ومخزونِ

(١) أفرجوا عن المكان: تركوه. مشارات المزرعة: مجارى مائها وسواقيها، جمع مشارة، أو هو «مشاراة» بمعنى مبايعة.

(٢) فى ب، س «لتربية». وفى جـ «لتربية». تصحيف، والتزنية: القذف. وبخر: جمع أبخر وصف من البخر بالتحريك، وهو النتن فى الفم وغيره. والعثانين: جمع عثنون كعصفور: وهو اللحية أو ما نبت على الذقن وتحته سفلا. ويريد بها هنا الأفواه.

(٣) الأرومة (بفتح الهمزة وتضم): الأصل. وسرج: جمع سراج. والشم: جمع أشمّ وصف من الشمم بالتحريك: وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها. والعرانين: جمع عرنين بالكسر وهو الأنف. وشم العرانين: كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس.

(٤) قحطان: هو أصل عرب اليمن ومنه تناسلوا. وقوله: سلفى قحطان لأن مرجع العرب القحطانية إلى قبيلتين: حمير بن سبأ، وكهلان بن سبأ. واللكن: جمع ألكن وصف من اللكنة بالضم، وهى عجمة فى اللسان وعىّ.

(٥) القرم: السيد. وشهنشاهية: نسبة إلى شهنشاه، وشاه بالفارسية: معناه الملك، وشهنشاه: معناه ملك الملوك، قال الأعشى: * وكسرى شهنشاه الذى سار ملكه * وأصله شاهان شاه، حذف منه الألفان فبقى شهنشاه، ونبا سهل نبأ، وهو الخبر.

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا أحمد بن أبى طاهر .

عتابه لأبى دلف لحجبه إياه

أنّ أبا الأَسَد زار أبا دُلَف فى الكَرَج[1] ، فحُجِب عنه أياما ، فقال يعاتبه وكتب بها إليـه :

ليت شعرى أضاقتِ الأرضُ عَنّى * أم بِفَجٍّ أنا الغـداةَ طَـرِيدُ ؟[2]

أم أنـا قانـعٌ بأدنَى مَعَاشٍ * هِمّتِى القُـوتُ والقليلُ الزَّهِيـدُ

مِقْـوَلِى قاطعٌ وسـيفى حُسَامٌ * ويَدِى حُرّةٌ وقلـبى شَـدِيدُ

رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليَوْ * مَ عليـه عَسَاكرٌ وجُنـودُ

قـد وَلَجْنـاهُ داخـلينَ غُدُوًّا * ورَوَاحًا وأنت عنـه مَـذُودُ[3]

فاكْفُفِ اليومَ من حِجَابِكَ إذ لسـ * ـتَ أميرًا ولا خَميسًا تَقُـودُ[4]

واغْتَرِبْ فى قَدافِدِ الصدِّ إذ لسـ * ـتُ أسـيرًا ولا علىّ قُيُـودُ[5]

لا يُقِيمُ العـزيزُ فى بلد الهُـو * نِ ولا يُكْبَتُ الأَرِيبُ الجَلِيدُ[6]

---

(١) الكرج : مدينة بفارس بين همذان وأصبهان ؛ وأوّل من مصرها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى وجعلها وطنه ، وإليها قصده الشعراء وذكروها فى أشعارهم . وفى الأصول « إلى الكرج » .

(٢) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٣) مذود : مدفوع مطرود .

(٤) الخميس : الجيش ؛ لأنه خمس فرق : المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

(٥) فى الأصول « واعترف » وهو تحريف . وقدافد : جمع قدفد كجعفر ، وهى الفلاة . وفى جـ « قدافى » وهو تحريف .

(٦) فى الأصول « يكسب » وهو تحريف ، وكبته كضرب : أذله .

شعره فى صديقه بسطام

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال: أنشدنى أبو هَفَّانَ لأبى الأَسَد فى صديق له يقال له بِسْطام كان بَرًّا به — قال: وهذا من جَيِّد شعره، وقد سرق البُحْتُرِىُّ معناه منه فى شعر مدح به علىَّ بن يحيى المنجِّم (1) —:

أَغْـدُو على مال بِسْطامٍ فأَنْهَبُهُ * كما أشاءُ فـلا تُثْنَى إلىّ يَـدِى

حتى كأنِّىَ بِسْطامٌ بما احتكمتْ * فيه يَداىَ وبِسْطامٌ أبو الأَسَـدِ

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال: حدّثنى أبو هَفّان، وأخبرنى به يحيى ابن علىّ بن يحيى قال: حدّثنى أبو أيوب المَـدِينى قال: حدّثنا أبو هَفّـانَ قال: حدّثنى أبو دِعامةَ قال:

رثاؤه إبراهيم الموصلى

لمّـا مات إبراهيم المَوْصِلىُّ قِيـل لأبى الأَسَدِ — وكان صديقَه — ألاَ تَرْثِيه؟ فقال يرثيه:

تَوَلَّى المَوْصِـلِىُّ فقـد تَوَلَّتْ * بَشَاشـاتُ المَزَاهِرِ والقِيَانِ (2)

وأىُّ مَلاحـةٍ بَقِيَتْ فتَبْـقَى * حيـاةُ المَوْصِـلِىِّ على الزَّمانِ! (3)

ستَبْكِيهِ المَـزَاهِرُ والمَـلاَهِى * ويُسْعِـدُهُنَّ عاتقـةُ الدِّنانِ (4)

وتَبْكِيـهِ الغَـوِيَّةُ إذ تَـوَلَّى * ولا تَبْكِيـهِ تاليـةُ القُرانِ (5)

(1) فى الأصول «على بن صالح يحيى المنجم». وأكبر ظنى أن الناسخ أقحم كلمة «صالح» فى الكلام إقحاما. وقد تقدّم فى الأغانى أنه من رجال السند، وورد فى ديوان البحترى مدائح فيه. وورد فى تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٢ «على بن يحيى بن أبى منصور المنجم، كان راوية للأخبار والأشعار، شاعرا محسنا، أخذ عن إسحاق الموصلى الأدب وصنعة الغناء، ونادم المتوكل وكان من خاصة ندمائه عنده وعند من بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، وتوفى آخر أيام المعتمد».

(2) المزاهر: جمع مزهر كمنبر، وهو العود يضرب به.

(3) فى الأصول «فلاحة» وهو تحريف.

(4) خمر معتقة وعتيق وعتيقة وعاتق: لم يفض أحد ختامها أو قديمة حبست زمانا فى ظرفها.

(5) الغوية: المرأة الضالة. والقران: مسهل القرآن.

فقيل له : وَيْحك فضحته وقد كان صديقك . فقال : هذه فضيحة عند من لا يعقل ، أما من يعقل فلا . وبأىّ شيء كنت أذكره وأرثيه به ؟ أبالفِقْه أم بالزُّهْد أم بالقِراءة ؟ وهل يُرْثَى إلّا بهذا وشِبْهه !

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب لأحمد بن علىّ بن يحيى ، أخبرنى أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبى عمرو الطُّوسىّ قال :

هجاؤه شاهين بن أخى أبى دلف

كنت مقيمًا بالجبل (١) فمرّ بى أبو الأَسَد الشاعر الشَّيْبانىّ ، فأنزلته عندى أيامًا ، وسألته عن خبره فقال : صادفتُ شاهين بن عيسى ابن أخى أبى دُلف ، فما احتبسنى ولا برّنى ولا عَرَض علىّ المُقام عنده ، وقد حضرنى فيه أبيات فاكْتُبْها ، ثم أنشدنى :

إنّى مررتُ بِشاهينٍ وقد نَفَحتْ * رِيحُ العَشِىّ وبَرْدُ الثَّلجِ يُؤذِيني (٢)
فما وَقَى عِرْضَهُ مِنّى بِكُسْوَتِهِ * لا بل ولا حَسَبٍ دانٍ ولا دِينِ
إن لم يكن لَبَنُ الدّاياتِ غَيّرَه (٣) * عن طبع آبائه الشُّمّ العَرانِينِ
فرُبّما غابَ بعلٌ عن حَليلتِه (٤) * فناكها بعضُ سُوّاسِ البَرَاذِينِ
وما تحرّك أيرٌ فآمتلا شَبَقًا (٥) * إلّا تحرّك عِرْقٌ فى آسْت شاهين

(١) بلاد الجبل : بأرض فارس .
(٢) فى الأصول « لفحت » واللفح لكل حار من الرياح ، والنفح لكل بارد .
(٣) الدايات : جمع داية ، جاء فى اللسان : الداية : الظئر حكاه ابن جنى ، قال : كلاهما عربى فصيح وأنشد للفرزدق :

ربيبة دايات ثلاث ربينها * يلقمنها من كل سخن ومبرد

(٤) البعل : الزوج . والحليلة : الزوجة .
(٥) الشبق : شدّة الغلمة وطلب النكاح .

ثم قال : لَأُمَزِّقَنَّه كلَّ مُمَزَّقٍ ، ولأصِيرَنَّ إلى أبى دُلَف فلأُنشِدَنَّه . ومضى من فَوْره يريد أبا دُلَف، فلم يصل إليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ، فشَقَّ عليه وغَمَّه . وأتاه أبو الأَسَد فدخل عليه ، فسأله عن قِصَّته مع شاهين، فأخبره بها ؛ فقال : هَبْه لى . قال: قد فعلت . وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأمسك عنه .

قال أبو الفرج : هذا البيت الأخير لبَشّار كان عَرَض له فقال :

وما تحــرَّك أيرٌ فآمتلا شَبَقًا * إلا تحرَّك عِرْقٌ فى آست... ...

ثم قال : فى آست من ؟ ومرَّ به تسنيم بن الحوارى[1] فسلّم عليه ، فقال : فى آست تسنيم والله . فقال له : أىُّ شىء ويلك ؟ فقال : لا تَسَلْ . فقال : قد سمعتُ ما أكره، فاذكر لى سَبَبَه . فأنشده البيت ، فقال : ويلك ! أىُّ شىء حَمَلك على هذا ؟ قال : سَلامُك علىّ . لا سَلَّم الله عليك ولا علىّ إن سلّمت عليك بعدها، وبَشّار يضحك . وقد مضى هذا الخبر بإسناده فى أخبار بشار[2] .

صــــوت

وقد جُمِع معه كل ما يُغَنَّى فى هذه القصيدة :

أجِدَّكَ إنْ نُعْمٌ نأتْ أنت جازعُ * قَدِ اقتربتْ لَوْ أنَّ ذلك نافعُ

وحَسْبُكَ مِن نأيٍ ثلاثةُ أشْهُرٍ[3] * ومن حَزَنٍ أنْ شَاقَ قلبَك رابعُ

(١) سموا : الحوارى بفتح أوله وثانيه وفى آخره ياء مشدودة ، والحوارى بضم أوله وبواو مشدودة مفتوحة وراء مفتوحة ، انظر تاج العروس .

(٢) انظر الجزء الثالث ١٧٣ طبع دار الكتب ، وفى تلك الرواية : ما قام أير حمار ... ...

(٣) فى الأصول « من نائى » وفى ب ، س ، « رائع » وهو تحريف .

بكتْ عينُ مَنْ أبكاكِ ليس لكِ البُكَى * ولا تتخالجْكِ الأُمورُ النّوازعُ[1]

فلا يَسْمَعَنْ سِرّى وسرَّكِ ثالثٌ * ألا كلُّ سرٍّ جاوزَ اثنينِ شائعُ

وكيف يَشيعُ السرُّ منّى ودُونَه * حِجابٌ ومن فوقِ الحِجابِ الأضالعُ

١٧٩/١٢

كأنَّ فؤادى بين شِقَّينِ من عَصًا * حِذارَ وُقوعِ البَيْنِ والبَيْنُ واقعُ

وقالت وعيناها تَفيضانِ عَبْرةً * بأهلِىَ، بَيِّنْ لى متَى أنت راجعُ؟

فقلتُ لها باللهِ يَدْرِى مُسافرٌ * إذا أضمرتْه الأرضُ ما اللهُ صانعُ؟

فشَدَّتْ على فيها اللِّثامَ وأعرضتْ * وأقبلنَ بالكُحْلِ السَّحيقِ المدامعُ[2]

عَرُوضه من الطويل. الشعر لقَيْس بن الحُدَادية، والغناء لإسحاق فى الأوّل والثانى من الأبيات خفيفُ رملٍ بالوُسْطَى، وفى الثالث وما بعده أربعة .

---

(١) تخالجته الهموم : نازعته ؛ يقال : تخالجته الهموم : إذا كان له هم فى ناحية وهم فى ناحية كأنه يجذبه اليه . والنوازع : التى تنزع النفوس من صدورها .

(٢) السحيق : المسحوق . وأقبلن باثبات النون، على لغة طيء، وأزد شنوءة أو هو وأقبل وسيرد بعد فى القصيدة « وأمعن » .

أخبار قيس بن الحُدادِيّة ونسبه

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر[1] بن صالح بن حَبشِيّة[2] بن سَلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيقياء[3] بن عامر

---

(١) فى ب و س « ضياطر » وقد تكرر فيهما ، والصواب فى جـ . جاء فى كتاب الاشتقاق لابن دريد طبع أوروبة ص ٢٧٦ : « رجال خزاعة وبطونها ... ومنهم بنو ضاطر، والضاطر اشتقاقه من قوم ضياطر . وهو الضخم الذى لا منفعة فيه ولا غناء، والجمع ضياطر وضيطرون » وجاء فى ص ٢٧٧ : « ومن بنى ضاطر : قيس بن عمرو بن منقذ (بتقديم عمرو على منقذ) الشاعر الذى يقال له ابن الحدادية ، جاهلى ، وبنو حداد من بنى كنانة » — وقد ضبط فيه بالشكل بضم الحاء وفتح الدال مخففة — .

وجاء فى كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها لأبى جعفر محمد بن حبيب طبع أوروبة ص ٣٥ : « وفى كنانة ابن خزيمة : حداد بن مالك بن كنانة » مضبوطا بالشكل بضم الحاء .

وجاء فى هذا الكتاب أيضا : «وفى طيئ : حداد بن نصر بن سعد بن نبهان» مضبوطا بضم الحاء وفتح الدال مخففة ، وفى لسان العرب : « وبنو حداد : بطن من طيىء » مضبوطا بضم الحاء وتشديد الدال ولكن صاحب الأغانى [جـ١ ص ٤١٧ والسمعانى مادة حدد] ضبطاه بكسر الحاء وتخفيف الدال .

(٢) حبشية : جاء فى القاموس : « وحبشية بن سلول بالضم » أى بضم الحاء، وفى تاج العروس : « وضبطه بعضهم بفتح الحاء وسكون الموحدة ، نقله الحافظ » وجاء فى كتاب مختلف القبائل ومؤتلفها ص ٤ : « فى خزاعة : حبشية (بفتح الحاء والباء) بن سلول بن كعب ... ... وفى مزينة : حبشية (بضم الحاء وسكون الباء) بن كعب بن عبد بن ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو وهو مزينة » .

(٣) كان من ملوك اليمن، وإنما لقب بذلك لأنه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب ، فإذا أمسى خلعهما ومزقهما ، وكان يكره أن يعود فيهما ويأنف أن يلبسهما غيره ، وهو جد الأنصار ، ولذلك فخر أوس بن الصامت (أخو عبادة بن الصامت) بقوله :

أنا ابن مزيقيا عمرو، وجدّى : * أبوه عامر ماء السماء

ولقب أبوه عامر بماء السماء لجوده وكثرة نفعه فشبه بالغيث ، وأما المنذر بن ماء السماء اللخمى أحد ملوك الحيرة فإن أباه امرؤ القيس عمرو بن عدى ، وماء السماء أمه وهى بنت عوف بن جشم بن النمر بن قاسط ، وإنما قيل لها ماء السماء لحسنها وجمالها — انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٤٨ ترجمة المهلب ابن أبى صفرة .

وهـو ماءُ السماء بن حارثة الغِطريف(١) بن آمرئ القيس البِطْريق(٢) بنِ ثعلبة بن مازن آبن الأزد، وهو «رداء»، ويقال: رديني»(٣)، وقد مضى نسبه متقدّما، والحُدادية أمّه، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلانَ بنِ مُضَر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنــو حِداد . شاعر من شـعراء الجاهلية ، وكان فاتكا شجاعا صُعْلوكا خليعا ، خلعتْه خُزاعةُ بسُوق عكاظ، وأشهدتْ على أنفسها بخَلْعها إيّاه، فلا تحتمل جريرةً له ، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه .

أغار على بنى قمير وقتــل ابن عش وقال شــعرا

قال أبو الفــرج : نسختُ خبَره من كتاب أبى عمــرو الشَّيْبانى : لمـّا خَلَعتْ خُزاعةُ بن عمرو — وهو مُزَيْقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث — قيسَ ابن الحِـدادية ، كان أكثرهم قولا فى ذلك وسـعيا قوم منهم يقال لهم : بنو قُمَير ابن حبشيّة بن سَـلُول ، فجمعَ لهم قيسٌ شُذّاذا(٤) من العَرَب وفُتّاكا من قومه، وأغار عليهم بهم، وقتل منهم رجلا يقال له ابن عُش ، واستاق أموالَهم، فلحقه رجل من قومه كان سيّدا، وكان ضَلْعه(٥) مع قيس فيما جَرَى عليه من الخلع، يقال له آبن محرِّق، فأقسم عليــه أن يردّ ما آستاقه ، فقال : أمّا ما كان لى ولقومى فقد أبررتُ قسَمَك فيه ، وأمّا ما اعتوَرته(٦) أيدى هــذه الصعاليك فلا حيــلةَ لى فيه ، فردّ سهمَه وسهمَ عشيرته، وقال فى ذلك :

(١) الغطريف : السيد الشريف السخى السرى .

(٢) البطــريق : الرجل الوضىء المختال المزهو ، والبطريق بلغــة الروم : القائد الحاذق بالحرب وأمورها ، ويقال : إن البطريق عربى وافق العجمى ، وهو لغة أهل الحجاز ، وقال أمية بن أبى الصلت :

من كل بطــــريق لبطـ * ـريق نــقى الوجه واضح

(٣) كذا فى الأصول . وفى طرفه الأصحاب ص ٢٠ : « ابن درة » ويقال : دراء .

(٤) الشذاذ : الذين ليسوا فى حيهم ومنازلهم .

(٥) ضلعك معه بفتح الضاد ، أى ميلك وهواك .

(٦) اعتوروا الشيء وتعاوروه : تداولوه .

فأُقسم لولا أَنْهَم ابنُ محـرِّقٍ * مع الله ما أكثرتُ عَدَّ الأقارب (١)
تَركت ابن عُشٍّ يرفعون برأسه * يَنوءُ بسـاقٍ كعبُها غيرُ راتبِ (٢)
وأنهـاهُمُ خلعى على غير مِيرةٍ * من اللحم حتى غُيِّبوا فى الغوائب (٣)

وقال أبو عمـرو : أغار أبو بردة بنُ هلال بنِ عُوَيْمر، أخو بنى مالك بن أفصَى ابن حارثة بن عمرو بن عامر بن آمرئ القيس على هَوازِنَ فى بلادها ، فلقى عمـرو ابن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاقْتتلوا قتالا شديدا ، فآنهزمتْ بنو عامر وبنو نصر (٤)، وقَتَل أبو بردة قيسَ بنَ زهير أخا خِدَاش بن زهير الشاعر ، وسَبَى نسوةً من بنى عامر : منهن صخرةُ بنتُ أسماءَ بن الضَّريبة النَّصرى ، وامرأتين منهم يقال لهما : بَيْقر ورَيّا ، ثم انصرفوا راجعين ، فلما انتهوا إلى هَرْشَى (٥) خَنَقتْ صخرة نفسَها فماتت ، وقَسَم أبو بُرْدة السبيَ والنَّعَم والأموال فى كلّ من كان معه ، وجعل فيه نصيبا لمن غاب عنها من قومه وفرّقه فيهم .

ثم أغارت هوازنُ على بنى ليث ، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم : بنو الملوح بن يَعْمَر ابن عوف ، ورِعاءً لبنى ضاطر بن حبشية ، فقتلوا منهم رَجْلا وسَبَوْا منهم سبيا كثيرا وآستاقوا أموالَهم ، فقال فى ذلك مالك بن عوف النَّصْرى (٦) :

(١) لولا أسهم : أى لولا أن أسهم بتقدير أن كقوله :
أنت المبـارك والميمون سـيرته * لولا تقوّم درء القوم لاختلفوا
وأسهم له : أعطاه سهما والمعنى : لولا أن ابن محرق جعل لله سهما فى هؤلاء القـوم أى لولا أنه أقسم علىّ بالله أن أرد إليهم ما غنمته منهم ، ما أكثرت عد الأقارب : أى لقللت عدد أقاربى فلم أبق على هؤلاء الذين نالونى بالأذى منهم . (٢) غير راتب : أى غير منتصب .
(٣) نهى من اللحم كفرح وأنهى : شبع منـه واكتفى . الميرة : الطعام يمتاره الإنسان أى يجلبه ، وفى جـ «وأنهاهم خلعى غير ميرة» بإسقاط «على» وفى ب ، س «على غير مرة عن» .
(٤) هم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
(٥) هرشى : ثنية فى طريق مكة قريبة من الجحفة .
(٦) كان قائد المشركين فى غزوة حنين .

نحن جلبْنا الخيلَ من بطن لِيّةٍ (١) * وجِلدانَ جُرْدًا مُنْعَلاتٍ ووُقَّحَا
فأصبحن قد جاوزن مَرًّا وجُحْفةً * وجاوزن من أكناف نخلةَ أبطحا (٢)
تلقَّطن ضَيطارِي خُزاعة بعد ما * أَبَرْنَ بصحراء الغَميم المُلَوَّحا (٣)
قتلناهمُ حتى تركنا شريدهمْ * نساء وأيتاما ورَجْلا مُسَدَّحا (٤)
فإنك لو طالعتهم لحسبتهم * بمنعرَج الصَّفراء عِترًا مُذَبَّحا (٥)

أغار على هوازن وقتل أبو زيد وعروة وقال شعرا

فلما صنعتْ هوازنُ ببنى ضاطر ما صنعتْ، جمع قيس بنُ الحدادية قومَه، فأغار على جُموعِ هوازنَ (٦)، فأصاب سَبْيا ومالا، وقتل يومئذ من بنى قشير: أبا زيد وعُروة وعامرا ومُرَوِّحا، وأصاب أبياتا من كلاب خُلوفا (٧)، واستاق أموالَهم وسَبْيا، ثم انصرف وهو يقول:

---

(١) لية: من نواحى الطائف، مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرافه من حنين يريد الطائف وأمر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف. جلدان: ويروى بالدال وبالذال، موضع قرب الطائف بين لية وبسل، يسكنه بنو نصر بن معاوية من هوازن، جردا جمع أجرد: وهو القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم، وفرس منعل، وقح الحافر: شديد الحافر، ووقح الحافر: صلب فهو واقح والجمع وقح، ووقاح كسحاب، والجمع وقح كسحب أى صلب باق على الحجارة. وفى البيت خرم.

(٢) بطن مر، ويقال له: مر الظهران: موضع بينه وبين مكة خمسة أميال، والجحفة: على ثلاث مراحل من مكة فى طريق المدينة، ونخلة الشامية واليمانية: واديان على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر، والأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٣) الضيطار: الضخم اللئيم الذى لا غناء عنده، أبارهم: أهلكهم، الغميم: موضع بين مكة والمدينة قرب المدينة بين رابغ والجحفة.

(٤) السدح: ذبحك الشىء وبسطكه على الأرض، أو هو الصرع بطحا على الوجه أو إلقاء على الظهر كالتسديح.

(٥) طالعه طلاعا ومطالعة: اطلع عليه، الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وهى فوق ينبع مما يلى المدينة، والعتر والعتيرة كذبح وذبيحة: الرجبية، وهى شاة كانوا يذبحونها فى الجاهلية فى رجب يتقربون بها إلى آلهتهم ويصب دمها على رأسها، وفى ب، س «عنزا».

(٦) فى الأصول «مصنوع» وهو تحريف.

(٧) الخلوف: الحى إذا خرج الرجال وبقى النساء.

نحن جَلَبْنَا الخيلَ قُبًّا بطونُها * تراها إلى الدّاعى المثوِّب جُنَّحا (١)

بكلّ خُزاعىٍّ إذا الحربُ شمَّرتْ * تسربَل فيها بُرْدَه وتوشَّحا

قرعْنا قُشَيرا فى المحلّ عشيّةً * فلم يجدوا فى واسع الأرض مَسْرَحا

قَتلْنا أبا زيد وزيدا وعامرا * وعروةَ أقصدْنا (٢) بها ومُرَوَّحا

وأُبْنا بإبْل القوم تُحدَى ، ونسوةٍ * يبكِّين شِلْواً أو أسيرا مجرَّحا (٣)

غداةَ سَقَينا أرضَهم من دمائهم * وأُبْنا بأُدْمٍ كنّ بالأمس وُضَّحا (٤)

ورُعْنا كلابا قبل ذاك بغارة * فسُقْنا جِلاداً فى المبارك قُرَّحا (٥)

لقد علمتْ أفناءُ بكر بن عامرٍ * بأنّا نَذودُ الكاشحَ المتزحزِحا (٦)

وأنا بلا مَهرٍ سوى البِيض والقَنا * نُصيب بأفناء القبائل مَنكَحا

وقال أبو عمرو : وزعموا أن قيسَ بن عيلانَ رغبتْ فى البيت ، وخُزاعة يومئذ تليه ، وطمِعوا أن ينزِعوه منهم ، فساروا ومعهم قبائلُ من العرب ورأّسوا عليهم

---

(١) القبب كسبب : دقة الخصر وضمور البطن ، قب بطن الفرس يقب كيعض فهو أقب وهى قباء والجمع قب بالضم ، التثويب تثنية الدعاء ، جنح جمع جانحة : أى مائلة إليه مقبلة عليه . وفى البيت خرم .

(٢) أقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٣) تحدى : تساق . والشلو : كل مسلوخ أكل منه شىء وبقيت منه بقية .

(٤) بأدم : أى بسبايا من النساء أدم ، جمع أدماء ، وصف من الأدمة بالضم وهى فى الناس : السمرة ، وضحا : أى بيضا جمع واضحة ، صرن أدما لشدة ما قاسين من ذل السبى والغلبة .

(٥) رعنا : أفزعنا ، والجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن ، أو التى لا لبن لها ولا نتاج ، والقرح والقوارح : جمع قارح وهى الناقة أول ما تحمل .

(٦) الأفناء : الأخلاط ، والكاشح : مضمر العداوة ، والمتزحزح : المتباعد ، يريد المتباعد عن محبتنا المتجافى عن مودّتنا .

٤/١٣

عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانى ، فساروا إلى مكّة فى جمع لُهَام[(١)]، فخرجتْ إليهم خُزاعة فاقتتلوا، فهُزِمتْ قيس ، ونجا عامرٌ على فرس له جواد[(٢)] . فقال قيس بن الحُدادية فى ذلك :

شعره فى حرب خزاعة وعامر بن الظارب

لقد سُمْتَ نفسَك يا بنَ الظَّرِبْ * وجشَّمتَهمْ منزلا قد صَعُبْ[(٣)]

٥ وحمَّلتهمْ مركبا باهظا * من العِبء إذ سُقتَهم للشَّغَبْ[(٤)]

بحربِ خُزاعة أهلِ العُلا * وأهلِ الثّناء وأهلِ الحسب

هم المانعو البيت والذائدون * عن الحُرُمات جميعَ العرب

نَفَوا جُرْهُمًا ونَفَوا بعدهم * كِنانةَ غَضْبًا بِبِيض القُضُب[(٥)]

وسُمْرِ الرماح وجُرْدِ الجياد * عليها فوارسُ صدقٍ نُجُبْ

١٠ وهمْ ألحقوا أَسَدًا عَنْوةً * بأحياء طىٍّ وحازُوا السلَبْ[(٦)]

خُزاعةُ قومى فإن أفتخر * بهمْ يَزْكُ مُعتصَرى والنَّسبْ[(٧)]

هم الرأس والناس مِن بعدهم * ذُنابَى، وما الرأس مِثلُ الذَّنَبْ[(٨)]

يُواسَى لدى المَحْلِ مولاهمُ * وتُكشَف عنه غُموم الكُرَبْ[(٩)]

فجارُهُم آمنٌ دهرَه * بهمْ أن يُضامَ وأن يُغتصَبْ

١٥ يلبُّون فى الحرب خوفَ الهجاء * ويبْرُون أعداءَهم بالحَرَبْ[(١٠)]

---

(١) لهام : كثير عظيم . (٢) فرس جواد : رائع .

(٣) يريد لقد سمت نفسك خسفا ، أى أوليتها إياه .

(٤) بهظه الأمر : غلبه وثقل عليه .

(٥) فى ج « تبيد القضب » وفى ب ، س « يبيد » .

٢٠ (٦) عنوة : قهرا ، والسلب : ما يسلب .

(٧) زكا يزكو : نما ، ويقال : رجل كريم المعتصر : جواد عند المسألة كريم .

(٨) الذنابى : الذنب . (٩) المحل : الجدب ، والمولى : الجار والحليف .

(١٠) فى ج ، ب : «يكبون» .

ولو لم ينجك من كيدهم * أمينُ الفُصوص شديدُ العَصَب[1]
لزرتَ المنايا، فلا تكفُرَنْ * جوادَك نُعماه يا بن الظَّرِب
فإنْ يلتقوك يُزْرُك الحِما * م أو تنجُ ثانيةً بالهرب

قال أبو الفرج : هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بيّن التوليد .

شعر لابن الأحب فى غارة هوازن على خزاعة

وقال أبو عمرو : أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالمحصّب[2] من مِنى، فأوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العَنْقاء، وبقوم من بنى ضاطر، فقتلوا منهم عَبْدا وعوفا وأقرم وغبشان ، فقال ابن الأحبّ العَدْوانى يفخر بذلك :

غداةَ التقينا بالمحصّب من مِنًى * فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائم
تركنا بها عوفا وعَبْدا وأقرمًا * وغبشانَ سُؤرا[3] للنُّسور القشاعم

أجاب قيس على ابن الأحب وغيره بأنه نخر بيوم لم يكن لهم

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيّره أن نخر بيوم ليس لقومه :

فخرْتَ بيوم لم يكن لك فخرُهُ * أحاديثُ طَسْمٍ[4] إنما أنت حالم
تفاخر قوما أطْرَدتْك[5] رماحُهمْ * أكعبُ بنَ عمرو: هل يُحاب البهائم
فلو شهدت أمُّ الصبيين حَمْلَنا * وركْضَهمُ لابيضّ منها المَقادم
غداةَ تولّيتمْ وأدبر جمعُكمْ * وأُبْنا بأسْراكم كأنّا ضَراغم[6]

---

(١) الفصوص : جمع فص، وهو ملتقى كل عظمين ، والأمين : القوى .

(٢) المحصب : موضع رمى الجمار بمنى .

(٣) السؤر : البقية والفضلة ، والقشاعم : جمع قشعم بكعفر، وهو من النسور : المسن الضخم .

(٤) طسم : قبيلة من عاد انقرضوا . ومن أمثال العرب : " أحاديث طسم وأحلامها " يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

(٥) أطرده : صيره طريدا .

(٦) ضراغم : جمع ضرغم بكعفر وهو الأسد .

قال أبو عمرو : وكان ابن الحدادية أصاب دما فى قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته، فهربوا فنزلوا فى فِراس بن غَنْم، ثم لم يَلْبَثوا أن أصابوا أيضا منهم رجلا، فهربوا فنزلوا فى بَجيلةَ على أسَد بن كُرْز، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا فى خُزاعة وفى فِراس، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز :

مدح أسد بن كرز لحمايته له، وقال شعرا فى ذلك

٥ / ١٣

لا تعذلينىَ سلمى اليومَ وانتظرى * أن يجمع الله شَملا طالما افترقا
إن شتّت الدهر شَملا بين جيرتكم * فطال فى نعمةٍ يا سَلْمِ ما اتفقا
وقد حللنا بقَسْرِىٍّ أخى ثقةٍ * كالبدر يجلو دُجى الظلماء والأفقا
لا يَجبرُ الناسُ شيئا هاضَه أسدٌ[1] * يوما ولا يَرْتُقون الدهرَ ما فتقا
كم من ثناءٍ عظيمٍ قد تداركه * وقد تفاقَمَ فيه الأمرُ وانخرقا

قال أبو عمرو : وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين، وغيرُهم يزعم أنها مصنوعة، صنعها حمّاد الراوية لخالد القَسرىّ[2] فى أيام ولايته، وأنشده إياها فوصله، والتوليد بيّن فيها جدّا .

شعره فى غارة ضريس على بنى ضاطر

وقال أبو عمرو : غزا الضَّريس القشيرىّ بنى ضاطر فى جماعة من قومه، فثبتوا[3] له وقاتلوه حتى هزموه، وانصرف ولم يفز بشىء من أموالهم، فقال قيس بن الحُدادية فى ذلك :

فِدًى لبنى قيس وأفناءِ مالكٍ * لدى الشِّسْع من رجلى إلى الفَرْق[4] صاعدا
غداةَ أتى قوم الضريس كأنهم * قَطا الكُدْر[5] من ودّان أصبح واردا

(١) هاض الشىء : كسره . (٢) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلى ثم القسرى، ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩، وولى العراقين فى عهد هشام بن عبد الملك، وتوفى سنة ١٢٦ ﻫ .
(٣) فى الأصول « فثنوا » وهو تحريف .
(٤) فى الأصول « وأقباء » وفى س « إلى الفراق » وهو تحريف . والشسع : أحد سيور النعل . والفرق : موضع المفرق من الرأس أى وسطه الذى يفرق فيه الشعر . (٥) الكدر : موضع قرب المدينة ؛ والكدرى : ضرب من القطا . وودّان : قرية بين مكة والمدينة قريبة من الجحفة .

فلم أر جمعا كان أكرم غالبا * وأحمى غلاما يوم ذلك أطردا (١)
رميناهم بالحوّ والكمت والقنا * وبيض خفاف يختلين السواعدا (٢)

مدحه بنى عدىّ ابن عمرو من خزاعة

قال أبو عمرو : ولما خلعت خزاعة قيسا، تحوّل عن قومه، ونزل عند بطن من خزاعة، يقال لهم بنو عدى بن عمرو بن خالد، فآووه وأحسنوا إليه، وقال يمدحهم :

جزى الله خيرا عن خليع مطرّد * رجالا حموه آل عمرو بن خالد
فليس كمن يغزو الصديق بنوكه * وهمته فى الغزو كسب المزاود (٣)
عليكم بعرصات الديار فإننى * سواكم عديدٌ حين تبلى مشاهدى (٤)
ألاوذتم حتى إذا ما أمنتم * تعاورتم سجعا كسجع الهداهد (٥)
تجنّى علىّ المازنان كلاهما * فلا أنا بالمغضى ولا بالمساعد (٦)
وقد حدبت عمرو علىّ بعزها * وأبناؤها من كل أروع ماجد (٧)

(١) كذا فى الأصول وفى البيت سناد التأسيس، وهو عيب من عيوب القافية، ولعلها «طاردا» .

(٢) الحو جمع أحوى وحواء، وصف من الحوّة : وهى حمرة إلى السواد، والكميت من الخيل يستوى فيه المذكر والمؤنث، وصف من الكمتة، وهى لون بين السواد والحمرة، وجمعه كمت . يختلين السواعد : يقطعن و يذهبن بسواعد المضروبين بها .

(٣) فليس كمن يغزو : أى فليس هذا الحى كمن يغزوه . والنوك بالفتح والضم : الحمق، والمزاود : جمع مزود كمنبر، وهو وعاء الزاد .

(٤) يخاطب فى هذا البيت وما بعده قومه . والعرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والجمع عرصات بفتح الراء، وسكنت فى البيت للضرورة . عديد : معدود . تبلى : تختبر . مشاهد جمع مشهد، أى شهودى القتال وخوضى غماره، وفى الأصول «يبلى مساعد» وهو تحريف .

(٥) لاوذ : استتر، وتعاوروه : تداولوه، وسجعت الحمامة : طربت فى صوتها ووالته على طريق واحد .

(٦) فى ج «تحنى» أى عطف، وفى ب، س «تجنى»، وتجنى عليه : ادعى ذنبا لم يفعله .

(٧) حدب عليه كفرح : عطف . والأروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته .

مَصاليتُ يومَ الرَّوعِ كَسْبُهم العُلا * عِظامُ مَقيلِ الهامِ شُعْرُ السواعدِ (١)
أولئك إخوانى وجُلُّ عشيرتى * وثروتُهم والنصرُ غيرُ المحُارِدِ (٢)

أخبرنى أحمد بن سليمان الطوسى، والحرمى بن أبى العلاء قالا: حدّثنا الزبير ابن بكار قال: أخبرنى عمّى أنّ خُزاعةَ أغارت على اليمامة (٣)، فلم يظفَروا منها بشىء، فهزموا وأسر منهم أسرى، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسرهم إلى مكة فى الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم، فغدَوا جميعا إلى الخَلْصاء (٤)، وفيهم قيس ابن الحُدادِيّة، فأخرجوهم وحملوهم، وجعلوهم فى حَظِيرة ليحرقوهم، فمرّ بهم عدىّ ابن نوفل (٥)، فاستجاروا به، فابتاعهم وأعتقهم، فقال قيس يمدحه:

مدحه عدىّ بن نوفل ٦/١٣

دعوت عديًّا والكُبولُ تَكُبُّنى * ألا يا عدىُّ يا عدىّ بن نوفلِ (٦)
دعوت عديا والمنايا شوارِعٌ * ألا يا عدىّ للأسير المكبَّلِ (٧)
فما البحر يجرى بالسَّفينِ إذا غدا * بأجودَ سَيْبا منه فى كل مَحفِلِ (٨)
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما * أصابهمُ منّا حريقُ المحلَّلِ (٩)
وأتبعت بين المَشْعَرين سِقايةً * لحجّاج بيت الله أكرم مَنهَلِ

(١) مصاليت: جمع مصلات، وهو الماضى فى الأمور. الهام: الرءوس، جمع هامة، ومقيل الهامة: مستقر الرأس أى العنق، يقول: إنهم غلاظ الأعناق وهو كناية عن قوة البأس. شعر: جمع أشعر، وهو كثير الشعر طويله.

(٢) الثروة: كثرة العدد بين الناس. والمال غير المحارد، أى غير المنقطع، وأصله من حاردت الإبل حرادا: انقطعت ألبانها أو قلت.

(٣) اليمامة: صقع شرقى الحجاز وبعد من نجد.

(٤) فى ب، س «الحلقاء» وفى جـ «الخلفا» وهو تحريف. والخلصاء: بلد بالدهناء، والدهناء من ديار بنى تميم بنجد.

(٥) هو عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة.

(٦) الكبول: جمع كبل بالفتح، وهو أعظم ما يكون من الأقياد. وكبه: قلبه وصرعه.

(٧) شوارع: جمع شارعة، أى مسددة، من شرعت الرماح أى تسدّدت.

(٨) السيب: العطاء.

(٩) المحلل: أى من حلل إحراقنا فى الأشهر الحرم.

هجرة خزاعة لجدب أصابهم وشعره فى ذلك

قال أبو عمرو: وكان قيس بنُ الحُدادية يَهوَى أمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعىّ، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنهم أَجدَبوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، رأوا البوارق خلفهم، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغيث والمطر وغزارتَه، فرجع عمرو بن عبد مَناة فى ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدّم قَبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك، واسمها نُعم بنت ذؤيب، فمضى، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدةَ التى فيها الغناء المذكور:

أَجِدَّك إنْ نُعْمٌ نأت أنت جازِعُ * قد اقترَبتْ لو أن ذلك نافعُ
قد اقتربت لو أن فى قُرب دارها * نوالا، ولكن كلُّ من ضَنّ مانع
وقد جاورَتْنا فى شهور كثيرة * فما نوّلَتْ، واللهُ راءٍ وسامع
فإنْ تلقَيَنْ[1] نعمى هُدِيتَ فحيِّها * وسل كيف تُرعَى بالمَغيب الودائع
وظنِّى بها حفظٌ لِغَيبى[2]، ورِعيةٌ * لِماَاسترُعِيَتْ، والظن بالغيب واسع
وقلت لها فى السرّ بينى وبينها * على عجَل: أيّان مَن سار رَاجع؟
فقالت: لقاءٌ بعد حَول وحِجّة[3] * وشَحطُ النوى إلا لذى العهد قاطع
وقد يلتقى بعد الشّتات أولو النّوى[4] * ويسترجع الحىَّ السحابُ اللوامع
وما إنْ خَذولٌ[5] نازعَتْ حبلَ حابلٍ * لتنجوَ إلا استسلَمتْ وهى ظالع

(١) فإن تلقين: مؤكد بنون التوكيد الخفيفة. وفى الأصول «فإن تلقيا».
(٢) فى الأصول «حفظ بعينى» وهو تحريف، والرعية: اسم من الرعاية.
(٣) الحجة: السنة. والشحط: البعد.
(٤) النوى: البعد. يسترجع الحى، أى يرجعهم ويردّهم.
(٥) الخذول من الظباء والبقر: التى تخذل صواحباتها وتتخلف عن القطيع وتنفرد مع ولدها؛ ويقال هو مقلوب لأنها هى المتروكة. ظلع كمنع: غمز فى مشيه.

بأحسنَ منها ذاتَ يوم لقيتُها * لها نظرٌ نحوى كذى البَثّ خاشع (١)

رأيت لها نارا تُشَب ، ودونها * طويلُ القَرَا من رأس ذَروةَ فارع (٢)

فقلت لأصحابى : اصطَلُوا النار إنها * قريبٌ ، فقالوا : بل مكانك نافع (٣)

فيا لك من حادٍ حَبوت مقيَّدا * وأنحَى على عِرنينِ أنفك جادع (٤)

أغيظًا أرادتْ أن تُخَبّ جمالُها * لتفجَعَ بالإظعـان مَن أنت فاجع (٥)

فما نُطفـة بالطَّود أو بضَرِيَّة * بقية سـيلٍ أحرزَتْها الوقائع (٦)

يطيف بها حَرّانُ صادٍ ولا يرى * إليها سبيلا غيرَ أنْ سيطالع (٧)

بأطيبَ مِن فيها إذا جئت طارقا * من الليل واخضلّتْ عليك المَضاجع (٨)

---

(١) البث : أشد الحزن . وفى جـ « نجوى كذا الشب خاسع » وهو تحريف .

(٢) تشب : توقد . القرا : الظهر . ذروة : اسم جبل . الفارع : العالى .

(٣) اصطلوا النار : يريد جدوا فى السير لنصطلى النار إنها قريب ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع ، أو تأويله : فى مكان قريب .

(٤) فى الأصول « فالك » ولعله محرف . وأنحى : فى الأصول « والحى » وهو تحريف . والمعنى : فقالوا عجبا لك ! إنك تسير سيرا بطيئا كحبو الصبى مقيـدا ، وقد جدع عرنين أنفك أى ليس لديك العدة الكافية للحاق بها فكيف تدركها ؟ أو لعله يدعو على قائد القافلة بالأسر وجدع الأنف لأنه لم يلب طلبته .

(٥) فى جـ « أغيظى » وفى ب ، س « أعيطا » وهـو تصحيف ، تخبت : أسرعت ، وقد أخبها صاحبها . ظعن كمنع : سار ، وأظعنه إظعانا : سيره . من أنت فاجع : أى أصحابك ، والمعنى : أأرادت أن تخب جمالها غيظا لك فيحملك ذلك على أن تشـق على أصحابك وتجهدهم فى السـير ، ويصح أن يكون « بالأظعان » بفتح الهمـزة ، جمع ظعينة : وهى المرأة ما دامت فى الهودج ، أى لتفجـع أصحابك بهذه الظعائن المرتحلة — وفيهن محبوبته نعم — فتكدهم فى السير لإدراكها .

(٦) النطفة : المـاء الصافى قل أو كثر ، والجمع نطاف . والطود : الجبـل . وضرية : بئر ، وفى الأصول « صرية » وهو تصحيف ، والوقائع جمع وقيعة ، وهى النقرة فى الجبل يستنقع فيها المـاء .

(٧) أطاف به : ألم به وقاربه . حران صاد : عطشان . طالعه : اطلع عليه أى أشرف .

(٨) الطارق : الآتى ليلا . اخضلت : نديت .

وحَسْبُك من نأيٍ ثلاثةُ أشهر * ومن حَزَنٍ أن زادَ شوقَك رابعُ
سعى بينهم واشٍ بأفلاق بِرْمةٍ[(١)] * ليفجَع بالأظعان مَن هو جازع
بكت من حديث بَثَّه وأشاعه * ورصَّفه واشٍ من القوم راصع[(٢)]
بكت عينُ من أبكاك لا يعرف البكا * ولا تتخالجك الأمور النوازع[(٣)]
فلا يسمعَنْ سرّى وسرّك ثالثٌ * ألَا كلُّ سرّ جاوز اثنين شائعُ
وكيف يَشيع السرُّ منّى ودُونَه * حجاب ومِن دون الحجاب الأضالعُ!
وحبٌّ لهذا الرَّبع يمضى أمامه * قليلُ القِلَى منه جليلٌ ورادع[(٤)]
لموتٌ به حتى إذا خفتُ أهلَه * وبيّنَ منه للحبيب المخادع
نزعتُ فما سِرّى لأوّل سائل * وذو السر ما لم يَحفظ السرَّ ماذع[(٥)]
وقد يَحمَد اللهُ العزاءَ من الفتى * وقد يَجمع الأمرَ الشتيتَ الجوامعُ
ألا قد يُسلِّى ذو الهوى عن حبيبه * فيَسْلَى، وقد تُرْدِى المطيَّ المطامعُ

---

(١) برمة : عرض من أعراض المدينة قرب « بلاكث » بين خيبر ووادى القرى ، وهى عيون ونخل لقريش . وأفلاق جمع فلق كسبب ، وهو المطمئن من الأرض بين ربوتين ، وقد ورد جمعه فى كتب اللغة على فلقان بالضم ، وفى الأصول « لتفجع » وهو تصحيف .

(٢) بث الخبر : نشره ، ورصف الشىء كقتل : ضم بعضه إلى بعض ونظمه (وقد ضعف الفعل هنا) ورصعه بالرمح : طعنه طعنا شديدا غيب السنان كله فيه ، ورصع الشىء : عقده عقدا مثلثا متداخلا كعقد التميمة ونحوها .

(٣) تقدم هذا البيت فى أبيات الصوت ، وصدره : « بكت عين من أبكاك ليس لك البكا » وروى هنا فى الأصول « بكت عين من أبكاك ، لا يعرف البكا » ولعل صوابه « لا يعدم البكا » أى لازمه وصاحبه ، وهى جملة دعائية ثانية ، دعا على الواشى فى الجملة الأولى بأن تبكى عينه ، وفى الثانية بأن يلازمه البكاء .

(٤) الربع : المنزل . فى الأصول « قليل » مكان « جليل » ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٥) فى ح « وادع » وفى ب و س « وازع » وأرى صوابه « ماذع » جاء فى كتب اللغة : المذاع كشداد : من لا وفاء له ولا يحفظ أحدا بالغيب ومن لا يكتم السر .

وما راعنى إلّا المنادى ألَا اظعَنوا * وإلا الرواغِى غُـدوةً والقعاقع (١)

فجئت كأنى مستضيفٌ وسـائل * لأُخـبرها كلَّ الذى أنا صـانعُ

فقالت : تزحزحْ ما بنا كُبْرُ حاجةٍ * إليـك ولا منّـا لفقرك راقـعُ

فمـا زلتُ تحت السِّترحتى كأننى * من الحرِّذو طِمْرَيْن فى البحر كارعُ (٢)

فهزّت إلىّ الرأس مـنى تعجّبا * وعُضِّض ممـا قد فعلتُ الأصابعُ

فأيّهمـا ما أتبعَـنّ فإننى * حزين عـلى إثر الذى أنا وادع (٣)

بكى من فراق الحىّ قيسُ بنُ مُنقذ * وإذراءُ عينى مثـلَه الدمعَ شائع (٤)

بأربعـة تنهـلُّ لمّـا تقـدّمتْ * بهم طُرُق شـتَّى وهنّ جـوامع (٥)

وما خِلْتُ بينَ الحىّ حتى رأيتهم * ببَينونةَ السفلَى وهبّت سَـوافع (٦)

(١) رغت الناقة رغاء : صوتت فهى راغيـة والجمع الرواغى ، وفى الأصول « الرواعى » وهـو تصحيف ، والقعاقع : تتابع أصوات الرعد فى شدة ؛ جمع قعقعة ، والمراد هنا أصوات تقويض الأخبية وما إلى ذلك تأهبا للرحيل . وقد قالوا : قعقعت عمدهم وتقعقعت ، أى ارتحلوا ، أو هو « القعاقع » بالضم ، رجل قعاقع : كثير الصوت .

(٢) الطمر : الثوب الخلق . كرع فى المـاء كمنع وسمع : تناوله بفيه من موضـعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء ، وكل خائض ماء كارع ، شرب أو لم يشرب .

(٣) يستشهد بهذا البيت على استعمال وادع بمعنى تارك ، اسم فاعل من ودع بمعنى ترك ، ورد فى لسان العرب : « ولا يقولون ودعته ولا وذرته استغنوا عنهما بتركته والمصدر فيهما تركا ، ولا يقال ودعا ولا وذرا وحكاهما بعضهم ، ولا وادع ، وقد جاء فى بيت أنشده الفارسى فى البصريات :

فأيهمـا ما أتبعـنّ فإننى * حزين على ترك الذى أنا وادع »

وهكذا روى الشطر الأوّل فى نسخة جـ ، وفى ب ، س « فأيهما منها اتبعت » .

(٤) هذا البيت من قول حبيبته بدليل « وإذراء عينى مثله » والظاهر أنه قد سقط قبله من الرواية بيت أو أكثر . أذرت العين الدمع إذراء : صبته .

(٥) بأربعة ، أى بأربع أعين وهى عيناه وعيناها . وانهلت العين : سالت بالدمع .

(٦) البين : الفراق . وبينونة : موضع بين عمان والبحرين ، وهما بينونتان : بينونة الدنيا وبينونة القصوى ، وكلتاهما فى شق بنى سعد بين عمان و يبرين ، وفى الأصـول « وهن » ومكان « وهبت » ؛ وهو تحريف . السوافع : لوافح السموم ، سفعته الشمس والسموم : لفحته لفحا يسـيرا فغيرت لون بشرته وسوّدته .

كأن فؤادى بين شِقَّين من عَصًا * حِذار وقوعِ البين والبينُ واقعُ

يحُثُّ بهم حادٍ سريعٌ نَجاؤه (١) * ومُعْرًى عن الساقين والثوب واسع

فقلت لها يا نُعمَ حُلِّى محلّنا (٢) * فإن الهوى يا نُعم والعيش جامع

فقالت وعيناها تَفيضان عَبرةً * بأهلىَ بَيِّنْ لى متى أنت راجع؟

فقلت لها تالله يدرى مسافر * إذا أضمرتْه الأرضُ ما الله صانعُ

فشدّت على فيها اللثامَ وأعرضتْ * وأمعن (٣) بالكُحلِ السَّحيقِ المدامع

وإنى لعهد الودّ راعٍ، وإننى * بوصلك مالم يطونى الموتُ طامع

قال أبو عمرو: فأنشدتُ عائشةَ بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتا واحدا يشبهها ويَدخل فى معناها فله حُلّتى هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

شعره فى مشوقته نعم

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضا يذكر بين الحىّ وتفرقهم ويَنسب بنعم:

سقى الله أطلالا بنعمٍ ترادفت * بهن النَّوى حتى حلَلْن المَطاليا (٤)

فإن كانت الأيام يا أمّ مالك * تسلِّيكمُ عنّى وتُرضِى الأعاديا

فلا يأمنَنْ بعدى امرؤ بِفَجْع لَذّةٍ * من العيش أو فجْعَ الخطوبِ العَوافيا (٥)

وبُدِّلت من جَدواكِ يا أمّ مالكٍ (٦) * طوارقَ همٍّ يحتضِرْن وِساديا

(١) النجاء: السرعة فى السير.

(٢) فى جـ «خلى» وهو تصحيف.

(٣) أمعن الماء: سال وجرى.

(٤) المطالى: الأرض السهلة اللينة تنبت العضاه، واحدتها مطلاء، على وزن مفعال. وهى مؤنثة لا غير. أطلالا جمع طلل، وطلل كل شىء شخصه. ترادفت: تتابعت عليها الرحلة.

(٥) العوافى: جمع عافية وهى الطامسة.

(٦) الجدوى: العطية، وفى الأصول «يحضرون» وهو خطأ صوابه ما أثبتنا لأن مرجع الضمير غير عاقل.

وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُبَّة * أُساقِى الكماةَ الدارعين العَــواليا (١)

فيوماىَ يومٌ فى الحـديد مُسربَلا * ويوم مـع البِيض الأوانِس لاهيا

فلا مــدركًا حظًّا لدى أمّ مالك * ولا مســتريحا فى الحياة فقاضـيا (٢)

خليــلىّ إن دارت على أمّ مالك * صُروفُ الليـالى فابعثا لىَ ناعيا

٥ ولا تتركانى لا لخـيرٍ معجَّل * ولا لبقـاءٍ تنظران بقـائيا

وإن الذى أمّلتُ مِن أمّ مالك * أشابَ قَذالى واســتهامَ فـؤاديا (٣)

فليت المنـايا صبّحتنى غُــدَيَّةً * بذَبح ولم أسمــع لبَــيْنٍ مناديا (٤)

نظــرتُ ودونى يذْبُلٌ وعَمــايةٌ * إلى آل نُعــمٍ مَنظــرا مُتنائيا (٥)

شكوت إلى الرحمن بُعْدَ مَزارها * وما حمّلتــنى وانقطاعَ رجائيا

١٠ وقلتُ ولم أملكْ أعمرو بن عامر * لِحتفٍ بذات الرَّقْتــين يرى ليا (٦)

وقد أيقنتْ نفسى عشــيّةَ فارَقوا * بأسفل وادى الدَّوحِ أَن لا تلاقيا (٧)

إذا ما طواكِ الدهرُ يا أمَّ مالكٍ * فشأنُ المنـايا القاضياتِ وشانيا (٨)

---

(١) الجبة : الدرع . والكماة : جمع كمىّ : وهو الشجاع المتكمى فى سلاحه أى المتغطى المتستر بالدرع والبيضة . ورجل دارع : عليه درع . والعوالى جمع عالية ، وهى أعلى الرمح ورأسه .

١٥ (٢) قاضيا : ميتا ، من قضى ، أى مات .

(٣) القذال : جماع مؤخر الرأس ، واستهام فؤاده : أذهبه .

(٤) غدية مثل عشية : لغـة فى غدوة ، كضحية لغـة فى ضحوة ، والجمع غدايا كعشية وعشايا . والبين : الفراق .

(٥) يذبل وعماية : جبلان فى بلاد نجد .

٢٠ (٦) الرقتان : روضتان إحداهما قريب من البصرة ، والأخرى بنجد . وفى جـ « أبرى ليـا » وهو تحريف .

(٧) فى ب ، س « وادى الروح » وهو تحريف .

(٨) فى الأصول « القاصيات » وهو تصحيف .

قال أبو عمرو : وقد أدخل الناس أبياتا من هذه القصيدة فى شعر المجنون .

أراد قوم من مزينة أسره فقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز

قال أبو عمرو : وكان من خبرَ مقتَل قيس بنِ الحُدادِيّة أنه لقى جَمْعا من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرّة، فقالوا له : اِستأسِر، فقال : وما ينفعكم منّى إذا استأسرتُ وأنا خليع؟ والله لو أسرتمونى ثم طَلبتْم بى من قومى عنزا جَرْباء جَذْماء[1] ما أُعطيتموها، فقالوا له : استأسر لا أُمّ لك[2] ! فقال : نفسى علىّ أكرم من ذاك، وقاتَلَهم حتى قُتل. وهو يرتجز ويقول :

أنا الذى تَخْلَعه مواليهْ * وكلُّهم بعد الصّفاءِ قاليهْ[3]

وكلّهم يُقْسم لا يباليهْ[4] * أنا إذا الموت ينوب غاليه

مختلطٌ أسفلُهُ بعاليه * قد يعلم الفتيان أنّى صاليه

* إذا الحديد رفعتْ عَواليه *

وقيل: إنه كان يتحدّث إلى امرأة من بنى سُلَيم، فأغاروا عليه وفيهم زوجُها، فأفلت فنام فى ظلّ وهو لا يَخْشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِل .

(١) الجذماء : المقطوعة اليد .

(٢) يقول الرجل للرجل : « لا أم لك » وهو شتم وسب ، ومعناه ليس لك أم حرّة ، وذلك أن بنى الإماء عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين بيسنى الحرائر. وقيل : معناه أنت لقيط لا تعرف لك أم ، وربما وضع موضع المدح بمعنى التعجب منه .

(٣) قاليه : مبغضه . (٤) فى ب ، س « لا يناليه » ، يقال لا يباليه ولا يبالى به ، والغالى فى أمر : المبالغ فيه .

صـــوت

شعر لابن قنبر في التشبيب

صَرمْتِنِي ثم لا كلَّمتِنِي أبـدًا * إن كنت خنتُك في حال من الحال(١)

ولا اجترمت الذى فيـه خيانتُكم * ولا جَرَتْ خَطرةٌ منـــه على بالى(٢)

فسوِّغينى المُـنى كيما أعيشَ بهـا(٣) * وأَمسِكِى البذلَ ما أطلعتِ آمالى

أو عجِّـلى تلَفى إن كنتِ قاتلتى * أو نوِّليـــنى بإحسان وإجمــال

الشعر لابن قُنْبُر، والغناء ليزيد بن حـوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته .

(١) فى الأصول «إن كنت جئتك» ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيرد فى الترجمة .

(٢) اجترم : أجرم وأذنب ، وفى ب ، ﺣ « خطرة منى » .

(٣) فى الأصول : « أعيش به » وهو تحريف .

أخبار ابن قُنْبُر ونسبه

نسبه

٩/١٣

هو الحكم بن محمد بن قُنْبُر المازنى مازن بنى عمرو بن تميم ، بصرىّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشميّة، وكان يهاجى مسلمَ بنَ الوليد الأنصارى مدّة، ثم غلبه مسلم .

هجاؤه مسلم ابن الوليد

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب جدّى يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه : حدّثنى الحسن بن سعيد قال : حدّثنى منصور بن جَهْوَر قال : لمّا تَهاجَى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أَمسَك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانَه ، فجاء مسلما ٱبن عم له فقال : أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل فى عمود الشعر، وقد بعثتَ عليه لسانَك ثم أَمسكتَ عنه، فإما أن قاذعتَه، و إما أن سالمتَه؛ فقال له مسلم : إن لنا شيخا له مسجد يتهجد(١) فيه ، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته فى كفايتنا إياه، فأطرق الرجلُ ساعةً ثم قال :

غَلَبَ ٱبن قُنْبر واللئيم مغلّب(٢) * لمّا ٱتّقَيْتُ هجاءه بدعاء

ما زال يقذف بالهجاء ولذعهِ * حتى اتقوه بدعوة الآباء

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر لِيبلغَ منّى هذا ، فأمسِك عنى لسانك وتعرّف خبره بعد، قال : فبعث الرجل والله عليه من لسانِ مسلِم ما أَسكتَه .

أخبرنى الحسن بنُ على قال : حدّثنا ٱبنُ مَهرُوَيه قال : حدّثنى محمد بن عبد الله العبدى القَسْرى قال : رأيت مسلم بنَ الوليد والحكم بنَ قنبر فى مسجد الرُّصافة(٣)

(١) التهجد : صلاة الليل . (٢) المغلب : المحكوم له بالغلبة .

(٣) يعنى رصافة بغداد، وهى فى الجانب الشرقى .

فى يوم جمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدتَه :

أنا النار فى أحجارها مستكِنّة (١) * فإن كنتَ ممّن يقدح النار فاقدح

وتلاه ابن قنبرٍ فأنشد قوله :

قد كدتَ تهوِى وما قوسى بموتَرةٍ * فكيف ظنُّك بى والقوسُ فى الوَتَرِ (٢)

فوثب مسلم وتواخزا (٣) وتواثبا حتى حجز الناسُ بينهما فتفرّقا ، فقال رجل لمسلم — وكان يتعصب له — : وَيْحك ! أعَجَزْتَ عن الرجل حتى واثبتَه ؟ قال : أنا وإيّاه لكما قال الشاعر :

* هنيئا مريئا أنت بالفُحْش أبصرُ *

وكان ابن قنبر مستعليا عليه مدّة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، فمن مُناقضتهما قولُ ابنِ قنبر :

ومِن عَجَب الأشياء أنّ لمسلم * إلىّ نِزاعا (٤) فى الهجاء وما يدرى

ووالله ما قِيستْ علىّ جُدودُه (٥) * لدى مَفخَرٍ فى الناس قوسا ولا شعرى

ولابن قُنبرٍ قولُه :

كيف أهجوكَ يالئيمُ بشِعْرى * أنت عندى فاعلمْ هِجاءُ هِجائى

يادعىَّ الأنصارِ بل عبدَها النـ * ـذلَ تعرّضتَ لى لدَرْك الشقاء

(١) فى الأصول : « إذا النار » ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) أوتر القوس : جعل لها وترا .

(٣) تواخزا : تطاعنا طعنا غير نافذ ، وقيل فيه غير ذلك . وفى الأصول : « وتواخذا » بالذال ؛ وهو تصحيف .

(٤) نزع إليه نزاعا : اشتاق ، كنازع .

(٥) علىّ : على جدودى وأصولى . قوسا : مقدار قوس .

أنشد المأمون بيتين له وأمر ابن محرز بتلحينهما

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى أبو توبة، عن محمد بن جُبير[1] عن الحسين بن محرز المغنّى المدَينى قال : دخلت يوما على المأمون فى يوم نوبتى وهو ينشد :

صـــوت

١٠/١٣

فما أقصرَ اسمَ الحبّ ياوَيْحَ ذى الحبّ * وأعظمَ بلواه على العاشق الصبّ

يمــرّ به لفظُ اللّســان مشـــمّرا * ويغــرَق من ساقاه فى لُجَج الكرب

فلما بصُربى قال : تعــال ياحسين، بجئت، فأنشدنى البيتين، ثم أعادهما علىّ حتى حفِظتُهما، ثم قال : اِصنَع فيهما لحْنا، فإن أجدتَ سررتُك، نخلوت وصنعتُ فيهما لحنى المشهور، وعُدتُ فغنيّته إيّاه، فقال : أحسنت، وشرب عليــه بقيّةَ يومه، وأمر لى بألف دينار، والشعر لحكم بن قنبر .

شعره فى النسيب

أخبرنى محمد بن الأزهر قال : حدّثنى حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن محمد بن سلّام قال : أنشدنى ابن قنبر لنفسه :

وَيْلى على من أطارَ النــومَ وٱمتَنعا * وزاد قلبى على أوجاعِه وَجَعــا

ظبيٌ أغرُّ ترى فى وجهــه سُرُجا[2] * تُعشِى العيونَ إذا ما نورُه سطعا

كأنمــا الشمس فى أثوابه بزغَتْ[3] * حُسننا، أو البدرُ فى أردانِه طلعا

فقدنسيتُ الكرى من طُول ماعطِلتْ * منه الجفونُ وطارت مهجتى قِطَعا

(١) فى الأصول : « حبر » بالحاء المهملة ؛ والتصويب عن الأغانى ج ١٣ : ٢٧٧ سطر ١٤

(٢) سرجا : جمع سراج . تعشى العيــون : أعشاه فعشى (كفرح) عشا ، والعشا سوء البصر ، وفى الأصول « يغشى » .

(٣) أردان : جمع ردن بالضم ، وهو أصل الكم .

قصته مع جوار تعرضن له

قال ابن سلّام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوارٍ من جوارى سليمانَ بن علىّ فى الطريق الذى بين المِرْبَد وقَصْر أوس، فقلن لى: أنت الذى تقول:

* ويلى على من أطار النومّ وامتنعا *

فقلتُ: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبْنى ويَلهون بى حتى أخرجننى من ثيابى، فرجعتُ عاريا إلى منزلى. قال: وكان حسنَ اللّبـاس.

حفظ علىّ بن محمد النوفلى من شعره

أخبرنى محمد بن الحسين الكِنْدىّ مؤدّبى قال: حدّثنى على بن محمد النُّوفلى قال: حدّثنى عمى قال: دخل الحكم بن قنبر على عمّى — وكان صديقا له — فبَشّ به ورفع مجلسه، وأظهر له الأنس والسرور، ثم قال: أنشدنى أبياتَك التى أقسمتَ فيها بما فى قلبك. فأنشده:

وحقِّ الذى فى القلب منك فإنه * عظيمٌ لقد حصّلت سرك فى صدرى

ولكنّما أفشاه دمعى، وربّما * أتى المرءَ ما يخشاه من حيث لا يدرى

فهب لى ذنوب الدمع، إنى أظنّه * بما منه يبدو إنما يبتغى ضرّى

ولو يبتغى نفعى لخلّى ضمائرى * يردّ على أسرار مكنونها سترى

فقال لى: يا بنىّ اكتبها واحفظها، ففعلتُ وحفظتُها يومئذ وأنا غلام.

رواية محمد بن سلام لشعره واعتراضه عليه

أخبرنى اليزيدىّ قال: أخبرنى عمّى عن ابن سلّام، وأخبرنى به أحمد عن ابن عباس العسكرى عن القنبرى عن محمد بن سلام قال: أنشدنى ابنُ قُنبر لنفسه قوله:

صرمْتِنِى ثم لا كلّمتِنِى أبدا * إن كنت خنتك فى حالٍ من الحالِ

ولا اجترمت الذى فيه خيانتكم * ولا جرتْ خَطرة منه على بالى

قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغتَ فى اليمين . فقال : هى عندى كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هى عندى .

قال اليزيدى : قال عمّى وهو الذى يقول (وفيه غناء) :

صـــوت

١١/١٣

ليس فيهـا ما يقال له * كملتْ لو أنّ ذا كَمَلا

كلّ جزء من محاسنهـا * كائنٌ فى فضـله مَثلَا

لو تمنّت فى مَلاحتهـا * لم تجد من نفسها بَدَلا

٥

فيه لحنٌ لابن القصّار رَمَل .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدّثنى ابن مهـرُويَه قال : قال لى إبراهيم بن المدبِّر [(١)] : أتعرف الذى يقول :

١٠

شعر منسوب إليه أو للعتابى

إن كنتَ لا تَرهبُ ذَمّى لـمـا * تَعرف من صفحى عن الجاهلِ

فاخشَ سُـكوتى فَطِنا مُنصِتا * فيـك لتحسين خنا [(٢)] القـائل

مقـالةُ السّـوء إلى أهلهـا * أسهلُ من منحدرٍ سائل

ومن دعا النـاسَ إلى ذمّه * ذمُّـوه بالحـقّ وبالبـاطل

---

(١) أورد صاحب زهر الآداب « ج ٢ : ص ١١٠ » ثمانية أبيات منها الأربعة المذكورة هنا ، ونسبها لمحمد بن حازم الباهلىّ .

١٥

(٢) الخنا من الكلام : الفحش ، وفى جـ « حنى » وفى ب ، س « جنى » وهو تصحيف ، ورواية زهر الآداب :

فاخش سكوتى إذ أنا منصت * فيـك لمسموع خنا القائل

فقلت : هــذه للعتّابى ، فقال : ما أنشــدتُها إلّا لابن قُنــبُر ، فقلت له : من شاء منهما فليقُلْها ، فإنّه سرقه من قول عبيد الله بنِ عبد الله بنِ عُتْبة :

وإن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما * سكتّ له حتى يلجّ ويستشرى (١)

ذم كل قرشىّ لم يتخلق بأخلاق قريش

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنى أبو مسلم يعنى محمد بن الجهم قال : أطعَمَ رجل من وَلَد عبد الله بنِ كُرَيز صديقا له ضيعة ، فمكثتْ فى يده مدة ، ثم مات الكُرَيزى ، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة ، فمنعه إياها ، فاختصما إلى عبيــد الله بن الحسن ، فقيل له : ألا تستحى ! تطالب بشىء إن كنت فيــه كاذبا أثمت ، وإن كنت صادقا فإنمــا تريد أن تنقض مكرُمةً لأبيك ، فقال له ابن الكريزى — وكان ساقطا — : الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله ، فقال له عبيد الله ابن الحسن : هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك ، وهذا موضع هذا القول ، اللهــم آردُدْ على قريش أخطارَها (٢) ، ثم أقبَــلَ علينا فقــال : لله دَرّ الحكم بن قُنــبُر حيث يقول :

إذا القُرَشىّ لم يُشْــبِه قريشا * بفعلهـــم الّذى بَذَّ الفعــالا
فجَــرْمِىٌّ (٣) له خُلُقٌ جميــل * لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

تمثل الرشيد بشعره للعباس بن محمد

أخبرنى محمــد بن الحسين الكندى قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيــل العَنَزىّ قال : حدّثنا مسعود بن بشر قال : شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرَّقّىّ

(١) فى جـ ، ب ، س « يلج ويشــترى » . والتصويب عن مختار الأغانى الكبير ٣ : ٤١٣ ، استشرى الفرس فى سيره : لج ومضى وجد فيــه بلا فتور ولا انكسار ، ومن هــذا يقال للرجل إذا لجّ فى الأمر : قد شرى فيه كشرح واستشرى .

(٢) أخطارها : أقدارها .

(٣) جرمىّ : نسبة إلى جرم بن زبان ، بطن من قضاعة .

هجاه فقال له: قد سمعتُ ما كان مدَحَك به، وعرفتُ ثوابَك إياه، وما قال فى ذمّك بعد ذلك، فما وجدتُه ظلمك به، ولله درّ ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا النـاس إلى ذمّه * ذمّوه بالحـقّ وبالباطل

وبعد، فقد اشتريتُ عِرضَك منه، وأمرتُه بأن لا يعود لذمّك تعريضا ولا تصريحا.

شعره فى مرض موته

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال: حدّثنا أحمد بن أبى خيثمة قال: حدّثنا محمد بن سلّام قال: مرض ابن قنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه، فقال فيه:

ولقـد قلتُ لأهـلى * إذ أتَوْنى بخَصيب
ليس والله خصيبٌ * لِلّذى بى بطبيب
إنّمـا يَعـرِف دائى * من به مِثل الّذى بى

قال: وكان خصيب عالما بمرضه، فنظر إلى مائه فقال: زعم جالينوس أن صاحب هـذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعِشْ، فقيل له: إن جالينوس ربمـا أخطأ، فقال: ما كنت إلى خطئه أحوَج منّى إليه فى هذا الوقت. قال: ومات من علته.

صـــوت

شعر للأسود ابن عمارة

خليـلىَّ من سعد ألمّا فسلّما * على مريمٍ، لا يبعد الله مريما
وقولا لهـا هذا الفراق عزمتِه * فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

الشعر للأسود بن عمارة النوفلى، والغناء لدهمان ثانى ثقيل بالوسطى.

أخبـار الأسود ونسبه

نسبه وأخباره

هو — فيما أخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العلاء والطُّوسى، عن الزبير بن بكّار، عن عمّه — الأسود بن عمارة بن الوليد بن عدىّ بن الخيار بن عدى بن نوفل ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وكان الأسود شاعرا أيضا .

قال الزبير — فيما حدّثنا به شيخانا المذكوران عنه(1) — : وحدّثنى عمّى قال : كان عمارة بن الوليد النوفلى أبو الأسود بن عمارة شاعرا ، وهو الذى يقول :

شعره فى معشوقته هند

صــــوت

تلك هندٌ تَصُدُّ للبَيْن صدّا * أدلالًا أم هندُ تهجُرُ جِدّا(2)

أم لِتَنْكا(3) به قُروحَ فؤادى * أم أرادت قتلى ضِرارا وعمدا

قد برانى وشفّنى الوجدُ حتى * صرتُ مما أَلْقَى عظاما وجِلدا

أيها الناصح الأمين رسولا * قل لهندٍ عنّى إذا جئتَ هندا

عَلِم الله أنْ قد اُوتيتِ منى * غيرَ منٍّ بذالِكِ نصحا وودّا

ما تقرّبتُ بالصفاء لأدنو * منكِ إلّا نأيتِ وازددتِ بعدا

الغناء لعَبادِل خفيف رمل بالبنصر فى مجراها عن إسحاق، وفى كتاب حَكَم : الغناء له خفيف رملٍ، وفى كتاب يونس : فيه لحن ليونس غير مجنّس، وفيه ليحيى المكى أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أوّل :

---

(1) فى ب، س « شيخنا المذكور عن عمه » .

(2) كذا فى ب، س . والذى فى جـ : « أم هجر هند أجدا » .

(3) نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت .

ولايته بيت المال

قال الزبير : قال عمّى ومن لا يعلم : يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلى ، قال : وكان الأسود يتولى بيت المال بالمدينة ، وهو القائل :

خليلىّ من سعدٍ ألِمّا فسلّما * على مريم، لا يبعد الله مريما

وقولا لها هذا الفراق عزمته * فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

شعره فى محمد بن عبد الله بن كثير

قال : وهو الذى يقول لمحمد بن عبيد الله بن كُثَير بن الصَّلْت :

ذكرناك شُرْطيا فأصبحت قاضيا * وصرت أميرا ، أبشرى قحطانُ

أرى نَزَواتٍ بينهن تفاوت (١) * وللدهر أحداث وذا حَدَثانُ

أقيمى بنى عمرو بن عوف أو اْرْبَعى (٢) * لكل أناس دولة وزمانُ

١٣/١٣

قال : وإنما خاطب بنى عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيرى كان تزوج إليهم ، وإنما قال : « أبشرى قحطان » لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش .

قصته مع محبوبته مريم

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدّثنى على بن سليمان النوفلى أحد بنى نوفل بن عبد مناف قال : كان أبى يتعشّق جارية مولَّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة ، ويقال للجارية مريم ، فغاب غَيبة إلى الشأم ، ثم قدِم فنزل فى طرف المدينة ، وحمل متاعه على حمّالين ، وأقبل يريد منزلَه ، وليس شىء أحبّ إليه من لقاء مريم ، فبينا هو يمشى إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها (٣) ، وعيناها تدمَعان ، فساءلها وساءلتْه ، فقال للعجوز : ما هذه المصيبة التى أُصبتِ بها ؟ قالت : لم أُصَب بشىء إلّا مَبيعى مريم ، قال : وممّن بعتها ؟ قالت : من رجل من أهل

(١) نزوات : جمع نزوة من نزا ينزو نزوا إذا وثب ، قال ابن الأثير : وقد يكون فى الأجسام والمعانى ، وحدثان الدهر وأحداثه : حوادثه ونوبه .

(٢) ربع كنع : انتظر وتحبس .

(٣) قارعتها ، أى قارعة المدينة ، وقارعة الطريق : أعلاه .

العراق ، وهو على الخروج ، و إنما ذهبتُ بها حتى ودّعَتْ أهلَها ، فهى تبكى من أجل ذلك ، وأنا أبكى من أجل فراقها ، قال : الساعةَ تخرج ؟ قالت : نعم الساعة تخرج ، فبقى متبلّدا[1] حائرا ، ثم أَرسل عينيه يبكى ، وودّع مريمَ وانصرف ، وقال قصيدته التى أولها :

خليلىّ من سعد ألِمَّا فسلِّما * على مريمٍ ، لا يُبعِد الله مريما
وقُولا لها هذا الفراق عزمتِه * فهل من نوال قبل ذاك فنعلَما

قال : وهى طويلة ؛ وقد غنّى بعضُ أهل الحجاز فى هذين البيتين غناء زِيَانبيًّا[2] .
هكذا قال ابن عمّار فى خبره .

قصته فى بيتين من شعره

أخبرنى الحسن بن على الخفّاف قال : حدّثنى ابن مهرُويه قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى أبو العباس أحمد بن مالك اليمامى ، عن عبد الله ابن محمد البواب قال : سألت الخيزُرانُ[3] موسى الهادى أن يولى خاله الغِطريف اليَمَن ، فوعدها بذلك ودافَعها[4] به ، ثم كتبتْ إليه يوما رُقعةً تتنجزه فيها أمرَه ، فوجه إليها برسولها يقول : خيِّريه بين اليمن وطلاق ابنته ، أو مُقامى عليها ولا أوليّه اليمن ، فأيهما آختار فعلته ، فدخل الرسول إليها — ولم يكن فهم عنه ما قال — فأخبرها بغيره ، ثم خرج إليه فقال : تقول لك : ولاية اليمن ، فغضب وطلّق آبنته وولّاه اليمن ، ودخل الرسول فأعلمه بذلك ، فارتفع الصياح

(١) فى الأصول « متلبدا » وهو تحريف .
(٢) نسبة إلى الزيانب ، وهى اسم لسبعة أصوات ليونس الكاتب ، والشعر فيها كلها لابن رهيمة المدنى فى زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (انظر أخبار يونس الكاتب فى الجزء الرابع من الأغانى ص ٤٠٢ طبع دار الكتب) .
(٣) الخيزران : أم موسى الهادى الخليفة العباسى .
(٤) و يقال : دافع فلان فلانا فى حاجته إذا مطله فيها فلم يقضها له وفى الأصول : « ودفعها » .

من داره، فقال: ماهذا؟ فقالوا: من دار بنت خالك، قال: أولم تختر ذلك! قالوا: لا، ولكن الرسول لم يفهم ماقلت فأدّى غيره، وعجلت بطلاقها، ثم ندم ودعا صالحا صاحب المصلّى وقال له: أقم على رأس كل رجل بحضرتى من النّدماء رجلا بسيف، فمن لم يطلّق آمرأته منهم فلتضرب عنقه، ففعل ذلك، ولم يبرح من حضرته أحد إلّا وقد طلّق آمرأته، قال ابن البواب: وخرج الخدم إلىّ فأخبرونى بذلك ٥ وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطَيْلسانه يراوح[1] بين رجليه، فخطر ببالى:

خليلىّ من سعد ألمّا فسلّما * على مريم، لا يُبعد اللهُ مَريمَا
وقُولَا لها: هذا الفراق عزمته * فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

١٤/١٣ فأنشدته فيعلما بالياء، فقال لى: فنعلما بالنون، فقلت له: فما الفرق بينهما؟ فقال: إن المعانى تُحسِّن الشعر وتفسده، وإنما قال: «فنعلما» ليعلم هو القصة، وليس ١٠ به حاجة إلى أن يعلم الناس سره، فقلت: أنا أعلم بالشعر منك، قال: فلمن هو؟ قلت: للأسود بن عمارة، قال: أو تعرفه؟ قلت: لا، قال: فأنا هو، فاعتذرتُ إليه من مراجعتى إياه، ثم عرّفته خبرَ الخليفة فيما فعله، فقال: أحسن الله عزاءك، وانصرف وهو يقول: «هذا أحقّ منزل بِتَرْكِ[2]»

شعره فى تولية أبى جعفر المدينة

أخبرنى الحرمىّ بنُ أبى العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: كان محمد ١٥ ابن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شُرْطة المدينة، ثم ولى القضاء، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن على، فقال الأسود بن عمارة:

---

(١) فى س «يروح»؛ وهو تحريف. والمراوحة بين الرجلين: أن يقوم على كل مرة.
(٢) فى ب، وس «ينزل»؛ وهو تحريف.

ذكرتك شُرطيّا، فأصبحتَ قاضيا * فصرتَ أميرا ، أَبشرى قَحْطانُ[١]

أرى نَزَواتٍ بينهنّ تَفاوُتٌ * وللدهر أحداث وذا حَدَثانُ

أرى حَدَثًا مِيطَانُ منقطِعٌ له * ومنقطع مِن بعده وَرِقانُ[٢]

أقيمي بنى عمرو بن عوف أو اْربَعى * لكلّ أناس دولةٌ وزمان

صوت

٥

شعر لعلى بن الخليل

هل لدهرٍ قد مضى من مَعادِ * أو لهمٍّ داخلٍ من نَفادِ

أذكرتْنى عِيشةً قد تولَّت * هاتفاتٌ نُحْنَ فى بطن وادى[٣]

هِجْنَ لى شوقا وأَلهبْنَ نارا * للهوى فى مستقَرِّ الفؤاد

بان أحبابى وغُودرتُ فَردًا * نُصْبَ ما سَرَّ عيونَ الأعادى

١٠ الشعر لعلى بن الخليل ، والغناء لمحمد الرف ، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة .

---

(١) فى جـ « خفرتك » وفى ب ، س « جفوتك » . ولعل صوابه ما أثبتنا . وقد ذكر البيت قريبا وروايته « ذكرناك » .

(٢) ميطان : من جبال المدينة ، ضبطه صاحب القاموس فقال : كميزان ، وكذا ضبط فى اللسان بكسر الميم ، وفى معجم البلدان بفتح أوّله ، وفى ب ، س « ميطان » بالباء ، وهو تصحيف . وَرِقان :

١٥ جبل أسود على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، ونسبه معجم البلدان إلى نوفل بن عمارة بن الوليد قال :

أرى حدثا ميطان منقلع به * ومنقطع من دونه ورقان

(٣) هاتفات : نائحات .

أخبار علىّ بن الخليل

نسبه وأخباره

كان مولى معن بن زائدة الشيبانى

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيبانى، ويكنى أبا الحسن، وكان يعاشر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه، فاتُّهم بالزّندقة، وأُخذ مع صالح ثم أُطلِق لمّا انكشف أمره.

٥ قال محمد بن داود بن الجراح: حدّثنى محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد، أنه جلس بالرافِقة[1] للمظالم، فدخل عليه علىّ بن الخليل وهو متوكئ على عصا، وعليه ثياب نظاف، وهو جميل الوجه حسن الثياب، فى يده قصّة[2]، فلما رآه أمر بأخذ قصّته[2]، فقال له يا أمير المؤمنين: أنا أحسن عبارة[3] لها، فإن رأيت أن تأذن لى فى قراءتها فعلت. قال: اقرأها، فاندفع ينشده [فيها][4] قصيدته:

١٠ يا خير من وَخَدَت بأرْحلِه * نُجُبُ الرِّكاب بمَهْمَهٍ جَلْس[5]

فاستحسنها الرشيد وقال له: من أنت؟ قال: أنا علىّ بن الخليل الذى يقال فيه إنه زنديق، فضحك وقال له: أنت آمن، وأمر له بخمسة آلاف درهم، وخُصّ به بعد ذلك وأكثر مدحه.

---

(١) الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات، من أعمال الجزيرة، بناه المنصور سنة ١٥٥ هـ على بناء مدينة بغداد ورتّب به جندا من أهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدى وهو ١٥ ولى عهده ثم بنى الرشيد قصور هذا البلد.

(٢) فى أمالى السيد المرتضى ١ : ١٠١ «قصيدة».

(٣) فى أمالى المرتضى «أنا أحسن قراءة لها من غيرى». (٤) عن ج.

(٥) فى جـ «وخذت بأرجله» فى ب، س: «وخزت بأرجله» وهو تحريف. ووخد البعير كوعد وخدا: أسرع ووسع الخطو، أو رمى بقوائمه كمشى النعام، وأرحل جمع رحل، وهو مركب للبعير. ٢٠ نجب جمع نجيب، والنجيب من الإبل: القوى الخفيف السريع. والمهمه: المفازة البعيدة. والجلس: الغليظ من الأرض.

حبسه الرشيد مع صالح بن عبد القدوس ثم مدحه فأطلقه

١٥
١٣

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلى بن الخليل فى الزندقة — وكان على بن الخليل استأذن أبا نواس فى الشعر — فأنشده على بن الخليل :

يا خير من وخدت بأرحُله (١) * نُجُبٌ تخُبُّ بمَهْمَهٍ جَلِس

تطوى السباسبَ فى أزمّتها * طَىَّ التّجار عمائمَ البُرْس (٢)

لما رأتك الشمسُ إذ طلعتْ * كسفتْ بوجهك طلعةُ الشمس (٣)

خير البرية أنت كلِّهمُ * فى يومك الغادى وفى أمس

وكذاك لن تنفكّ خيرَهُمُ * تُمسى وتُصبح فوق ما تُمسى

لله ما هرون من مَلِك * بَرِّ السريرة طاهرِ النفس

مَلِك عليه لربّه نِعَمٌ * تزداد جِدّتُها على اللُّبس

تحكى خلافتُه ببهجتها * أنَقَ السرور صبيحةَ العُرْس (٤)

من عِترة طابت أُرومتُهم * أهلِ العفاف ومنتهى القُدس (٥)

نُطُقٍ إذا احتُضِرت مجالسُهم * وعن السفاهة والخنا خُرس

إنى إليك لجأتُ من هربٍ * قد كان شرّدنى ومن لَبْس (٦)

---

(١) فى ب « وجدت » ، ويقال : خبت الناقة خبا وخبيبا : أسرعت .

(٢) السباسب : جمع سبسب وهى المفازة . والبرس بالكسر والضم : القطن .

(٣) فى أمالى السيد المرتضى « سجدت لوجهك » .

(٤) الأنق : الفرح والسرور .

(٥) عترة الرجل : نسله ورهطه الأدنون . وفى أمالى المرتضى «من عصبة» . والأرومة وتضم : الأصل .

(٦) اللبس : الالتباس والاشتباه .

واخترتُ حكمَك لا أجاوزُه * حتى أوسَّدَ فى ثرى رَمْسى (١)
لما استخرتُ الله فى مَهَلٍ * يمَّمتُ نحوك رحلةَ العَنْس (٢)
كم قد قطعتُ إليك مُدّرِعاً * ليلاً بَهيمَ اللّون كالنِّقْس (٣)
إن هاجنى من هاجسٍ جزعٌ * كان التوكّل عنده تُرسى
ما ذاك إلا أننى رجل * أصبو إلى بَقَرٍ من الإنس
بقرٍ أوانسَ لا قرونَ لها * نُجْلِ العيون نواعمٍ لُعْسٍ (٤)
رَدْعُ العَبير على ترائبها * يُقبلْن بالترحيب والخلْس (٥)
وأشاهد الفتيان بينهمُ * صفراءُ عند المَزْج كالوَرْس (٦)
للماء فى حافاتها حَبَبٌ * نُظُم كرَقْم صحائف الفُرس (٧)
والله يعلم فى بقيته * ما إن أضعتُ إقامة الخَمْس (٨)

(١) الرمس : القبر ، والثرى : التراب .

(٢) العنس : الناقة الصلبة .

(٣) فى س « كم قطعت » . وادّرع : لبس الدرع ، والمعنى : لابسا الليل كأنه درع . والبهيم : الأسود . والنقس : المداد .

(٤) نجل : جمع ، نجلاء وصف من النجل بالتحريك ، وهو سعة العين . لعس جمع لعساء : وصف من اللعس ، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء ؛ وقيل : هو سواد فى حمرة .

(٥) العبير : أخلاط من الطيب . والردع : أثر الطيب فى الجسد . والترائب : ما ولى الترقوتين ، واحدتها تريبة . الخلس : النظر خلسة . وفى أمالى المرتضى : « يقتلن بالتطويل والحبس » .

(٦) الورس : صبغ أصفر ، وفى أمالى المرتضى :

وأجاذب الفتيان بينهم * صهباء مثل مجاجة الورس

(٧) الحبب : النفاخات والفقاقيع التى تطفو فوق الخمر كأنها القوارير .

(٨) بقية الله : طاعته وانتظار ثوابه . وفى أمالى المرتضى « فى بريته » .

فأطلقه الرشيد ، وقتل صالح بن عبد القدوس ، واحتج عليه فى أنه لا يقبل له توبة بقوله :

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يُوارَى فى ثرى رَمْسِه

وقال : إنما زعمت ألّا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبدا .

شعره فى يعقوب ابن داود وابن علاثة

٥ أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال : حدّثنى أحمد بن زهير بن حرب ، قال : كان عافيةُ بْن يزيدَ يَصحب ابنَ عُلاثة (١) ، فأدخله على المهدىّ ، فاستقضاه معه بعسكر المهدىّ وكانت قصة يعقوب مع أبى عبيد الله (٢) كذلك ، أدخله إلى المهدىّ ليعرض عليه ، فغلب عليه ، فقال على بن الخليل فى ذلك :

---

(١) عافية بن يزيد الأودى ، ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلابى ، استقضاهما المهدى سنة ١٦١

١٠ فكانا يقضيان فى عسكره ، وقد شرك بينهما فى القضاء فكانا يقضيان جميعا فى المسجد الجامع فى الرصافة ، هذا فى أدناه ، وذاك فى أقصاه ، وكان عافية أكثرهما دخولا على المهدى (تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٧) .

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالى الأشعريين ، كان كاتب المهدى ووزيره قبل الخلافة ، فلما ولى الخلافة فوض إليه تدبير المملكة ، وسلم إليه الدواوين ، وكان من أبرع الكتّاب وأوسعهم حذقا وعلما وخبرة ، ثم إن الربيع بن يونس ما زال يسعى به إلى المهدى حتى عزله عن الوزارة ، وأفرده

١٥ فى ديوان الرسائل ، واستوزر يعقوب بن داود سنة ١٦٣ ثم عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل سنة ١٦٧ ورتب فيه الربيع بن يونس ، ومات أبو عبيد الله سنة ١٧٠ هـ ، وكان يعقوب بن داود من الموالى أيضا وقد فوض المهدى إليه الأمور كلها وسلم إليه الدواوين وقدمه على جميع الناس حتى قال بشار ابن برد يهجوه :

بنى أميــة هبّوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داود

٢٠ ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الزقّ والعود

ثم إن الساعين ما زالوا يسعون بيعقوب إلى المهدى حتى نكبه وحبسه ، فلم يزل كذلك أيام المهدى ومدة الهادى حتى أخرجه الرشيد ، ومات سنة ١٨٧ — اقرأ أخبار الأول فى تاريخ الطبرى ٩ : ٣٣٩ و ١٠ : ٩ والفخرى ص ١٦٣ . وأخبار الثانى فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ٣٣١ والفخرى ص ١٦٦

عجبًا لتصريف الأمو * ر مسرّة وكراهيه (١)
رَثَّتْ ليعقوبَ بن دا * ودٍ حبالُ معاويه (٢)
وعدت على ابن عُلاثَةَ ال * قاضى بوائقُ عافيه (٣)
أدخلتَه فعَلا عليـ * ـك كذاك شؤمُ الناصيه
وأخذتَ حتفكَ جاهدًا * بيمينك المتراخيه (٤)
يعقوبُ ينظر فى الأمو * ر وأنت تنظرُ ناحيه

ولاية ابن الجهم السوس لإنشاده شعره

أخبرنى عمى الحسن بن محمد قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنى محمد بن عمرو بن فِراس الذُّهْلى عن أبيه قال : قال لى محمد بن الجَهْم البرمكى : قال لى المأمون يوما : يا محمد : أنشدنى بيتا من المديح جيّدا فاخرا عربيا لمحدَث حتى أولّيَكَ كُورةً تختارها . قال قلت : قول على بن الخليل :

فمع السماءِ فروعُ نَبْعتهم * ومع الحضيض مَنابِتُ الغَرْس (٥)
متهلّلين على أسِرّتهم * ولدى الهياج مَصاعبٌ شُمْس (٦)

(١) فى وفيات الأعيان : فقال فى ذلك على بن الخليل الكوفى من جملة أبيات :
قل للـوزير أبى عبيـ * ـد الله هل من باقيه
ثم أورد البيت السادس فالرابع فالخامس مما ورد هنا .

(٢) فى الأصول « دبب » وهو تصحيف . ومعاوية : اسم الوزير أبى عبيد الله .

(٣) بوائق جمع بائقة ، وهى الداهية .

(٤) فى الأصول « ضيفك » وهو تحريف ؛ والتصويب من وفيات الأعيان .

(٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر للقسى والسهام . والحضيض : القرار فى الأرض .

(٦) تهلل الوجه : تلألأ . ومصاعب : جمع مصعب (بضم الميم وفتح العين) ، وهو الفحل الذى لم يمسسه حبل ولم يركب . ورجل مصعب : مسوّد . وشمس : جمع شموس كصبور من شمس الفرس : إذا منع ظهره . « ومتهللين » و « مصاعب شمس » نعوت لعترة فى قوله « من عترة طابت أرومتهم » . والبيتان من قصيدته السينية السابقة ، وقد ورد البيت الأول ضمن أبياتها فى أمالى المرتضى ، وأوله : « فوق النجوم » .

فقال : أحسنت ، وقد وليتك الدِّينَوَر، فأنشدنى بيت هجاء على هــذه الصفة حتى أولِّيك كورةً أخرى، فقلت : قول الذى يقول :

قُبِحتْ مناظرُهم فحين خَبَرتَهم * حَسُنت مناظرُهم لقُبح المَخْبَرِ(١)

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك هَمَذَان ، فأنشدنى مَرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى ، فقلت : قول الذى يقول :

أرادوا لِيُخفــوا قبرَه عن عدوِّه * فطِيبُ تراب القبر دلَّ على القبر

فقال : قد أحسنت، قد ولّيتك نَهاوَنْد ، فأنشدنى بيتا من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى، فقلت : قول الذى يقول :

تعالَىْ نجــدِّد دارس العِـلم(٢) بيننا * كلانا على طــول الجفــاء مَلُوم

فقال : قد أحسنت، قد جعلت الخيار إليك فاختر، فاخترت السُّوس من كُوَر الأهواز ، فولانى ذلك أجمع، ووجّهت إلى السوس بعض أهلى .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا محمد بن يزيد، عن التَّوَّزىّ قال: نزل أبو دُلامة بدِهقان(٣) يكنَى أبا بِشْر، فسقاه شرابا أعجبه، فقال فى ذلك :

سقانى أبو بشر من الراح شَربةً * لهــا لذّةٌ ما ذُقتهــا لشراب

وما طبخوها غير أنّ غلامهمْ * سعى فى نواحى كَرْمها بشِهاب(٤)

قال : فأنشد على بن الخليل هذين البيتين فقال : أحرقه العبد أحرقه الله .

---

(١) هذا البيت والذى يليه لمسلم بن الوليد الأنصارى .

(٢) كذا فى الأصول : ولعله « الوصل » أو « العهد » كما يرشد إليه ما يأتى بعد من قوله : « على طول الجفاء » .

(٣) الدهقان : رئيس الإقليم، فارسىّ معرّب .

(٤) الشهاب : شعلة من نار ساطعة ، شبه به الخمر .

تهنئة يزيد بن مزيد بمولوده

أخبرنى الحسن بن على، وعمى الحسن بن محمد، قالا : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى محمد بن عمران الضبىّ عن علىّ بن يزيد قال ، ولد ليزيد بن مَزْيَد(١) ابن ، فأتاه علىّ بن الخليل فقال : اسمع أيها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسّم وقال : هاتِ، فأنشده :

يزيدُ يا ابن الصِّيد من وائلٍ * أهلِ الرياسات وأهلِ المعالْ(٢)

يا خيرَ من أنجبَه(٣) والد * لِيَهنِك الفارسُ ليث النزالْ

جاءت به غرّاءُ ميمونة * والسعد يبدو فى طلوع الهلالْ

عليه من مَعْنٍ ومن وائلٍ * سِيمَا تباشيرٍ وسِيمَا جَلال(٤)

والله يُبقيه لنا سيّدا * مدافعا عنّا صُروفَ الليالْ

حتى نراه قد علا منبرا * وفاض فى سُؤّاله بالنوال

وسدَّ ثغرًا فكفى شرّه * وقارَعَ الأبطالَ تحت العَوالْ(٥)

كما كفانا ذاك آباؤه * فيحتذى أفعالَهم عن مِثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار .

---

(١) ابن أخى معن بن زائدة الشيبانى . وكان يزيد بن مزيد أميرا شجاعا، وكان واليا لأرمينية ثم عزله عنها الرشيد سنة ١٧٢، ثم ولاه إياها وضم إليه أذربيجان سنة ١٨٣، وتولى محاربة الوليد بن طريف الشيبانى الخارجى وقتله سنة ١٧٩، وتوفى سنة ١٨٥ هـ (وفيات الأعيان ٢ : ٢٨٣) .

(٢) الصيد : جمع أصيد، وهو الملك، ورافع رأسه كبرا، والأسد .

(٣) الذى فى كتب اللغة : أنجب الرجل والمرأة إذا ولدا ولدا نجيبا أى كريما، ولم يرد فيها أنجب متعديا .

(٤) السيما : العلامة .

(٥) الثغر : موضع المخافة من البلدان . والعوالى : رءوس الرماح .

المهدى يذكره بشعره فى الخمر

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال: حدّثنى ابن مهرويه قال: حدّثنى ابن الأعرابى المنجّم الشّيبانى، عن علىّ بن عمرو الأنصارى، قال: دخل على بن الخليل على المهدىّ فقال له: يا علىّ، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها؟ قال: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: وكيف ذاك؟ قال: تبت منها. قال: فأين قولك؟:

٥ أُولِعتْ نفسى بلذّتها * ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك؟ :

إذا ما كنتَ شارِبَها فسِرًّا * ودع قولَ العواذلِ واللّواحى (١)

قال: هذا شىء قلتُه فى شبابى، وأنا القائل بعد ذلك:

على اللّذات والراحِ السلامُ * تقضّى العهدُ وانقطع الذّمامُ

١٠ مضى عهد الصِّبا وخرجتُ منه * كما مِن غِمده خرج الحسامُ

وقُرتُ على المَشيبِ فليس منّى * وصالُ الغانيات ولا المُدام (٢)

وولّى اللهوُ والقَيْناتُ عنّى * كما ولّى عن الصبح الظلامُ

حلبْتُ الدهرَ أشطُرَه فعندى * لصَرف الدهرِ محمودٌ وذامُ (٣)

مدحه معن ابن زائدة

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش، قال: حدّثنى محمد بن الحسن بن الحرون، عن

١٥ علىّ بن عبيدة الشيبانى، قال: دخل علىّ بن الخليل ذاتَ يوم إلى معن بن زائدة

(١) اللواحى: جمع لاحية: وهى اللائمة.

(٢) وقر ككرم ووعد: رزن.

(٣) أشطره: أى أشطر الدهر. والمعنى أنه اختبر حالات الدهر: خيره وشره فعرف ما فيه، وهو مثل يضرب فيمن جرب الدهر. والذام: الذم.

فحادثه وناشده ، ثم قال له معن : هل لك فى الطعام ؟ قال : إذا نشط الأمير ، فأُتيا بالطعام ، فأكلا ، ثم قال : هل لك فى الشراب ؟ قال : إن سقيتنى ما أريد شربتُ ، وإن سقيتنى من شرابك فلا حاجة لى فيه ، فضحك ثم قال : قد عرفت الذى تريد ، وأنا أسقيك منه ، فأُتى بشراب عتيق ، فلما شرب منه وطابت نفسُه أنشأ يقول :

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحى * ببارد السَّلسال والراحِ (١)
قد دارت الكأسُ برَقْراقةٍ * حياةِ أبدانٍ وأرواحِ (٢)
تجرى على أغيدَ ذى رَونقٍ * مهذَّبِ الأخلاق جَحْجاحِ (٣)
ليس بفحّاش على صاحب * ولا على الراحِ بفضّاحِ
تسرّه الكأسُ إذا أقبلت * بريحِ أُترُجٍّ وتُفّاحِ (٤)
يَسعَى بها أزهرُ فى قُرطَقٍ * مقلَّدُ الجِيدِ بأوضاحِ (٥)
كأنها الزّهرةُ فى كفّه * أو شُعلةٌ فى ضوء مصباحِ

هجاؤه لدهقان

حدّثنا علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان لعلى بن الخليل الكوفى صديق من الدَّهاقين يعاشره ويبَرّه ، فغاب عنه مدّةً طويلة

---

(١) خمر سلسال : لينة .
(٢) كل شىء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق ، وأراد بالرقراقة هنا الخمر .
(٣) غيد كفرح فهو أغيد : مالت عنقه ولانت أعطافه ، والجحجح والجحجاح : السيد .
(٤) فى الأصول : « فسره » وهو تحريف .
(٥) القرطق (بضم القاف وفتح الطاء ، وقد تضم) : لباس من ملابس العجم يشبه القباء ، معرب كرته . والأوضاح : جمع وضح كسبب ، وهو حلىّ من الفضة .

وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة، وقويت حالُه ، فآدعى أنه من بنى تميم،
فجاءه علىّ بن الخليل فلم يأذن له ، ولقيه فلم يسلِّم عليه ، فقال يهجوه :

يَرُوح بِنِسبة المَوْلَى * ويصبح يَدَّعى العَرَبا
فلا هذا ولا هذا * ك يدركه إذا طَلَبا
أتيناه بشَبُّوط[1] * ترى فى ظهره حَدَبا
فقال : أمَا لبخلك من * طعامٍ يُذهب السَّغَبا[2]
فصد لأخيك يَرْبُوعا * وضَبًّا[3] واترك اللعبا
فَرَشتُ له قَريح المسـ * ـك والنِّسرينَ والغَرَبا[4]
فأمسكَ أنفَه عنها * وقام مولِّيًا هَربا
يَشَمُّ الشِّيحَ والقَيْصو * مَ[5] كى يستوجبَ النسبا
وقام إليه ساقينا * بكأس تنظم الحبَبا[6]
معتَّقةٍ مروَّقةٍ * تسلِّى همَّ من شربا
فآلَى لا يُسلسلها * وقال أصِبْ لنا حَلَبا[7]

(١) الشبوط بالفتح و يضم : سمك دقيق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس .

(٢) السغب : الجوع .

(٣) اليربوع : دويبة نحو الفأر لكن ذنبه وأذناه أطول من ذنب وأذنى الفأر، ورجلاه أطول من يديه .
والضب : دويبة من تشبه التمساح الصغير وذنبها كذنبه وتتلون كالحرباء .

(٤) القريح : الخالص، كالقراح . والنسرين : ورد، فارسى معرّب . والغرب : ضرب من الشجر .

(٥) القيصوم : من نبات البادية .

(٦) هذا البيت فى الأصول مقدم على سابقه، وهو خطأ . يدل على ذلك سياق المعنى .

(٧) آلى : أقسم . وتسلسل الماء فى الحلق : جرى، وسلسله : صبه فيه . والحلب : اللبن المحلوب .
وفى الأصول « زقا أصبب لنا حبيا » وهو تحريف .

وقد أبصرتُه دهرا * طويلا يشتهى الأدبا
فصار تشبّها بالقو * م جِلفا جافيا جِشبا (١)
إذا ذُكر البَرِيرُ بكى * وأبدى الشوقَ والطربا (٢)
وليس ضميرُه فى القو * م إلّا التِّينَ والعنبا
جحدتَ أباك نسبتَه * وأرجو أن تفيد أبا ٥

قال علىّ بن سليمان : وأنشدنى محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعا لعلى بن الخليل فى هذا الذكر، وذكر ثعلب أن إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعلىّ، قال :

يأيّها الراغب عن أصله * ما كنتَ فى موضع تهجين (٣)
متى تعرّبتَ وكنت امرأً * من الموالى صالحَ الدِّين
لوكنتَ إذ صرتَ إلى دِعوة * فزتَ من القوم بتمكين (٤) ١٠
لكَفَّ من وجدى، ولكننى * أراك بين الضَّبِّ والنُّون (٥)
فلو تراه صارفا أنفَه * من ريح خِيرِىّ ونِسرين (٦)
لقلتَ: جِلفٌ من بنى دارِم * حَنَّ إلى الشِّيح بِيَبرِين (٧)
دُعموصُ رمل زَلَّ عن صخرةٍ * يعاف أرواحَ البساتين (٨)
تنبو عن الناعم أعطافُه * والخزِّ والسِّنجابِ واللِّين (٩) ١٥

(١) الجلف : الجافى ، والجشب : الخشن الغليظ . (٢) البرير : ثمر الأراك .
(٣) التهجين : التقبيح . (٤) الدعوة فى النسب «بالكسر» : أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته . (٥) الوجد : الحزن . (٦) الخيرى بالكسر : المنثور الأصفر .
(٧) يبرين : رمل لا تدرك أطرافه ، من أصقاع البحرين . (٨) الدعموص : دويبة صغيرة تكون فى مستنقع الماء . وسياق البيت يدل على أنه يريد به دويبة صحراوية لا مائية . يعاف : يكره . أرواح : جمع ريح . (٩) فى جـ «تنبو عن القاقم» وهو تحريف . والسنجاب : حيوان شعره فى غاية النعومة ، يتخذ من جلده الفراء ، يلبسه المتنعمون . انظر حياة الحيوان الكبرى للدميرى . ٢٠

شعره فى تعلق أحد أولاد المنصور بجارية

أخبرنى جحظة ومحمد بن مزيد جميعا، قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال : كان علىّ بن الخليل جالسا مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعُتبة مَوْلاة المهدى ، فمرّت به عُتبة فى موكبها والجارية معها ، فوقفتْ عليه وسلّمتْ ، وسألت عن خبره ، فلم يوفّها حقّ الجواب ، لشغل قلبه بالجارية ، فلما آنصرفتْ أقبل عليه علىّ بن الخليل ، فقال له :

راقِب بطَرْفك مَن تحا * ف إذا نظرت إلى الخليل

فإذا أمِنتَ لِحَاظَهم[1] * فعليك بالنظر الجميل

إن العيون تَدُلّ بالـ[2] * ـنظر المليح على الدَّخِيل

إمّا على حبٍّ شديـ * ـدٍ أو على بُغضٍ أصيل

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعى قال : حدّثنا عيسى بن إسمعيل تِينة قال : كان علىّ بن الخليل يَصحَب بعضَ ولد جعفر بن المنصور ، فكتب إليه والبةُ آبنُ الحُباب يدعوه ، ويسأله ألا يشتغل بالهاشمى يومَه ذلك عنه ، ويصف له طِيبَ مجلسه وغناءً حصّله وغلاما دعاه ، فكتب إليه على بن الخليل :

أمّا ولحَاظِ جارية * تُذيب حُشاشة المُهَجِ[3]

وسحرِ جفونها المُضْنِيـ[4] * ـك بين الفَتْر والدَّعَجِ

(١) لحاظهم ، أى لحاظ من تخافهم ، واللحاظ بالكسر : مصدر لاحظه أى راعاه . واللحاظ بالفتح : مؤخر العين مما يلى الصدغ .

(٢) فى جـ « تذل » وفى ء ، ب ، س « الرحيل » وهو تحريف .

(٣) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح .

(٤) الدعج : سواد العين مع سعتها ، وأراد بالفتر هنا : الفتور قال الشاعر :

وقاصرة الطرف مكفوحة * بفتر الجفون وخون النظار

مليحةُ كلِّ شىء ما * خلا من خُلْقها السَّمِج

وحُرْمةِ دَنِّك المبزو * لِ والصهباءُ منه تَجى (١)

كأنّ مجيئها فى الكأ * س حين تُصَبُّ من وَدَج (٢)

لو انعرج الأنام إلى * بشاشة مجلس بَهِج

وكنت بجانب جَذْبٍ * لكان إليك مُنعرَجى

وصار إليه فى إثر الرقعة .

(١) بزل الخمر : ثقب إناءها ، ويقال للحديدة التى تفتح مبزل الدن وبزال ومبزل لأنه يفتح بها ، وفى ب ، س « المبذول » ، والصهباء : الخمر .

(٢) الودج : عرق فى العنق .

أخبـار محمد الزَّفّ (1)

نسبه وبعض أخباره

هو محمد بن عمرو مولى بنى تميم، كوفى الأصل والمولد والمنشأ؛ والزّف : لقب غلب عليه، وكان مغنّيا ضاربا طيّب المسموع، صالح الصنعة، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذا للغناء، وأصحهم أداء له، وأذكاهم، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثا أدّاه لا يكون بينه و بين من أخذه عنه فرق، وكان يتعصب على ابن جامع، و يميل إلى إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق، فكانا يرفعان منـه و يقدّمانه و يجتلبان له الرفد والصلات من الخلفـاء، وكانت فيه عربدة إذا سكر، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه، ومنعه من الوصول إليه، وجفاه وتناساه، وأحسبه مات فى خلافته أو فى خلافة الأمين .

أخبرنى بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكى المرتجل .

أخبرنى ابن جعفر جحظة قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى ابن جامع يوما بحضرة الرشيد :

٢٠ / ١٣

ادّعاؤه غنـاء لابن جامع

صـــوت

جَسورٌ على هجرى، جبانٌ على وصلى * كَذوب غدا يستتبع الوعد بالمطلِ (2)

مقـدِّم رِجل فى الوصـال مؤخّر * لأخرى، يشوب الجِدّ فى ذاك بالهزل (3)

---

(1) فى الأصـول « الرف » بالراء، وورد فى الجزء الخامس من الأغانى فى نسب إبراهيم الموصلى وأخباره « محمد الزف » بالزاى، وقد يرجح هذا أن الزف والزفيف معناه الإسراع، وهو الملائم لما عرف عنه من أنه كان أسرع خلق الله أخذا للغنـاء. وانظر الأغانى ج ١ ح ٢ من صفحة ٣٠٦ طبع دار الكتب المصرية .

(2) فى جـ « كذوب غدا يبيع الوعد بالمطل » .

(3) ساقطة من نسخة جـ .

يهمّ بنا حتى إذا قلتُ قد دنا * وجاد ثَنَى عِطفًا ومال إلى البخلِ [1]

يزيد امتناعا كلّما زِدت صبوةً * وأزداد حرصا كلّما ضنّ بالبذل

فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمدا الزّفّ ، وفطن لما أردت ، واستحسنه الرشيد ، وشرب عليه ، واستعاده مرتين أو ثلاثا ، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءنى ، وأومأت إلى مخارِق وعلّويه وعقيد فجاءونى ، فأمرته بإعادة الصوت ، فأعاده وأدّاه كأنه لم يزل يرويه ، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم ، ثم عدت إلى المجلس ، فلما انتهى الدّور إلىّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شىء غنّيته ، فنظر إلىّ ابن جامع محدِّدا نظره ، وأقبل علىّ الرشيد فقال : أكنت تروى هذا الصوت ؟ فقلت : نعم يا سيدى . فقال ابن جامع : كذب والله ، ما أخذه إلاّ منى الساعة [2] . فقلت : هذا صوت أرويه قديما ، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه منى ، وأقبلت عليه ، فغنّاه علويه ثم عقيد ثم مخارق ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت ، فأقبل علىّ فقال : بحياتى اصدقنى عن القصة ، فصدَقتُه ، فجعل يضحك ويصفّق ويقول : لكل شىء آفة ، وآفة ابن جامعٍ الزّفّ .

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، والصنعة لابن جامع من رواية الهشامىّ وغيره .

قوة حفظه وبراعته فى الغناء

قال أبو الفرج : وقد أخبرنى بهذا الخبر محمد بن مزيد ، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية ، فقال فيه قال : محمد الزّفّ أروَى خلق الله للغناء ، وأسرعُهم أخذا لما سمعه منه ، ليست عليه فى ذلك كلفة ، وإنما يسمع الصوت مرّة واحدة

(١) ثنى عطفه : لوى عنقه معرضا . وفى الأصول « غطفا » وفى جـ « وجادبنى » وهو تصحيف .

وقد أخذه ، وكنّا معـه فى بلاء إذا حضر ، فكان من غنّى منا صوتا فسأله عدوٌّ له أو صديق أن يلقيه عليه ، فبخل ومنعه إياه ، سأل محمدا الزّفّ أن يأخذه ، فما هو إلا أن يسـمعه مرة واحدة حتى قـد أخذه وألقاه على من سأله ، فكان أبى يبرّه ويصله ويُجديه (١) من كل جائزة وفائدة تصل اليـه ، فكان غناؤه عنده حِمى مصونا

٥ لا يقربه ، ولم يكن طيّبَ المسموع ، ولكنّه كان أطيبَ الناس نادرةً ، وأملَحهم مجلسا ، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنّين لبخله ، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينَه عليه ، وأصغى (٢) سمعَه إليه ، حتى يحكيه ، وكان فى ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورِفد ، فغنّى يوما بحضرة الرشيد :

صـــوت

١٠ أرسلت تُقرئُ (٣) السلامَ الرَّبابُ * فى كتابٍ وقـد أتانا الكتابُ

فيه : لو زُرتَنا لزرناك ليـلا * بِمِنًى حيث تسـتقلّ (٤) الركاب

فأجبتُ الرَّباب : قد زرت لكن * لىَ منكم دون الحجاب حجاب

إنمـا دهرك العتـاب وذمّى * ليس يُبـقى على المحبّ عتابُ

غناء لابن جامع بحضرة الرشيد

١٢/١٣

ولحنه من الثقيل الأوّل ، فأحسن فيـه ما شاء ، ونظرتُ إلى الزّفّ فغمزتُه وقمت

١٥ إلى الخلاء ، فإذا هو قد جاءنى ، فقلت له : أى شىء عملت ؟ فقال : قد فرغت لك منـه ، قلت : هاته ، فرده علىّ ثلاثَ مرات ، وأخذتُه وعدت إلى مجلسى ، وغمزت عليه عقيدا ومخارقا ، فقاما ، وتَبِعهما فألقاه عليهما ، وابن جامع لا يعرف الخبر ، فلما عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألها عنه ، فعرّفانى أنهما قد أخذاه ، فلما بلغ

(١) أجداه : أعطاه الجدوى وهى العطية . (٢) أصغى : أمال .

٢٠ (٣) فى جـ « أقرنا » . (٤) استقلوا : مضوا وارتحلوا .

الدّور إلىّ كان الصوت أوّل شيء غنّيته، فحدّد الرشيد نظره إلىّ، ومات ابن جامع وسُقِط فى يده[(1)]، فقال لى الرشيد: من أين لك هذا؟ قلت: أنا أرويه قديما، وقد أخذته عن مخارق وعقيد، فقال: غنّياه، فغنّياه، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثا بأنه صنعه فى ليلته الماضية، ما سبق إليه ابن جامع أحد، فنظر الرشيد إلىّ، فغمزته بعينى أنه صدق، وجدّ الرشيد فى العبث به بقيّة يومه، ثم سألنى بعد ذلك عن الخبر، فصدّقته عنه وعن الزّفّ، فجعل يضحك ويقول: لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزّفّ، قال حماد: وللزّفّ صنعة يسيرة جيّدة منها فى الرمل الثانى:

صـــوت

لمن الظعائن سيرُهنّ تزحُّفُ * عومَ السّفين إذا تقاذَفَ مِجذَفُ[(2)]

مرّت بذى حُسُمٍ كأنّ حُمولَها * نخل بيثربَ طلعُها متزحّفُ[(3)]

فلئن أصابتنى الحروب لربّما * أُدعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأردفُ[(4)]

فأثير غاراتٍ وأشهد مَشْهَدا * قلبُ الجبان به يَطيش فَيرجُفُ

قال: ومن مشهور صنعته فى هذه الطريقة:

(١) سقط فى يده وأسقط «مضمومتين»: تحيّر.

(٢) تزحف: من تزحف الصبى على الأرض أو على بطنه، قبل أن يمشى. والسفين: جمع سفينة، ومجداف السفينة ومجذافها بالدال وبالذال: لغتان فصيحتان. وفى جـ «يحذف».

(٣) ذو حسم: موضع بالبادية، وجاء فى شعر المهلهل:

أليلتنا بذى حسم أنيرى * إذا أنت انقضيت فلا تحورى

والحمول: الهوادج، أو الإبل عليها الهوادج، واحدها حمل بالكسر ويفتح؛ يثرب: المدينة المنورة.

(٤) أردفه معه: أركبه؛ وردفه بالكسر وأردفه: ركب خلفه.

صـــــوت

إذا شئت غنّتنى بأجراع بِيشةٍ * أو النخل من تَثْليثَ أو من يَلَمْلَما (١)

مطوّقــةٌ طَـوْقا وليس بِحلْيــةٍ * ولا ضربَ صوّاغٍ بكفّيه دِرهَما

تُبكِّى على فرخٍ لها ثم تغتــدِى * مدلّهــةً تَبــغِى له الدهرَ مَطعَما (٢)

٥ تؤمل منـه مؤنِسا لانفـرادها * وتبكى عليـه إن زَقَا أو ترنّمـا (٣)

ومن صنعته فى هذه الطريقة :

صـــــوت

يا زائرَيْنـا من الخيامِ * حيّـاكما الله بالسلامِ

يَحـزُننى أن أطعتُمانى * ولم تَنالا سوى الكلام

١٠ بُورِك هارونُ من إمامٍ * بطاعة الله ذى اعتصامِ

له إلى ذى الجلال قُربَى * ليست لعدل ولا إمام

وله فى هذه الطريقة :

صـــــوت

٢٢/١٣ بان الحبيبُ فلاحَ الشّيبُ فى راسى * وبتُّ منفردا وحدى بِوَسْواسِ

١٥ ما ذا لقيتُ فدتك النفسُ بعدَكم * من التـبرم بالدنيـا و بالنـاس

لوكان شيء يسلى النفسَ عن شَجَنٍ * سلّت فؤادىَ عنكم لذةُ الكاس (٤)

(١) بيشة : من عمل مكة مما يلى اليمن ، وهى من مكة على خمس مراحل ، بها من النخل شيء كثير . وفى جـ ، و ب «شيبة» . والأجراع : جمع جرع بالتحريك ، وهو الرملة الطيبة المنبتة السهلة المستوية . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . يلملم : موضع على ليلتين من مكة ، وهو ميقات أهل اليمن .

٢٠ (٢) المدله : الساهى القلب ، الذاهب العقل .

(٣) زقا الطائر يزقو : صاح . (٤) الشجن : الهم والحزن .

شعر لأبى الشبل البرجمىّ

صـــوت

بأبى رِيمٌ رَمَى قلـ * ـبى بألحـاظٍ مِراضِ[1]
وحَمَى عينىَ أنْ تلـ * ـتذَّ طِيبَ الإغتماض
كلَّمـا رُمْتُ انبساطا * كفَّ بَسْطى بانقباض
أو تعـالَى أمــلى فيـ * ـهِ رَمَاهُ بانخفـاضِ
فمــتى ينتصفُ المظـ * ـلُومُ والظالمُ قاضى

الشعر لأبى الشِّبْل البُرْجُمىّ ، والغنـاء لَعثعث الأسوَد ، خفيف ثقيــل أوّل بالوسطى ، وفيه لكثير رمل ، ولُبنان خفيف رمل .

(١) الرئم : الظبى الخالص البياض .

أخبار أبى الشِّبل ونسبه

نسبه

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم ، مولده الكوفة ، ونشأ وتأدّب بالبصرة .

مجونه واتصاله بالمتوكل

أخبرنى بذلك الحسن بن على، عن آبن مهرويه، عن على بن الحسن الأعرابى. وقدِم إلى سُرَّ مَن رأى فى أيّام المتوكّل ومدحه ، وكان طَيِّبًا[1] نادرا، كثير الغزل ماجنا، فنفَق[2] عند المتوكّل بإيثاره العَبَث ، وخَدَمه ، وخُصَّ به ، فأثْرَى وأفاد، فذكر لى عمّى عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لما مدحه بقوله :

أقبِلى فالخيرُ مقبلْ * واتركى قولَ المعلِّلْ

وثِقى بالنُّجح إذ أبـ * ـصرت وجه المتوكِّلْ

ملِكٌ يُنصِف ياظا * لمتى فيكِ ويَعدلْ

فهُو الغايةُ والمأ * مول يرجوه المؤمِّلْ

أمر له بألف درهم لكل بيت، وكانت ثلاثين بيتا، فانصرف بثلاثين ألفَ درهم.

الغناء فى هذه الأبيات لأحمد المكّى رمل بالبنصر.

أخبرنى يحيى بن على، عن أبى أيوب المدينى، عن أحمد بن المكّى قال: غنّيتُ المتوكّل صوتا شعرُه لأبى الشبل البُرْجُمىّ وهو :

أقبِلى فالخير مقبلْ * ودعى قول المعلِّلْ

(١) فى الأصول : « طيبا » وهو تحريف .

(٢) نفق : راج .

فأمر لى[1] بعشرين ألف درهم، فقلت: ياسيدى أسأل الله أن يبلّغك الهُنَيدة، فسأل عنها الفتح فقال: يعنى مائة سنة، فأمر لى بعشرة آلاف أخرى.

وحدّثنيه الحسن بن على عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكى مثله.

دعته جاريته فقال شعرا

حدّثنى الحسن بن على قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنى أبو الشبل عاصم ابن وهب الشاعر، وهو القائل:

أَقبِلى فالخير مقبلْ * ودعى قولَ المعلِّلْ

٢٣/١٣

قال: كانت لى جارية اسمها سُكَّر، فدخلتُ يوما منزلى ولبستُ ثيابى لأمضى إلى دعوة دُعيتُ إليها، فقالت: أَقِمِ اليومَ فى دعوتى أنا، فأقمتُ وقلت:

أنا فى دعوةِ سُكَّرْ * والهوى ليس بمنكَرْ

كيف صبرى عن غزالٍ * وجهُه دلو مُقَيَّرْ[2]

فلما سَمِعَت الأول ضحكتْ وسُرّت، فلما أنشدتُها البيتَ الثانىَ قامت إلىّ تضربنى[3] وتقول لى: هذا البيت الأخير الذى فيه «دلوٌ» لمالكٍ[4]، لولا الفضول؛ فما زالت — يعلم الله — تضربنى حتى غُشى علىّ.

مدحه مالك ابن طوق ثم ذمه

وذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأَسَدىّ حدّثه قال: مدح أبو الشبل مالكَ ابنَ طَوْق بمدح عجيب، وقدّرَ منه ألفَ درهم، فبعث إليه صُرّةً مختومة فيها مائة دينار، فظنّها دراهمَ، فردّها وكتب معها قوله:

فليت الذى جادت به كفُّ مالكٍ * ومالكُ مدسوسان فى آستِ أمِّ مالكِ

فكان إلى يوم القيامة فى آستها * فأيسَرُ مفقودٍ وأيسَرُ هالكِ

---

(١) فى س «فأمر له» وهو تحريف. (٢) مقير: مطلى بالقار أو القير: وهو الزفت.

(٣) فى الأصول «لتضربنى».

(٤) كذا فى الأصول.

وكان مالك يومئذ أميرا على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : ياهـذا ظلمتَنا واعتـديتَ علينا ، فقال : قد قدّرتُ عندَك ألفَ درهم فوصلتَنى بمـائة درهم ، فقال : افتحها ، ففتحتُها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : أقِلْنى أيها الأمير . قال : قد أقلتُك، ولك(١) عندى كلّ ما تحب أبدا ما بقيتُ وقصدتنى .

رثاؤه لطبيب

٥ حدّثنا الحسن بن على قال : حدّثنـا ابن مهرويه قال : قال لى أبو الشبل البُرْجُمىّ : كان فى جيرانى طبيب أحمق ، فمات فرثيتُه فقلت :

قـد بكاه بَولُ المريضِ بدمعٍ * واكِفٍ فوق مُقلتيـه ذَرُوفِ(٢)

ثم شـقّت جيوبَهن القواريـ * ـرُ عليه ونُحْنَ نَوحَ اللّهيفِ(٣)

يا كسادَ الخيارِ شَـنْبَرَ والأقـ * ـراصِ طرًّا ويا كسادَ السُّفوفِ

١٠ كنتَ تمشى مع القوىّ فإن جا * ءَ ضعيفٌ لم تكترثْ بالضّعيفِ

لهفَ نفسى على صُنوفٍ رَقَاعا * تٍ تولّت منه وعقلٍ سخيفِ(٤)

عبثه بخالد بن الوليد

حدّثنا الحسن قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنا أبو الشبل قال : إنّ(٥) خالد ابن يزيد بن هُبَيرة كان يشرب النبيـذ ، فكان يغشانا ، وكانت له جارية صـفراء مغنّية يقال لهـا لَهَب ، فكانت تغشانا معه ، فكنت أعبث بهما كثيرا ويشتُمانى ، ١٥ فقام مولاها يوما إلى الخابية يَستَقى نبيذا ، فإذا قميصه قد انشقّ ، فقلت فيه :

قالت له لهبٌ يـوما وجادَلَهـا * بالشعر فى باب فَعْـلانٍ ومفعولِ

أمّا القميص فقد أودى الزمان به * فليت شـعرى ما حال السراويل؟

(١) فى الأصول : « ولكن » ؛ وهو تحريف .
(٢) وكف الدمع : سال . وذرف الدمع : سال أيضا . والذى فى كتب اللغة : « دمع ذريف أى مذروف » ، قال الشاعر : ما بال عينى دمعها ذريف » .
٢٠ (٣) اللهيف : الملهوف . (٤) الرقاعة : الحمق . وفى س « رفاعات » وهو تصحيف .
(٥) فى جـ « حدثنا خالد بن يزيد بن هبيرة ، وكان » .

فبلغ الشعرُ أبا الجَهْم أحمد بن يوسف فقال :

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحة * تَحكى طرائقُه نَسجَ الغرابيل

وتحته حفرة قَوْراء واسعة * تسيل فيها مَيازيبُ الأحاليل (١)

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضَرّاطة، تضرط على صوت العيدان وغيرها فى الإيقاع، فقلت فيه :

٢٤/١٣

فى الحىّ مَن لا عدمتُ خُلّته * فتًى إذا ما قطعتُه وَصَلا (٢)

له عجوز بالحَبْق أبصرُ مَنْ * أبصرتُه ضاربًا ومرتجِلا (٣)

نادمتُها مرّةً وكنت فتًى * ما زلتُ أهوى وأشتهى الغَزَلا

حتى إذا ما أمالها سَكَرٌ * يَبعث فى قلبها لها مَثَلا

اتّكأتْ يَسرةً وقد حَرَقتْ * أشراجَها كى تقوِّم الرَّمَلا (٤)

فلَمْ تزل بأستها تُطارِحنى * إسمَعْ إلى مَن يَسومُنى العِللا (٥)

عرض شعره على المازنى فلامه

حدّثنى الحسن قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى أبو الشبل قال : لما عَرض لى الشعرُ أتيتُ جارا لى نحويّا، وأنا يومئذ حديث السنّ — أظنه قال إنه المازنىّ — فقلت له : إن رجلا لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدرُه بشىء من الشعر، فكره أن يُظهِرَه حتى تسمعَه . قال : هاته،

(١) قوراء : واسعة . الأحاليل : جمع إحليل بالكسر، وهو مخرج البول من ذكر الإنسان .

(٢) الخلة : الصداقة المختصة لا خلل فيها . (٣) الحبق : الضراط .

(٤) حرق الشىء : حك بعضه ببعض، وفى ب، س «حرفت» وهو تصحيف . أشراج : جمع شرج، جاء فى اللسان : الشرج كشمس وسبب والأول أفصح : أعلى ثقب الأست . وفى القاموس : الشرج كسبب : فرج المرأة .

(٥) فى س «باستها» وفى ب «استهام» وهو تحريف وفى جـ، ب، س «يزل ...... يطارحنى» وهو تصحيف .

وكنتُ قد قلت شعرا ليس بجيّد، إنما هو قول مبتدئ، فأنشدته إيّاه، فقال : مَن العاضّ بَظْرَ أمّه القائلُ لهذا؟ فقمت خجِلا، فقلت لأبى الشبل: فأى شىء قلت له أنت ؟ قال : قلت فى نفسى : أعضّك الله بَظْر أمّك وَبَهضَك[1] .

بعض نوادره

أخبرنى عمّى عن محمد بن المَرزُبان بن الفيرزان قال : كنت أرى أبا الشبل

٥ كثيرا عند أبى، وكان إذا حضر أضحك الثَّكْلَى بنوادره، فقال له أبى يوما : حدّثنا ببعض نوادرك وطرائفك؛ قال : نعم، من طرائف أمورى أنّ ٱبنى زَنَى بجارية سِنْدية لبعض جيرانى ، فحبِلتْ وولَدتْ ، وكانت قيمةُ الجارية عشرين دينارا، فقال : يا أبت، الصبىُّ واللهِ ٱبنى ، فساومتُ به ، فقيل لى : خمسون دينارا، فقلت له : ويلَك ! كنت تخبرنى الخبر وهى حُبلى فأشتريها بعشرين دينارا، ونربح

١٠ الفضل بين الثَّمَنَين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبىّ حتى ٱشتريتُه من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانيا فولدتْ له ٱبنا آخر، فجاءنى يسألنى أن أبتاعه، فقلت له : عليك لعنة الله، ما يحملك على أن تُحبِل هذه ؟ فقال : يا أبت لا أستحبّ العَزْل[2]، وأقبل على جماعة عندى يعجّبهم منّى، ويقول : شيخ كبير يأمرنى بالعَزْل ويستحلّه ! فقلت له : يٱبن الزانية، تستحلّ الزنا وتتحرّج من العَزْل ! فضحكنا منه .

خبره مع خمار يهودى

١٥ وقلت له : وأىّ شىء أيضا ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهودىّ خمّار[3]، فأخرج إلينا منها شيئا عجيبا، فظننّاه خمرا بنتَ عشر، قد أنضجَها الهَجير، فأخرج إلينا منها شيئا عجيبا وشربْنا، فقلت له : ٱشرب معنا، قال : لا أستحلّ

(١) فى جـ « ونهضنك » ، وفى، س « وبهضنك » وهو تحريف . والصواب ما أثبتنا ، يقال : بهضنى الأمر وأبهضنى ، أى فدحنى . وبالظاء أكثر .

٢٠ (٢) هو من عزل المجامع عن المرأة عزلا ، إذا قارب الإنزال نزع وأمنى خارج الفرج .

(٣) الهجير : نصف النهار عند اشتداد الحر .

شُربَ الخمر، فقال لى مجود: وَيْحك! رأيت أعجب ممّا نحن فيه، يهودىّ يتحرّج من شرب الخمر، ونشربها ونحن مسلمون! فقلت له: أجَلْ، والله لا نُفلِح أبدا، ولا يَعبأ الله بنا، ثم شربْنا حتى سَكِرنا، وقمنا فى الليل فنكنا بنتَــه وآمرأتَه وأختَه، وسرقْنا ثيابَه، وخَرِينا فى نَقِيرات(١) نبيذٍ له وآنصرفْنا .

هجاؤه هبة الله ابن ابراهيم

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّــولى قال : أخبرنا عون بن محمد الكِنْدىّ، قال: وقعتْ لأبى الشــبل البُرْجُمِىّ إلى هبــة الله بن إبراهيم بن المهدىّ حاجة فلم يقضِها فهجاه، فقال :

صَلَفٌ تندقُّ منــه الرقبــهْ * ومَســاوٍ لم تُطِقْها الكَتَبَهْ
كلّمــا بادَرَه رَكْبٌ بمــا * يشــتهيه منــه نادَى يا أبَهْ(٢)
ليتــه كان آلتوى الفَرْجُ به * لم يزد فى هاشمٍ هذى هِبَهْ

يعنى غلاما لهبة الله كان يسمّى بدرا، وكان غالبا على أمره .

حدّثنى الصُّولى قال : حدّثنى القاسم بن إسماعيل قال : قال رأَى أبو الشــبل إبراهيمَ بنَ العبّاس يكتب، فأنشأ يقول :

ينظِّم اللؤلؤَ المنثــورَ مَنطقُــه * وينظِم الدرَّ بالأقلام فى الكُتُبِ

حدّثنا الحسن بن علىّ قال: حدّثنا آبن مهرويَه قال : حدّثنى أبو الشبل البرجمى قال: حضرتُ مجلسَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وكان إلىّ محسنا، وعلىّ مُفْضِلا،

(١) فى ب، س «نقارات» وفى جـ «بغارات» وهو تحريف والصواب؛ ما أثبتنا جاء فى كتب اللغة: «والنقير أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيــه التمر ويلق عليه المــاء فيصير نبيذا مسكرا» ثم جمع نقير على نقيرات على تقدير أنه مؤنث معنى؛ إذ هو فى معنى باطية .

(٢) نادى يا أبه: يريد نادى غلامه «بدرا» مستعينا به على قضاء حاجة ذلك الركب، إذ كان غلامه صاحب أمره ومسيطرا عليه كأنه أبوه .

بجرى ذكرُ البرامكة، فوصَفَهم الناس بالجود، وقالوا فى كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثَروا، فقمتُ فى وسط المجلس، فقلت لعبيد الله : أيها الوزير، إنى قد حكمتُ فى هذا الخطب حكما نظمته فى بيتَىْ شعرٍ لا يقدر أحد أن يردّه علىّ، وإنما جعلته شعرا ليدور ويَبقَى، فيأذن الوزير فى إنشادهما قال : قل، فرُبّ صوابٍ قد قلتَه، فقلت : ٥

رأيتُ عبيدَ الله أفضلَ سُودَدًا * وأكرمَ مِن فضلٍ ويحيى بنِ خالدِ

أولئك جادوا والزّمانُ مُساعِدٌ * وقد جاد ذا والدّهرُ غيرُ مُساعِدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظهر السرور فيه، وقال : أفرطتَ أبا الشِّبْل، ولا كلّ هذا، فقلت : والله ما حَابيْتُك أيها الوزير، ولا قلت إلّا حقّا، واتبعنى القوم فى وصفه وتقريظه، فما خرجت من مجلسه إلا وعلىّ الخلَع، وتحتى دابّة[1] بَسْرجه ولجامه، وبين ١٠ يدىّ خمسةُ آلافِ درهم .

قصته مع جاريتين

حدّثنى الحسن قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثنى علىّ بن الحسن الشيبانى قال : حدّثنى أبو الشِّبْل الشاعر قال : كنت أختلف إلى جاريتين من جوارى النخّاسين[2] كانتا تقولان الشعر، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها، ثم أنشدتُها بيتا لأبى المستهِلّ شاعرِ منصور بن المهدىّ فى المعتصم : ١٥

أَقام الإمامُ منَارَ الهُدَى * وأخرَسَ ناقوسَ عَمُّورِيَهْ[3]

---

(١) تطلق الدابة على الذكر والأنثى .

(٢) النخّاس : بيّاع الرقيق .

(٣) عمّورية : بلد من بلاد الروم (الأناضول) فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ .

ثم قلت لها : أجيزى؛ فقالت :

كسانى المليكُ جلابيبَه * ثيابٌ عَلاها بسَمُّورِيَهْ[(١)]

ثم دَعتْ بطعام فأكلْنا، وخرجتُ من عندها، فمضيتُ إلى الأخرى، فقالت : من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت : مِن عنـدِ فلانة ، قالت : قد علمتُ أنّك تبدأ بها — وصدقتْ، كانت أجملَهما فكنتُ أبدأ بها — ثم قالت : أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لى فى أن تأكله، لعلمى بأن تلك لا تدَعُك تنصرف أو تأكل . فقلت : أجل . قالت : فهل لك فى الشراب؟ قلت : نعم، فأحضرتْه وأخذْنا فى الحديث، ثم قالت : فأخبرنى مادار بينكما؟ فأخبرتُها، فقالت : هذه المسكينة كانت تجد البرد، وبيتُها أيضا هذا الذى جاءت به يحتاج إلى سمّورية، أفلا قالت :

فأضحَى به الدِّين مستبشرا * وأضحت زِنادُهما وارِيَهْ[(٢)]

فقلت : أنت والله أشعَرُ منها فى شِعرِها ، وأنت والله فى شعرك فوق أهل عصرك . والله أعلم .

شعره فى الشيب

أخبرنا الحسن قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : أنشدنى أبو الشبل لنفسه :

عَذيرى مِن جَـوارى الحـ ى إذ يَرغبن عن وصـلى[(٣)]

رأين الشيبَ قـد ألبـ * ـسنى أُبَّهـةَ الكَهْـل

فأعرضْنَ وقـد كنّ * إذا قيـل أبو الشبـل

تَسـاقَين فرقَّعـن الـ * ـكُوَى بالأعيُن النُّجل[(٤)]

(١) سمورية : نسبة إلى سمور (وياء النسب هنا مخففة) وسمّور : دابة تتخذ من جلدها فراء غالية الأثمان .

(٢) ورى الزند كوعى وولى : خرجت ناره .

(٣) العذير : العاذر .

(٤) الكوى : جمع كوّة بالفتح وبضم ، وهى الخرق فى الحائط .

قال : وهذا سرقه من قول العُتْبيّ :

رأين الغوانى الشيبَ لاح بمَفرِق * فأعرضْن عنّى بالخدود النواضر
وكنّ إذا أبصرننى أو سمعننى * سعَيْن فرقّعن الكُوَى بالمحاجر (١)

خبره مع حاتم ابن الفرج

حدّثنى الحسن قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : حدّثنى أبو الشبل قال : كان حاتم بن الفرج يعاشرنى و يدعونى، وكان أهتم، قال أبو الشبل : وأنا أهتم، وهكذا كان أبى وأهل بيتى، لا تكاد تَبقَى فى أفواههم حاكّة (٢)، فقال أبو عمر أحمد بن المنجّم :

لحاتم فى بُخله فِطنةٌ * أدقُّ حِسّا من خُطا النمل
قد جعل الهُتْمانَ ضَيْفًا له (٣) * فصار فى أمنٍ من الأكل
ليس على خبز امرئ ضَيعةٌ * أكِلُه عُصْمٌ (٤) أبو الشبل
ما قدرُ ما يحمله كفُّه * إلى فمٍ من سِنّه عُطْلُ (٥)
فحاتم الجود أخو طيّء * مضى وهذا حاتمُ البخل

شعره فى جارية سوداء يحبها

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدّثنى أبو العيناء قال : كانت لأبى الشبل البُرْجُمى جارية سوداء، وكان يحبّها حبّا شديدا، فعوتب فيها، فقال :

(١) المحاجر : جمع محجر كمجلس ومنبر وهو من العين ما دار بها و بدا من البرقع .

(٢) الحاكّة : السنّ . (٣) هتّان : جمع أهتم — ولم يرد فى كتب اللغة — وقد جاء فعلان فى كلام العرب جمعا لأفعل كأسود وسودان وأبيض وبيضان وأحمر وحمران . وضيف هنا للجمع، جاء فى كتب اللغة : «الضيف للواحد والجميع، وقد يجمع على أضياف وضيوف وضيفان، وهى ضيف وضيفة» وقد ورد فى القرآن الكريم للجمع، قال تعالى : «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين» وقال : «إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون» .
وقد سقطت كلمة «له» من جـ، وفيها أيضا «فى أمر» وهو تحريف .

(٤) عصم : سمت العرب عاصما وعصما .

(٥) استفهام يراد به النفى، أى لا قدر له .

غدتْ بطولِ الملام عاذلةٌ * تلومُنى فى السواد والدَّعجِ[(١)]
ويحكِ كيف السلوّ عن غُرَرٍ * مفترِقات الأرجاءِ ، كالسَّبجِ[(٢)]
يحلن بين الأفخاذ أسْنِمَةً * تحرق أوبارها من الوهجِ[(٣)]
لا عذّب الله مسلما بهمُ * غيرى ولا حان منهمُ فرَجى[(٤)]
فإنَّنى بالسواد مبتهجٌ * وكنتُ بالبيض غيرَ مبتهِجِ ٥

هجاؤه جارية لهاشم النحوى

حدّثنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن الطيّب قال : حدّثنى أبو هريرة البصرى النحوىّ الضرير قال : كان أبو الشبل الشاعر البرجمى يعابث قَينة لهاشم النحوى يقال لها خَنْساء ، وكانت تقول الشعر ، فعبث بها يوما فأفرط حتى أغضبها . فقالت له : ليت شعرى ، بأىّ شىء تُدِلّ ؟ أنا والله أشعرُ منك ، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحَك ، فأقبل عليها وقال : ١٠

حسناءُ قد أفرطتْ علينا * فليس منها لنا مجيرُ
تاهت بأشعارها علينا * كأنّما ناكَها جريرُ

قال : فخجلتْ حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه .

شعره فى ذم المطر

٢٧/١٣

قال عمى : قال أحمد بن الطيّب : حدّثنى أبو هريرة هذا قال : حدّثنى أبو الشبل أنها وعدتْه أن تزوره فى يوم بعينه كان مولاها غائبا فيه ، فلما حضر ذلك ١٥ اليوم جاء مطرٌ منعَها من الوفاء بالموعد ، قال : فقلتُ أذمّ المطر :

---

(١) فى الأصول « عذرت » ، « وهو تحريف لا يستقيم به الوزن والمعنى . ولعل صوابه ما أثبتنا . والدعج : سواد العين مع سعتها .
(٢) الأرجاء : النواحى . مفترقات الأرجاء : أى لكل منهن ناحية من الحسن خاصة . السبج : خرز أسود ، معرب . ٢٠
(٣) الوهج : اتقاد النار .
(٤) يلاحظ أنه استعمل هنا ضمير جماعة الذكور موضع ضمير جماعة الإناث .

دع المواعيدَ لا تَعرِض لوِجْهتها * إن المواعيد مقرونٌ بها المطرُ

إن المواعيد والأعيادَ قد مُنِيَتْ * منه بأنكدِ ما يُمْنَى به بَشَرُ (١)

أمّا الثياب فلا يغررْك إن غسِلتْ * صَحْوٌ شديد ولا شمس ولا قمر

وفى الشخوص له نوءٌ وبارقةٌ * وإن تبيّت فذاك الفالجُ الذكَرُ (٢)

وإن هممتَ بأن تدعو مغنّيةً * فالغيث لاشكّ مقرونٌ به السَّحَر ٥

هجاؤه مولى عبد الله ابن يحيى

حدّثنى عمى قال: حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى ابن خاقانَ غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البُرْجُمىّ سأله إيّاها، فأخّرها نسيم، فشكاه إلى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاما له آخر فقضاها بين يديه، فقال أبو الشِّبل يهجو نسيما:

قل لنسيمٍ أنت فى صورة * خُلِقْتَ من كلبٍ وخنزيرَه ١٠

رَعَيت دهرا بعد أعفاجها * فى سَلْح مخمورٍ ومخموره (٣)

حتى بدا رأسك من صَدْعها * زانية بالفسق مشهوره (٤)

لا تقرب الماء إذا أجنَبَتْ * ولا ترَى أن تقربَ النُّوره (٥)

ترى نباتَ الشَّعر حولَ استها * دَرابِزينًا حول مَقْصوره (٦)

(١) منيت: ابتليت. ١٥

(٢) شخص شخوصا: خرج من موضع إلى غيره. تبيته عن حاجته: حبسه عنها. والفالج: الشلل. والذكر: يعنى القوىّ الشديد، من قولهم: مطر ذكر أى شديد وابل، وقول ذكر أى صلب متين، وشعر ذكر أى فحل. (٣) الأعفاج: الأمعاء.

(٤) الصدع: الشق، أراد به فرجها. وفى الأصول «من صدغها» وهو تصحيف.

(٥) أجنبت: من الجنابة أى كانت جنبا. والنورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويضاف إليه أخلاط ويحلق به شعر العانة. ٢٠

(٦) الدرابزين: قوائم مصفوفة تعمل من خشب أو حديد تحاط بها السلالم وغيرها. فارسية، وهى الجلفق (بجعفر).

هجاؤه محمد ابن حماد

حدّثنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنى ابن مهرويه قال : كان أبو الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دنقيش ، ثم تهاجرا بشىء أنكره عليه ، فقال أبو الشبل فيه :

لابن حمّاد أيادٍ * عندنا ليست بدونِ
عنده جارية تشـ * ـفِى من الداء الدفين
ولها فى رأس مولا * ها أكاليلُ قُرونِ
ذات صَدْعٍ[1] حاتمىّ الـ * ـفعل فى كِن مَكين
لا يَرَى مَنْعَ الّذى يحـ * ـوِى ولو أمَّ البنين

شعره فى كبش كسر قنديله

حدّثنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن الطيب قال : حدّثنى أبو هريرة النحوىّ قال : كان أبو الشبل البرجمى قد اشترى كبشا للأضحى ، فجعل يعلفه ويسمّنه ، فأفلت يوما على قنديل له كان يُسرجه بين يديه ، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت ، فنطحه فكسره ، وانصبّ الزيت على ثيابه وكتبِه وفِراشه ، فلما عاين ذلك ذبح الكبشَ قبلَ الأضحى ، وقال يرثى سراجَه :

يا عين بكِّى لفقد مسْرَجةٍ[2] * كانت عمود الضياء والنور
كانت إذا ما الظلام ألبسنى[3] * من حِندِس الليل ثوبَ دَيْجور
شقّت بنيرانها غياطِلَه[4] * شقًّا دعَا الليلَ بالدّياجير
صِينية الصين حين أبدعها * مصوِّر الحسن بالتصاوير

(١) صدع : أراد به الفرج كما تقدم ، وفى س « صدغ » وهو تصحيف .
(٢) فى ب ، س « ياعين أبكى » وهو تحريف .
(٣) الحندس : والديجور : الظلمة . وفى جـ « إذا أمال الظلام » وهو تحريف .
(٤) غيطلة الليل : التجاج سواده والتباس ظلامه وتراكمه .

وقبل ذا بدعةٌ أتيح لها * مِن قِبَلِ الدهر قرنُ يعفور (١)

وصَكَّها صكَّةً فما لبثت * أنْ وَرَدت عسكر المكاسير (٢)

وإن تولّت فقد لها تركَتْ * ذِكرا سيبقى على الأعاصير (٣)

مَن ذا رأيتَ الزمانَ ياسَرَه * فلم يَشُب يُسْرَه بتعسير (٤)

ومن أباح الزمانُ صفوتَه * فلم يشب صفوَه بتكدير

مسرجتى لو فديتِ ما بخِلَتْ * عنك يدُ الجود بالدنانير

ليس لنا فيك ما نقدِّره * لكنما الأمر بالمقادير

مسرجتى كم كشفتِ من ظُلَمٍ * جلّيتِ ظلماءها بتنوير

وكم غزال على يديك نجا * من دقّ خُصييه بالطوامير (٥)

مَن لى إذا ماالنديمُ دبَّ إلى الـ * ـندمان فى ظُلمة الدَّياجير

وقام هذا يبُوس ذاك، وذا * يُعنِق هذا بغير تقدير (٦)

وٱزدَوَج القومُ فى الظلام فما * تسمعُ إلّا الرِّشاءَ فى البِير (٧)

فما يُصلُّون عند خَلوتِهمْ * إلّا صلاةً بغير تطهير

---

(١) اليعفور : ظبى بلون التراب ، يعنى قرن كبش شبيه باليعفور .

(٢) صكها : ضربها ضربا شديدا . المكاسير جمع مكسور ، وفى جـ « المساكين » وهو تحريف ، يعنى : نطحها بقرنه فما لبثت أن صارت فى عداد الأشياء المكسورة المهشمة . (٣) العصر : الدهر ، وجمعه أعصار . (٤) ياسره : لاينه . (٥) الطومار والطامور : الصحيفة .

(٦) البوس : التقبيل ، فارسىّ معرّب باسه يبوسه : وفى جـ « يعنف » وهو تحريف . وفى كتب اللغة : « عانقه : جعل يديه على عنقه وضمه إلى نفسه » وهذا هو المعنى المراد فى البيت ، وليس فيها بهذا المعنى إلا صيغة « عانق » وقد استعمل الشاعر أعنق بمعنى عانق .

(٧) الرشاء : الحبل ، وقد كنى بذلك عما يستقبح ذكره .

أوحشَتِ الدارُ من ضيائك والـ * ـبيت إلى مطبخ وتَنُّور (١)

إلى الرواقين فالمجالسُ فالـ * ـمِربَدُ مذ غبتِ غيرُ معمور (٢)

قلبى حزين عليك إذ بخلت * عليك بالدمع عينُ تمير (٣)

إن كان أودى بكِ الزمان فقد * أبقيتِ منك الحديثَ فى الدُّور

دع ذكرَها واهجُ قَرْنَ ناطحِها * وأَسْرِد أحاديثَه بتفسير (٤)

كان حديثى أنى اشتريتُ فما اشـ * ـتريت كَبْشا سليلَ خنزير

فلم أزل بالنَّوى أسمِّنه * والتبن والقَتِّ والأثاجير (٥)

أبرِّد الماء فى القِلال له * وأتَّقى فيه كلَّ محذور (٦)

تخدُمه طولَ كلِّ ليلتها * خدمةَ عبدٍ بالذل مأسور

وهى من التِّيه ما تكلِّمنى الـ * ـفصيح إلا من بعد تفكير

شمس كأنّ الظلام ألبسها * ثوبا من الزِّفت أو من القِير (٧)

---

(١) التنور : الكانون يخبز فيه . وهذا البيت فى جـ هكذا :

قد أوحشت من ضيائك الدار * والبيت إلى مطبخ وتنور

وهو غير مستقيم الوزن .

(٢) الرواق ككتاب وغراب : سقف فى مقدّم البيت . والمربد : محبس الإبل ، من ربد الإبل كنصر ربدا : حبسها .

(٣) الظاهر أن « تمير » اسم امرأته .

(٤) كلمة « ناطحها » ساقطة من جـ . وفيها أيضا « وأيسر أحاديثه » وهو تحريف .

(٥) القت : الرطبة من علف الدواب . والتجير : ثفل كل شى يعصر ، وقد جمعه الشاعر على أثاجير ، والظاهر أنه جمع جمع لأتجرة ، وأتجرة جمع تجير .

(٦) القلال : جمع قلة مثل برمة و برام ، وربما قيل : قلل مثل غرفة وغرف .

(٧) استطرد فى هذا البيت وما بعده إلى وصف خادمته فقال : إنها كالشمس ، يريد فى جمالها وإن كانت سوداء . والقير والقار : الزفت ، وفى جـ « ثوبا من الوقت » وهو تحريف .

من جلدها خُفُّها وبرقعها * حوراءُ فى غير خلقة الحُور (١)

فلم يزل يغتذى السرورَ، وما الـ * ـمحزونُ فى عيشةٍ كمسرور (٢)

حتى عدا طورَه، وحُقّ لمن * يكفُر نُعمى بقُرْب تغيير

فمدّ قرنيه نحو مسرجةٍ * تُعَدّ فى صون كلِّ مذخور

شدّ عليها بقَرْن ذى حَنَقٍ * معوَّدٍ للنِّطاح مشهور

وليس يقوَى بِرَوْقه جبلٌ * صَلْدٌ من الشُّمَّخ المَذاكير (٣)

فكيف تقوَى عليه مِسرَجةٌ * أرقُّ من جوهر القوارير

تكسّرتْ كسرةً لها ألمٌ * وما صحيحُ الهوى كمكسور (٤)

فأدركتْه شَعوبُ فانشعبتْ * بالرُّوع والشِّلْو غيرَ مقتور (٥)

أُديلَ منه فأدركتْه يدٌ * من المنايا بحَدٍّ مطرور (٦)

يَلتهب الموتُ فى ظُباه كما * تلتهب النارُ فى المساعير (٧)

(١) الحور : شدّة سواد العين فى شدّة بياضها فى شدّة بياض الجسد ، ولا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد ، ولذا قال : غير خلقة الحور .

(٢) فى جـ « فلم يزل يغتذ » وهو تحريف .

(٣) الروق : القرن . والصلد : الصلب . والشامخ : المرتفع الشاهق . مذاكير : جمع ذكر على غير قياس ، وقد وصفوا بهذا اللفظ يريدون الدلالة على قوّة الموصوف وشدّته ، فقالوا : رجل ذكر أى قوى شجاع . ومطر ذكر أى شديد وابل ، وقول ذكر أى رصين ، وشعر ذكر أى فحل ، وقال الشاعر :

ما أنت والسير فى متلف * يبرّح بالذكر الضابط

أى بالجمل القوىّ الشديد .

(٤) فى جـ : « ولا تكسرت » .

(٥) شعوب : المنية . وقتر الشىء : ضم بعضه إلى بعض . والروع : القلب . والشلو : الجسد .

(٦) أداله الله من عدوّه : جعل له الغلبة عليه . والطر : تحديد السكين . والتقدير : بحد سكين مطرور .

(٧) الظبى جمع ظبة ، وهى حد السنان ونحوه ، استعمل الجمع هنا فى موضع المفرد . والمساعير مع مسعار ، والمسعار والمسعر : ما سعر به أى أوقد به النار .

ومزّقته المُدَى فما تركت * كفُّ القِرَا منه غيرَ تعسير (١)
وٱغتاله بعد كسرها قَدَرٌ * صيره نُهْزَة السَّنانير (٢)
فمزّقتْ لحمَه براثنُها * وبذّرته أشدَّ تبذير (٣)
واختلسته الحِداءُ خَلْسا مع الـ * ـغربان لم تزدجرْ لتكبير (٤)
وصار حظّ الكلاب أعظُمُه * تهشم ألحاءها بتكسير (٥)
كم كاسرٍ نحوَه وكاسرةٍ * سلاحُها فى شَفَا المناقير (٦)
وخامعٍ نحوَه وخامعةٍ * سلاحُها فى شَبَا الأظافير (٧)
قد جعلتْ حول شِلْوِه عُرُسا * بلا ٱفتقار إلى مزامير
ولا مغَنٍّ سوى هَماهِمِها * إذا تمطّت لواردِ العِير (٨)
يا كبشُ ذقْ إذ كسرتَ مسرجتى * لمديةِ الموت كأسَ تنحير (٩)
بغيتَ ظُلما والبغىُ مصرعُ مَن * بَغَى على أهله بتغيير
أُضحيّة ما أظن صاحبها * فى قَسْمه لحمَها بمأجور

(١) قراه قرى : أضافه . والتعسير : التضييق ، والمراد به هنا القليل ، أى أن القرى لم يبق لنا من لحمه إلا اليسير .

(٢) النهزة : الفرصة . والسنانير : جمع سنور .

(٣) براثن : جمع برثن كبرقع ، وهو الكف مع الأصابع .

(٤) الخلس : الاختلاس .

(٥) فى جـ « يهشم ألحاها » وفى ب ، س « يهشم ألحاءها » وهو تحريف .

(٦) الشفا : حرف كل شىء .

(٧) خمع فى مشيته كمنع : عرج . والشبا : جمع شباة ، وهى حد كل شىء . والأظافير : جمع أظفور لغة فى الظفر .

(٨) هماهم : جمع همهمة ، وهى ترديد الصوت فى الصدر وكل صوت معه بحح . لوارد العير : أى للعير الواردة ، والعير : الإبل تحمل الميرة .

(٩) نحره نحرا : ذبحه ، وقد ضعفه الشاعر فقال « تنحير » للشعر .

سرق منه قرطاس فرثاه

أخبرنى الحسن بن علىّ الشّيبانى قال : دخلتُ على أبى الشبل يوما فوجدتُ تحت مخدّته ثُلثَ قرطاس، فسرقتُه منه ولم يَعلَم بى ، فلما كان بعد أيام جاءنى فأنشدنى لنفسه يَرثِى ذلك الثلثَ القرطاس .

فِكَرٌ تَعترِى وحزنٌ طويلُ * وسَقيمٌ أنحَى عليه النُّحولُ
ليس يبكى رَسْما ولا طَللا مَحَّ * كما تَنْدَب الرُّبا والطُّلولُ (١)
إنما حزنُه على ثُلثِ كا * ن لحاجاته فغالتْه غُولُ (٢)
كان للسر والأمانة والكتـ * ـمان إن باح بالحديث الرسول
كان مِثلَ الوكيل فى كلّ سوق * إنْ تلكَّا أو ملَّ يوما وكيل
كان للهمِّ إن تراكَمَ فى الصد * ر فلم يُشْفَ من عليلٍ غليل (٣)
لم يكن يبتغى الحِجَاب من الحُجّا * ب إن قيل ليس فيها دخول (٤)
إنْ شكا حاجبا تَشدَّد فى الإذ * ن فللحاجب الشقىِّ العويلُ (٥)
يُرفَع الخيرُ عنه والرزق والكسـ * ـوةُ فهو المطرود وهو الذليل (٦)
كان يُثنَى فى جَيب كلِّ فتاةٍ * دونَها خَندقٌ وسُورٌ طويل (٧)
يقف الناس وهو أوّل من يد * خله القصرَ غادةٌ عُطْبُول (٨)
فإذا أبرزَتْه باح به فى الـ * ـقصر مسكٌ وعنبر مَعْلول (٩)

(١) محت الدار : عفت . (٢) غالته غول : أهلكته هلكة . (٣) الغليل : حرارة الجوف . (٤) فى جـ « لا يبتغى الحجاب » ولا يستقيم به الوزن . (٥) إن شكا حاجبا ، أى إن شكوت فيه حاجبا . (٦) فى الأصول : « الخبر عنه والورق » وهو تحريف .
(٧) فى س « حبيب » وهو تصحيف . (٨) العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .
(٩) معلول : مضاعف ، من العلل كسبب وهو الشرب بعد الشرب تباعا ، وقد علّه كضرب ونصر فهو معلول ؛ ومنه قول كعب بن زهير :

* كأنه منهل بالراح معلول *

وفى حديث على رضى الله عنه : من بجزيل عطائك المعلول . وفى جـ « فإذا برزته » وهو تحريف .

٣٠
١٣

وله الحبّ والكرامة ممن * بات صَبًّا والشم[1] والتقبيل

ليس كالكاتب الذى بأبى الخـ * ـطّا[2] ب يُكْنَى قد شابه التطفيل

ذا كريمٌ يُدْعَى ، وهذا طفيلٌ * وهذا وذا جميعا دليل[3]

ذاك بالبشر والجماعة[4] يُلقَى * ولهذا الحجاب والتنكيل

لم يفِد وفدُه الزمانَ على الأ * لسن منه عطفٌ ولا تنويل

كان مع ذا عدل الشهادة مقبو * لا إذا عزّ شاهدًا تعديلُ

وإذا ما الْتوى الهوى بالأليفيـ * ـن فلم يرْعَ واصلًا[5] موْصولُ

فهو الحاكمُ الذى قولُه بيـ * ـن الأليفَين جائزٌ مقبولُ

فلئن شتّت الزمانُ به شمـ * ـلَ دَواتى[6] وحانَ منه رحيل

لقديما ما شتّت البينُ[7] والأُلـ * ـفَةُ من صاحبٍ، فصبرٌ جميل

لا تلُمْنى على البكاء عليه * إنّ فقدَ الخليل خطبٌ جليل

قال : فرددتُه عليه ، وكان اتّهم به أبا الخطّاب الذى هجاه فى هذه القصيدة ، فقال لى : ويلك ، نُجّيتَ[8] ووقع أبو الخطّاب بلا ذنب ، ولو عرفتُ أنّك صاحبها لكان هذا لك، ولكنّك قد سلمتَ .

(١) فى جـ « والسّم » ، وفى ب ، « س « واللثم » .

(٢) فى الأصول : « لأبى الخطاب » وهو تحريف . ويقال : طفل تطفيلا وتطفل تطفلا .

(٣) فى ب وس « ذليل » ، وهو تصحيف ، يعنى أن كليهما دليل يتقدّم لقضاء حاجة صاحبه ، لكنهما يفترقان فى مظهرهما ، فهذا كريم وهذا طفيل .

(٤) فى س « والمجاعة » ، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما فى جـ و ب .

(٥) فى الأصول : « فاصلا » ، وهو تحريف ، أى فلم يرع محبا حبيب .

(٦) فى ب ، س « دوائى » ، وهو تحريف .

(٧) البين هنا : الوصل .

(٨) فى جـ « ويلك جيت » ، وهو تحريف .

أخبـار عَثْعَث

نسـبه

كان عَثْعَث أسـودَ مملوكا لمحمد بن يحيى بن مُعاذ ، ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذٍ وأداء ، فعلّمه الغنـاء ، وخرّجه وأدّبه ، فبرع فى صناعته ، ويكنى أبا دُلَيْجة وكان مأبونا ؛ والله أعلم .

٥ أخبرنى بذلك محمد بن العبّـاس اليزيدىّ عن ميمونَ بن هارون قال : حدّثنى عثعث الأسود ، قال : مُخارق كنّانى بأبى دُلَيْجة ، وكان السبب فى ذلك أن أوّل صوت سمعنى أغنّيه :

أبا دُلَيجةَ مَنْ توصِى بأرمَـلةٍ * أم من لأشعثَ ذى طِمْرَين مِمحالِ(١)

فقال لى : أحسنت يا أبا دُلَيجَة ، فقبلتُهـا وقبّلتُ يده ، وقلتُ : أنا يا سـيّدى ١٠ أبا المُهنّا ؛ أتشرّف بهذه الكنية إذا كانت نِحلةً(٢) منك . قال ميمون : وكان مخارق يشتهى غناءه ويحزُنه إذا سمعه .

ما وقع له فى مجلس غنـاء

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب علىّ بن محمـد بن نصر بخطّه ، حدّثنى يعنى ابن حمدون قال : كنا يوما مجتمعين فى منزل أبى عيسى بن المتوكّل ، وقد عزمْنا على الصَّبوح ومعنا جعفر بن المأمون ، وسليمان بنُ وهب ، وإبراهيم بن المدبّر ، وحضرتْ ١٥ عَريب وشارية وجواريهما ، ونحن فى أتمّ سرور ، فغنّت بدعة جارية عريب :

أعاذلتى أكثرتِ جَهْلا من العـذْلِ * على غير شىءٍ من مَلامى وفى عَذْلِى

---

(١) البيت لأوس . وفى ب « أم لأشعث » ، وفى س « لم توصى أم لأشعث » وفيـه تحريف وسقط . والتصويب عن جـ . والأشعث : المغبر الرأس . والطمر : الثوب الخلق . ممحال : من المحل ، وهو الجدب .

٢٠ (٢) النحلة : العطية .

والصنعة لعَريب؛ وغنّت عِرفان :

إذا رام قلبي هجـرَها حالَ دونَه * شَفيعان مِنْ قلبي لها جَدِلان

والغنـاء لشارية ، وكان أهل الظَّرْف والمتعانون[1] فى ذلك الوقت صنفين : عريبيّة وشاريّة[2]، فمـال كل حزب إلى من يتعصب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح ، وعريب وشارية ساكتتان لا تَنطقان ، وكل واحدة من جـواريهما تغنّى صنعةَ سِتِّها لا تجاوزها ، حتى غنّت عرفان :

بأبى مَن زارنى فى منـامى * فدنا مــنّى وفيـه نِفـارُ

فأحسنتْ ما شاءت ، وشربْنا جميعا ، فلما أمسكتْ قالت عريب لشارية : ياأختى لمن هذا اللحن؟ قالت : لى ، كنت صنعتُه فى حياة سيّدى ، تعنى إبراهيم بنَ المهدى ، وغنّيتُه إياه فاستحسنه ، وعَرضَته على إسحاق وغيره فاستحسنوه ، فأَسكتتْ[3] عَريب ، ثم قالت لأبى عيسى : أحب يا بنىّ[4] — فديتك — أن تَبعث إلى عَثعَث فتجيئنى به ، فوجّه إليه ، فحضر وجلس ، فلما اطمأن وشرب وغنّى ، قالت له : يا أبا دليجة أوتذكر صـوتَ زبير بن دَحْمانَ عندى وأنت حاضر ، فسألته أن يَطرَحه عليك ؟ قال : وهل تَنسَى العَذْراء أبا عُذْرِها[5] ، نعم ، والله إنى لذاكرُه حتّى كأننا أمسِ ٱفترقْنا عنـه . قالت : فغنّه ، فاندفع فغنّى الصوتَ الّذى ٱدّعتْـه شارية حتى استوفاه

(١) فى جـ : « والمتعابنون » ، وهو تحريف .

(٢) فى الأصول : « وشروية » ، وهو تحريف .

(٣) يقال : تكلم ثم سكت بغير ألف ، فاذا انقطع كلامه فلم يتكلم قيل أسكت .

(٤) هكذا فى جـ . وفى ب ، س : «بأبى فديتك» .

(٥) العذرة بالضم : البكارة ، وهو أبو عذرها وأبو عذرتها : إذا كان قد افتضها .

وتضاحكتْ عَريب ، ثم قالت لجواريّها : خذوا فى الحقّ ، ودَعونا من الباطل ، وغنُّوا الغناء القديم . فغنّت بدعة وسائر جوارى عَريب ، ونجلتْ شارية وأطرقتْ وظهر الانكسار فيهــا ، ولم تنتفع هى يومئذ بنفسها ، ولا أحدٌ من جواريّها ولا متعصّبيها أيضا بأنفسهم .

غناؤه فى مجلس المتوكل

٥ قال : وحدّثنى يحيى بنُ حَمــدون قال : قال لى عَثعَث الأسود : دخلتُ يوما على المتوكّل وهو مصطبِــح وابن المــارقىّ يغنّيه قوله :

أقاتلتى بالجيد والقــدّ والخــدّ * وباللون فى وجهٍ أرقّ من الورد

وهو على البِركة جالس ،وقد طرِب واستعاده الصوتَ مرارا وأقبل عليه، فجلست ساعةً ثم قمت لأبولَ، فصنعت هزَجا فى شعر البحترىّ الّذى يصف فيه البِركة :

١٠ صـــوت

إذا النجومُ تراءت فى جوانبهــا * ليلاً حسبتَ سمــاءً ركّبت فيهــا
وإن علتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكا(١) * مثلَ الجَواشنِ مصقولا حواشيها
وزادها زينةً من بعد زينتها * أن اسمــه يومَ يُدْعَى من أساميها

فما سكت ابنُ المــارق سكوتا مستوجبا حتى اندفعتُ أغنّى هذا الصوت، فأقبل علىّ

١٥ وقال لى : أحسنتَ وحياتى، أعِدْ ، فأعدتُ ، فشرب قدحا، ولم يزل يستعيدُنيه ويشرب حتى اتكأ ، ثم قال للفتح : بحياتى ادفع إليــه الساعة ألف دينار وخلْعة تامّة واحمله على شِهْرِى(٢) فارِهٍ بسَرْجه ولجامه، فانصرفتُ بذلك أجمَع .

---

(١) الصبا : الريح تهب من مطلع الشمس . والحبك : التكسر الذى يبدو على المــاء إذا مرت به الريح . والجواشن : جمع . جوشن ، وهو الدرع .

٢٠ (٢) الشهرية : ضرب من البراذين . الفاره : الجيد السير .

نسبة ما فى هذه الأخبار من الغنـاء

صـــوت

أعاذلتى أكثرتِ جهلاً من العَذْلِ * على غير شىءٍ من ملامى ولا عذلِى
نأيتِ فلم يُحدِث لى النـاسُ سَلوةً * ولم أُلفِ طول [النأى](١) عن خُلة يُسْلى

٣٢/١٣

عَروضُه من الطويل، الشعر لجَميل، والغناء لعَريب، ثقيل أوّل بالبنصر، ومنها :

صـــوت

إذا رامَ قلبى هجرَها حالَ دونَه * شفيعان من قلبى لهـا جَدِلانِ
إذا قلتُ لا، قالا بلى، ثم أصبحا * جميعا على الرأى الّذى يَريان

عَروضه من الطويل، والناس يَنسُبون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام، وليس له .
الشعر لعلىّ بن عمرو الأنصارى، رجل من أهل الأدب والرواية، كان بُسْرٌ مَن رأى كالمنقطع إلى إبراهيمَ بنِ المهدى، والغناء لشارية، ثقيل أول بالوسطى، وقيل إنه من صنعة إبراهيم، ونَحَلها إيّاه، وفيه لعَريبَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .
ومنهـا :

صـــوت

بأبى من زارنى فى منـامى * فـدنا منّى وفيـــه نِفـارُ
ليــلةً بعــدَ طُلوعِ الثُّريّا * وليالى الصّيف بُتْرٌ قِصارُ
قلتُ هُلكى أم صلاحى فعَطْفًا * دون هذا منك فيه الدَّمارُ
فدنا منّى وأَعطَى وأَرضَى * وشفَى سُـقْمى ولذَّ المَزارُ

(١) هذه الكلمة أو ما يفيد معناها ساقطة من الأصول، كما يدل عليها قوله «نأيت» فى أول البيت . وفى ب، س : «طولا» . الخلة : الخليلة .

لَم يقعْ إلينا لِمن الشعرُ، والغناء لزبير بنِ دَحْمان، ثقيل أوّل بالوسطى، وهومن جيّد صنعتِه وصدورِ أغانيه .

غناؤه فى شعر

أخبرنى ابن علىّ قال: حدّثنا ابن مهرويه قال: حدّثنا أحمد بن طَيْفور قال: كتب صديق لأحمـد بنِ يوسف الكاتب فى يومِ دَجْن : « يومُنـا يومٌ ظريفُ النَّواة ، رقيقُ الحواشى ، قـد رَعَدتْ سماؤه وبَرَقتْ ، وحنّت وأَرجحنت[1] ، وأنت قطبُ السرور، ونِظامُ الأمور، فلا تُفْردنا منك فنَقِلّ، ولا تنفردْ عنّـا فنَذِلّ، فإنّ المرءَ بأخيه كثير، و بمساعَدته جدير » : قال : فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل، وحضرهم عَثْعَث بن الأسود، فقال أحمد :

صـــوت

أَرَى غَيْماً يؤلِّفــه جَنُوبُ * وأحسَبه ســيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرأى أن تأتى برِطْلٍ * فتشربَه وتدعو لى برِطل
وتسـقيه نَداماناَ جميعـا * فينصرفون عنه بغير عَقْل
فيوم الغَيْم يومُ الغَمّ[2] إن لم * تبادر بالمُـدامة كلَّ شغل
ولا تُكْرِه محـرِّمَها عليهـا * فإنِّى لا أَراه لهـا بأهـــل

قال : وغَنَّى فيه عَثعَث اللّحنَ المشهور الذى يغنَّى به اليوم .

---

(١) ارجحن السحاب : مال من ثقله .
(٢) فى الأصول : « الغيم » وهو تحريف .

صـــوت

ترى الجُنْدَ والأعرابَ يغشَون بابَه * كما وردت ماءَ الكُلاب هَـوامِلُهْ[1]

إذا ما أتَوا أبوابه قال : مرحبًـا * لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ

عَروضُه من الطويل . الهوامل : الّتى لا رِعاء لها ، ولِجوا : أُدخلوا ، يقال : ولج يَلِـج وَلْجا . وقوله : « حتى يقتل الجوع قاتله » : أى يطعمكم فيذهب جوعكم ، جعل الشِّبَع قاتلا للجوع .

الشعر لعبد الله بن الزَّبير الأسدى ، والغناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

(١) هوامل : جمع هامل ، وهى المسيبة لا راعى لها . والكلاب : يوم من أيام العرب المشهورة .

أخبار عبد الله بن الزّبير ونسبه

نسبه

عبد الله بن الزَّبير بن الأَشْيَم بن الأعشى بن بَجْرة بن قيس بن مُنقِذ بن طَرِيف ابن عمرو بن قُعَين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان[1] بن أَسَد بن خزيمة .

أخبرني بذلك أحمد عن الخزاز عن ابن الأعرابي؛ وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل، من شعراء الدولة الأمويّة، وكان من شيعة بنى أميّة وذوى الهَوَى فيهم والتعصّب والنُّصرة على عدوّهم، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أُتىَ به أسيرا فمنّ عليه ووصله وأحسَنَ إليه، فمدحه وأكثر، وانقطع إليه، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب، ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزبير بعد ذلك، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان، ويُكنَى عبد الله أبا كثير، وهو القائل يعنى نفسَه :

فقالت : ما فعلتَ أبا كثير * أصحَ الودّ أم أخلفتَ بَعدِى ؟[2]

وهو أحد الهجّائين للناس، المرهوبِ شرّهم .

خبره مع عبد الرحمن ابن أم الحكم

قال ابن الأعرابى : كان عبد الرحمن بنُ أم الحَكَم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أبى سُفْيان ، وكان ناس من بنى علقمة بن قيس بنِ وهب بن الأعشى ابن بَجْرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلا من بنى الأَشْيَم ، من رَهط عبد الله بن الزَّبير دِنْيَةً[3] ، فخرج عبد الرحمن بنُ أمّ الحَكَم وافدا إلى معاوية، ومعه ابنُ الزبير ورفيقان

(١) فى الأصول « داود » وهو تحريف ، والتصويب عن العقد الفريد ٢ : ٤٧

(٢) سيرد هذا البيت بعد، وآخره : «أم أخلفت عهدى» .

(٣) دنية : لحًّا .

له من بنى أَسَـد[2]، يقال لأحدهما أكل[1] بن ربيعة من بنى جذيمة بن مالك ابن نصر بن قُعَين، وعدىّ بن الحرث أحد بنى العـدان[3] من بنى نصر، فقـال عبد الرحمن بن أم الحَكَم لابن الزّبير: خذْ من بنى عمّك دِيَتَين لقتيلك، فأبى ابن الزبير، وكان ابن أم الحكم يميـل إلى أهل القاتل، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقـال له فَيّاض، فخـالف ابنُ الزبير الطريقَ إلى يزيد ابن معاوية، فعاذ بِهِ، فأعاذه وقام بأمره، وأمره[4] يزيد بأن يهجو ابن أمّ الحكم، وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه، فقال فيه ابن الزبير قصيدةً أوّلها قولُه:

أبَى الليـلُ بالمَـرّان[5] أن يتصرّما * كأنى أَسـومُ العَينَ نوما مُحـرّما

---

(١) كذا فى الأصول: «أكل»، ولعله «أكيل» كزبير أو «أكل» كأحمد، وقد سمت بهما العرب، جاء فى تاج العروس مستدرك مادة أكل: «وكزبير أكيل أبو حكيم مؤذن مسجد إبراهيم النخعى، وموسى بن أكيل روى عنه إسمعيل بن أبان الوراق» وجاء فى تاج العروس: «أكل: لص من لصوص البادية، قال الشاعر:

إن بها أكل أو رزاما * خويربين ينقفان الهاما

وأكل بن الشماخ العكلى، شهد الجسر مع أبى عبيدة، محدث حدث عنه الشعبى».

(٢) فى الأصول: «خزيمة» وهو تحريف.

(٣) فى ب، س «القذان» وهو تحريف وصـوابه «العدان» وفى تاج العروس مستدرك مادة عدن: والعـدان: قبيلة من بنى أسـد، وقد جاء فى قصـيدة لزهير بن أبى سلمى فى مدح سـنان بن أبى حارثة المرى:

فلست بتـارك ذكرى سليمى * وتشبيبى بأخت بنى العـدان

انظر شرح ديوان زهير لأبى العباس ثعلب ص ٣٠٥ طبع دار الكتب.

(٤) فى ب، س «وأمر».

(٥) مران: موضع على ليلتين من مكة على طريق البصرة. يتصرم: ينقضى. أسوم: أكلف.

وردٌ بثنييه كأن نجومه * صوارٌ تناهى من إرانٍ فقوّما (١)

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني * أمصّ بنات الدر ثديا مُصرّما (٢)

وسوق نساء يسلبون ثيابها * يُهادونها همدانَ رِقًّا وخثعما (٣)

على أى شىء يا لؤىّ بن غالب * تجيبون مَن أجرى علىّ وألجما (٤)

وهاتوا فقُصّوا آية تقرءونها * أحلّتْ بلادى أن تباح وتُظلما

وإلّا فأقصى الله بينى وبينكم * وولّى كثيرَ اللؤم مَن كان ألأما (٥)

وقد شهدتْنا من ثقيف رَضاعةٌ * وغيّب عنها الحَوْمَ قُوّامُ زمزما (٦)

---

(١) ثنيا الحبل : طرفاه . الصوار ككتاب وغراب : القطيع من البقر . تناهى الشىء : بلغ نهايته . الإران : النشاط . فقوّما : جاء فى كتب اللغة : قامت به دابته : إذا كلت وأعيت فوقفت ولم تسر ، ومنه قوله تعالى « وإذا أظلم عليهم قاموا » أى وقفوا وثبتوا فى مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين ، ولعل « قوّم » فى البيت من ذاك ، فهى مضعف قام بهذا المعنى ، والتضعيف للتكثير كما فى طوّف وجوّل ونوّت وحوّم ...

(٢) الدر : اللبن . ويقال : ناقة مصرمة ، وذلك أن يقطع ضرعها فلا يخرج اللبن ، وهو أقوى لها ، أو أن يصيب ضرعها شىء فيكوى بالنار فلا يخرج منه لبن أبدا . ثديا : بدل من بنات الدر ، أى أمص بنات الدر ثديا مصرما منها .

(٣) فى ب وس « تهب دونها » وفى جـ « تهبدونها » بوصل الكلمتين ولعل الصواب ما أثبتنا . يهادونها أى يهدونها . الرق : العبودية . همدان وخثعم : قبيلتان كبيرتان من عرب اليمن من بنى كهلان . والمعنى : يهدونهن رقيقات إلى همدان وخثعم .

(٤) لؤى بن غالب : يعنى معاوية وعشيرته ، فهو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهو قريش . أجرى أى أجرى الخيل للغارة علىّ .

(٥) فأقصى أى أبعد . وفى الأصول « فأفضى » وهو تصحيف .

(٦) قوّام أى القائمون على زمزم ، المتولون سقاية الحاج منها ، وزمزم : بئر بمكة أنبع الله عينها لإسمعيل وأمه هاجر حين أسكنهما إبراهيم مكة ، ثم طمت تلك البئر وما زالت مطمومة إلى زمن عبد المطلب بن هاشم ، فأتاه آت وهو نائم بالحجر فأمره بحفرها فحفرها وأقام سقاية زمزم للحاج ، وكانت السقاية فى الجاهلية بيد ابنه أبى طالب ، ثم سلمها إلى أخيه العباس .

يقول : إن لنا رضاعة فى ثقيف — وقد كان والد عبد الرحمن المذكور من ثقيف كما سيأتى بعد — أى أنه يجمعنى وإياك أخوة رضاعة وصلة ماسة كان جديرا بك أن تقدرها وترعاها ، ثم عطف فقال : وقد نفى الدنس والنقص عن تلك الرضاعة أشراف بنى هاشم القائمون على زمزم .

٣٤/١٣

بنـو هاشم لو صادفوك تجُـدُّها (١) * مججتَ ولم تملك حَيازيمَك الدما
سـتعلم إن زلَّتْ بك النعـلُ زَلةً * وكلّ امرئ لاقِى الذى كان قدَّما
بأنك قد ماطَلْتَ أنيـابَ حيّـةٍ * تزجّى بعينيها شُجاعا وأرقما (٢)
وكم من عدوّ قد أراد مسـاءتى * بِغَيبٍ ولو لاقيتُـه لتنـدَّما
وأنـتم بنى حامِ بنِ نُوحٍ أرَى لكم * شِـفاهًا كأذناب المشـاجِر وُرَّما (٣)
فإن قلتَ خالى من قريش فلم أجد * من الناس شرّا من أبيك وألأما (٤)
صـغيرا ضـغا فى خرقة فأمضَّـه * مُربيّـه حـتى إذ أهمّ وأفطما (٥)
رأى جلدةً من آل حامٍ متينـةً * ورأسا كأمثـال الجَريب مُؤوّما (٦)
وكنتم سِقيطا فى ثقيفٍ، مكانكم * بنى العبد ، لا تُوفِى دماؤكم دما (٧)

(١) تجـدها : تقطعها . صادفه : وجده ولقيه . مججت : من مجّ الشراب من فيـه : رماه . حيازيم . جمع حيزوم : وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام . يقول : إن بنى هاشم لو وجدوك تقطع هـذه العلاقة التى تربطنى بك ، أى لو وجدوك تعدو علىّ ولا ترعى حق صلتى بك لأراقوا دمك ولم تشدد حيازيمك حيالهم . ١٠

(٢) عنى بالحية نفسه . تزجى : تسوق . والشجاع كغراب وكتّاب : الحية أو الذكر منها ، وجمعه شجعان بالكسر والضم . والأرقم : أخبث الحيات ، أو مافيه سواد وبياض ، أو ذكر الحيات . يقول : ستعلم عندئذ أنك قـد تعرّضت لمعاداة رجل مرهوب جانبه ، مخشىّ بأسه ، كالحية ، له نصراء يؤازرونه من عشيرته أمثال الشجعان والأراقم . ١٥

(٣) المشاجر : جمع مشجر (بكسر الميم وفتحها) ، وهو عود الهودج . ورّم : جمع وارمة .

(٤) أبوه هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفى .

(٥) ضغا : صاح وضجّ . أمضه : آلمه وشق عليه . أهمّ ، أى أهم آله وذويه ، أى بلغ مبلغا جعلهم يهتمون له ويتعلقون به . أفطم : حان أن يفطم ، وفى جـ « حتى إذاهم أفطما » وهو تحريف . ٢٠

(٦) الجريب : مكيال قدر أربعة أقفزة . المؤوّم : العظيم الرأس أو المشوه .

(٧) السـقيط : الأحمق الناقص العقـل . وجاء فى مستدرك (سـقط) فى تاج العروس : وقوم سقاط بالكسر جمع ساقط كنائم ونيام وسقيط وسقاط كطويل وطوال .

شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة

قال ٱبن الأعرابى : ثم عُزل ٱبنُ أم الحكم عن الكوفة[1] ، ووليها عبيد الله بن زُياد، فقال ٱبن الزبير :

أبلغ عبيدَ الله عنّى فإننى * رميتُ ابن عَوذ إذ بدَتْ لى مقاتلُه[2]

على قفرةٍ إذ هابَه الوفدُ كلُّهم * ولم أكُ أُشوِى القرنَ حين أناضله[3]

وكان يُمارى مِن يزيدَ بوقعةٍ * فما زال حتى ٱستدرجَتْه حَبائلُه[4]

فتُقصيه من ميراث حربٍ ورَهطِه * وآلَ إلى ما ورّثتْه أوائلُه[5]

وأَصبَح لمّا أسلمتْه حِبالُهم * ككلب القطار حلّ عنه جَلاجِلُه

ونسخت من كتاب جدّى لأمّى يحيى بن محمد بن ثوابة، قال يحيى بن حازم وحدّثنا علىّ بن صالح صاحب المصلّى عن القاسم بن مَعْدان : أن عبد الرحمن ٱبن أمّ الحكَم غضب على عبد الله بن الزَّبير الأسدىّ لما بلغه أنّه هجاه، فهَدَم داره، فأتى معاويةَ فشكاه إليه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك ؟ فاستشهد أسماءَ ٱبنَ خارجة، وقال له : سَلْه عنها؛ فسأله؛ فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها،

---

(١) ولى معاوية عبد الرحمن الكوفة بعد عزل الضحاك بن قيس سنة ٥٨ هـ ثم عزله عنها سنة ٥٩ وٱستعمل عليها النعمان بن بشير الأنصارى، ومات معاوية سنة ٦٠ وولى ابنه يزيد الخلافة ، وبقى النعمان واليا على الكوفة ، فلما كاتب أهلها الحسين رضى الله عنه ليبايعوه بالخلافة وبعث إليهم مسلم بن عقيل، بعث يزيد إلى عبيد الله بن زياد وكان على البصرة فولاه الكوفة مع البصرة .

(٢) من أسمائهم « عوذ » والمفهوم هنا أن « ابن عوذ » كنية عبد الرحمن .

(٣) فى ب و س « أثوى القرن حتى » ، وهو تحريف .

(٤) فى ب، س « من يريد » ، وهو تصحيف صوابه « من يزيد » وهو يزيد بن معاوية .

(٥) فى جـ « فتقضيه ميراث » ، وهو تحريف .

ولكنه بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج(١)، فأمر له معاوية بألف درهم(٢)، قال : وإنما شهد له أسماء كذلك ليُرفِده(٣) عند معاوية ، ولم تكن داره إلا خِصاص قَصَب .

وكان عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم لمّا وَلِى الكوفةَ أساء بها السيرة، فقدم قادمٌ من الكوفة إلى المدينة، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه، فقال لها : تركتُه يَسأَل إلحافا، وينفِق إسرافا، وكان مُحمَّقا(٤)، ولاه معاويةُ خالُه عدّة أعمال ، فذمّه أهلُها وتظلّموا منه ، فعزله واطرحه(٥) ، وقال له : يابُنَىّ، قد جَهَدتُ أن أنفِّقك(٦) وأنت تزداد كسادا .

---

(١) الساج : خشب يجلب من الهند، أسود رزين يشبه الآبنوس، وهو أقل سوادا منه ، ولا تكاد الأرض تبليه .

(٢) هكذا فى الأصول . وهو غير ظاهر ؛ وقد تكررت هذه القصة فى آخر الترجمة ، وفيها : «...أعطانى عشرين ألف درهم وسألنى أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت...وأمر معاوية له بها» .

(٣) الإرفاد : الإعانة .

(٤) أى ينسب إلى الحمق . وفى ب، س « وكان مخفا » وهو تحريف ، والتصويب عن ط .

(٥) جاء فى تاريخ الطبرى ٦ : ١٧٤ « استعمله معاوية على الكوفة فأساء السيرة فيهم فطردوه، فلحق بمعاوية وهو خاله ، فقال له : أوليك خيرا منها، مصر ، فولاه فتوجه إليها ، وبلغ معاوية ابن حديج الخبر ، فخرج فاستقبله على مرحلتين من مصر فقال : ارجع إلى خالك فلعمرى لا تسير فينا سيرتك فى إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن حديج وافدا ، وكان إذا جاء ضربت له قباب الريحان ، فدخل على معاوية وعنده أم الحكم ، فقالت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بخ ، هذا معاوية بن حديج ، قالت : لا مرحبا به "تسمع بالمعيدى خير من أن تراه" فقال : على رسلك يا أم الحكم ، أما والله لقد تزوّجت فما أكرمت ، وولدت فما أنجبت ، أردت أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى إخواننا من أهل الكوفة ، ما كان الله ليريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضربا يطأطئ منه ، وإن كره ذلك الجالس، فالتفت إليها معاوية فقال : كفى » .

(٦) جهد كمنع : جدّ . ونفق السلعة : روّجها .

وقالت له أخته أمّ الحكم بنت أبي سُفْيان بن حرب: يا أخي، زَوِّج ٱبني بعضَ بناتك؛ فقال: ليس لهنّ بكفء؛ فقالت له: زوّجني أبو سفيان أباه، وأبو سفيان خير منك، وأنا خير من بناتك، فقال لها: يا أُخيّة: إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهي الزَّبيب، وقد كثر الآن الزبيب عندنا [(١)]، فلن نزوّج إلا كُفئا.

حدّثنا الحسن بنُ الطيّب البَلْخي قال: حدّثني أبو غسّان قال: بلغني أن أوّل من أَخذ بعينة [(٢)] في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان، أتاه عبد الله بن الزّبير الأسدي، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رَثّا، فدعا وكيلَه وقال: اقترض لنا مالا؛ فقال: هيهات! ما يعطينا التجار شيئا. قال: فأَربِحْهم [(٣)] ما شاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم، وثانيا عشرة آلاف، فوجّهها إليه مع تخت [(٤)] ثياب، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك:

سأشكر عمرا إن تراخت منيّتي * أياديَ لم تُمْنَنْ وإن هي جلّتِ [(٥)]

فتًى غير محجوبِ الغنَى عن صديقه * ولا مُظهِر الشكوى إذا النعلُ زلّتِ

رأى خَلّتي [(٦)] من حيثُ يَخفَى مكانُها * فكانت قَذَى عينيه حتى تجلّتِ

خبره مع عمرو ابن عثمان بن عفان

٣٥/١٣

---

(١) تقدّم أن أبا عبد الرحمن من ثقيف، وكانت ثقيف تنزل بالطائف، وفي الطائف تكثر البساتين وكروم العنب، ولذا كان الزبيب فيها كثيرا، وقد ذكروا أن الحجاج الثقفي كان أوّل أمره يبيع الزبيب بالطائف. يقول: حسبنا ما كان من مصاهرة أبي سفيان ثقيفا، ولسنا نرغب بعد في مصاهرتهم. (٢) العينة: الربا.

(٣) في ج: «فأربحوا» وهو تحريف. (٤) التخت: وعاء تصان فيه الثياب.

(٥) جاء في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣: ١٤٧ طبع النهضة أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي، وأن عمرا المذكور في البيت هو عمرو بن مسعدة، قال: «وكان بين عمرو بن مسعدة وبين إبراهيم بن العباس الصولي مودّة، فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الأوقات، فبعث له عمرو مالا، فكتب إليه إبراهيم الأبيات». (٦) الخلة: الحاجة والفقر. والقذى: ما يقع في العين.

مدحه أسماء بن خارجة

أخبرنى الحسينُ بنُ القاسم الكوكبىّ إجازةً قال : حدّثنى أحمد بنُ عرفة المؤدِّب قال : أخبرنى أبو المصبِّح[1] عادية بن المصبِّح السَّلُولى قال : أخبرنى أبى قال : كان عبد الله بن الزَّبِير الأسدىّ قد مدح أسماءَ[2] بنَ خَارجة الفَزَارىّ فقال :

صــــوت

تراه إذا ما جئتَــه متهــلِّلا * كأنّك تعطيه الذى أنت نائلُه[3]

ولو لم يكن فى كفّه غيرُ رُوحه * لجاد بهـا فليتّقِ اللهَ سائـله

فأثابه أسماء ثوابا لم يرضه، فغضب وقال يهجوه :

بَنَت لكمُ هنـــدٌ بتلذيع بَظْرِها * دكاكينَ من جِصٍّ عليها المَجالِسُ[4]

فوالله لـولا رَهْزُ[5] هنـد ببظرها * لَعُــدَّ أبوها فى اللئـام العوابِسِ

(١) فى الأصول : « أبو المصبح » وهو مصحف وصوابه « أبو المصبح » وهو من كنى العرب ، كنى بها أعشى همدان الشاعر الأموى .

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى .

(٣) تهلل وجهه : تلألأ . نائله : آخذه . ويروى « أنت سائله » أى سائله إياه . والمعروف المشهور أن البيت الأوّل لزهـير بن أبى سلمى فى مدح حصـن بن حذيفة بن بدر جد أسماء من قصـيدته التى مطلعها :

صحا القلب عن سـلمى وأقصر باطله * وعرّى أفــراس الصبا ورواحله

وأن البيت الثانى لأبى تمام فى مدح المعتصم من قصيدته التى مطلعها :

أجل أيها الربع الذى خف آهــله * لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

(٤) كان يحيى أبو حماد مجرد مولى لبنى هند بنت أسماء بن خارجة ، فولدت هند من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر ... » يريد أن هنـدا بزواجها من بشر أخى الخليفة عبد الملك بن مروان رفعت من قدر أهلها وهيأت لهم مجالس الشرف والرفعة .

(٥) رهزها : حركتها عند الجماع . وفى ج « زهد » وهو تحريف . وفى هذا البيت إقواء .

فبلغ ذلك أسماء، فركب إليه، فاعتذر من فعله بضيقة شكاها، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفة[(١)] فى كل سنة، واقتطعه جنّتيه، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله.
وكان أسماء يقول لبنيه: والله ما رأيت قط جصا فى بناء ولا غيره إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت.

حبسه ابن أم الحكم وشعره

أخبرنى عمّى عن ابن مهرويه، عن أبى مسلم، عن ابن الأعرابى قال: حبس ابنُ أم الحكم عبدَ الله بنَ الزّبير وهو أمير فى جناية وضعها عليه، وضربه ضربا مبرّحا لهجائه إيّاه، فاستغاث بأسماء بن خارجة، فلم يزل يلطُف فى أمره، ويُرضى خصومه ويشفع إلى ابن أم الحكم فى أمره حتى يخلّصه، فأطلق شفاعته[(٢)]، وكساه أسماءُ ووصله وجعل له ولعياله جراية[(٣)] دائمة من ماله، فقال فيه هذه القصيدة التى أولها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزّبير، يقول فيها:

ألم ترانى الجود أرسل فانتقى * حليف صفاء وأتلى لا يزايله[(٤)]
تخيّر أسماء بن حصن[(٥)] فبطّنت * بفعل العلا أيمانه وشمائله
ولا مجد إلا مجد أسماء فوقه * ولا جرى إلا جرى أسماء فاضله

(١) الوظيفة: ما يقدّر من رزق.
(٢) أى قبل شفاعته إطلاقا لم يقيدها بقيد ولم يعتل فيها باستثناء.
(٣) الجراية: الجارى من الوظائف.
(٤) انتقى: اختار. ائتلى: أقسم.
(٥) فى س: «أسماء بن حفص» وهو تحريف.

ومحتملٍ ضِغنا لأسماءَ لو جرى * بسَجْلَيْنِ من أسماءَ فارت أباجِلُه (١)

عَوَى يستجيشُ النابحاتِ وإنما * بأنيابه صُمُّ الصَّفا وجَنادِله (٢)

وأقصَرَ عن مجراةِ أسماء سعيُه * حَسيرا كما يلقى من التُّرب ناخله (٣)

وفضَّل أسماءَ بنَ حِصنٍ عليهمُ * سماحةُ أسماء بن حصن ونائله (٤)

فَمن مثلُ أسماءَ بن حصن إذا غَدَت * شآبيبُه أم أىّ شىء يعادِله (٥)

وكنت إذا لاقيت منهم حَطيطةً * لقيتُ أبا حسانَ تَنْدَى أصائله (٦)

تَضَيَّفُه غسّانُ يَرجون سَيْبَه * وذو يَمَنٍ أُحبوشُه ومَقاوِله (٧)

(١) فى ب و س « صفنا » وهو تحريف . والسجل : الجرى . أباجل : جمع أبجل ، وهو عرق فى باطن الذراع . والمعنى : لو جرى بشوطين من جرى أسماء ، لأعيا وانبهر .

(٢) يستجيش النابحات : أى يستمد الكلاب النابحات . الصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الصلد الضخم . والمعنى أنه لا ينال منه ولا يؤثر فيه إلا كما يؤثر العاض على الصم الصلاب ، وهو كقول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهيها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٣) حسيرا : كليلا .

(٤) النائل : العطاء .

(٥) غدت : بكرت . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

(٦) أبو حسان : كنية أسماء . أصائل : جمع أصيل ، وهو العشىّ . تندى أصائله ، أى يندى فى الأصائل . والحطيطة : البخس .

(٧) أصله تتضيفه أى تنزل عليه ضيفا . والسيب : العطاء . الأحبوش : جماعة الحبش ، وفى ب ، س : « أجيوشة » . والمقاول : جمع مقول ، وهو الملك من ملوك حمير ، أو هو دون الملك الأعلى .

فتًى لا يزال الدهرَ ما عاش مُخْصِبا * ولو كان بالمَوْماة تَخْدِى رَواحلُه(١)

فأصبح: ما فى الأرض خَلْقٌ علمتُه * من الناس إلّا باعُ أسماءَ طائله(٢)

تراه إذا ما جئتَــه متهـــلِّلا * كأنك تعطيه الّذى أنت سائلُه

ترى الجندَ والأعراب يغشَون بابه * كما وردت ماءَ الكُلاب نواهلُه

٥ إذا ما أتَوا أبوابه قال: مرحبا * لِجُوا البابَ حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُه

ترى البازِلَ البُخْتِىَّ فوق خِوانه(٣) * مقطَّعةً أعضــاؤه ومفاصــله

إذا ما أتوا أسماءَ كان هو الذى * تحلَّب كفاه الندى وأناملُه

تراهمْ كثيرا حين يغشَون بابَه * فتسترهم جُـــدْرانُه ومنـــازِلُه

قال : فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفى درهم .

شعره بين يدى عبيد الله بن زياد

١٠ أخبرنى هاشم بن محمد قال: حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال: حدّثنى أبو عدنان عن الهيثم بن عدىّ، عن ابن عيــاش، وقال ابن الأعرابى أيضا : دخل عبد الله ابن الزبير على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنــده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشأم، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول :

حنّت قَلوصِىَ وَهْنًا بعــد هَدْأتها(٤) * فهيّجتْ مغرما صَبًّــا على الطَّرَبِ

---

١٥ (١) الراحلة : المركب من الإبل ذكرا أو أنثى . وخدى البعير خديا وخديانا : أسرع وزج بقوائمه . وفى جـ : « بالمومات » بتاء مفتوحة ، وفى ب و س : « بالموتان » وهو تحريف . والموماة : المفازة.

(٢) طاله : فاته فى الطول .

(٣) البازل : الجمــل فى تاسع سنيه . البختى : من الجمال : طوال الأعناق . والخــوان كغراب وكتاب : ما يؤكل عليه الطعام .

٢٠ (٤) القلوص من الإبل : الشابة . الوهن : نحو من نصف الليل أو ما بعد ساعة منــه . الهدأة والهدوء : السكون عن الحركات ، ويقال : أتانا بعد هدأة من الليل أى حين هدأ الليل .

حنّت إلى خيرِ مَن حُثَّ المطىُّ له * كالبدر بين أبى سفيان والعُتب
تذكّرتْ بِقُرَى البَلقاء نائلَه * لقد تذكّرتُه مِن نازحٍ عَزَبِ[1]
والله ما كان بى لولا زيارته * وأن أُلاقِى أبا حسان من أَرَب
حنّت لتَرجِعنى خلفى فقلت لها * هذا أمامك فالقَيْه فتى العرب
لا يحسب الشرّ جارا لا يفارقه * ولا يعاقِب عند الحِلم بالغضب
مِن خير بيت عَلِمناه وأكرَمِه * كانت دماؤهمُ تشفى من الكَلَب[2]

قال ابن الأعرابىّ : كانت العربُ تقول : من أصابه الكَلَب والجنونُ لا يَبرأ منه إلى أن يُسقَى من دمِ مَلِك ، فيقول : إنه من أولاد الملوك .

بقية أخبار عبد الله بن الزّبير

شعره حين قتل هانى بن عروة

أخبرنى أحمد[3] بن عيسى العجلى بالكوفة قال : حدّثنا سليمان بن الربيع البرجمى قال : حدّثنا مُضَرُ بنُ مُزاحم ، عن عمرو بن سعد ، عن أبى مِخنَف ، عن عبد الرحمن ابن عبيد بن أبى الكَنُود ، وأخبرنى الحسن بن على قال : حدّثنا الحارث بن محمد قال : حدّثنا ابن سعد عن الواقدى ، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابى فى روايته عن المفضّل[4] ، وقد دخل حديث بعضهم فى حديث الآخرين ، أن المختار بن أبى عبيد خطب الناسَ يوما على المنبر فقال : " لتنزلنّ نار من السماء ، تسوقها ريح حالكة

(١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق . نازح : بعيد ، عزب : بعيد أيضا ؛ وقالوا : رجل عزب : للذى يعزب فى الأرض .
(٢) فى جـ : « أشفى » .
(٣) كذا فى ط : و مط ؛ وفى باقى الأصول « محمد » .
(٤) انظر الكامل للبرد ٢ : ١٦٧

دَهْماء، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء" وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة، يعدّونه فى قَتَلَة الحسين عليه السلام، لِمَا كان من معاونته عبيدَ الله ابنَ زياد على هانئ بن عُرْوة المُراديّ حتى قتل، وحركتِه فى نُصْرته على مسلم ابن عقيل بن أبى طالب، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال:

أيركب أسماءُ الهماليجَ آمِنا (١) * وقد طلبته مَذْحِجٌ بقتيلِ!

٥

يعنى بالقتيل هانئَ بنَ عروة المُراديّ، وكان المختار يحتال ويدبّر فى قتله من غير أن يُغضب قيسا فتنصره، فبلغ أسماء قول المختار فيه، فقال: أَوَقد سَجَّع بى أبو إسحاق! لا قرارَ على زَأْرٍ من الأسد (٢)، وهرب إلى الشام، فأمر المختار بطلبه ففاته، فأمر بهدم داره، فما تقدّم عليها مضرىّ [بتّةً] (٣) لموضع أسماء وجلالةِ قدرهِ فى قيس، فتولّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بنى عِجْل كان على شرطة المختار، فقال فى ذلك عبد الله بن الزَّبِير:

١٠

تأوّبَ عينَ ابنِ الزَّبِير سُهودُها (٤) * وَوَلّى على ماقد عراها هُجُودُها

كأنّ سوادَ العين أبطنَ نخلةً (٥) * وعاودَها مما تذكَّرُ عِيدُها

مخصَّرةً من نخل جَيْحانَ صعبةً (٦) * أَوَى بجناحيها وليدٌ يَصِيدُها

١٥

(١) الهماليج: جمع هملاج، والهملاج من البراذين: الحسن السير. وبنو مراد: قبيلة هانئ بن عروة بطن من مذحج، فهم بنو مراد بن مالك بن مذحج بن أدد ... ... من بنى كهلان.

(٢) أخذه من قول النابغة الذبيانى فى النعمان بن المنذر من قصيدته المشهورة:

أنبئت أن أبا قابوس أوعدنى * ولا قرار على زأر من الأسد

(٣) زيادة عن ط، مط.

(٤) تأوّبها سهودها، أى راجعها وعاودها. والهجود: النوم، وعلى هنا بمعنى اللام.

(٥) تذكّر، أى تتذكر. والعيد: ما اعتادك من هم أو مرض أو حزن.

(٦) فى جـ و ب وس «مخضرة» وهو تصحيف، كشح مخصر: دقيق، ورجل مخصر: ضامر الخصر. جيحان: نهر بالمصيصة فى الشام. والوليد: الصبى.

من الليل وَهْنًا ، أو شَظِيَّةَ سُنبلٍ * أذاعت به الأرواحُ يُذْرَى حَصيدها (١)

إذا طُرِفت أذرَتْ دموعا كأنها * نَثِيرُ جُمانٍ بانَ عنها فَرِيدها (٢)

وبتُّ كأنّ الصدرَ فيه ذُبالةٌ * شَبَا حرَّها القِنديل، ذاكٍ وَقُودها (٣)

فقلتُ أناجى النفسَ بينى وبينها * كذاك الليالى نحسُها وسُعودُها

فلا تجزعى مما ألمّ فإننى * أرى سَنةً لم يبقَ إلّا شَريدها (٤)

أتانى وعُرْضُ الشامِ بينى وبينها * أحاديثُ والأنباءُ يَنْمِى بعيدُها (٥)

بأنّ أبا حَسانَ تهدِم دارَه * لُكَيزٌ سَعت فُسَّاقُها وعَبِيدها (٦)

جزَتْ مُضَرًا عنّى الجوازِى بفعلها * ولا أصبحتْ إلّا بشرٍّ جُدودها (٧)

فما خيرُكم ؟ لا سيِّدًا تنصرونه * ولا خائفا إن جاء يوما طريدُها (٨)

(١) من الليل وهنا : متعلق بقوله : وعاودها ، أو شظية : عطف على نحلة . والشظية : كل فلقة من شىء . أذاع بالشىء : ذهب به . والأرواح : جمع ريح . ذرته الريح وأذرته : أطارته .

(٢) طرفت عينه : أصيبت بشىء فدمعت . وفى ب ، س « طرقت » وهو تصحيف ، أذرت العين الدمع : صبته . نثير : منثور . وفى ب و س « نفير » وهو تحريف . الجمان : اللؤلؤ . الفريد والفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٣) الذبالة : الفتيلة ، شبا النار شبوا : أوقدها كشبّاها . والمعنى : زاد القنديل فى حرّها بما يمدّها به من الزيت . وفى الأصول : « سنا » وهو تصحيف . ذكت النار : اشتدّ لهبها .

(٤) السنة : العام ، والجدب ، والقحط .

(٥) ينمى : ينتشر ويرتفع .

(٦) لكيز : قبيلة من ربيعة ، وهو لكيز بن أفصى بن عبد القيس . وفى ب ، س « وعتيدها » وهو تصحيف .

(٧) يقال : جزتك عنى الجوازى ، أى جزتك جوازى أفعالك ، والجوازى : جمع جازية ، وهى الجزاء ، مصدر على فاعلة . جدود : جمع جد بالفتح ، وهو الحظ ، يدعو عليها بنحس الجدّ وتعس الحظ .

(٨) ولا خائفا ، أى ولا تؤمّنون الطريد إن جاء يوما خائفا .

أخذلانَه فى كلّ يومِ كَريهـةٍ * ومسألةً ما إن ينادَى وليـدُها (١)

لِأُمِّكم الوَيْلاتُ أَنَّى أُتِيتُمُ * جماعات أقوامٍ كثيرٍ عديدها

فَيَالِيتَكم مِن بعـد خذلانِكُمْ له * جَـوارٍ على الأعناق منهـا عُقودُها

ألم تغضبوا تَبًّا لكم إذ سَطَتْ بكم * مَجُوسُ القُـرى فى داركم ويَهودُها! (٢)

تركتمْ أبا حسّان تُهـدَم دارُه * مشـيَّدةً أبوابُهـا وحديدها

يهدِّمهـا العِجلىّ فيكمْ بشُرطة * كما نَبَّ فى شِبْلِ التُّيوس عَتُودُها (٣)

لعمـرى لقـد لفَّ اليهوديُّ ثوبَه * على غَدرة شـنعاءَ باقٍ نَشِـيدُها (٤)

فلو كان من قحطانَ أسماءُ شمَّـرت * كتائبُ من قحطانَ صُـعْرٌ خدودُها (٥)

ففى رجب أو غُرّةِ الشهر بعـده * تزوركُمُ حُمْـرُ المنـايا وسُـودها

ثمـانون ألفـا دينُ عثمانَ دينُهـم * كتائبُ فيهـا جَبْرَئيـل يقـودُها

فمن عاش منكم عاش عبدا ومن يمت * ففى النـار سُقياه هناك صَـديدُها

(١) أخذلانه ... : أى أمذهبكم خذلانه، أو أترون خذلانه؟ ومسألة، أى وفى كل مسألة، ويقال فى المثـل : هم فى أمر لا ينادى وليـده، قال ابن سيده : أصله كأن شدة أصابتهم حتى كانت الأم تنسى وليدها فلا تناديه ولا تذكره مما هى فيه، ثم صار مثلا لكل شـدة، وقيل : أصله من الغارة، أى تذهل الأم عن ابنها أن تناديه وتضمه، ولكنها تهرب عنه، وقيل : هو أمر جليل شديد لا ينادى فيـه الوليد ولكن تنادى فيه الجلة، وقيل يقال فى الخير والشر، أى اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده إلى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجرا .

(٢) تبا لكم، أى ألزمكم الله هلاكا وخسرانا .

(٣) نب التيس : صاح عند الهياج . العتود من أولاد المعز : مارعى وقوى وأتى عليه حول . وكتب أمام البيت فى نسخة ط ما نصه : يريد عمرو بن سعيد بن العاص كان والى العراق وهدم دار أسماء .

(٤) النشيد : الصوت .

(٥) صعر خدودها، أى قد أمالت خدودها كبرا . وفى ب، جـ «صغر» وهو تحريف .

وقال ابن مهرويه: أخبرنى به الحسن بن على عنه، حدّثنى عبدالله بن أبى سعد قال: حدّثنى على بن الصباح عن ابن الكلبي: أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام، وبها يومئذ عبد الملك بن مروان قد ولى الخلافة، وقتل عمرو بن سعيد، وكان أسماء أموىّ الهوى[1]، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها، فقال عبد الله بن الزَّبير فى ذلك:

* تأوّب عينَ ابن الزبير سهودها *

وذكر القصيدة بأسرها، وهذا الخبر أصحّ عندى من الأوّل، لأن الحسن بن على حدّثنى قال: حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثنى عمى مصعب قال: لما ولى مصعب بن الزبير العراق، دخل إليه عبد الله بن الزَّبير الأسدى، فقال له: إيهٍ يابن الزبير، أنت القائل:

إلى رَجَب السبعينَ أو ذاك قبلَه * تصبِّحكمْ حُمر المنايا وسُودُها[2]

ثمانون ألفا نصرُ مروانَ دينُهم * كتائبُ فيها جبْرَئيلُ يقودُها

(١) هو عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص، وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثانى، وانحاز الضحاك بن قيس الفهرى عن مروان بن الحكم واستمال الناس ودعا إلى ابن الزبير، آلتقى مروان وعمرو بن سعيد فقال عمرو لمروان: هل لك فيما أقوله لك، فهو خير لى ولك؟ قال: وما هو؟ قال: أدعو الناس إليك وآخذها لك على أن تكون لى من بعدك، فقال مروان: لا بل بعد خالد بن يزيد ابن معاوية، فرضى الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا، وبايع مروان بعده لخالد ابن يزيد، ولعمرو بن سعيد بعد خالد، ثم مات مروان وخلفه آبنه عبد الملك، ولما آعتزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير بنفسه قال له عمرو: إنك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدنى هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه، وقد كان من بلائى معه مالم يخف عليك، فاجعل لى هذا الأمر من بعدك، فلم يجبه عبد الملك إلى شىء، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق عمرو ابن سعيد دمشق وخالف عليه، فرجع إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمرا على أنه الخليفة بعده ففتح له، ثم إن عبد الملك آحتال له حتى قتله سنة ٦٩ هـ.

(٢) إلى رجب السبعين، أى إلى رجب السنة السبعين.

فقال : أنا القائل لذلك ، وإن الحقين ليأبى العِذرة [١] ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع ؛ فقـال : أمّا إنى ما أصنع بك إلّا خيرا ، أحسن إليك قوم فأحببتهم [٢] وواليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وردّه إلى منزله مكرّما ، فكان آبنُ الزّبير بعد ذلك يمدحه ويشـيد بذكره ، فلما قتـل مصعب بن الزبير آجتمع آبن الزّبير وعبيـد الله بن زياد بن ظَبيانَ فى مجلس ، فعـرف آبنُ الزبير خَبَره — وكان عبيد الله هو الذى قتل مصعب بن الزبير — فاستقبله بوجهه وقال له :

أبا مطـر شَلّت يمينٌ تفـرّعتْ [٣] * بسيفك رأسَ ابنِ الحَوارِىّ مصعبِ

فقال له ابنُ ظَبْيان : فكيف النجاة من ذلك؟ قال : لا نجاة ، هيهات ! «سَبَق السيفُ العَذَلَ [٤]» ، قال : فكان آبن ظبيانَ بعد قتله مصعبا لا يَنتفع بنفسه فى نوم ولا يَقَظة ،

---

(١) فى س « وإن الحقير ليأبى الغـدرة » وفى ب « وإن الحسير ليأبى الغدرة » وهو تحريف . من أمثال العرب : أبى الحقين العذرة ، والحقين : المحقون أى المحبوس . والعذرة : العذر ، وأصله أن رجلا ضـاف قوما فاستسقاهم لبنا ، وعندهم لبن قد حقنوه (حبسـوه) فى وطب ، فاعتلوا عليه واعتذروا فقال : أبى الحقين العذرة ، أى قبول العذر ، أى أن هـذا اللبن الحقين يكذبكم ، يضرب مثلا للرجل يعتذر ولا عذر له . (٢) فى ط « فاجتبيتهم » .

(٣) تفرّعت : علت . وفى ب ، س ، جـ « تقرّعت » والتصويب عن ط ، مط . الحوارى : الناصر أو ناصر الأنبياء : وهو هنا الزبير بن العوّام ، قال صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمّى وحواريّ من أمتى » أى خاصتى من أصحابى وناصرى ، وقال أيضا « إن لكل نبى حواريا ، وحواريّ الزبير ابن العوّام » .

(٤) أوّل من قال هذا المثل ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وكان له ابنان يقال لأحدهما : سعد وللآخر سعيد ، فنفرت إبل لضبة تحت الليل ، فوجه ابنيه فى طلبها ، فتفرّقا ؛ فوجدها سعد فردّها ، ومضى سعيد فى طلبها ، فلقيه الحرث بن كعب ، وكان على الغلام بردان ، فسأله الحرث إياهما ، فأبى عليه فقتله وأخذ برديه ، فكان ضبة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد؟ فمكث ضبة بذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج ، فوافى عكاظ ، فلقى بهـا الحرث بن كعب ، ورأى عليه بردى ابنه سعيد فعرفهما ، فقـال له : هل أنت مخبرى ماهذان البردان اللذان عليك ؟ قال : بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته إياهما فأبى علىّ فقتلته وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : بسيفك هـذا ؟ قال : نعم ، فقال : فأعطنيه أنظر إليه فإنى أظنه صارما ، فأعطاه الحرث سيفه ، فلما أخذه هزه وقال : الحديث ذو شجون أى ذو طرق جمـع شجن كشمس ثم ضربه به حتى قتله ، فقيل له : ياضبة ، أفى الشهر الحرام ! فقال : سبق السيف العذل ، أى اللوم .

كان يهوِّل عليه[1] فى منامه فلا ينام ، حتى كَلَّ جسمُه ونُهِك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

شعره عند عبيد الله ابن زياد

وقال ابن الأعرابى : لما قدم ابنُ الزَّبير من الشأم إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه ، فأوصله إليه ، ثم آستأذنه فى الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده قصيدته التى أوّلها :

صوت

أَصَرْمٌ بليلى حادثٌ أم تجنُّبُ * أم الحبل منها واهِنٌ متقضِّبُ[2]

أم الودّ من ليلى كعهدى مكانه * ولكنّ ليلَى تستزيد وتَعتِبُ[3]

غَنّى فى هذين البيتين حُنين ثانى ثقيل عن الهشامى .

ألم تعلمى ياليلَ أنِّىَ ليِّنٌ * هَضومٌ وأنِّى عَنْبَسٌ حين أَغضبُ[4]

وأنى متى أُنفقْ من المال طارِفًا * فإنىَ أرجو أن يثُوبَ المثوِّبُ[5]

أَأَن تلفَ المالُ التِّلادُ بحقِّه * تَشَمَّسُ ليلَى عن كلامى وتَقْطِبُ[6]

(١) هوّل عليه : أفزعه .

(٢) الصرم : القطيعة . واهن : ضعيف . متقضب : متقطع .

(٣) فى ب ، س ، جـ «لعهدى» ؛ وقد أخذنا برواية ط ، مط .

(٤) الهضوم : المنفق لماله . والعنبس : الأسد .

(٥) الطارف : المستحدث . ثاب وثوّب : رجع .

(٦) التلاد : المال القديم . تشمس : تتشمس ، أى تنفر وتعرض ، من شمس الفرس ، أى شرد ، ومنه المتشمس ، وهو الشديد القوى الذى يمنع ما وراء ظهره ؛ والبخيل الذى لا ينال منه خير . قطب كضرب : زوى ما بين عينيه وعبس وكلح .

عشـــيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ * بأكوارِها مشــدودةٌ : أين تذهب؟ (١)

أفى كل مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ * كذلك ما أمرُ الفــتى المتشعِّب (٢)

فــوالله ما زالت تُلبِّثُ ناقــتى * وتقسم حتى كادت الشمسُ تغرب (٣)

دعيــنىَ ما للــوت عــنىَ دافــعٌ * ولا للذى ولّى من العيش مَطْلَب

إليــك عبيــدَ الله تهــوِى ركابُنــا * تَعسَّفُ مجهــولَ الفــلاة وتدأب (٤)

وقد ضمرتْ حــتّى كأنّ عيونَهــا * نِطــافُ فَــلاةٍ ماؤها متصبِّب (٥)

فقلت لهــا : لا تشتكى الأَيْنَ إنه * أمامكِ قَــرْمٌ من أميــة مُصْعب (٦)

إذا ذَكروا فضلَ آمرئٍ كان قبلَه * ففضــلُ عبيــدِ الله أَثرى وأطيب (٧)

وأنك لو يُشفِيَ بك القَرْحُ لم يعُــد * وأنت على الأعــداء نابٌ ومِخلب (٨)

١٠ تصافى عبيدُ الله والمجــدُ صفوةَ الـ * ـحليفين ما أرسى ثَبِــيرٌ ويثرِب (٩)

وأنت إلى الخــيرات أوّل ســابق * فأبشِر، فقد أدركتَ ما كنتَ تطلب

---

(١) الأكوار : جمع كور بالضم ، وهو الرحل بأداته .

(٢) نازح : بعيد . المتشعب : المتفرق . و « ما » زائدة .

(٣) فى جـ « وأقسم » .

١٥ (٤) هوى كرمى : أسرع فى السير . تعسف ، أى تتعسف ؛ تعسف الطريق : سار فيــه على غير هداية . والفلاة : الصحراء . تدأب : تجدّ وتتعب .

(٥) نطاف : جمع نطفة بالضم ، وهى المــاء الصافى قل أو كثر .

(٦) الأين : الإعياء . القرم من الرجال : السيد المعظم ، وأصله الفحل الذى يترك من الركوب والعمل و يودع للفحلة . ورجل مصعب : مسوّد ، وأصــله بمعنى القــرم ، أى الفحل الذى لم يمسسه ٢٠ حبل ولم يركب .

(٧) أثرى : أفعل ، من الثروة ، أى أكثر .

(٨) القرح بالفتح و يضم : عض السلاح ونحوه ممــا يخرج بالبدن ، أو بالفتح : الآثار ، و بالضم : الألم ؛ أراد به ما ينو به من صروف الدهر .

(٩) رسا وأرسى : ثبت . ثبير : جبل بظاهر مكة . يثرب : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أعِنِّى بسَجْل من سِجالك نافع * ففى كل يوم قد سَرَى لك مِحلب (١)
فإنك لو إيّاى تطلب حاجةً * جرى لك أهلٌ فى المقال ومَرْحَبُ (٢)

قال : فقال له عُبيد الله — وقد ضحك من هذا البيت الأخير — : فإنى لا أطلب إليك حاجة، كم السَّجل الذى يُرويك ؟ قال : نوالُك أيها الأمير يكفينى، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

شعره فى صديقه

قال ابن الأعرابى : كان نُعَيم بنُ دُجانة بنِ شَدّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس ابن مُنقِذ بن طَريف صديقا لعُبيد الله بن الزّبير، ثم تغيّر عليه، و بلغه عنه قول قبيح فقال فى ذلك :

ألا طرقتْ رُوَيمةُ بعد هَدْءٍ * تخطّى هولَ أنمارٍ وأسْدِ (٣)
تجُوس رحالنا حتى أتتنا * طُروقا بين أعرابٍ وجُندِ (٤)
فقالت : ما فعلتَ أبا كثيرٍ * أصحّ الودُّ أم أخلفتَ عهدى؟
كأنّ المسك ضمّ على الخُزامَى * إلى أحشائها وقضيبَ رَنْدِ (٥)
ألا مَن مُبلِغ عنى نُعَيما * فسوف يجرّبُ (٦) الإخوانَ بعدى
رأيتك كالشموس تُرى قريبا * وتمنع مسحَ ناصيةٍ وخَدّ

(١) السجل : الدلو العظيمة مملوءة .

(٢) لو إياى، أى لو إياى تقصد، جرى لك ... أى لقلت لك أهلا وسهلا ومرحبا . وقوله : « المقال »، ساقط من مط .

(٣) الهدء : أول الليل إلى ثلثه . تخطى : أصله تتخطى . أنمار وأسد أى رجال شجعان كالأنمار والأسود .

(٤) أتانا طروقا : إذا جاء بليل .

(٥) الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار نفحة . الرند : شجر طيب الرائحة .

(٦) فى جـ : « فكيف »..

فإنى إن أقعْ بك لا أهلّل[1] * كوقع السيف ذى الأثر الفرند
فأوْلَى ثم أوْلَى ثم أوْلَى * فهل للدرّ يُحلَب من مردّ؟[2]

رثاؤه لصديقه

أخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزاعى قال : حدّثنى عيسى بنُ إسمعيل تِينة، وأخبرنى عمى قال : حدّثنا الكُرانى قال : حدّثنى عيسى بن إسمعيل عن المدائنى عن خالد ابنِ سعيد عن أبيه قال : كان عبد الله بن الزّبير صديقا لعمرو بن الزّبير بن العوّام، فلما أقامه أخوه[3] ليُقتصّ[4] منه بالغ كل ذى حِقد عليه فى ذلك، وتدسّس فيه من يتقرّب إلى أخيه، وكان أخوه لا يسأل من آدّعى عليه شيئا بيّنةً، ولا يطالبه بحجّة، وإنما يقبل قوله ثم يُدخله إليه السجنَ ليقتص منه، فكانوا يضربونه والقيُح ينتضِح من ظهره وأكتافه على الأرض لشدّة ما يمرّ به، ثم يُضرَب وهو على تلك الحال، ثم أُمر بأن يُرسَل عليه الجِعْلان[5]، فكانت تدبّ عليه فتثقُب لحمه، — وهو مقيد مغلول[6] — يستغيث فلا يغاث، حتى مات على تلك الحال، فدخل الموكّل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفى يده قدحُ لبن يريد أن يتسحّر به وهو يبكى فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم، قال : أبْعده الله، وشرب اللبن، ثم قال : لا تُغسّلوه ولا تكفّنوه، وادفنوه فى مقابر المشركين، فدفن فيها، فقال آبن الزّبير الأسدى يرثيه ويؤنّب أخاه بفعله، وكان له صديقا وخِلّا ونديما :

(١) هلل عن الأمر : فزع وجبن وولى عنه ونكص، والأثر بالفتح والكسر. فرند السيف، وهو جوهره وماؤه الذى يجرى فيه وطرائقه .

(٢) الدر : اللبن، وفى جـ وب وس « يجلب » وهو تصحيف .

(٣) أى عبد الله بن الزبير .

(٤) فى جـ وب . س « ليقبض » وهو تصحيف .

(٥) الجعلان : جمع جعل كصرد، وهو دويبة سوداء أكبر من الخنفساء .

(٦) مغلول : مقيد بالغل وهو القيد .

أيا راكبًا إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ * كبيرَ بنى العوّام إن قيل مَن تَعنِى (١)

ستعلم ـ إن جالت بك الحربُ جولةً * إذا فُوِّق الرامون ـ أسهم مَن تُغنِى (٢)

فأصبحتِ الأرحامُ حين وَليتها * بكفّيك أكراشًا تُجرُّ على دِمْن (٣)

عقدتمْ لعمرو عُقدةً وغدرتمُ * بأبيضَ كالمصباح فى ليلة الدَّجْن (٤)

وكُلْتَهُ حَوْلا يجود بنفسه * تَنُوء به فى ساقه حِلَقُ اللَّبْن (٥)

فما قال عمرو إذ يجود بنفسه * لضاربه ـ حتى قضى نَحْبَه ـ : دعنى (٦)

تحدَّثُ مَن لاقيتَ أنك عائذ * وصرَّعتَ قتلَى بين زمزمَ والرُّكْن (٧)

---

(١) عرضت : أتيت العروض (بفتح العين) وهى مكة والمدينة . تعنى : تقصد . وفى ب وس : « تغنى » وهو تصحيف .

(٢) الفوق بالضم : موضع الوتر من السهم؛ وفوّق السهم : جعل له فوقا . تغنى : تنفع؛ يقال : ما يغنى عنك هذا : ما يجزئ عنك ، وما ينفعك ، وفى جـ و ب « تعنى » بالعين وهو صحيح ، جاء فى اللسان : « قال أبو تراب : يقال : ما أعنى شيئا وما أغنى شيئا بمعنى واحد ، وفى المصباح المنير : « وحكى الأزهرى ما أعنى فلان شيئا بالغين والعين أى لم ينفع فى مهم ولم يكف مؤنة » . وأسهم : مبتدأ ومن : اسم استفهام مضاف إليه ، وجملة تغنى خبره .

(٣) أكراش : جمع كرش كحمل وكتف . والدمن : السرقين المتلبد والبعر .

(٤) الدجن : إلباس الغيم الأرض .

(٥) ناء به الحمل : أثقله وأماله . حلق بفتح الحاء وكسرها : جمع حلقة بسكون اللام وفتحها . « اللبن » بالفتح : الضرب الشديد ، وفى معاهد التنصيص « البين » وهو الفراق .

(٦) قضى نحبه : مات ، وأصله الوفاء بالنذر .

(٧) كان عبد الله بن الزبير يدعى « العائذ » لأنه عاذ بالبيت الحرام ، ففى ذلك يقول ابن قيس الرقيات يذكر مصعبا :

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

الكامل للبرد ٢ : ٥٩٧ طبع أوربا .

جعلتم لضرب الظّهر منه عِصِيَّكم * تُراوِحُـه ، والأَصْبَحِيَّةُ للبطن (١)

تُعـذِّر منـه الآن لمّـا قتلتَـه * تَفاوُتَ أرجاءِ القَلِيبِ من الشَّطْن (٢)

فلم أرَ وَفْدًا كان للغدر عاقدا * كوفدكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْنِى (٣)

وكنتَ كذاتِ الفِسق لم تدرِ ما حَوَتْ * تَخَيَّرُ حالَيْها أتسرق أم تزنى (٤)

جزى الله عنى خالدا شرَّ ما جَزَى * وعُروةَ شرًّا، مِن خليلٍ، ومن خِدْن (٥)

قتلتم أخاكم بالسِّياط سفاهةً * فيـالَكَ لِلرأى المضلَّل والأَفْن (٦)

فـلو أنكمْ أجهَزتمُ إذ قتلتُمُ ! * ولكنْ قتلتمْ بالسِّياط وبالسِّجْن

و إنى لأرجو أن أرى فيك ماترى * به من عِقاب الله ما دونه يُغْنى (٧)

قطعتَ من الأرحام ماكان واشِجًا * على الشَّيْب، وأبتعتَ المخافَةَ بالأمن (٨)

---

(١) تراوحه : تتعاقب عليه . والأصبحىّ : السوط ، نسبة إلى ذى أصبح ملك من ملوك حمير .

(٢) المعذر : الذى يتكلف العذر وهو لا عذر له . تفاوت الشيئان : تباعد ما بينهما . والأرجاء : النواحى . والقليب : البئر . الشطن كسبب : الحبل الطويل الشديد الفتل يستق به ، وسكنت الطاء هنا للشعر .

(٣) فى ج و ب وس « موق » وهو تحريف ، وصوابه عن ط : أى غير موفين ، أفرد موف مراعاة للفظ « وفد » . وأسناه : رفعه .

(٤) ما حوت : أى من المكاسب والمنافع ، وفى ط ، مط : « ما حلت » ولعله « ما جنت » .

(٥) الخدن : الصديق . وخالد وعروة : أخوا عبد الله بن الزبير، وقد استعمل عبد الله أخاه خالدا على اليمن ، وكان عروة من كبار فقهاء المدينة ، وكان عمرو قد خالف أخاه عبد الله فقاتله ، ثم أتاه فى جوار عبيدة أخيه ، قال له عبيدة : امض معى إليه وأنت فى جوارى ، فإن أمنك و إلا رددتك إلى مأمنك ، فذهب معه فلم يجز عبد الله أمانه ، واقتص منه حتى مات . انظر المعارف لابن قتيبة ص ١١٣ طبع أوربة .

(٦) الأفن ويحرك : ضعف العقل والرأى .

(٧) ما دونه يغنى ، أى ما قليله يجزئ و يكفى فى الانتقام منك .

(٨) واشجا : متداخلا متشابكا .

وأصبحتَ تَسعَى قاسِطًا بكتيبةٍ * تهدِّمُ ما حول الحَطِيم ولا تبنى (١)

فلا تجزَعَنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَهَا * فما للدماء الدهرَ تُهْرَق من حَقْن

وثاؤه يعقوب ابن طلحة

أخبرنى عمّى قال: حدّثنى الخرّاز عن المدائنى قال: قتل يعقوب بن طلحة يوم الحرّة (٢)، وكان يعقوب ابن خالة يزيد [بن معاوية] (٣) فقال يزيد: يا عجبا قاتلنى كل أحد حتى ابن خالتى! قال: وكان الذى جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكَرَوَّس، فقال ابن الزَّبير الأَسَدىّ يرثيه:

لعمرك ما هذا بعيش فيُبتَغَى * هنىءٍ ولا موتٍ يُرِيحُ سريع

لعمرى لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظمًا * على أمرِ سَوْءٍ حين شاع فظيع

نعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفرتْ * منازلُهم من رُومةٍ فبَقِيع (٤)

وكلهمُ غيثٌ إذا قُحِط الورى * ويعقوبُ منهم للأنام ربيع (٥)

وقال ابن الأعرابى: كان عَلَى ابن الزبير دين لجماعة، فلازَموه ومنعوه التصرّف فى حوائجه، وألحّ عليه غريم له من بنى نَهْشَل يقال له: ذئب، فقال ابن الزَّبير:

(١) قاسطا: ظالما جائرا. الحطيم: حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام.

(٢) كان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد بن معاوية وخلعوه وحصروا من كان بها من بنى أمية وأخافوهم، فوجه إليهم يزيد مسلم بن عقبة المرى فى جيش، فقمع فتنتهم، وأخمد ثورتهم، وكانت هذه الوقعة تسمى «وقعة الحرة»؛ لأن مسلما حاصر المدينة من جهة الحرة — موضع بظاهر المدينة — وكانت فى ذى الحجة سنة ٦٣ هـ.

(٣) عن ط.

(٤) رومة: أرض بالمدينة فيها بئر رومة التى ابتاعها عثمان رضى الله عنه وتصدق بها، وفى الأصول «دومة» وهو تحريف. والبقيع: مقبرة أهل المدينة.

(٥) فى هذا البيت إقواء.

أحابِسَ كيدِ الفيل عن بطن مكّةٍ * وأنتَ على ما شئتَ جمُّ الفواضِلِ (١)

أرِحْنى من اللائى إذا حَلّ دَيْنُهم * يمشُّون فى الدارات مشىَ الأرامل (٢)

إذا دخلوا قالوا : السلام عليكم * وغير السـلام بالسـلام يحُـاوِلُ (٣)

ألِينُ إذا اشـتدّ الغريم وألتـوِى * إذا استدّ حتى يُدرِكَ الدينَ قابِلُ (٤)

عـرضت على «زَيد» ليأخذ بعض ما * يحاوله قبـل اشتغال الشـواغل (٥)

تثاءب حتى قلتُ : داسِـع نفسِه * وأخرجَ أنيـاباً له كالمَعـاوِل (٦)

دخوله المدينـة مع عبد الرحمن ابن الحـكم

وقال ابن الأعرابىّ : استجار ابن الزُّبير بمروانَ بنِ الحكم وعبد الله بن عامر لمـا هجا عبـد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، فأجاراه وقاما بأمره ، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال فى ذلك :

---

(١) كيد الفيل : أى كيد أصحاب الفيل ، يشير إلى وقعة الفيل ، وما كان من أبرهة الأشرم ملك اليمن حين خرج بجيشه إلى مكة على الأفيال ليهدم الكعبة فجعل الله كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهـم طيرا أبابيل ... والفواضل : الأيادى الجسيمة .

(٢) هذا البيت شاهد على استعمال اللائى بمعنى الذين ، كقول الشاعر :

فـا آباؤنا بأمنّ منـــه * علينا اللاء قد مهدوا الحجورا

وهو قليل ، قال ابن مالك « واللاء كالذين نزرا وقعا » . والدارة : العرصة وهى ساحة الدار .

(٣) أى يبغى من وراء التحية مآربا له . وفى هذا البيت وتاليه إقواء .

(٤) الغريم : الدائن . وفى الأصول « وألتوى إذا اشتد » وهو تصحيف ، إذ أنه ليس بمستساغ أن يذكر كلمة « اشتد » مرتين فى بيت واحد ، والصواب « وألتوى إذا استد » واستد : استقام ، وهو المقابل لكلمة «ألتوى» . قابل : أى العام القابل . وفى الأصول : «قائل» .

(٥) كذا فى الأصول ولعله يريد « ذئبا » المشار إليه قبل فى قوله « يقال له ذئب » .

(٦) داسع : فاعل من الدسع ، وهو الدفع ، دسعه كدفعه وزنا ومعنى ، ودسع البعير بجرته : دفعها حتى أخرجها من جوفه إلى فيه وأفاضها .

أجِدِّى إلى مَرْوانَ عَدْوًا فَقَلِّصى (١) * وإلّا فرُوحى واغتدى لابن عامرِ

إلى نفــرٍ حولَ النبيِّ بيوتُهــم * مكاريمُ للعـافى رِقاقُ المــآزر (٢)

لهمْ سورة فى المجد قد عُلِمتْ لهم * تُذَبْذِبُ باعَ المتعَبِ المتقاصرِ (٣)

لهم عامرُ البَطْحاء من بطن مكّةٍ * ورُومة تسـقى بالجمال القيـاسر (٤)

حبسه زفـر فقال شـعرا

وقال ابن الأعرابى: عرض قوم من أهل المَدَراء (٥) لابن الزَّبِير الأسدىّ فى طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقَرْقِيسياء (٦)، فاستعدَوا (٧) عليه زُفَرَ بن الحارث الكِلابىّ (٨) وقالوا: إنه أُموِىّ الهوى، وكانت قيس يومئذ زُبَيْرِيّة، وقَرْقِيسياء وما والاها فى يد ابن الزبير، فحبســه زفر أياما وقيّده، وكان معه رفيق من بنى أميّة يقال له:

(١) أجدّ السير: أسرع فيه. وقلصت الناقة: شمرت واستمرت فى مضيها.

(٢) مكاريم: جمع مكرم، على حد قوله تعالى «ولو ألقى معاذيره». العافى: كل طالب فضل أو رزق. والمــآزر: جمع مِئْزر بالكسر: وهو الملحفة، ورقاق المــآزر كناية عن النعيم والترف.

(٣) السورة من المجد: أثره وعلامته وارتفاعه. ذبذبه: حرّكه، فتذبذب: تحرك واضطرب. المتقاصر: المقصر العاجز.

(٤) البطحاء: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. وفى الأصول «ردمة» وهو تحريف. والقيسرىّ من الإبل: الضخم الشديد القوىّ، وجمعه: قياسر وقياسرة.

(٥) أهل المدراء: أهل الحضر. (٦) بلد على الفرات.

(٧) استعداه عليه: استنصره.

(٨) لما مات معاوية بن يزيد اختلف النـاس بالشام، فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير الأنصارى وكان على حمص فدعا لابن الزبير، فبلغ خبره زفر بن الحرث الكلابى فدعا إلى ابن الزبير أيضا ... ... ودعا مروان بن الحكم إلى نفسه، ثم التقى الزبيريون، وعليهم الضحاك بن قيس الفهــدى فى مرج راهط بغوطة دمشق، فقتل الضحاك وانهزم جيشه، واســتقام الأمر لمروان، وفر يومئذ زفر، وفى ذلك يقول:

فلم تر منى زلة قبــل هذه * فرارى وتركى صاحبى من ورائيا

٥

١٠

١٥

٢٠

أبو الحَـذْراء ، فرحل وتركه فى حبسه أياما ، ثم تكلمتْ فيـه جماعة من مُضَر ، فأُطلق ، فقال فى ذلك :

أغادٍ أبو الحَـذْراء أم مـتروِّحُ؟ * كذاك النَّوى مما تُجِـدّ وتَمْـزَحُ (١)
لعمـرى لقد كانت بلادٌ عريضةٌ * لى الرَّوْحُ فيهـا عنـك والمتسرَّحُ (٢)
ولكنه يدنو البغيضُ ويبعـد الـ * ـحبيبُ وينأى فى المَـزارِ ويَنزَحُ (٣)
ألا ليت شعرى هل أتى أمَّ واصلٍ * كُبُـولٌ أعَضُّـوها بساقٍ تَجَـرَّحُ (٤)
إذا ماصرفتُ الكعبَ صاحت كأنها * صريفُ خَطاطيفٍ بدَلوين تَمتَحُ (٥)
تُبَـغِّى أباها فى الرفاق وتنثـنى * وأَلْوَى به فى لُجَّـةِ البحر تِمْسَـحُ (٦)
أمرتحِـلٌ وفدُ العـراق وغُودِرتْ * تحِنُّ بأبواب المدينـة صَيْدَحُ (٧)
فإنكِ لا تـدرين فيما أصابنى * أَرَيْثُـك أم تعجيلُ سَـيرِكِ أنجحُ (٨)
أظَنَّ أبو الحـذراء تَجنِى تجارةً * تربِّى وما كل التـجارة تُربِحُ!

أخبرنى محمد بنُ عمرانَ الصَّيرفيُّ قال : حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال : حدّثنى محمد بن معاوية الأسدىّ قال : لمـا قدم الحجّاج الكوفةَ واليا عليها صعِد المنبرَ، فخطَبَهم فقال : ياأهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، إن الشيطان

خبره مع الحجاج

(١) تروح : سار فى الرواح ، وهو العشىّ .
(٢) الروح : الراحة . والمتسرح : انفراج الضيق والغم .
(٣) نزح كمنع وضرب : بعد .
(٤) كبول : جمع كبل بالفتح والكسر ، وهو القيد الضخم .
(٥) صرفت : رددت ، أى حركت . صاحت أى صـوّتت الكبول . صرفت البكرة صريفا : صوّتت عند الاستقاء . والخطاطيف : جمع خطاف كرمان ، وهو حديدة حجناء فى جانبى البكرة فيها المحور . متح الماء كمنع : نزعه .
(٦) ألوى به : ذهب به . التمسح : التمساح .
(٧) صيدح : اسم ناقة ذى الرمة ، وفيها يقـول : « فقلت لصيدح انتجعى بلالا » والظاهر أنه اسم ناقته هو أيضا .
(٨) الريث : الإبطاء .

قد باض وفرّخ فى صدوركم ، ودبّ ودرج فى حجوركم ، فأنتم له دين ، وهو لكم قرين، ﴿ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ ثم حثّهم على اللّحاق بالمهلّب[1] بن أبى صُفرة ، وأقسم ألّا يجدَ منهم أحدا اسمُه فى جريدة المهلّب بعد ثالثة بالكوفة إلّا قتله ، فجاء عُمَير بن ضابئ البُرْجُمى فقال : أيّها الأمير، إنى شيخ لا فضل فىّ، ولى ابنٌ شابٌّ جَلْد، فاقبله بدلا منّى ؛ فقال له عَنبسة بن سعيد بن العاص : أيها الأمير، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول، فرفَسَه وكسرَ ضِلْعين من أضلاعه ، وهو يقول :

* أين تركتَ ضابئًا يا نَعْثَلُ[2] *

(١) وكان على قتال الخوارج الأزارقة ، وذلك أن الخوارج كانوا قد مضوا إلى مكة سنة ٦٤ هـ يمنعوا الحرم من جيش يزيد ، وناصروا ابن الزبير وقاتلوا معه ، ثم ناظروه فلم يرقهم ما سمعوا منه ، فتفرقوا عنه ، وصارت طائفة كبيرة منهم إلى البصرة ، وبايعوا نافع بن الأزرق الحنفى ، وسموه أمير المؤمنين ، وخرج بهم إلى الأهواز — وهى كورة كبيرة فى الجنوب الغربى من فارس — فغلبوا عليها وعلى ما وراءها من أرض فارس وكرمان ، ونسبوا إليه فقيل لهم : الأزارقة .

(٢) كان من قصة عمير بن ضابئ أن أباه ضابئ بن الحرث البرجمى استعار من قوم من الأنصار كلبا يدعى قرحان يصيد الظباء، فأعاروه إياه ، ثم طلبوه منه ، فحبسه عنهم ، فنافره الأنصار يون واستعانوا عليه بقومه ، فكاثروه ، فانتزعوه منه وردوه على الأنصار ، وكان فاحشا ، فهجاهم ورمى أمهم به، فقال من أبيات :

وأمكم لا تتركوها وكلبكم * فإن عقوق الوالدات كبير

فاستعدوا عليه عثمان ، فأرسل إليه فعزره وحبسه ، فاضطغن على عثمان لما فعل به ، فلما دعى به ليؤدب شد سكينا فى ساقه ليقتل بها عثمان ، فعثر عليه فأحسن أدبه ، وما زال فى الحبس حتى مات فيه ، وقد قال فى ذلك أبياتا منها :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

انظر تاريخ الطبرى ٥ : ١٣٧ والكامل للبرد ١ : ١٨٥

ونعثل : رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبه بهذا الرجل لطول لحيته ، فكان أعداؤه وشاتموه يسمونه نعثلا لذلك ، وفى حديث عائشة : اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا تعنى عثمان ، وكان هذا منها لما غاضبته وذهبت إلى مكة .

فقال له الحجّاج: فهلّا يومئذ بعثتَ بديلا، ياحَرَسِيّ(١)! اضربْ عنقه، وسمع الحجّاج ضَوْضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتنصر عميرا فيما ذكرت(٢)، فقال: أتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولّوا هاربين، فازدحم الناسُ على الجسر للعُبور إلى المهلّب حتى غرق بعضُهم(٣)، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ:

أقـــول لإبراهـــيمَ لـمّـا لقيتُـــه * أرى الأمر أمسى واهيا متشعبا(٤)

تخيرْ فإما أن تزور ابـنَ ضابئٍ * عمـــيرا وإمّا أن تزور المهلّبـا

هما خُطّتا خَسْفٍ نجاؤك منهمـا * ركوبُك حَوْليّـا من الثلج أشهبا(٥)

---

(١) الحرسيّ: واحد حرس السلطان وهم الحرّاس.

(٢) فى الأصول ماعدا ط، مط: «لتبصر»؛ وهو تصحيف.

(٣) وفى الكامل ١: ١٨٣ «فقال الحجاج: ردوه، فلما رد قال له: أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار! إن فى قتلك أيها الشيخ لصلاحا للمسلمين، ياحرسى اضربن عنقه، فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل و يأمر وليه أن يلحقه بزاده» وفى الكامل أيضا ٢: ٢١٣ «ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجلتكم ثلاثا» وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من أهل الثغور إلا قتله، ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه: إذا مضت ثلاثة أيام فاتخذا سيوفكما عصيا، فجاءه عمير بن ضابئ البرجمى بابنه فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا أنفع لكم منى، وأشدّ بنى تميم أيدا، وأجمعهم سلاحا، وأربطهم جأشا، وأنا شيخ كبير عليل، واستشهد جلساءه، فقال الحجاج: إن عذرك لواضح، وإن ضعفك لبين، ولكنى أكره أن يجترئ بك الناس علىّ، وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان، ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس، وإن أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه» الخ.

(٤) يخاطب إبراهيم بن عامر الأسدى أحد بنى غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان قد لقى ابن الزبير فى السوق فسأله عن الخبر، فقال ابن الزبير هذه الأبيات.

وفى رواية الكامل ٢: ٦٨٦

«أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا»

أنصبه الأمر: أعياه وأتعبه.

(٥) الخسف: الذل. الحولى: ما أتى عليه حول. أشهب: أشد شهبة، والشهبة: بياض يصدعه سواد فى خلاله. والثلج شف ولكنه عند تراكمه يرى خلاله ظل من السواد، واستعماله أفعل التفضيل من اللون شاهد على جوازه عند الكوفيين، وعليه درج المتنبى فى قوله يخاطب الشيب:

ابعد بعدت بياضا لا بياض له * لأنت أسود فى عينى من الظلم

فأَضْحَى ولو كانت خُراسانُ دونَه * رآها مكان السُّوقِ أو هى أقربا (١)

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثنى على بن عثّام الكلابىّ قال : دخل عبدُ الله بنُ الزَّبير الأسدىُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لمّـا وَلِيهَا وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلمْ يأذن له ، وقال له : ألم تُسقط السماء علينا وتمنعْنا قَطْرها فى مديحك لأسماءَ بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر : أنشدْها ، فأنشَدَه :

إذا مات ٱبنُ خارجةَ بن حِصنٍ * فلا مَطَـرتْ على الأرض السماءُ

ولا رجـعَ الوُفــود بغُنم جيشٍ * ولا حَملتْ على الطُّهـــر النساءُ

ليَـــوم منك خيرٌ من أُناسٍ * كثـــيرٍ حَولَهـم نَعَـمٌ وَشَـاء

فبُورِك فى بنيـــك وفى أبيهـــمْ * إذا ذُكروا ونحن لك الفــداء

فالتفت إليه مصعب وقال له : اِذهب إلى أسماء ، فمالك عندنا شىء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، وخُصّ به، وسمع مديحَه، وأحسن عليه ثوابَه .

مـدحه لبشر بن مروان

قال ابن الأعرابى : لمـا ولى بشر بن مروانَ الكوفةَ أدنى عبدَ الله بنَ الزُّبير الأسدىّ وبرّه وخصّه بأنسه ، لعلمه بهواه فى بنى أميّة، فقال يمدحه :

(١) جاء فى تعليق الأخفش على الكامل ١ : ١٨٣ : «دونه : الهاء عائدة على المهلب» فعناه : فأضحى ولو كانت خراسان قريبة من موضع غزوه، وجاء فى تفسير المبرد لهذا البيت فى الكامل ١ : ١٨٥ « وقوله : فأضحى ولو كانت خراسان دونه : يعنى دون السفر رآها مكان السوق للخوف والطاعة » فعنى دون السفر : قريبة من موضع سفره، قال المرصفى فى رغبة الآمل ٤ : ٩٠ «وقد سلف عن الأخفش أن الهاء من دونه عائدة على المهلب ، وهو أجود . مكان الســوق : يريد سوق حكمة (كرقبــة) وهو موضع بنواحى الكوفة ، نسبت إلى حكمة بن حذيفة بن بدر . أو هى أقربا : أو بمعــنى بل ، وأقرب ظرف متعلق بخبر هى، وقيل : مفعول ثان، وهى توكيد للأول، أى رآها مكان السوق أو رآها هى أقرب .

ألــمْ تَرَنى(1) والحمــد لله أننى * برئت وداوانى بمعْــروفِه بِشْرُ
رعى ما رعى مروانُ مِــنّىَ قبــلَه * فصحّت(2) له منى النصيحةُ والشكر
ففى كلّ عام عاشَه الدهرَ صالحا * علىّ لربّ العــالَمِين له(3) نَــذْرُ
إذا ما أبو مروان خَلَّى مكانَه * فلا تَهنأ الدنيا ولا يُرسَل القطــرُ
ولا يَهْنِئْ النــاسَ الولادةُ بينهــم * ولا يَبقَ فوقَ الأرض من أهلها شَفْر(4)
فليس البُحــور بالتى تخــبروننى * ولكن أبو مروان بشرٌ هو البحرُ

٥

وقال فيه أيضا فذكر أمّه قُطْبة بنت بشر بن مالكٍ مُلاعب الأسنّة :

جاءت به عُجُــزٌ مقــابَــلةٌ * ما هن مِن جَــرْم ومن عُكْلِ(5)
يا بشرُ يا ابن الجعفــريّة ما * خَلَق الإلهُ يديْك للبُخــل
أنت ابن سادات لأَجمَعِهِــم * فى بطن مكّةَ عِزَّةُ الأصــل

١٠

بحرٌ من الأعيــاص جُدْن به(6) * فى مغــرِس للجُــود والفضل
متهــلِّلٌ تَنْــدَى يَــداه إذا * ضنّ(7) السحاب بوابلٍ سَجْل

---

(١) رواية ط ، مط «ألم تريا» . (٢) فى ط ، مط «خفقت» . (٣). فى ط ، مط «به» .
(٤) فى جـ و ب «فوق الدهر» وفى ب «سفر» وفى س «ولم يبق» وهو تحريف يقال : هنأنى الأمر وهنأ لى يهنأ ويهنئ ويهنؤ : سرنى ، شفر : أحد ، يقال : ما بالدار شفر بالفتح والضم : أى أحد .

١٥

(٥) عجز : جمع عجوز . المقابل : الكريم النسب من كلا طرفيه أبيه وأمه . جرم : بطنان من عرب اليمن ، بطن فى قضاعة وهم بنو جرم بن زبان (كشدّاد) وبطن فى طيئ وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث ابن طيئ ، وعكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غباوة ويستحمق : عكلىّ .
(٦) الأعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص والعيص ، وأبو العيص ، وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

٢٠

(٧) فى الأصــول عدا ط «كما * ضن» وهو تحريف . تهلل الوجه : تلألأ ، بوابل سجل ، أى ذى سجل ، سجلت الماء سجلا : صببته صبا متصلا . وفى ب ، جـ «يبدى نداه» .

خبره مع الحجاج

أخبرني عمي قال: حدّثنا الكراني قال: حدّثنا العمري، عن الهيثم [بن عدي][1] عن عبد الله بن عيّاش قال: أخبرني مشيخةٌ من بني أسد أن آبن الزّبير الأسديّ لمّا قفل من قتال الأزارقة صُوِّب[2] بعثٌ إلى الرّيّ، قال: فكنتُ فيه، وخرج الحجّاج إلى القنطرة يعني قنطرةَ الكوفة التي بُزَبارَةَ[3] ليعرِض الجيشَ، فعرضهم، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو؟ فمرّ به ابنُ الزّبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول:

تَخيّرْ فإما أن تزور آبنَ ضابئٍ * عُمَيرا، وإما أن تزور المهلّبا

قال: بلى، أنا الذي أقول:

ألم تر أنّي قد أخذتُ جَعيلةً * وكنتُ كمن قاد الجَنيبَ فأسمحا[4]

فقال له الحجّاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقَدتِ الأعداء يا مَيّ فاعلَمي * بكلّ شَرًى نارا فلم أَرَ مَجْمَحا[5]

---

(١) من ط، مط.

(٢) صوب، أي أرسل، من صوبت الفرس: إذا أرسلته في الجرى. والرى: مدينة بفارس.

(٣) جاء في معجم البلدان «زبارا: موضع، أظنه من نواحي الكوفة»؛ وقد ذكر غير مضبوط وفي آخره ألف.

(٤) الجعيلة: ما جعل لك على عملك، وجنبه كنصره: قاده إلى جنبه، فهو جنيب، وفي مط «الحبيب» وهو تصحيف. وأسمحت الدابة: لانت وانقادت بعد استصعاب.

يذكره الحجاج بأنه القائل: تخير... الأبيات أي أنه لا مناص لك من إحدى اثنتين: إما أن تقاتل مع المهلب، وإما أن تقتل كابن ضابئ — وفيها يقول:

فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه * يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

فيجيبه بقوله أنا الذي أقول .... أي أني نفذت ما أمرتنا به فأخذت جعيلتي (أي عطائي) وسرت لقتال الأزارقة مع المهلب، وكان الحجاج قد توعدهم في خطبته بقوله: «وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه».

(٥) الشرى: الطريق والناحية. مجمحا يريد مفرا ومهربا من لقائهم. وفي جـ «مجما» وهو تحريف.

فقال له الحجّاج : قد كان بعض ذلك، فقال :

ولا يَعدَم الدّاعى إلى الخير تابعًا * ولا يَعدَم الداعى إلى الشرّ مُجْدِحا[(١)]

فقال له الحجّاج : إن ذلك كذلك، فامض إلى بَعْثِك، فمضى إلى بعثه فمات بالرى .

مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال : حدّثنى عمى قال : [لمّا][(٢)] ولِيَ عبدُ الرحمن ابن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزّبير، فلم يُثِبه، وكان قدم فى هيئة رثّة، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر، فقال ابن الزّبير فيه :

تبقّلْتَ لما أن أتيتَ بلادكُمْ * وفى مصرنا أنت الهمام القَلَمّس[(٣)]

ألستَ ببغل أمّه عربية * أبوك حمار أدبرُ الظهر يُنْخَس[(٤)]

قال : وكان بنو أمية إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقّبونه البغلَ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلا، يظنّه يعرّض به .

شعره فى مقتل عبد الله بن الزبير

أخبرنى عمى قال : حدّثنا الكُرانىُّ عن العُمَرى عن العُتْبى قال : لمّا قُتِل عبدُ الله بن الزّبير صلب الحجّاج جسدَه[(٥)]، وبعث برأسه إلى عبد الملك، فجلس على سريره وأَذِن للناس فدخلوا عليه، فقام عبدُ الله بن الزّبير الأسدى فاستأذنه فى الكلام، فقال له : تكلّم ولا تقل إلّا خيرا، وتوخّ الحقّ فيما تقولهُ، فأنشأ يقول :

(١) جدح السويق وغيره : لته . والمجدح : ما يجدح به، وهو خشبة فى رأسها خشبتان معترضتان، والمعنى : لا يعدم محركا ومجيبا له . (٢) عن ط و مط .

(٣) القلمس : البحر، والرجل الخير المعطاء، والسيد العظيم، والرجل الداهية المنكر البعيد الغور . تبقل : خرج يطلب البقل .

(٤) أدبر : وصف من الدبر بالتحريك وهو الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة .

(٥) فى ط و مط : « جسمه » .

٤٤
―
١٣

مشى ابن الزبير القَهْقَرَى فتقدمت * أميةُ حتّى أحرزوا القَصَباتِ
وجئتَ المجَلِّى يابنَ مروان سابقا * أمامَ قريش تنفُض العُذُراتِ (١)
فلا زلتَ سبّاقا إلى كل غاية * من المجد نجّاءً من الغَمَراتِ (٢)

قال : فقال له : أحسنت فسل حاجتك : فقال له : أنت أعلى عينا بها وأرحَبُ صَدْرا يا أمير المؤمنين ؛ فأمر له بعشرين ألفَ درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال : لا ، ولكن أبياتك فى المُحِلّ (٣) فى وفى الحَجّاج التى قلتَها : فأنشده :

شعره فى المحل وفى الحجاج

كأنى بعبد الله يركب رَدْعَه * وفيه سنان زاعِبيٌّ محرَّبُ (٤)
وقد فرّ عنه الملحدون وحلَّقتْ * به وبمن آساه عَنقاءُ مُغْرِبُ (٥)
تولَّوا فخلَّوه فشالَ بشِلوه * طويل من الأجذاع عارٍ مشذَّبُ (٦)
بكفَّىْ غلام من ثقيف نَمَت به * قريش وذو المجد التليد مُعتِّبُ

٥

١٠

(١) فى الأصل : « المعلى » وإنما هو « المجلى » : السابق من الخيل . والعذرة : الناصية ، وقيل هى الخصلة من الشعر ، وعرف الفرس وناصيته .

(٢) الغمرات : جمع غمرة : وهى الشدة ، ومن أمثالهم « غمرات ثم ينجلين » . وفى ب ، س « إلى الجد » وهو تحريف والتصويب عن ط ، مط .

١٥

(٣) كان عبد الله بن الزبير يدعى المحل ، لإحلاله القتال فى الحرم ، وفى ذلك يقول رجل فى رملة بنت الزبير :

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

— الكامل للبرد ٢ : ٥٩٨ طبع أوروبا .

(٤) يقال للقتيل : ركب ردعه : إذا خر لوجهه على دمه . زاعبى : فى ط ، جـ ، وفى ب « زاغبى » وهو تصحيف ، وزاعب بلد أو رجل ومنه الرماح الزاعبية أو هى التى إذا هزت كأن كعوبها يجرى بعضها فى بعض . وحرب السنان : حدده .

٢٠

(٥) يقال : عنقاء مغرب ومغربة على الوصف وعنقاء مغرب بالإضافة ، وهى التى أغربت فى البلاد فنأت ولم تحس ولم تر .

(٦) الشلو : الجسد . شال به : رفعه ، أى أنه صلب على جذع طويل . والتشذيب : إصلاح الجذع .

٢٥

فقال له عبدُ الملك : لا تقل غلام، ولكن هُمام، وكتب له إلى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى؛ والله أعلم .

هجاؤه عبد الله ابن الزبير

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عدىّ ، عن مجالد قال : قتَل ابنُ الزّبير من شيعة بنى أميّة قوما بلغه أنهم ٥ يتجسّسون لعبد الملك ، فقال فيه عبد الله بنُ الزّبير فى ذلك يهجوه و يعيّره بفعله :

أيها العائذ فى مكّة كمْ * من دمٍ أهرقْتَه فى غير دمْ

أيَدٌ عائذةٌ معصمةٌ * ويد تقتل مَن حلَّ الحرَم!

مدحه بشر ابن مروان

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلىّ فيه إصلاحات بخطّه ، والكتاب بخط النضر بن حديد(١) من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره ، قال : ١٠ دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروانَ وعليه ثياب كان بشرٌ خلعَها عليه ، وكان قد بلغ بشرا عنه شىء يكرهه ، فجفاه ، فلما وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمل مَن حَواليه من بنى أمية ، و يجيل بصرَه فيهم كالمتعجّب من جمالهم وهيئتهم ، فقال له بشر ، إن نظرك يا بن الزّبير ليدلّ أن وراءه قولا ؛ فقال : نعم ؛ قال : قل ؛ فقال :

كأن بنى أُميــة حول بشر * نجــومٌ وَسْطَها قمــر منــير

١٥ هــو الفرع المقدّم من قريش * إذا أخذتْ مآخِذَها الأمــورُ

لقــد عمت نوافــلُه(٢) فأضحى * غنيّــا من نوافله الفقــير

جبَرْتَ مَهيضَــنا(٣) وعَدلْتَ فينــا * فعــاش البائس الكَلُّ الكسير

فأنت الغيثُ قــد علمتْ قريش * لنــا ، والوا كِفُ(٤) الجَوْنُ المطير

(١) فى ط ، مط « حبيب » . (٢) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية .

٢٠ (٣) هاض العظم : كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد يجبر فهو مهيض . الكل : من كان عيالا وثقلا على صاحبه . وفى ب ، جـ « الفقير » . (٤) وكف الماء : سال . الجون : يطلق على الأسود والأبيض ، وهو هنا الأسود أى السحاب الكثيف المتراكم .

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضىَ عنه، فقال ابن الزّبير :

لِبشرِ بنِ مروانٍ على الناس نعمة * تروح وتغـدو لا يطاقُ ثوابُها

به أمّن الله النفوسَ من الردى * وكانت بحـال لا يقَـرُّ ذُبابها[1]

دمغْتَ ذوى الأضغان يابشرعَنوةً * بسـيفك حتى ذَلّ منهـا صِعابها[2]

وكنت لنـا كهفاوحصنا ومَعقِلا * إذا الفتنـة الصّمّاء طارت عُقابها[3]

وكم لك يابشر بنَ مروانَ من يدٍ * مهـذّبة بيضـاءَ راسٍ ظِرابها[4]

وَطَدْتَ لنـا دينَ النبيّ محمـد * بحلمك إذ هرّت سَـفاهًا كلابُها[5]

وُسدتَ ابنَ مروانٍ قريشا وغيرَها * إذا السـنةُ الشهباءُ قـلَّ سَحابُها[6]

رَأَبْتَ ثَأَانا واصطنعتَ أياديًا * إلينـا ونارُ الحربِ ذاكٍ شِهابُها[7]

٤٥ / ١٣

شعره لبشر ابن مروان

قال النضر بن حديد فى كتابه هذا : ودخل عبدالله بنُ الزّبير إلى بشر بنِ مروان متعرّضا له ويُسمِعه بيتا[8] من شعره فيه، فقال له بشر: أراك متعرضا لأن أسمع منك،

---

(١) فى جـ « لا تقر ذبابها » . وفى ب وس « لا تفر ذبابها » وهو تحريف . والتصويب عن ط والذباب : الشرّ، أى لا يسكن شرها، والذباب أيضا : الجنون، أى لا يهدأ اضطرابها .

(٢) دمغت : علوت وقهرت .

(٣) فى س « وكنت لمـا » . الكهف : الملجأ وكذا المعقل . الفتنة الصماء : هى التى لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها فى ذهابها، لأن الأصم لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عما يفعـله . وقيل : هى كالحية الصماء التى لا تقبل الرقى . وفى جـ وب وس « القنة » وهو تحريف .

(٤) ظراب : جمع ظرب ككتف، وهو الجبل المنبسط .

(٥) وطدت : ثبت . هرّ الكلب هريرا، وهو صوته دون نباحه .

(٦) سـنة شهباء : إذا كانت مجدبة بيضاء من الجدب لا يرى فيها خضرة؛ وقيل الشهباء التى ليس فيها مطر .

(٧) الثأى كالثرى : الإفساد . ذكت النار : اشتد لهبها . والشهاب : شعلة من نار ساطعة .

(٨) كذا فى ج، ط، مط . والذى فى ب، س : «شيئا» .

وهل أبق أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئا ؟ لقد نزحتَ فيه بحوك يا ابن الزّبير؛ فقال : أصلح الله الأمير، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلا، وكانت له عندى أيادٍ كثيرة، وكنتُ لمعروفه شاكرا، وأيادى الأمير عندى أجلّ، وأملى فيه أعظم، وإن كان قولى لا يحيط بها ففى فضل الأمير على أوليائه ما قبل به ميسورهم، وإن أذن لى فى الإنشاد رجوتُ أن أوفّق للصواب . فقال : هات، فقال :

تداركنى بشرُ بنُ مروانَ بعد ما * تعاوَتْ إلى شِلوِى الذئابُ العواسلُ (١)

غياثُ الضعاف المُرملين وعصمةُ الـ * يتامى ومَن تأوى إليه العَباهل (٢)

قَريعُ قريشٍ والهمامُ الّذى له * أقرّت بنو قحطان طُرًّا ووائل (٣)

وقيسُ بن عَيلان وخِنْدِفُ كلُّها * أقرّت وجِنُّ الأرض طُرّا وخابِل (٤)

يداك ابنَ مروان يدٌ تقتل العدا * وفى يدك الأخرى غياثٌ (٥) ونائل

إذا أمطرَتْنا منك يوما سحابةٌ * رَوينا (٦) بما جادت علينا الأنامل

(١) الشلو : الجسد . والعواسل : جمع عاسل، عسل الذئب كضرب : اضطرب فى عدوه وهز رأسه

(٢) أرمل : نفد زاده . العباهلة : هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه (بالبناء للمجهول) وقد جاء هنا العباهل بغير تاء، وفى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم « إلى الأقيال العباهلة » وواحد العباهلة عبهل كجعفر والتاء لتأكيد الجمع، كقشعم وقشاعمة، ويجوز أن يكون الأصل عباهيل جمع عبهول أو عبهال فحذفت الياء وعوض منها الهاء، والأول أشبه .

(٣) القريع : السيد .

(٤) الخابل : الجن، جاء فى لسان العرب : الخبل بالتحريك : الجن وهم الخابل، وقيل الخابل : الجن، والخبل، اسم الجمع كالقعد والروح : اسمان لجمع قاعد ورائح، وقيل : هو جمع، وفى ط، ب، س « وحابل » وفى جـ « وحامل » وهو تحريف .

(٥) كذا فى ب وس والذى فى جـ، ط، مط « عقاب » .

(٦) كذا فى ط، مط والذى فى ب، س، جـ « عليه » .

فلا زلت يابشر بن مروانَ سيِّدا * يهُـلّ علينـا منـك طَلٌّ ووابل
فأنت المصفَّى يابن مروانَ والّذى * توافت إليـه بالعطاء القبـائلُ
يرجُّون فضـلَ الله عنـد دعائكمْ * إذا جمعَتـكمْ والحجيـجَ المنـازلُ
ولولا بنو مروان طاشت حُلومنا * وكنّا فَرَاشـا أحرقتْها الشـعائل

شـعره فى أمـير المؤمنين

فأمر له بجائزة وكساه خِلعـة ، وقال له : إنى أريد أن أوفِدَك على أمير المؤمنين ، فتهيّأْ لذلك يابنَ الزُّبير، قال :- أنا فاعل أيّها الأمير، قال : فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيتَه(١) إن شاء الله . فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال :

أقـول : أميرَ المؤمنين عَصَمتَنا * ببشر من الدهر الكثير الزّلازل(٢)
وأطفأتَ عنـا نارَ كلّ منـافق * بأبيضَ بُهـلولٍ طويل الحمائل(٣)
نَمَتْـه قُرومٌ من أميـة للعـــلا * إذا ٱفتخر الأقوام وَسْط المحافل(٤)
هو القائد الميمونُ والعِصمة التى * أتى حقُّها فينـا على كل باطل
أقام لنـا الدينَ القـويمَ بحِلمـه * ورأيٍ له فضـلٌ على كل قائل
أخوك أمير المؤمنين ومن به * نُجادُ ونُسقَى صَوْبَ أسحَم هاطل(٥)
إذا ما سألنـا رِفده هطَلَت لنـا * سحابة كفَّيـه بجَـوْدٍ ووابل(٦)
حلـيمٌ على الجُهّال منـا ورحمـةٌ * على كلّ حافٍ من مَعَـدٍّ وناعلِ

(١) فى س ، ب « وألقيته » وهو تحريف . (٢) الزلازل : البلايا والشدائد .
(٣) إذا قالت العرب : فلان أبيض ، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب ، وهو كثير فى شعرهم ، لا يريدون به بياض اللون ، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض . والبهلول : السيد الجامع لكل خير . الحمائل جمع حمالة بالكسر ، وهى علاقة السيف . وطويل الحمائل كناية عن أنه طويل القامة .
(٤) يقال : نماه جده : إذا رفع إليه نسبه ، ومنه قوله : « نمانى إلى العلياء كل سميدع » وقروم جمع قرم بالفتح ، وهو السيد . (٥) الصوب : المطر ، أسحم : أى سحاب أسحم : وهو الأسود المتكاثف .
(٦) الجود : المطر الغزير ، أو ما لا مطر فوقه ، جمع جائد .

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ؟ هـذا والله الشعر ، وهذه القـدرة عليه !
فقال له حَجّار بن أبجر العجلى ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيم المنزلة
عند بشر : هذا أصلحَ الله الأميرَ أشعرُ الناس وأحضَرُهم قولا إذا أراد ، فقال محمد
ابن عمير بن عطارِد — وكان عدوّا لحجّار — أيّها الأمير ، إنه لشاعر ، وأشعرُ منه
٥ الذى يقـول :

شعر الفرزدق فى بشر بن مروان

لبشرِ بنِ مروانٍ على كلّ حالة * من الدهرِ فضلٌ فى الرخاء وفى الجهد
قـريع قريش والذى باع ماله * ليَكسِب حَمْدا حين لا أحدٌ يُجْدى (١)
ينـافس بشر فى السماحة والنّدى * ليُحـرِزَ غاياتِ المكارم بالحمـد
فكم جبرتْ كفّاك يابِشرُ من فتًى * ضَريك،وكم عيّلت قوما على عمْد (٢)
١٠ وصيّرتَ ذا فقـرٍ غنيّاً ، ومثريا * فقيرا، وكلاًّ قد حذوتَ بلا وعد (٣)

خبره مع حجار ابن أبجر

فقال بشر : من يقول هـذا ؟ قال : الفرزدق، وكان بشر مُغْضَبا عليـه، فقال :
اِبعثْ إليه فأَحضِرْه ، فقـال له : هو غائب بالبصرة ، وإنّما قال هذه الأبيات
وبعث بها لأُنشِدَكَها ولترَضَى عنه ، فقال بشر : هيهات ! لست راضيا عنه حتى
يأتيَنى ، فكتب محمـد بن عمير إلى الفرزدق ، فتهيّأ للقدوم على بشر، ثم بلغـه أن
١٥ البَصْرة قـد جُمِعتْ له مع الكوفة ، فأقام وٱنتظر قدومَه ، فقال عبـد الله بن الزَّبِير
لمحمد بن عُمَير فى مجلسه ذلك بحضرة بِشر :

(١) أجدى : أعطى .
(٢) كلمة « كفاك » ساقطة من جـ ، ب ، س وقد أثبتناها عن ط ، مط . والضريك : الفقير السيء الحال . عيلهم : أهملهم .
(٣) حذوت : قدرت .

بنى دارمٍ هل تعرفون محمّدا (١) * بدعوته فيكم إذا الأمر حُقّقا

وسامِيتُمُ قوما كراما بمجدكم * وجاء سُكَيْتًا (٢) آخر القوم مخفِقا

فأصلُك دُهْمان بنُ نصرٍ فردّهم * ولا تك وَغْدا فى تميم معلّقا

فإن تميما لستَ منهم ولا لهمْ * أخًا يابن دُهمانٍ فلا تك أحمقا

ولولا أبو مروان لاقيْتَ وابِلًا (٣) * من السوط يُنسيك الرّحيق المعتّقا

أحينَ علاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهرا * وقلت اسقنى الصّهباء صِرفا مروّقا (٤)

تركت شرابَ المسلمين ودينَهم * وصاحبتَ وَغْدا من فَزارة أزرقا (٥)

تبيتان من شُرب المدامة كالّذى * أُتيح له حبلٌ فأضحى مخنَّقا

فقال بشر : أقسمتُ عليك إلّا كففتَ ، فقال : أفعلُ أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأَنفذتُ حِضْنَيْه (٦) بالحق، وكف ابن الزّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمت حجّار بن أبجر بمحمد بن عمير — وكان عدوّه — وأقبلت بنو أسد على ابن الزّبير فقالوا: عليك غضب الله، أشمتَّ حجّارا بمحمد، والله لا نرضى عنك حتى تهجوَه هجاءً يَرضَى به محمد بن عمير عنك، أو لست تَعلم أن الفرزدق أشعرُ العرب ؟

(١) دارم بن مالك بن حنظلة : بطن من تميم : ومحمد : هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى سيد تميم الكوفة . والدعوة فى النسب بالكسر : أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته .

(٢) السكيت : الذى يجىء آخر حلبة الخيل .

(٣) كذا فى ط ، مط . والذى فى باقى الأصول « واثلا » ؛ وهو تصحيف .

(٤) الصهباء : الخمر . والصرف : الخالص، ذكر الوصف حملا على المعنى ، أى شرابا صرفا مروقا . والرحيق : الخمر أو أطيبها .

(٥) أزرق ، أى أزرق العين ، أى شبيه بالروم ، وكان العرب يكرهون الروم وهم زرق العيون ، فكانت الزرقة أبغض شىء من ألوان العيون إلى العرب ، وكذا قالوا فى صفة العدو . أزرق العين .

(٦) الحضن : الجنب .

قال : بلى ، ولكن محمدا ظلمني وتعرّض لي، ولم أكن لأحلُمَ عنه إذ فعل، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجّارا ، فقال :

سليلَ النصارى سُدتَ عِجلا ولم تكن * لذلك أهْلًا أنْ تسود بني عِجْلِ[1]

ولكنّهم كانوا لئامًا فَسُدْتَهم * ومثلُك من ساد اللئامَ بلا عَقْل

وكيف بِعجلٍ إن دنا الفِصْحُ واغتدتْ * عليك بَنُو عِجل ومِرجَلُكم يَغْلي[2]

وعندك قِسّيس النصارى وصُلْبُها * وعانيَّةٌ صَهْباءُ مثلُ جَنَى النحل[3]

قال : فلما بلغ حجّارا قوله شكاه إلى بشر بن مروان ، فقال له بشر : هجوت حجّارا ؟ فقال : لا والله أعزّ الله الأمير، ما هجوتُه، لكنّه كذب عليّ، فأتاه ناس من بني عِجل وتهدّدوه بالقتل ، فقال فيهم :

تُهدِّدني عِجلٌ ، وما خِلتُ أنني * خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بعلُ[4]

وما خِلتُني والدهرُ فيه عجائبٌ * أُعمَّر حتى قد تهدّدني عِجلُ

وتُوعِدُني بالقتل منهم عصابةٌ * وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أصل

وعِجلٌ أُسود في الرخاء، ثعالبٌ * إذا التقت الأبطال واختلف النَّبل

فإن تَلْقَنا عِجلٌ[5] هناك فمالنا * ولا لهمُ مِ الموتِ مَنْجًى ولا وَعْل[6]

(١) بنو عجل : قبيلة من ربيعة ، وهو عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل . وفي ا ، جـ ، ب ، س « ومن يكن * كذلك أهل » ، وما أثبتناه عن ط ، مط .

(٢) الفصح : عيد للنصارى . (٣) صهباء : ذات صهبة بالضم : وهي حمرة أو شقرة .

(٤) الخلى : الرطب من النبات واحدته خلاة، وقيل : الخلاة كل بقلة قلعتها، والبعل من النخل : ما شرب بعروقه من غير سقى ولا ماء سماء . (٥) في ط ، مط « يوما » .

(٦) في ب ، س « والموت » وهو تحريف ، التصويب عن جـ ، ط ، مط . أي من الموت . والوعل : الملجأ .

منعه عبد الرحمن من الخروج إلى الشام

وقال النضر فى كتابه : لما منع عبدالرحمن بن أم الحكم عبدالله بن الزَّبير الخروجَ إلى الشأم، وأراد حبسه، لجأ إلى سُوَيد بن مَنْجوف، واستجار به، فأخرجه مع بنى شيبانَ فى بلادهم، وأجازه عَمَل ابن أمّ الحكم (١)، فقال يمدحه :

أليس ورائى إن بلادٌ تجهَّمتْ (٢) * سويدُ بنُ مَنْجُوف وبكربن وائلِ

حصونٌ بَراها الله لم يُرَ مثلُها * طِوالٌ أعاليها شِدادُ الأسافل

هُمُ أصبَحوا كَنْزِىَ الذى لستُ تاركًا * ونَبْلِى التى (٣) أعددتُها للمُناضِل

حجبه حاجب بشر فقال شعرا

وقال أيضا فى هذا الكتاب : جاء عبد الله بن الزَّبير يوما إلى بشر بن مروان، فحجبه حاجبُه ، وجاء حَجّار بن أبجَر فأذن له ، وانصرف ابن الزبير يومئذ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوسا، فدخل إليه، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول :

ألم تر أن الله أعطى فخَصَّنا (٤) * بأبيضَ قَرمٍ من أميةَ أزهرا

طَلوع ثنايا المجد (٥)، سامٍ بطَرفه * إذا سُئل المعروفَ ليس بأَوْعرا

فلولا أبو مروان بِشْرٌ لقد غَدت * ركابِىَ فى فَيْف (٦) من الأرض أغبرا

سِراعًا إلى عبد العزيز (٧) دوائبًا * تخَلَّلُ زَيتونا بمصر وعَرْعَرا

وحاربتُ فى الإسلام بكرَبنَ وائل (٨) * كحربِ كليب أو أمرّ وأمْقَرا

(١) أى يسر له أن يجتاز حدود ولايته .

(٢) تجهمه وتجهم له : استقبله بوجه كريه؛ وقوله : « وبكر بن وائل » لأن بنى شيبان من بكر.

(٣) كذا فى ط ، مط ، وفى باقى الأصول : « الذى » .

(٤) فى ب ، س : « أخصنا » ، والتصويب عن ط ، مط .

(٥) ثنايا : جمع ثنية ، وهو الطريق فى الجبل .

(٦) الفيف : المفازة كالفيفاة والفيفاء .

(٧) هو عبد العزيز بن مروان أخو بشر ، وكان واليا على مصر . والعرعر : شجر السرو .

(٨) بكر بن وائل : تقدم أن حجار بن أبجر من بنى عجل وهم من بكر بن وائل . وكليب : هو كليب ابن ربيعة الذى قتله جساس بن مرة ، ونشبت بقتله حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب . وأمقر : أمر ، وفى ط ، مط « وأسفرا » .

إذا قَادتِ الإسلامَ بَكرُ بن وائلٍ * فهَبْ ذاك دِينا قد تغيَّر مُهتَرا [1]

بأىِّ بلاءٍ أم بأىِّ نصيحةٍ * تُقدِّم مجَّارا أمامى ابنَ أبجَرا

وما زلتُ مذ فارقتُ عثمان صَادِيًا * ومروانَ مُلتاحا عن الماء أزورا [2]

ألا ليتنى قُدِّمتُ والله قبلَهم [3] * وأن أخى مَرْوان كان المؤخرا

بهم جُمع الشملُ الشَّتيتُ، وأُصلحَ الـ * إله، وداوَى الصَّدْعَ حتّى تجبَّرا

قضى الله: لا ينفكّ منهم خليفةٌ * كريمٌ يسوس الناسَ يركبُ منبرا

فاعتذر إليه بشرٌ ووصلَه وحمله، وأنكر على حاجبه ماتشكّاه، وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخصِّ أهله وأوليائه.

شعر لأبيه

وقال النضر فى كتابه هذا: كان الزبير بن الأَشْيَم — أبو عبد الله بن الزّبير [4] — شاعرا، وكان لعبد الله بن الزّبير ابن يقال له الزّبير شاعر، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الّذى يقول:

ألا يا لَقومى للرُّقاد المؤرِّقِ * وللرَّبع — بعد الغبْطَة — المتفرِّقِ [5]

وهمِّ الفتى بالأمرِ من دون نَيْله * مراتبُ صعباتٌ على كُلّ مُرْتَقى

ويوم بصحراء البَدِيدَيْن قِلتُه * بمنزلة النُّعمان وابن محرِّق

---

(١) هب: عدّ، أهتر الرجل وأهتر بالبناء للمجهول: ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن فهو مهتر، ورجل مهتر: مخطئ فى كلامه، والمعنى: فعدّه دينا فاسدا غير قويم.

(٢) الصادى: العطشان. الملتاح: المتغير. أزور: مائل، من الزور بالتحريك، وهو الميل. وعن الماء متعلق به.

(٣) كذا فى ط، مط والذى فى باقى الأصول: «فياليتنى».

(٤) فى جـ وب وس «أبو عبد الله محمد بن الزبير» بزيادة كلمة «محمد» وهو خطأ. والتصحيح عن ط، مط.

(٥) أى وللربع المتفرق بعد الغبطة، فصل بين الموصوف والوصف بمعمول الوصف، وهو جائز قال تعالى: «ذلك حشر علينا يسير». والغبطة: حسن الحال والمسرة.

وذلكِ عيش قد مَضَى كان بَعْدَه * أمورٌ أشابَتْ كلَّ شأن ومَفْرِق[1]

وغيَّر ما استنكرتِ يا أم واصلٍ * حوادثُ إلّا تَكْسِر العظم تَعرِق[2]

فراقُ حبيبٍ أو تغيُّر حالةٍ * من الدهر أو رامٍ لشخصى مُفوِّق

على أننى جَلْدٌ صبورٌ مرزَّأٌ * وهل تتركُ الأيامُ شيئا لمشفِق؟

شعر لابنه

وأما ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزَّبير، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء ابن خارجة الفزارىّ :

قالت عبيدةُ مَوْهِنًا * أين آعتراكَ الهمُّ أيْنَهْ[3]

هل تبلغنّ بك المُنَى * ما كنت تأمُل فى عُيينهْ

بدرٌ له الشِّيَم الكرا * م كاملاتٌ فاعتلَيْنَهْ

والجوعُ يقتُله النَّدَى * منه إذا قَحْطٌ ترَيْنَهْ

فهناك يَحْمَدُه الورَى * أخلاق غيركم اشتكينه

قال : وهو القائل فى بعض بنى عمّه :

ومولًى كداءِ البَطْنِ أو فوق دائه * يزيدُ موالى الصدقِ خيرًا وينقصُ[4]

تلوّمتُ أرجو أن يثُوب فيرعَوِى * به الحلمُ حتّى آستيأسَ المتربِّصُ[5]

(١) الشأن : موصل قبائل الرأس .

(٢) عرق العظم كنصر : أكل ما عليه من اللحم .

(٣) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه .

(٤) المولى : ابن العم . يقول : إن موالى الصدق يزيدون خيرا وهو ينقص .

(٥) تلوّم فى الأمر : تمكث وانتظر كتربص . يثوب : يرجع . واستيأس : يئس .

هروبه إلى معاوية

وقال النضر فى كتابه هذا : لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم إلى معاوية ، أحرق عبدُ الرحمن دَاره ، فتظلّم منه وقال : أحرق لى دارا قد قامت علىّ بمائه ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة دارا أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادعيت ؟ قال : هــذا المنذر بن الجارود حاضر و يعلم ذلك ، فقال معاوية للمنذر : ماعندك فى هذا؟ قال : إنى لم آبَه(١) لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنى لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها ، أعطانى عشرين ألف درهم وسألنى أن أبتاع له بها ساجًا من البصرة ، ففعلت ، فقال معاوية : إن دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم! وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ،ثم قال لهم : أىّ الشيخين عندكم أكذب؟ والله إنى لأعرف داره ، وما هى إلّا خِصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا فننخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

مدحه إبراهيم ابن الأشتر

أخبرنى الحسن بن على ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمد بن زكريا الغِلابىّ عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عدىّ قال : أتى عبدُ الله بن الزّبير إبراهيم ابن الأشتر النّخَعى فقال له : إنى قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ ، فقال : إنى لست أُعطِى الشعراء ، فقال : اسمعْها منّى وترى رأيك ، فقال : هات إذًا ، فأنشده قوله :

الله أعْـطاك المهـابَةَ والتُّــقَى * وأحلَّ بيتَك فى العَـديدِ الأكثرِ
وأقـرّ عينَك يوم وقْعَــةِ خازِرٍ(٢) * والخيــلُ تعــثُرُ بالقَنا المتكسِّرِ

(١) أى لم أحفل .

(٢) فى الأصول « جازر » وهو تصحيف ، وفى جـ « المتكثر » وهو تحريف ، وخازر : نهر بين إربل والموصل ، وكانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر ، وكان قد خرج مع المختار ابن أبى عبيد الثقفى للطلب بدم الحسين رضى الله عنه ، وقتل يومئذ ابن زياد سنة ٦٦ هـ .

إنّى مدحتُك إذ نَبَا بِىَ منزلى * وذممتُ إخوانَ الغِنَى مِنْ مَعْشَرِ
وعرفتُ أنك لا تخيِّب مِدْحتى * ومتى أكن بسبيل خيرٍ أَشْكُرِ
فهلمّ نحوى من يمينك نَفحةً * إن الزمان ألحّ يا بن الأشْتَرِ

فقال : كم ترجو أن أعطيَك ؟ فقال : ألف درهم أُصلح بها أمرَ نفسى وعيالى، فأمر له بعشرين ألف درهم .

صـــــوت

ما هاج شوقَك من بُكاء حَمَامَةٍ * تَدْعُـو إلى فَنَن الأَراك حَمَاما (١)
تَدعو أخا فَرْخين صَادَف ضَارِيًا * ذَا مِخلبين من الصُّـقُور قَطاما (٢)
إلا تَذَكُّرَكَ الأوانسَ بَعْـدَما * قطع المطىُّ سَبَاسِبًا وهُيَاما (٣)

الشعر لثابتِ قُطْنة ،وقيل إنه لكعب الأشقرىّ، والصحيح أنه لثابت، والغناء ليحيى المكّىّ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر، من رواية ابنه والهشامىّ أيضا .

(١) الفنن : الغصن وفى أ ، ط ، مط ، « على » والذى أثبتناه عن ب، س، جـ .
(٢) صقر قطام بفتح القاف وقطامىّ بفتحها وضمها : لحم .
(٣) سباسب : جمع سبسب كجعفر ، وهى الفلاة .

أخبار ثابت قطنة

نسب

هو ثابت بن كعب ، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب ، ويكنى أبا العَلاء ، أخو بنى أسد بن الحارث بن العتيك(١) ، وقيل : بل هو مولى لهم ، ولقب قطنة لأن سهما أصابه فى إحدى عينيه فذهب بها فى بعض حروب التُّرك ، فكان يجعل عليها قطنة ، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية ، وكان فى صحابة يزيد بن المهلب(٢) ، وكان يولّيه أعمالا من أعمال الثغور ، فيُحمد فيها مكانُه لكفايته(٣) وشجاعته .

فأخبرنى إبراهيم بن أيوب قال : حدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيبة ، وأخبرنى على ابن سليمان الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان ثابت قطنة قد ولى عملا من أعمال خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام ، فتعذّر عليه وحَصِر ، فقال : (سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) ، وبعد عِيٍّ بَيانا ، وأنتم إلى أمير فعّال ، أحوج منكم إلى أمير قوّال :

وإلّا أكن فيكم خطيبًا فإنّنى * بسَيْفى إذا جدّ الوغَى لخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بنَ صَفْوان — ويقال الأحنفَ بن قيس — فقال : والله ماعلا ذلك المنبرَ أخطبُ منه فى كلماته هذه ، ولو أن كلاما استخفّنى ، فأخرجنى من بلادى إلى قائله استحسانا له ، لأخرجتْنى هذه الكلمات إلى قائلها ، وهذا الكلام بخالد ابن صفوانَ أشبهُ منه بالأحنف .

(١) فى جـ ، ب ، س « القتيك » وهو تحريف . والعتيك كأمير : فخذ من الأزد ، وهو العتيك ابن الأزد .

(٢) ولى خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبى صفرة سنة ٧٢ فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وعزل عنها سنة ٨٦ ، ولما ولى الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ ولاه أمر العراق ، ثم ولاه خراسان سنة ٩٧

(٣) فى ا ، ب ، س : « لكتابته » .

صلاته الجمعة بالناس

أخبرنى محمّد بنُ خلف وكيع قال: حدّثنى أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل ابن على، قال: كان يزيد بن المهلب تقدّم إلى ثابت قطنة (١) فى أن يصلّى (٢) بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يُطق الكلام، قال حاجبُ الفيل يهجوه:

[أبا العَلاءِ لقد لُقِّيتَ معضلةً * يومَ العَروبة (٣) من كربٍ وتخنيق
أمّا القُران (٤) فلم تخلَق لمحكَمه * ولم تسدَّد من الدنيا لتوفيق
لمّا رمتْك عيونُ الناس هِبتَهمُ * فكدتَ تَشرَق لمّا قمتَ بالرِّيق
تلوِى اللسانَ وقد رُمتَ الكلامَ به * كما هَوَى زَلِقٌ من شَاهقِ النِّيق (٥)

خبر حاجب الفيل مع يزيد بن المهلب

أخبرنى عمى قال: حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال: حدّثنى على بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازنى — وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الأشقرى — أن حاجبا دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده]:

إليك امتطيتُ العِيسَ (٦) تسعين ليلة * أرجِّى ندَى كفَّيكَ يا بن المهلَّب
[وأنت امرؤٌ جادَتْ سماءُ يمينه * على كل حىٍّ بين شَرقٍ ومَغْرب] (٧)
فَجُدْ لى بطِرْفٍ (٨) أعوجِىٍّ مشهَّر * سَليم الشَّظا عَبْلِ القوائم سَلْهَب

(١) تقدّم إليه فى كذا: أمره به. (٢) فى ط، ب «ثابت بن قطنة»، وهو تحريف.
(٣) ما بين مربعين ساقط من ط، مط؛ وقد أثبتناه عن جـ، ب، س. ويوم العروبة: يوم الجمعة. (٤) القران: مسهل عن القرآن.
(٥) النيق: أرفع موضع فى الجبل. (٦) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.
(٧) سقط هذا البيت من ط، مط.
(٨) الطرف: الكريم من الخيل. أعوجىّ: نسبة إلى أعوج، وأعوج: فرس كريم سابق كان لبنى هلال، ركب صغيرا فاعوجت قوائمه، وإليه تنسب الخيل الكرام، فيقال: الخيل الأعوجية. مشهر ومشهور: معروف المكان مذكور. والشظا: عظم لاصق بالركبة. عبل: ضخم؛ والسلهب من الخيل: ما عظم وطال عظامه. وفى ط، مط، جـ «منهب» والمنهب: الفائق فى العدو.

سبوحٍ طموحِ الطَّرفِ يَسْتَنُّ مِرْجَمٍ * أُمِرَّ كإمرار الرِّشاء المشذَّب [(١)]

طوى الضُّمْرُ منه البطنَ حتى كأنه * عقاب تدلّت من شماريخ كَبْكَب [(٢)]

تُبادر جُنْحَ الليلِ فَرْخين أقْوَيا * من الزاد فى قَفْرٍ من الأرض مجدِب [(٣)]

فلمّا رأت صَيْدًا تدلّتْ كأنها * دَلاةٌ تَهاوَى مَرْقبًا بعد مَرقب [(٤)]

فشكّت سوادَ القلب من ذئبٍ قَفْرةٍ * طويلِ القَرا عارِى العظام معصب [(٥)]

وسابغةٍ قد أَتْقَن القَينُ صنعَها * وأسمرَ خَطِّىٍّ طويلٍ مُحَرَّب [(٦)]

وأبيضَ من ماء الحديد كأنه * شِهابٌ متى يَلْقَ الضَّريبةَ يَقْضِب [(٧)]

وقل لى إذا ما شئتَ فى حَوْمة الوغى * تقدَّمْ أو اركبْ حومةَ الموت أَركب

فإنى امرؤٌ من عُصْبةٍ مازنيّةٍ * نَمانِى أبٌ ضخمٌ كريمُ المركَّب

قال: فأمر له يزيدُ بدرع وسيف ورُمح وفرس، وقال له: قد عرفتَ ما شرطْتَ لنا على نفسك ؟ فقال: أصلح الله الأمير، حجّتى بيّنة، وهى قول الله عزّ وجل:

---

(١) فرس سبوح: يسبح بيديه فى سيره. استن الفرس فى المضمار: إذا جرى فى نشاطه على سننه فى جهة واحدة. وفى ب، س « يستر » وهو تحريف. وفرس مرجم: يرجم الأرض بحوافره. أمر الحبل إمرارا: أحكم فتله. الرشاء: الحبل.

(٢) كبكب: جبل بعرفات، شماريخ: جمع شمراخ، وهو رأس الجبل.

(٣) جنح الليل: أى فى جنح الليل وهو الطائفة منه. أقوى: افتقر (واستغنى أيضا، ضد).

(٤) الدلاة: الدلو. تهاوى: تساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب.

(٥) سواد القلب: حبته. القرا: الظهر. المعصب: الجائع. وفى ط، جـ « من ذنب » وهو تحريف.

(٦) وسابغة: معطوف على « طرف » أى بدرع سابغة وهى التامة الطويلة. القين: الحدّاد. وفى جـ « قد أيقن صنعها » وفيه تصحيف وسقط. والأسمر: الرمح. والخطىّ: نسبة إلى الخط، مرفأ السفن بالبحرين، وكانت تباع به الرماح. حرب السنان: حدده. وفى ط، جـ، س، مط « مجرب ».

(٧) أبيض، أى وسيف أبيض. والشهاب: شعلة من نار ساطعة. والضريبة: ما يضرب. يقضب: يقطع.

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾. فقال [له](١) ثابت قطنة : ما أعجبَ ما وفدتَ به من بلدك فى تسعين ليلة! مدحتَ الأمير ببيتين، وسألته حوائجك فى عشرة أبيات، وختمتَ شعرك ببيت تفخر عليه فيه، حتى إذا أعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه، فقال له يزيد : مَهْ يا ثابت، فإنّا لا نُخدَع، ولكنا نتخادع، وسوّغه(٢) ما أعطاه، وأمر له بألفى درهم. ولجّ حاجب يهجو ثابتا فقال فيه :

لا يعرفُ الناسُ منه غيرَ قُطنتِه * وما سِواها من الأنسابِ مجهولُ

خبره مع حاجب الفيل عند يزيد

قال : ودخل حاجب يوما على يزيد بن المهلّب، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقرى — وكانا لا يفارقان مجلسه — فوقف بين يديه فقال له : تكلّم يا حاجب، فقال : يأذن لى الأمير أن أُنشده أبياتا، قال : لا حتى تبدأ فتسألَ حاجتك، قال : أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب فى وصفك موفّيك حقك، ولكنّ المجتهد محسن، فلا تهجنى بمنعى الإنشادَ، وتأذن لى فيه، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسألتى. فقال له يزيد : هات، فما زلتَ مُجيدا محسنا مجملا. فأنشده :

كم من كمِيٍّ فى الهِياج تركتَه * يَهوِى لِفيه مُجدَّلا(٣) مقتولا
جلّلتَ(٤) مفرِقَ رأسه ذا رَونق * عضبَ المهزّة صارِمًا مصقولا
قُدتَ الجيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ * حتى اكتهلتَ ولم تزل مأمولا
كم قد حَرَبتَ(٥) وقد جبرتَ معاشرا * وكم امتننتَ وكم شفيتَ غليلا

(١) عن ط، مط. (٢) سوّغه ما أعطاه : تركه له خالصا.
(٣) الكمىّ : الشجاع المتكمى فى سلاحه، المتغطى به. جدّله : صرعه.
(٤) جللت ... : أى علوته بسيف ذى رونق قاطع.
(٥) حربه يحربه حربا، كطلبه يطلبه طلبا : أخذ ماله وتركه بلا شىء.

فقال له يزيد : سل حاجتك، فقال : ما على الأمير بها خفاء، فقال : قل، قال : إذًا لا أقصر ولا أستعظم عظيما أسأله الأمير أعزّه الله مع عظم قدره، قال : أجل، فقل يُفعَل، فلستَ بما تصير إليه أغبطَ منا، قال : تحملنى وتُخدِمنى[1] وتجزل جائزتى، فأمر له بخمسة تخوتِ[2] ثياب وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَوْن وخمسة آلاف درهم، فقال حاجب :

شِمِ الغَيثَ وانْظُرْ وَيْكَ أين تبعَّجتْ[3] * كُلاه تَجِـدْها فى يَدِ ابن المهلَّب

يداه يدٌ يُجـزى بها اللهُ مَن عصَى * وفى يَدِهِ الأخرَى حياةُ المعصَّب[4]

قال : فحسده ثابتُ قُطْنة وقال : والله لو على قدر شِعرك أعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوًى، ولكنه أعطاك على قدره، وقام مغضَبا، وقال لحاجبِ يزيدَ بن المهلّب : إنما فعل الأمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا ، وإلّا فلو أنا اجتهدنا فى مديحه ما زادنا على هذا، وقال ثابت قطنة يهجو حاجبا حينئذ :

أحاجبُ لولا أنّ أصلَك زَيِّفٌ[5] * وأنّك مطبوعٌ على اللؤم والكفرِ

وأنّى لو أكثرتُ فيـك مقصّرٌ * رميتُك رمياً لا يَبيـد يَدَ الدهرِ[6]

فقـل لى ولا تكذِبْ فإنّى عالمٌ * بِمثْلك هل فى مازنٍ لك من ظَهـر؟[7]

---

(١) أخدمه : أعطاه خادما يخدمه .

(٢) تخوت : جمع تخت ، وهو وعاء تصان فيه الثياب .

(٣) شام البرق : نظر إليه أين يمطر . ويك : وى اسم فعل بمعنى أعجب ، والكاف للخطاب أو أصله ويلك وحذفت اللام لكثرة الاستعمال . تبعج السحاب بالمطر : انفرج عن الوبل الشديد ، وكلية السحاب : أسفله ، والجمع كلى .

(٤) المعصب : الذى عصبته السنون أى أكلت ماله ، والذى يتعصب بالخرق من الجوع .

(٥) فى ط « زيفة » وما أثبتناه عن باقى الأصول .

(٦) يد الدهر : مدزمانه .

(٧) من ظهر : أى من أنصار وقوة . وفى جـ « فإنك عالم » وهو تحريف .

فإنك منهم غير شك ولم يكن * أبوك من الغر الجحاجحة الزهر (١)

أبوك دِيافِىٌّ وأمك حُرَّة * ولكنها لا شك وافية البظر (٢)

فلست بهاج ابن ذبيان إننى * سأكرم نفسى عن سباب ذوى الهجر (٣)

هجاء حاجب له

فقال حاجب : والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده، ولا بهجاء الأزد كلها، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طُرّا؛ فقال يهجوهم :

٥

دعونى وقحطانا وقولوا لثابت * تنح ولا تقرب مُصاولة البُزْل (٤)

فللزنج خير حين تنسب والدا * من ابناء قحطان العفاشلة الغُرْل (٥)

أناس إذا الهيجاء شبت رأيتهم * أذل على وطء الهوان من النعل (٦)

نساؤهم فوضى لمن كان عاهرا * وجيرانهم نهب الفوارس والرجل

شعره عن نفسه

أخبرنى وكيع قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : وحدّثنى دعبل قال : بلغنى أن ثابت قطنة قال هذا البيت فى نفسه وخطر بباله يوما فقال :

١٠

٥٢/١٣

لا يعرف الناس منه غير قطنته * وما سواها من الأنساب مجهولُ

وقال : هذا بيت سوف أُهجَى به أو بمعناه، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال : اشهدوا أنّى قائله ، فقالوا : ويحك ما أردت [إلا] (٧) أن تهجو

(١) الجحجح بكعفر : السيد كالجحجاح . والجمع جحاجح وجحاجحة .

١٥

(٢) دياف : من قرى الشام، وقيل من قرى الجزيرة ، وأهلها نبط ، وإذا عرضوا برجل أنه نبطى نسبوه إليها . وفى ب و س « ديابى » ؛ وهو تحريف .

(٣) الهجر : القبيح من الكلام . (٤) البزل جمع بازل : وهو الرجل الكامل فى تجربته .

(٥) العفاشلة جمع عفشل بكعفر : وهو الثقيل الوخم وفى ط ، مط ، ء « التنابلة » ؛ والتنبل : الرجل القصير . والغرل : جمع أغرل، وهو الذى لم يختتن . (٦) الهيجاء : الحرب .

٢٠

(٧) سقطت هذه الكلمة من جميع الأصول . وسياق الكلام يقتضيها .

نفسك به، ولو بالغ عدوّك ما زاد على هـذا . فقال : لابدّ من أن يقع على خاطر غيرى ، فأكون قد سبقتُه إليه، فقالوا له : أما هـذا فشرّ قد تعجّلته، ولعلّه لا يقع لغيرك، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدَهم على أنه هو قائله، فشهدوا على ذلك، فقال يردّ على حاجب :

٥ هَيهاتَ ذلك بيتٌ قد سُبقت به * فاطلبْ له ثانيًا يا حاجبَ الفيلِ

أخبرنى أحمد بن عثمان العسكرىّ المؤدّب قال: حدّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزىّ قال : حدّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهلىّ عن أبى عبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوما من الشُّراة(١) وقوما من المرجئة(٢) كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه ، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها

١٠ فى الإرجاء :

(١) يسمى الخوارج أنفسهم « الشراة » ، جمع شار كقاض وقضاة ، من شرى كرمى بمعنى باع ، لقولهم : شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بعناها ووهبناها ، أخذ من قوله تعالى : «ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » أو من شرى بمعنى اشترى لقولهم : شرينا الآخرة بالدنيا أى اشتريناها .

(٢) المرجئة : فرقة من الفرق الإسلامية ؛ والإرجاء على معنيين : أحدهما التأخير ، من

١٥ أرجاه إذا أخره ، وترك المجزلة فيه ، قال تعالى « قالوا أرجه وأخاه » أى أمهله وأخره ، والثانى : إعطاء الرجاء ، وعلى هذا فهو من أرجى أى بعث فيه الرجاء ، أما إطلاق اسم المرجئة على هذه الجماعة بالمعنى الأول فلأنهم كانوا يؤخرون العمل عن الإيمان ؛ وأما بالمعنى الثانى فلأنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وقيل : الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا ، وقد غلت طائفة من المرجئة فقالوا : « إن الايمان عقد

٢٠ بالقلب ، و إن أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية فى دار الإسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث فى دار الإسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عز وجل ، ولىّ لله ، من أهل الجنة » .

وقيل : إن أول من قال بالإرجاء الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب ، وكان يكتب فيه الكتب إلى الأمصار ، إلا أنه ما أخر العمل عن الايمان كما قالت المرجئة ، لكنه حكم بأن صاحب الكبيرة

٢٥ لا يكفر ، إذ الطاعات وترك المعاصى ليست من أصل الايمان حتى يزول الإيمان بزوالها — انظر الملل والنحل للشهرستانى ١ : ١٤٤ ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٩٠

يا هندُ إنى أظنُّ العيشَ قد نفِدا * ولا أرَى الأمرَ إلا مُدْبِرا نَكِدا(١)

إنى رَهينَـــةُ يومٍ لستُ سابقَــه * إلّا يكن يومُنا هــذا فقــد أفِدا(٢)

بايعتُ ربّى بيعًا إن وفيتُ به * جاورتُ قتلَى كرامًا جاوَروا أُحُدا(٣)

يا هنــدُ فاستمعى لى إنّ سيرتَنا * أن نَعْبُــدَ اللهَ لم نشركْ به أحدَا

نُرجى الأمــورَ إذا كانتْ مشبَّهة * ونصدُق القولَ فيمن جارَ أو عندا(٤)

المســلمون على الإسلام كلّهــم * والمشركونَ أشَــتُّوا دِينهــمْ قِددا(٥)

ولا أرى أن ذنبــا بالغٌ أحَــدًا * مِ الناسِ شِركا إذا ما وحَّدوا الصمدا(٦)

لا نَســفِك الدمَ إلّا أن يراد بنــا * سَفْكُ الدماء طريقا واحدًا جِدَدا(٧)

من يتّق الله فى الدنيا فإنّــ له * أجرَ التــقىِّ إذا وُفِّى الحسابَ غدا

وما قَضَى اللهُ من أمرٍ فليسَ له * رَدٌّ، وما يَقضِ من شىء يكن رَشَدا

كلّ الخــوارج مُخْطٍ فى مَقَالتــه * ولو تعبَّــد فيما قَالَ واجْتَهَـــدا

أما عــلىٌّ وعثمانٌ فإنهمـــا * عَبْــدان لمَ يُشرِكا بالله مذ عَبَــدا

وكان بينهما شَــغْب وقد شهِدا * شقَّ العصا، وبعينِ الله ما شَهِدا(٨)

يُجــزَى علىٌّ وعثمانٌ بسَــعْيِهما * ولستُ أدرى بحــقٍّ أيّةً وَرَدا

الله يعــلم ماذا يَحضُران به * وكلُّ عبــد سيلقى اللهَ منفــردا

(١) نفد : فنى . (٢) أفد : دنا وأزف .

(٣) أحد : جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أحد المشهورة .

(٤) عند عن الطريق عنودا : مال .

(٥) فى ب ، س « استووا فى دينهم » . واشتوا : فرقوا . وقددا ، أى فرقا مختلفة أهواؤها جمع قدة بالكسر .

(٦) بالغ أحدا ، أى بالغ من أحد . (٧) طريق جدد : مستو .

(٨) فى ب ، س : الشــغب . وهو تهييج الشر . وفى أ ، جـ ، ط ، مط : « الشــعب » . والشعب : الصدع والتفرق . ويقال : شقوا عصا المسلمين : أى شقوا اجتماعهم وائتلافهم .

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب بخط المُرهِبيّ الكوفى فى شعر ثابت قطنة، قال : لما ولى سعيد بن عبدالعزيز[1] بن الحارث بن الحكم بن أبى العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم ، جلس يَعرِض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسى وعُبادة المحاربى ، فلما دُعِىَ بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامَّ السلاح ، جَوادَ الفرس ، فارسا من الفرسان ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ثابتُ قطنة ، وهو أحد فُرْسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال له حميد وعبادة : هذا أصلحك الله الذى يقول :

إنا لضرّابون فى حَمَس الوَغى * رأسَ الخليفة إن أراد صدودا[2]

فقال سعيد : علىّ به ، فردّوه وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال له : أنت القائل :

* إنا لضرّابون فى حَمَس الوغى *

قال : نعم ، أنا القائل :

إنا لضرّابون فى حَمَس الوغى * رأسَ المتوّج إنْ أراد صُدُودا
عن طاعة الرحمن أو خُلَفائه * إن رام إفسادا وكرَّ عُنُودا

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنك خرجتَ منها لضربتُ عنقَك ، قال : وبلغ ثابتا ما قاله حُميد وعُبادة ، فأتاه عبادة معتذرا ، فقال [له][3] : قد قبلت عذرك ، ولم يأته حميد ، فقال ثابت يهجوه :

وما كان الجُنَيد ولا أخوه * حميدٌ من رءوس فى المعالى

(١) فى ب ، س «العزى» .
(٢) حمس الأمر كفرح حمسا : اشتد .
(٣) عن «ط» وسقطت من جميع الأصول .

فإن يك دغْفَلٌ[1] أمسى رهينًا * وزيدٌ والمقيم إلى زوال

فعندكُمُ ابن بشر فاسألوه * بمرو الرُّوذِ[2] يَصدُق فى المقال

ويخبر أنه عبدٌ زَنيمٌ[3] * لئيم الجَدّ من عمٍّ وخال

قال: واجتاز ثابت قطنة فى بعض أسفاره بمدينةٍ كان أميرُها محمدُ بنُ مالك بنِ بدر[4] الهَمْدانى ثم الخَيوانى[5]، وكان يُغمَز فى نسبه، وخطب إلى قوم من كِنْدةَ فردّوه، فعرف خبر ثابت فى نزوله، فلم يُكرمه، ولا أمَر له بقِرًى، ولا تفقّده بنُزُلٍ[6] ولا غيره، فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيّره بردّ من خطب إليه:

(١) فى جـ «دعيلا» وفى ب، س، ط، مط «دعبل» وهو تحريف صوابه «دغفل»، وهو دغفل ابن حنظلة النسابة من بنى ذهل بن ثعلبة بن عكابة، كان أعلم أهل زمانه بالأنساب، ومن أمثالهم: أنسب من دغفل، وقد وفد على معاوية، وقتلته الأزارقة، وله حديث طويل مع معاوية حين قدم عليه مع وفد العراق — اقرأه فى ذيل الأمالى ص ٢٦، ج ٢: ٢٠٢، ومجمع الأمثال ج ١: ص ١٣ فى المثل: «إن البلاء موكل بالمنطق»، وفى العقد الفريد ٢: ٥٥، والمعارف لابن قتيبة: ٢٣٢ وبلوغ الأرب ٣: ١٩٨

وزيد: هو زيد بن الكيس النمرى من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط، كان نسابة»، قال أبو عبيدة: إنه ممن يقارب دغفلا فى العلم بالأنساب من العرب، وفيه وفى دغفل يقول مسكين بن عامر:

فحكم دغفلا وارحل إليه * ولا تدع المطىّ من الكلال

أو ابن الكيس النمرىّ زيدا * ولو أمسى بمنخرق الشمال

— تاج العروس «كيس»، وبلوغ الأرب ٣: ٢٠٢

(٢) مرو الروذ: مدينة بخراسان، مات بها المهلب بن أبى صفرة.

(٣) الزنيم: الدعىّ. واللئيم: المعروف بلؤمه وشره.

(٤) كذا فى ب، س، جـ، والذى فى ط، مط: «يزيد».

(٥) فى ب، س «الحرانى» وهو تحريف التصويب عن ط، جـ، مط. نسبة إلى خيوان ابن نوف (كشمس) بن همدان.

(٦) النزل كعنق وقفل: ما هيىء للضيف أن ينزل عليه.

لو أنّ بَجيلاً هُمُ قومُه (١) * وكان أبوه أبا العاقب

لأكرمَنا إذ مَرَرْنا به * كرامةَ ذي الحسَب الثاقب

ولكنّ خيوانَ هُمْ قومُه (٢) * فبئس هم القومُ للصّاحب

وأنت سَنِيدٌ بهم مُلصَق (٣) * كما ألصِقتْ رُقعةُ الشاعب

وَحسْبُك حَسْبُك عند الثّنا (٤) * بأفعال كِندةَ من عائب

خَطبتَ فأزْوَك لما خطبتَ (٥) * جزاءَ يَسارٍ من الكاعب

(١) بجيل : حىّ من همدان ، هم بنو بجيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان : والعاقب : الذى يخلف السيد . (٢) فى جـ ، ب ، س «حيوان» وهو تصحيف . ولعل الصواب ما أثبتنا . ورواية ط ، مط : * فبئس أخو القوم والصاحب *

(٣) السنيد : الدعىّ ، شعب صدع الإناء كنع : أصلحه ولأمه .

(٤) الثنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سىء يقال فلان حسن الثنا ، وقبيح الثنا ، وفى جـ و ب س : « الشيا » ، وفى ط ، مط : « الشتا » ؛ وهو تحريف .

(٥) من أمثالهم : لق ما لاقى يسار الكواعب ، والكاعب : الجارية التى كعب ثدياها أى نهدا ، ويسار : عبد أسود دميم ، وكان يقال له يسار الكواعب لأن النساء إذا رأينه ضحكن منه لقبحه ، فكان يظن أنهن يضحكن من إعجابهن به ، حتى نظرت إليه امرأة مولاه فضحكت فظن أنها خضعت له ، فقال لصاحب له أسود كان يكون معه فى الإبل : قد والله عشقتنى مولاتى فلأزورنها الليلة ، ولم يكن يفارق الإبل ، فقال له صاحبه : يا يسار ، اشرب لبن العشار ، وكل لحم الحوار ، (بالضم وقد يكسر : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه) و إياك و بنات الأحرار ، فقال له : يا صاحب ، أنا يسار الكواعب ، والله ما رأتنى حرّة إلا عشقتنى ، فلما أمسى قال لصاحبه : احفظ علىّ الإبل حتى أنصرف وأعود إليك ، فنهاه فلم ينته ، حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها ، فقالت له : مكانك ، فإن للحرائر طيبا أشمك إياه ، فقال : هاتيه ، فأتته بطيب وموسى قاطعة ، فأشمته الطيب ثم انحنت بالموسى على أنفه فقطعته ، وقيل : وضعت تحته بخورا وقطعت مذاكيره ، فصاح ، فقالت : صبرا على مجامر الكرام ، ثم خرج هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل — انظر سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة المصرى ص ٢٧٠

وفى مجمع الأمثال للميدانى ٢ : ٢٤٨ أنه كان لمولى يسار بنت ، فرّت يوما بإبله وهى ترتع فى روض معشب ، فجاء يسار بعلبة لبن فسقاها ، وكان أفحج الرجلين ، فنظرت إلى فحجه فتبسمت ثم شربت وجزته خيرا ، فانطلق فرحا حتى أتى عبدا كان يراعيه ، وقص عليه القصة وقال : دخلت إلىّ دخلة لا أخيبها (يقول : ضحكت ضحكة) ثم قام إلى علبة فلأها وأتى بها ابنة مولاه ... فوضعت البخور تحته وتطأطأت كأنها تصلح البخور وأخذت مذاكيره وقطعتها بالموسى ، قال الفرزدق يخاطب جريرا :

وإنى لأخشى إن خطبت إليهم * عليك الذى لاقى يسار الكواعب

كذبتَ فزيّفتَ عقدَ النكاح * لِمَتِّكَ بالنَّسب الكاذب[1]

فلا تخطبنْ بعدها حُرّةً * فتُثْنَى بوسْمٍ على الشارب[2]

هجاؤه لقتيبة ابن مسلم

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان لثابت قطنة راويةٌ يقال له النضر، فهجا ثابتُ قطنةُ قتيبةَ بنَ مسلم وقومَه، وعيّرهم بهزيمة انهزموها عن التُّرْك، فقال :

توافتْ تميمٌ فى الطِّعان وعرّدتْ * بُهَيْلةُ لمّا عاينتْ معشرًا غُلْبا[3]

كُماة كُفاة يرهَب النّاسُ حدَّهم * إذا مامشَوْا فى الحرب تحْسَبهم نُكْبا[4]

تُسامون كعبًا فى العُلا وكِلابَها * وهيهاتَ أن تلقوْا كِلابًا ولا كَعْبا

قال : فأفشى عليه راويتُه ما قاله، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات :

يا ليت لى بأخى نضير أخا ثقة * لا أرهب الشرَّ منه غابَ أم شهدَا

أصبحتُ منك على أسبابِ مَهْلكةٍ * وزَلّةٍ خائفا منك الردَى أبدا[5]

ما كنتَ إلا كذئب السُّوءِ عارضَهُ * أخوه يدمى فَفَرَى جِلْدَه قِددا

(١) المت : التوسل بقرابة .

(٢) تثنى : ترد . والوسم : أثر الكىّ .

(٣) كذا فى جـ ، ط ، مط . وعرّدت : هربت . وبهيلة : تصغير باهلة : قوم قتيبة تصغير ترخيم ؛ ويؤيد ذلك قوله : « فهجا ثابت قطنة قتيبة بن مسلم وقومه » . غلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

(٤) نكبا : جمع نكباء وهى كل ريح من الرياح الأربع ، انحرفت ووقعت بين ريحين ، وهى تهلك المال وتحبس القطر ، والنكب من الرياح أربع : نكباء الصبا والجنوب ، ونكباء الصبا والشمال ، ونكباء الشمال والدبور ، ونكباء الجنوب والدبور .

(٥) رواية ط ، مط : * وزلة خائفا من شرها أبدا *

أو كابن آدم خَلَّى عن أخيه وقد * أدْمَى حَشَاهُ ولم يبسط إليْـه يدا[(١)]

أهم بالصَّرف أحيـانًا فيمنعنِي * حيًّـا ربيعةَ والعَقْد الذى عَقَـدَا

رثاؤه المفضل ابن المهلب

ونسخت منه أيضا قال : لمـا قتـل المفضل[(٢)] بن المهلب دخل ثابت قطنـة على هند بنت المهلب ، والناس حولها جلوس يعزّونها ، فأنشدها :

ياهند كيف بِنُصْبٍ باتَ يَبْكِينِى * وعائرٍ فى سَـواد الليل يؤذينى[(٣)]

كأنّ لَيْلِيَ والأصـداءُ هاجدةٌ * ليلُ السَّليم ، وأعيا من يُداوينى[(٤)]

لمَّا حنى الدهرُ من قَوْسى وعذّرنى * شيبى وقاسيتُ أمرَ الغَلْظ واللين[(٥)]

إذا ذكرتُ أبا غسّانَ أرّقَـنى * همٌّ إذا عرّس السَّارُونَ يُشجينى[(٦)]

---

(١) يشير إلى ابنى آدم قابيل وهابيل ، إذ قربا قربانا إلى الله وهو زروع لقابيل وكبش لهـابيل ، فتقبل من هابيل ، فنزلت نار من السماء فأكلت قربانه ولم يتقبل من قابيل ، فغضب وقتل أخاه .

(٢) بعد هزيمة يزيد بن المهلب وقتـله — كما سيأتى بعد — اجتمع آل المهلب بالبصرة وأمروا عليهم المفضل بن المهلب ، وخرجوا الى كرمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، وبعث مسلمة بن عبدالملك فى طلبهم ، وقد اجتمعت الفلول إلى المفضـل بفارس ، فأدركوهم فى عقبة واشتدّ قتالهم إياه ، فقتل المفضل وجماعة من خواصه ، وقتـل آل المهلب عن آخرهم إلا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل ، فإنهما نجوا فلحقا برتبيل ملك الترك .

(٣) النصب بالفتح والضم وبضمتين : الداء والبلاء . والعائر : كل ما أعل العين ، والرمد ، والقذى كالعوّار .

(٤) الأصداء : جمع صدى ، وهو الصوت . والهجود : النوم . والسليم : الملدوغ . أعيا : أعجز .

(٥) كذا فى ط ، مط . والذى فى باقى الأصول :

* قاسيت منه أمر الغلظ واللين *

وعذرنى : من عذر الدار : طمس آثارها ، والمعنى : هدّنى وهدمنى ، وفى جـ «وغدرنى» وهو تصحيف . والغلظ بفتح اللام وخفف هنا بتسكينها للشعر .

(٦) عرّس القوم : نزلوا فى آخر الليل للاستراحة . سرى : سار ليلا ، شجاه وأشجاه : أحزنه .

كان المفضّل عِزًّا فى ذوى يَمَنٍ * وعِصمةً وثِمالا للساكين[(١)]

ما زلتُ بعدَك فى همٍّ تجيش به * نَفْسِى وفى نَصَب قد كادَ يبلينى[(٢)]

إنّى تذكّرتُ قتلَى لو شهدتُهُمُ * فى حَوْمَةِ الموت لم يَصلَوْا بها دونى[(٣)]

لا خَيرَ فى العَيْش إن لم أجن بعدَهم * حربًا تُبِىء بهم قتلَى فيشفونى[(٤)]

فقالت له هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيتَ الحقّ ، وما من المرثية بُدٌّ[(٥)] ، وكم من مِيتةِ ميّتٍ أشرفُ من حياةِ حَىّ ، وليست المصيبة فى قتل ممن استشهد ذابًّا عن دينه ، مطيعا لربه ، وإنما المصيبة فيمن قلّت بصيرتُه ، وخَمل ذِكْرُه بعد موته ، وأرجو ألّا يكون المفضّل عند الله خاملا ، يقال : إنه ما عُزِّى يومئذ بأحسَن من كلامها .

ردّه على ابن الكوّاء

قال أبو الفرج : ونسخت من كتابه أيضا قال : كان ابن الكَوّاء[(٦)] اليشكرىّ مع الشُّراة والمهلب يحاربهم ، وكان بعض بنى أخيه شاعرا فهجا المهلبَ وعمَّ الأَزْد بالهجاء ، فقال لثابت : أجِبه [فقال له ثابت[(٧)]] :

(١) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه . وفى ط ، مط «فى المساكين» .

(٢) جاشت النفس : ارتفعت من حزن أو فزع . وفى ب ، س ، جـ ، ط ، مط : «كاد يسلبنى» .

(٣) فى ب ، س : «تذكرت فعلى» وهو تحريف . وصلى النار وبها : قاسى حرها .

(٤) تبىء : أباء القاتل بالقتيل : قتله .

(٥) فى ب ، س (المرزئة) .

(٦) فى جميع الأصول «ابن الكوفى» وهو تحريف ، وهو عبد الله بن الكواء . لما رجع الإمام على من صفين إلى الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا ، ونزلوا حروراء بظاهر الكوفة فى اثنى عشر ألفا ، وأمروا على القتال شبث بن ربعى التميمى ، وعلى الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليشكرى .

(٧) تكلة من ط ، مط ، مب .

كلُّ القبائلِ من بكرٍ نعدُّهمُ * واليشكُرِيّون منهمْ ألأمُ العربِ (١)

أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدت * بيشكرٍ أمُّه المعرورة النّسب (٢)

نحّاكُمُ عن حياضِ المجدِ والدُّكْمُ * فما لكم في بني البَرْشاء من نسب (٣)

أنتم تحلُّون من بكرٍ إذا نُسبوا * مثل القُراد حَوالَيْ عُكْوَة الذّنب (٤)

نُبِّئت أن بني الكَوّاء قد نبحوا * فعلَ الكلاب تتلّى اللّيث في الأشب (٥)

يَكوِي الأُبَيْجِر عبد الله شيخكم * ونحن نُبرِي الّذي يَكوي من الكَلَب (٦)

كتابه إلى يزيد ابن المهلب

ونسختُ من كتابه أيضا قال: كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلب يحرّضه:

إن امرأً حدبت ربيعةُ حولَه * والحيُّ من يَمَنٍ وهابَ كَئودا (٧)

لَضعيفُ ما ضمّت جوانحُ صدرِه * إن لم يَلُفَّ إلى الجنود جنودا (٨)

أيزيد كُنْ في الحَرْب إذ هيّجتَها * كأبيك لا رَعِشا ولا رِعْديدا (٩)

١٠

(١) بكر: هم بكر بن وائل، ومنهم بنو يشكر بن بكر. وفي س «واليشكرين»؛ وهو تحريف، وفي ب، س «نعددهم».

(٢) لجيم: هو لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. والحصن: هو ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن علي بن بكر بن وائل، وفي بعض الأصول: «فقدت» وهو تحريف، والصواب ما أثبتنا كما في ط، مط، مب، ها.

١٥

(٣) في ب، س، جـ «حياض الوجد» وهو تحريف. والبرشاء: لقب أم ذهل وشيبان وقيس بني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، لقبت بذلك لبرش أصابها (والبرش: البرص).

(٤) العكوة بالضم ويفتح: أصل الذنب.

(٥) في جـ، ط «قد ضبحوا». الأشب: شدة التفاف الشجر وكثرته حتى لا مجاز فيه.

(٦) الأبيجر: مصغر الأبجر، وهو العظيم البطن.

٢٠

(٧) الكئود: المرتقى الصعب.

(٨) ما ضمت جوانح صدره: كناية عن القلب.

(٩) الرعش والرعديد: الجبان.

شاوَرْتَ أكْرَم من تناول ماجد * فرأيتُ همَّك فى الهموم بعيدا

ما كان فى أبويك قادحُ هُجْنة (١) * فيكون زندُك فى الزِّناد صَلودا

إنا لضرّابونَ فى حَمَس الوَغَى * رأس المتوّج إنْ أراد صدودا

وقُتْرٌ إذا كَفَر العَجاج ثَرى لنا (٢) * فى كلّ معركة فوارسَ صِيدا

يا ليت أسْرتك الّذين تَغيَّبوا * كانوا ليومك بالعِراق شهُودا

وترى مواطنهم إذا اختلف القنا (٣) * والمشرفيّة يلتظين وقودا

فقال يزيد لما قرأ كتابه (٤) : إن ثابتا لغافل عمّا نحن فيه، ولعمرى لأطيعنّه ، وسَيَرى ما يكون ، فاكتبوا إليه بذلك .

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا الكُرانىّ عن العمرى عن الهيثم بن عدىّ قال : أُنشِد مَسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب قولَ ثابت قطنة :

يا ليت أسْرتك الذين تَغَيَّبوا * كانوا ليومك يا يزيد شهُودا

فقال مَسلمة: وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذ، فسقيتُهم بكأسه، قال : فكان مَسلمةُ أحَد من أجاب شعرا بكلام منثور فغلَبَه .

خطب امرأة، فدفعه عنها جوير ابن سعيد

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثنى عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفى قال : حدّثنى محمد القحذمىّ عن سليمان بن ناصح الأسدى قال : خطب

(١) الهجنة كون أحد الزندين واديا والآخر صالدا . وصلد الزند : صوّت ولم يور ، فهو صالد وصلود . (٢) العجاج : الغبار ، كفره كضرب كفرا بالفتح : ستره وغطاه . الثرى : الأرض . صيد : جمع أصيد وهو رافع رأسه كبرا . (٣) القنا : الرماح . والمشرفية : السيوف نسبة إلى مشارف الشام . التظت وتلظت : تلهبت وتوقدت .

(٤) فى ب ، س : « الكتاب » .

ثابت قطنة آمرأةً كان يميل إليها، فجعل السفير بينه و بينها جُوَيْبِر بن سعيد المحدِّث، فاندسّ فخطبها لنفسه، فتزوّجها ودفع عنها ثابتا، فقال ثابت حين بان له الأمر (١) :

أفشى علىّ مقالةً ما قلتها * وسعى بأمرٍ كان غيرَ سديدِ
إنى دعوت الله حين ظلمتنى * ربّى وليس لمن دعا ببعيدِ
أن لا تزال متيَّما بخريدةٍ (٢) * تَسبى الرجال بمقلتين وجِيدِ
حتى إذا وجب الصّداق تلبّستْ (٣) * لك جلدَ أغْضَفَ بارزٍ بصعيدِ
تدعو عليك الحاريات مُبِرةً (٤) * فترى الطلاق وأنت غيرُ حميدِ

قال : فلقِىَ جُوَيبِرٌ كلَّ مادعا عليه ثابت به، ولحقه من المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقَها منه .

رثاؤه يزيد ابن المهلب

أخبرنى جعفر بنُ قدامة قال : حدّثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب فى يوم العَقْر (٥)، فلمّا خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل، قال ثابتُ قطنةَ يرثيه :

كل القبائل بايَعوك على الّذى * تدعو إليه وتابَعوك وساروا
حتّى إذا حَمِس الوَغَى (٦) وجعلتَهم * نصبَ الأسنّة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإنّ قتلَك لم يكن * عارًا عليك، وبعضُ قتلٍ عار (٧)

(١) كذا فى ط ، مط . وفى باقى الأصول « لحين بان الأمر قال » .
(٢) تيمه الحب : عبده وذلله ، والخريدة : البكر التى لم تمسس .
(٣) فى ب و س : « تلبث » . والأغضف : الكلب .
(٤) مبرة : غالبة قاهرة . وفى ب ، س « بنكبة » .
(٥) العقر : موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة ، كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك وبين يزيد بن المهلب ، وفيه قتل يزيد . (٦) أسلموك : خذلوك .
(٧) فى وفيات الأعيان ، ومغنى اللبيب ١ : ٢٤ « ورب قتل عار» وهو على تقدير « هو عار » .

هجاؤه لربيعة

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب المرهبى قال: كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هى والأزد، فاستبطأته ربيعة فى بعض الأمر، فشغبت عليه حتى أرضاها فيه، فقال ثابت قطنة يهجوهم:

٥٦
١٣

عصافير تَنْزُو فى الفساد، وفى الوغى * إذا راعَها رَوْعٌ جَماميحُ بَرْوَقِ (١)

الجماميح: مانبت على رءوس القصب مجتمعا، وواحده جمّاح، فإذا دُقّ تطاير. وبَرْوَق: نبت ضعيف.

٥

أأحلمُ عن ذِبّانِ بكر بن وائل * ويعلق من نفسى الأذى كلّ مَعلقِ (٢)
ألم أكُ قد قلّدتكم طوقَ خِزْيةٍ * وأنكلتُ عنكمْ فيكمُ كلَّ مُلصقِ (٣)
لعمركَ ما استخلفتُ بكرًا ليَشغَبوا * علىّ، وما فى حِلفكم من مُعلَّقِ (٤)
ضممتكُمُ ضمًّا إلىّ وأنتمُ * شَتاتٌ كفَقْعِ القاعة المتفرّقِ (٥)
فأنتمْ على الأدنى أسودُ خفيّةٍ * وأنتم على الأعداء خِزّانُ سَمْلَقِ (٦)

(١) نزا: وثب. والروع: الفزع.

(٢) الذبان: الذباب، وفى جـ «دبان» وفى ب وس «ديان» وهو تصحيف، وفى س «من نفس الأذى»، وفى جـ، ب، س «وتعلق» وهو تصحيف.

(٣) أى كل ملصق فيكم، وأنكلت الحجر عن مكانه: دفعته عنه.

(٤) من معلق، أى من شىء يتعلق به ويعتمد عليه.

(٥) شتات، أى ذوو شتات وهو الفرقة، ومن أمثال العرب: أذل من فقع بقرقر، والفقع بالفتح ويكسر: البيضاء الرخوة من الكمأة، والجمع فقعة كقردة. والقاع والقاعة والقرقر: أرض مطمئنة سهلة مستوية، وذلك لأن الفقعة لا تمتنع على من اجتناها، أو لأنها توطأ بالأرجل لأنها لا أصول لها ولا أغصان.

(٦) فى جـ «أسود خيفة» وفى ب وس «أسود مخيفة» والتصويب عن ط، مط. وخفية هى أجمة فى سواد الكوفة تنسب إليها الأسود، فيقال أسود خفية. والسملق: الأرض المستوية الجرداء التى لا شجر بها، وخزان: جمع خزز بضم ففتح وهو ذكر الأرانب، وهى معروفة بالجبن.

شعره لما منعه قتيبة بن مسلم

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدّثنى أبو بكر العامرىّ قال : قال القَحْذمىّ : دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان — أظنه قتيبة بن مسلم (١) — فمدحه وسأله حاجة ، فلم يقضها له ، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه : لكن يزيد ابن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردّنى (٢) عنه ، وأنشأ يقول :

أبا خالدٍ لم يَبْقَ بعدك سُوقةٌ * ولا مَلِك ممّن يُعين على الرِّفْد (٣)

ولا فاعلٌ يرجو المقلّون فضلَه * ولا قائلٌ ينكا العدوَّ على حقد (٤)

لو آنّ المنايا سامحتْ ذا حَفيظة * لأكرمنه أو عُجْن عنه على عَمْد (٥)

شعره فى قومه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال : عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد فى حال استَنْصَرَ عليها (٦) بعضهم فلم ينصره فقال فى ذلك :

تعفّفتُ عن شَتم العشيرة إنّنى * وجدتُ أبى قد عَفّ (٧) عن شتمها قبْلى

حليمًا إذا ما الحِلمُ كان مروءةً * وأجهلُ أحيانا إذا التمسوا جهلى

خبره مع أمية بن عبد الله بن خالد

أخبرنى عمى قال : حدّثنى العنزىّ عن مسعود بن بشر قال : كان ثابت قطنة بخراسان ، فوليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسد لعبد الملك بن مروان ، فأقام بها مدّة ، ثم كتب إلى عبد الملك : « إن خَراج خُراسان لا يفى بمطبخى » ، وكان أميّة يحمّق ، فرفع ثابتُ قُطنة إلى البريد (٨) رقعة وقال : أوصل هذه معك ، فلما أتى عبد الملك

(١) ولاه الحجاج خراسان بعد يزيد بن المهلب سنة ٨٦ ، وقتل سنة ٩٦

(٢) كذا فى ب ، س ، جـ ، والذى فى ط ، مط « لما ردّنى » .

(٣) أبو خالد : كنية يزيد بن المهلب ، والرفد : العطاء .

(٤) ينكا العدوّ : يهزمه . (٥) عاج عنه : رجع وانصرف .

(٦) كذا فى ط ، مط ، والذى فى جـ ، ب ، س : « استنصروا به فيها فلم ينصرهم » .

(٧) كذا فى ط ، مط وفى باقى الأصول « كفّ » . (٨) البريد : الرسول .

أوصل إليه كتابَ أمية، ثم نَثَل كِنانته(1) بين يديه فقرأ مافيها، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خُراسان .

صــــوت

طَرِبتُ وهاجَ لى ذاك آدّكارا * بكَشٍّ(2) وقد أطلت به الحِصارا

وكنتُ ألَذّ بعضَ العيش حتّى * كبِرتُ وصار لى همّى شِعارا

رأيتُ الغانيات كرِهن وصلى * وأبدين الصّريمةَ(3) لى جِهارا

الشعر لكعب الأشقرىّ، ويقال إنه لثابت قطنة، والصحيح أنه لكعب، والغناء للهُذَلى، ثانى ثقيل بالوسطى عن عَمرو بن بانة، وذكر فى نسخته الثانية أن هذا اللحن لَقَفَا النجّار .

---

(1) نثل الكنانة كضرب : استخرج نبلها فنثرها .

(2) كش : قرية من قرى أصبهان بفارس ، وأعاد عليها الضمير فى « به » مذكرا باعتبار البلد أو المكان . (3) الصريمة : القطيعة .

أخبارُ كعب الأشقرىّ ونسبهُ

نسبه وبعض أخباره

٥٧ / ١٣

هو كعب بنُ مَعْدان الأشقرىّ ، والأشاقر[1] : قبيلة من الأَزْد ، وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود فى الشجعان ، من أصحاب المهلّب والمذكورين فى حروبه للأزارقة ، وأوفده المهلّب إلى الحجّاج ، وأوفده الحجاج إلى عبد الملك .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا أحمد بن أبى خيثمة قال : حدّثنا [أبى قال حدّثنا][2] وهب بن جرير قال : حدّثنا أبى عن قتادة قال : سمعت الفرزدق يقول : شعراء الإسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقرىّ .

أخبرنى وكيع قال : حدّثنى أحمد بن أبى خيثمة قال : حدّثنا [أبى قال : حدّثنا][2] وهب بن جرير قال : حدّثنا أبى عن المتلمّس قال : قلت للفرزدق : يا أبا فراس ، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الأزد يقال له "كعب ؟ فقال الفرزدق : إى والذى خلق الشّعر[3]" .

شعره للحجاج عن وقعة الأزارقة

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد ، وأخبرنى عمّى ، قال : حدّثنا الكُرانى قال : حدّثنا العَمرى عن العُتْبىّ — واللفظ له وخبره أتمّ — قال : أوفد المهلّب بنُ أبى صُفرة كعبًا الأشقرىّ ومعه مُرّة بنُ التليد[4] الأزدى إلى الحجّاج بخبر وقعةٍ كانت له مع الأزارقة ، فلمّا قدما عليه ودخلا دارَه بَدَرَ كعب ابنُ معدانَ فأنشد الحجّاج قولَه :

(١) الأشاقر جمع أشقر : وهم بنو عائذ بن دوس .
(٢) تكملة عن ط ، مط .
(٣) رواية ط ، مط : " فقال كعيب : إى والذى خلق الشعر " .
(٤) فى ب ، « التليه » وهو تحريف وصوابه كما فى ط ، مط ، جـ .

يا حفصَ إنّى عَدانى عنكمُ السَّفَرُ * وقد سهِرتُ فآذَى عينِىَ السهر (1)

عُلِّقتَ يا كعبُ بعد الشَّيب غانيةً * والشيب فيه عن الأهواء مزدجر (2)

أممسك أنتَ منها بالّذِى عهدتْ * أم حبلُها إذ نأَتْكَ اليومَ منبترُ (3)

ذكرتُ خَوْدا بأعلى الطَّفِّ منزلُها * فى غُرفةٍ دونَها الأبوابُ والحُجَرُ (4)

وقد تركتُ بشطِّ الزَّابِيَيْنِ لها * دارًا بها يَسعَد البادُون والحضَر (5)

واخترتُ دارا بها قومٌ أُسَرُّ بِهِمْ * مازال فيهم لمن تختارهم خيَر

أبا سعيدٍ فإنى سرتُ منتجعًا * وطالبُ الخيرِ مُرْتاد ومنتظر (6)

لولا المهلّب ما زُرْنا بلادَهمُ * مادامتِ الأرضُ فيها الماءُ والشجرُ

وما من الناس من حىٍّ علمتُهمُ * إلّا يُرَى فيهم من سَيْبِكم أثر (7)

وهى قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة فى الخبر، فتركتُ ذكرَها لطولها، (8) يقول فيها :

فما يجاوز بابَ الجسْر من أحدٍ * قدعضّتِ الحربُ أهلَ المصر فانْجَحروا (9)

كنّا نهوِّن قبل اليوم شأنَهمُ * حتى تفاقَم أمرٌ كان يُحتَقر (10)

لمّا وَهَنّا وقد حلُّوا بساحتنا * وٱستنفَر الناسُ تاراتٍ فما نَفروا (11)

نادى ٱمرؤٌ لا خلافٌ فى عشيرته * عنه وليس به عن مثلها قِصَر

---

(1) عداه عن الأمر : صرفه وشغله . (2) علق امرأة : أحبها .

(3) يقال نآه ونأى عنه ، أى بعد . منبتر : منقطع .

(4) الخود : الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة . والطف : موضع قرب الكوفة .

(5) الزابيان : نهران أسفل الفرات بين الموصل وتكريت . (6) أبو سعيد : كنية المهلب . والنجع : طلب الكلأ فى موضعه ، وانتجعه ، أتاه طالبا معروفه . (7) السيب : العطاء .

(8) أوردها الطبرى فى تاريخه ، وعدّتها ثلاثة وثمانون بيتا .

(9) فى ب ، س « فانحجروا » وهو تصحيف .

(10) حـ ، ب ، س « قبل الموت » .

(11) وهنا : ضعفنا . استنفر القوم فنفروا معه ، أى استنجدهم واستنصرهم فنصروه .

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلّب فى بلدٍ بلد ، فقال :

خَبَّــوا كمِينَهُــمُ بالسَّفْح إذ نزلوا * بكازَرُونَ فمــا عَزُّوا وما نَصَروا (١)

باتتْ كتائبُنــا تَــرِدِى مسوَّمــةً * حــولَ المهلّب حــتى نوّر القمرُ (٢)

هنــاك ولَّوا خَزايَا بعد ما هُزِموا * وحَالَ دُونَهُمُ الأنهــارُ والجُــدُرُ (٣)

٥ تأبى علينــا حزازاتُ النفوس فمــا * نُبــقِى عليهمْ ولا يُبقون إن قَدروا

فضــحك الحجاج وقال له : إنك لمنصف يا كعبُ ، ثم قال الحجّاج : أخطيب أنت أم شاعر؟ فقال : شاعر وخطيب . فقال له : كيف كانت حالُكم مع عدوّكم؟ قال : كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم ، فعفْوهم تأنيسٌ منهم ، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمِعنا فيهم (٤) ، قال : فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : حماة للحريم نهارا ، وفرسانٌ ١٠ بالليل أيقاظا ، قال : فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العيان ، قال : صِفهم رجلا رجلا ، قال : المغيرة فارسُهم وسيّدهم ، نار ذاكية ، وصَعْدة (٥) عالية ، وكفى بيزيد فارسا شجاعا ، ليثُ غاب ، وبحرٌ جمُّ العُباب (٦) ، وجَوادُهم قَبيصة ، ليث المَغار ، وحامى الذِّمار (٧) ، ولا يستحى الشجاع أن يفرّ من مُــدرِك ، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر (٨) ، وعبد الملك سمٌّ ناقع ، وسيف قاطع ، وحبيب

٥٨ / ١٣

١٥ (١) رواية الطبرى «عبوا جنــودهم » وكازرون : مدينة بفارس بين البحرين وشيراز .

(٢) ردى الفرس كرمى : عدا فرجم الأرض بحوافره . والكتيبة : جماعة من الخيل إذا أغارت ، من المائة إلى الألف ، الخيل المسوّمة : المرسلة وعليها ركبانها ، أو المعلمة التى عليها السومة وهى العلامة .

(٣) فى ط ، مط « هناك ولوا جراحا بعــد ما هزموا » وفى ب ، س « هناك ولوا جراحا بعــد ما هربوا » .

(٤) كذا فى ط ، مط . والذى فى باقى الأصول « للغريم » .

٢٠ (٥) ذكت النار : اشتد لهبها ، والصعدة : القناة المستوية تنبت كذلك .

(٦) فى ب ، س « جم عباب » .

(٧) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٨) أسد خادر : مقيم فى عرينه داخل فى الخدر .

المـوتُ الذُّعاف[١]، إنمـا هو طَوْد شامخ، ونخر باذخ[٢]، وأبو عيينة البطل الهمام، والسيف الحسام، وكفاك بالمفضّل نجـدة، ليثٌ هدّار، وبحْر مَوّار[٣]، ومحمد ليث غاب، وحسامُ ضِراب، قال : فأيّهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرَغة لا يُعرف طرفاها، قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال، أدركوا مارجَوْا، وأمِنوا ممّـا خافوا، وأرضاهم العـدل، وأغناهم النَّفَـل[٤]، قال : فكيف رضاهم عن المهلّب ؟ قال : أحسن رضا، وكيف لا يكونون كذلك وهم لايعدمون منه رضا الوالد، ولا يعدم منهم برّ الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قَطَرِىّ[٥] ؟ قال : كدناه فتحوّل عن منزله وظن أنه قد كادنا، قال : فهلّا تبعتموه ! قال : حالَ الليـلُ بيننا وبينه، فكان التحرّز[٦] — إلى أن يقع العيان، ويعلم امرؤٌ ما يصنع — أحزم، وكان الحدّ عنـدنا آثَرَ من الفَـلّ، فقال له المهلّب : كان أعلمَ بك حيث بعثـك وأمر له بعشرة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشْرة[٧] آلاف أخرى .

شعره فى المهلب وولده

أخبرنى أحمد بن عُبيدالله بن عمار قال : حدثنى أبو عمرو بُنْدار الكرجىّ قال : حدّثنا أبو غسّانَ التميمى عن أبى عبيدة قال : كان عبـد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبّهونى مرّة بالأسد، ومرة بالبازى، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرىّ فى المهلب وولده !

(١) يقال : موت ذعاف وذؤاف وزعاف وزؤاف : شديد سريع . (٢) الطود : الجبل، والباذخ : العالى . (٣) مار : ماج واضطرب . (٤) النفل : الغنيمة والهبة .

(٥) هو قطرى بن الفجاءة المازنى، ولاه الخوارج الأزارقة عليهم، وبايعوه بعد قتل أميرهم الزبير ابن على السليطىّ، ودار بينه وبين المهلب قتال عنيف، ولما دبت عقارب الخلاف بين الأزارقة خلعوا قطريا، وولوا عبـد ربه الصغير، فانفصل إلى عبـد ربه أكثر من الشطر، وارتحل قطرى ومن معـه إلى طبرستان، فوجه إليه الحجاج جيشا عليه سفيان بن الأبرد فقاتلوه وتفرق عنه أصحابه وقتل سنة ٧٨ .

(٦) فى ب، س «المتحرى» وفى جـ «المتحرر» والتصويب عن ط، مط . والعيان : المشاهدة .

(٧) فى ط، مط، ما، مب : «بعشرين ألف درهم» .

بَرَاكَ اللهُ حِينَ بَرَاكَ بَحْرًا * وفَجَّرَ مِنْكَ أنهارًا غِزارا
بنوك السابقون إلى المعالى * إذا ما أَعظمَ الناسُ الخِطارا (١)
كأنَّهُمُ نجومٌ حولَ بَدْرٍ * دَرارِىُّ تَكَمَّلَ فاستدارا (٢)
ملوكٌ ينزلون بكلِّ ثَغْرٍ * إذا ما الهامُ يومَ الرَّوْعِ طارا (٣)
رِزانٌ فى الأمور تَرى عليهم * مِنَ الشَّيخِ الشمائلَ والنجارا (٤)
نجومٌ يُهْتَدَى بهمُ إذا ما * أخو الظَّلْماء فى الغَمَرَاتِ حارا (٥)

وهذه الأبيات من القصيدة التى أولها :

* طربتُ وهاج لى ذاك آدّكارا *

التى فيها الغناء .

تهاجيه وزياد الأعجم

أخبرنى محمد بن الحسين الكندى قال : حدّثنا غسّان بنُ ذَكْوانَ الأهوازى قال : ذكر العُتْبىّ أن زيادا الأعجم هاجى كعباً الأشقرىّ ، واتصل الهجاء بينهما ، ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أنّ شرّا وقع بين الأزد و بين عبد القيس ، وحرْبا سكّنها المهلّب وأصلَحَ بينهم ، وتحمّل ما أحدثه كلُّ فريق على الآخر ، وأدّى دِياته ، فقال كعب يهجو عبد القيس :

(١) الخطار : المراهنة .

(٢) فى ب ، س « حول بحر » والتصويب عن ط ، مط . وكوكب درّىّ : مضىء ؛ والجمع درارىّ وتقدير البيت : كأنهم نجوم درارىّ ؛ حول بدر تكمل فاستدار .

(٣) الهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٤) رزان : جمع رزين . الشمائل : جمع شمال بالكسر ، وهو الطبع . والنجار : الأصل والحسب .

(٥) كذا فى جميع الأصول . والذى فى ابن أبى الحديد « أخو الغمرات فى الظلماء » والغمرات الشدائد .

إنّى و إن كنتُ فرعَ الأَزْدقد علموا * أَخزَى إذاقيل عبدُالقيس أخْوالى

فَهْــمٌ أبو مالكٍ بالمجــد شرّفنى * ودنّس العبدُ عبدُ القيس سِرْبالى

قال : فبلغ قوله زيادا الأعجم فغضب وقال : ياعجبا للعبد بن العبد بنِ الحيتان والسَّرطان[1]، يقول هذا فى عبد القيس، وهو يَعلم موضعى فيهم! والله لأدعنّه وقومَه غَرَضا لكل لسان ، ثم قال يهجوه :

نُبِّئت أشقــرَ تَهجُونا فقلتُ لهمْ * ما كنتُ أحسبهمْ كانواولا خُلقوا

لا يَكثُرون وإن طالت حياتُهــمُ * ولو يبول عليهــمْ ثعلبٌ غَرِقــوا

قومٌ من الحَسَب الأدنى بمــنزلةٍ * كالفَقْع بالقاع لا أصْلٌ ولا وَرَق[2]

إنّ الأشاقرَ قد أضحَــوْا بمــنزلة * لــو يُرهَنون بنَعــلٍ عبدِنا غَلِقــوا[3]

قال : وقال فيه أيضا :

هــل تَسمع الأَزْد ما يقال لهــا * فى ساحة الدّار أم بهــا صَمَــمُ ؟

اختــتَن القــومُ بعد ما هَرِموا * واستعربوا ضَــلّةً وهمْ عَجَــمُ[4]

قال : فشكاه كعبٌ إلى المهلّب وأنشده هذين البيتين ، وقال : والله ما عَنَى بهما غيرَك، ولقــد عمّ بالهجاء قومَك، فقال المهلّب : أنت أسمعتَنا هذا وأطلقتَ لسانه فينا به، وقد كنتَ غنيّا عن هجاء عبد القيس وفيهم مِثلُ زياد، فاكفف عن ذكره، فإنك أنت بدأته ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال : أيها الأمير، اسمع ماقال فىّ وفى قومى فإن كنتُ ظلمتهُ فانتصر، وإلّا فالحجة عليــه ، ولا حُجّة على امرئٍ انتَصر لنفســه وحسَبِه وعشيرتِه، وأنشده قولَ كعب فيهم :

(١) السرطان : دابة تسمى عقرب الماء . (٢) رواية العقــد الفريد :

وهم من الحسب الزاكى بمــنزلة * كطحلب المــاء لا أصل ولا ورق

(٣) غلق الرهن كفرح : استحقه المرتهن إذا لم يفك فى الوقت المشروط . (٤) الضلة : الحيرة .

لعـلّ عُبيـدَ القيس تحسَب أنّهـا * كتغلبَ فى يـوم الحفيظة أو بكرِ (١)

يُضعضِع عبدَالقيس فى النّاس منصِب * دنىءٌ وأحسابٌ جُبِرن على كَسرِ

إذا شاع أمرُ الناس وآنشقّت العصا * فإنّ لُكَيزًا لا تَريشُ ولا تَبرى (٢)

فقال المهلّب : قد قلتَ له أيضا ، قال : لا والله ما آنتصَرتُ ، ولولاك ما قصَّرت وأىّ آنتصار فى قولى له (٣) :

يأيُّهـا الجاهلُ الجارى ليُدركَنى * أقصِرْ فإنّكَ إن أدركتَ مصروعُ

يا كعبُ لا تَكُ كالعَنْز الّتى بَحثتْ * عن حَتفها وجَنابُ الأرض مَرْبوع

وقـولى (٣) :

لئن نَصبتَ لى الرَّوْقين مُعْـترِضًا * لأرمينّـكَ رميًا غـيرَ ترفيـعِ

إنّ المـآثر والأحسابَ أورثنى * منها المَجاجيعُ ذِكرًا غيرَ مَوْضوع

يعنى مَجاعَة بن مُرّة الحنفى ، ومَجاعة بن عمرو بن عبد القيس ، فأقسم عليهما المهلّب أن يصطلحا ، فاصطلحا وتكافّا ، وممّا هجا كعبٌ الأشقرىُّ عبدَالقيس به قوله :

هجاؤه عبدا لقيس

ثَوَى عامـين فى الجِيَف اللّواتى * مطرَّحة على باب الفصيـلِ (٤)

أَحبُّ الىّ من ظِلٍّ وكِنٍّ (٥) * لعبـد القيس فى أصـل الفَسيل

إذا ثارَ الفُسـاءُ بهـم تَغنَّـوْا * ألم تَربَـعْ على الدِّمَن المثُول

تَظَـلّ لهـا ضَبابات علينـا * موانعُ من مَبيتٍ أو مَقيـلِ

(١) الحفيظة والحفاظ : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب .

(٢) هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس . راش السهم يريشه : ركب عليه الريش .

(٣) ساقطة من ب، ط ، مط .

(٤) ثوى : أقام . ومطرحة ، أى هى مطروحة ، والفصيل : ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

(٥) الكن : الستر . والفسيل : جمع فسيلة : وهى النخلة الصغيرة .

هجاؤه ربيعة واليمن

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد : كانت ربيعةُ واليمنُ متحالفةً ، فكان المهلّب وابنه يزيدُ يُنزِلان هاتين القبيلتين فى محلتهما ، فقال كعبٌ الأشقرىّ ليزيد :

٦٠
١٣

لا ترجونّ هنائيّا لصالحة * وٱجعلهمُ وهدادًا أسوةَ الحُمُر (١)

حيّان مالها فى الأزد مأثُرةٌ * غيرُ النواكة والإفراطِ فى الهَذَر (٢)

وٱجعل لُكَيْزًا وراءَ الناس كلِّهم * أهلَ الفُساءِ وأهلَ النَّتْن والقَذَر

قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهمُ * حتى تَرانا له مِيدًا من السُّكُر (٣)

أبلغ يزيدَ بأنّا ليس ينفعُنا * عيشٌ رَغيدٌ ولا شىءٌ من العطَر

حتى تُحِلَّ لُكَيْزًا فوق مَدْرَجةٍ * من الرِّياح على الأحياء مِنْ مُضَر (٤)

ليأخُذوا لِنِزار حَظَّ سُبّتها * كما أخذنا بحظّ الحِلْف والصِّهَر

شعره فى المهلب أمام رسول الحجاج

أخبرنى محمد بنُ خلف وكيع قال : حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدّثنا أبى قال : كتب الحجاج بن يوسف إلى المهلّب يأمره بمناجَزة الأزارقة ويستبطئه ويضعّفه ، ويعجّزه فى تأخيره أمَرهم ومطاولتهم (٥) ، فقال المهلّب لرسوله : قل له : إنّما البلاء أنّ الأمر إلى من يَملِكه لا إلى من يعرفه ، فإن كنتَ نصبتَنى لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أرى ، فإن أمكنتْنى الفرصة انتهزتُها ، وإن لم تُمكِنّى

(١) هنائى : نسبة إلى هناء ، وهم بنو هناء بن عمرو بن الغوث بن طىء . وهداد : حى من اليمن .

(٢) المأثرة بفتح الثاء وضمها : المكرمة المتوارثة ، والنواكة : الحماقة والهذر : سقط الكلام .

(٣) الميد : ما يصيب الإنسان من الدوار من السكر أو الغثيان أو ركوب البحر . وقد ماد فهو مائد من قوم ميدى كسكرى .

(٤) لكيز : من عبد القيس ، من سلالة ربيعة بن نزار أخى مضر بن نزار . المدرجة : الطريق يدرج فيها أى يمشى .

(٥) كذا فى ط ، مط . والذى فى باقى الأصول : « ومطالبتهم » .

[توقفت][1] ، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه ، و إن أردتَ منّى أن أعمل [وأنا حاضر][1] برأيك وأنت غائب ، فإن كان صوابا فلك ، و إن كان خطأ فعلىّ ، فابعث من رأيتَ مكانى ، وكتب من فَوْره بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك : لا تُعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعجِله ، ودَعْه يدبّر أمره ، وقام الأشقرىّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج :

إن ابنَ يوسف غرّه من غزوِكم * خفضُ المُقام بجانب الأمصارِ

لو شاهَدَ الصفّين حين تلاقيَا * ضاقت عليه رَحِيبةُ الأقطار

من أرض سابُورِ الجُنودِ،وخَيْلُنا * مِثْلُ القِداح بَرَيْتَها بشِفار[2]

من كلّ خنذيذ يُرَى بلَبانه * وَقْعُ الظُّباة مع القنا الخطّار[3]

ورأى معاوَدَة الرِّباع غنيمةً * أزمانَ كان محالفَ الإقتار

فدع الحروبَ لشِيبها وشَبابها * وعليك كلّ خريدةٍ مِعطارِ[4]

فبلغت أبياتُه الحجّاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقرى إليه ، فأعلمَ المهلّبُ كعبا بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك [من تحت ليلته ، وكتب إليه يستوهبه منه ، فقدم كعب على عبد الملك][5] ، واستنشَدَه فأعجبه ماسمع منه ، فأوفده إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفوَ عنه ويُعرِض عمّا بلغه من شعره ، فلما وصل إليه ودخل عليه قال : إيه يا كعب .

* ورأى معاوَدَة الرِّباع غنيمةً *

(١) ما بين القوسين ساقط من ب ، س ، جـ ، وقد أثبتناه عن ط ، مط ، مب ، ها .
(٢) سابور : كورة بفارس .
(٣) اللبان : الصدر أو وسطه . والظباة : جمع ظبة ، وهى حد السيف . ورمح خطار : ذو اهتزاز شديد
(٤) امرأة معطار : اعتادت أن تتعهد نفسها بالطيب وتكثر منه .
(٥) هذه التكلة ساقطة من ب ، س ، جـ . وقد أثبتناه عن ط ، مط ، مب ، ها .

فقال له : أيها الأمير، والله لقد وددتُ فى بعض ما شاهدتُه فى تلك الحروب وأزماتها، وما يُورِدُناه المهلّب من خطرها، أن أنجوَ منها وأكونَ حجّاما أو حائكا ؛ فقال له الحجّاج : أَولَى لك ، لولا قَسَمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع ، فالْحقْ بصاحبك، ورَدّه من وقته .

هربه إلى عمان

٦١ / ١٣

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النضر بن حديد : لمّا عُزِل يزيد ابن المهلّب عن خراسان ووَلِيها قتيبةُ بن مسلم، مدحه كعب الأشقرىّ، ونال من يزيد وثلبه ، ثم بلغته وِلايةُ يزيدَ على خراسان ، فهرب إلى عُمانَ على طريق الطَّبَسَيْن وقال :

وإنّى تاركٌ مَرْوًا ورائى * إلى الطَّبَسَيْن معتامٌ عُمانا[1]

لآوِى معقِلاً فيها وحِرْزًا * فكنّا أهل ثروتها[2] زمانا

فأقام بعُمانَ مدّة ثم اجتواها[3]، وساءت حالُه بها، فكتب إلى المهلّب معتذرا :

بئس التبدّل من مَرْوٍ وساكِنها * أرضُ عمانَ وسُكنَى تحت أطواد[4]

يُضحِى السحابُ مَطيرًا دونَ مُنصِفها * كأنّ أجبالَها عُلّت بفرصاد[5]

يا لهف نفسى على أمرٍ خطِلت به[6] * وما شفَيتُ به غِمْرى وأحقادى

أفنيتُ خمسين عاما فى مديحكمُ * ثم اْغتررتُ بقول الظالم العادى

(١) كذا فى ب، س ، جـ وفى ط ، مط « أمامى » . ومرو : هى مرو الشاهجان قصبة خراسان وأشهر مدنها . والطبسان : طبس العناب، والأخرى طبس التمر، والعرب تسميها باب خراسان لأنهم لما قصدوا فتح خراسان فى خلافة عثمان كانت أول فتوحهم . واعتام : اختار .

(٢) الثروة : كثرة العدد من الناس والمال .

(٣) اجتواها : كرهها . (٤) السكنى : الإقامة . والطود : الجبل .

(٥) المنصف من الطريق ومن كل شىء : وسطه . علت : سقيت مرة بعد مرة . والفرصاد : صبغ أحمر . (٦) خطل كفرح فهو خطل ، أى أحمق عجل . والغمر : الحقد والغل .

أبلغ يزيدَ قرينَ الجُود مألُكةً (١) * بأنّ كعبا أسيرٌ بين أصفاد

فإن عفوتَ (٢) فبيتُ الجود بيتُكمُ * والدهرُ طَوْران من غَىٍّ وإرشاد

وإن مننتَ بصفحٍ أو سمحتَ به * نزعتُ نحوك أطنابى (٣) وأوتادى

وذكر المدائنى أن يزيد بن المهلّب حبسه ودسّ إليه ٱبن أخ له فقتله .

شعره فى مقتل بنى الأهتم

٥ قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النّضر أيضا أن الحجّاج كتب إلى يزيد ٱبن المهلّب يأمره بقتل بنى الأهتم ، فكتب إليه يزيد : إن بنى الأهتم أصحابُ مَقال وليسوا بأصحاب فَعال ، فلا تُقدِّرْ أن تُحدِث فيهم ضررا ، وفى قتلهم عارٌ وسُبّة ؛ [واستوهَبَهم منه] (٤) ، فتغافَل عنهم ، ثم ٱنضمّوا إلى المفضل بنِ المهلّب ، فكتب إليه الحجّاج يأمره بقتلهم ، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه ، فأعفاهم (٥) ، ثم ولى قتيبةُ بن مسلم ، فخرجوا إليه وٱلتقَوا معه ، وذكروا بنى المهلّب فعابوهم ، فقبلهم (٦)

١٠ قتيبةُ وٱحتوى عليهم ، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويحملونهم على سُوء الطاعة ، فكتب يشكوهم إلى الحجّاج ، فكتب إليه يأمره بقتلهم ، فقتلهم جميعا ، فقال كعب الأشقرىّ فى ذلك :

قل للأهاتم من يعُود بفَضْله * بعد المفضَّل والأغرّ يزيدِ

١٥ رَدَّا صحائفَ حَتْفِكم بمَعاذرٍ * رجعتْ أشائمَ طيرِكم بسعود

(١) المألكة بضم اللام وتفتح : الرسالة . والأصفاد : جمع صفد كسبب ، وهو القيد . وفى ب ، س « أسيرا » والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها .

(٢) فى ب ، س ، مط « عفوت » .

(٣) الأطناب : جمع طنب كعنق ، وهو حبل طويل يشد به الخباء .

٢٠ (٤) تكملة عن ط ، مط ، مب ، ها .

(٥) كذا فى ب ، س ، جـ والذى فى ط ، مط « فعفا عنهم » .

(٦) فى جـ « فقتلهم » وفى ب ، س « فغلبهم » ، والتصويب عن ط ، مط . واحتوى عليهم : جمعهم .

رَدًّا على الحجّاج فيكُمْ أمرَه * بِخَزِيتُمُ إحسانَه بجحود
فاليوم فاعتبروا فَعَالَ[1] أخيكُمُ * إنّ القياس لجاهلٍ ورشيد

شعره فى عمرو ابن عمير

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتابه أيضا قال : وَلَّى يزيدُ بنُ المهلّب رجلا من اليَحْمَد[2] يقال له عمرو بنُ عُمَير الزِّمِّىّ، فلقيه كعب الأشقرىّ فقال له : أنت شيخ من الأزد يولّيك الزِّمّ ، ويولّى ربيعةَ الأعمالَ السنيّة ، وأنشده :

لقد فَازَتْ ربيعةُ بالمعَالى * وفَازَ اليَحمَدىُّ بعهدِ زَمِّ
فإن تَكُ راضيًا منهم بهذا * فزادك ربُّنا غمًّا بغَمّ
إذا الأزدىُّ وَضَّحَ عارِضَاه * وكانت أُمُّه مِن حىّ جَرْم[3]
فثَمَّ حماقةٌ لا شكّ فيها * مُقَابَلَةٌ فمن خالٍ وعَمّ[4]

فردّ اليَحْمَدىّ عهدَ يزيدَ عليه ، وحلف لا يستعمله سنة ، فلما أجحفتْ[5] به [المئونة][6] قال لكعب :

٦٢ / ١٣

لو كنتَ خلّيتَنى يا كعبُ متّكئًا * فى دُورِ زَمٍّ لما أقفرتُ مِن عَلَف
ومن نبيذٍ ومن لحمٍ أُعَلُّ به * لكنّ شِعرَك أمرٌ كان من حَرَفِى
إنّ الشقىّ بمروٍ مَن أقام بها * يُقارِعُ السُّوقَ من بَيْعٍ ومن حَلِف[7]

(١) فى ب ، س ، جـ « فراق » وما أثبتناه عن ط ، مط ، مب ، ها .
(٢) يحمد : أبو بطن من الأزد ، والزم : بلد بشط جيحون .
(٣) الوضح كسبب : الشيب ، أتى بالفعل منه مضعفا لتكثير المعنى . والعارضان : جانبا الوجه .
(٤) من قولهم ، رجل مقابل : أى كريم من كلا طرفيه أبيه وأمه ، والحماقة المقابلة التى يقابل أحد طرفيها الآخر ، أى حماقة من طرفى الأب والأم .
(٥) أجحفت به المئونة : دنت منه .
(٦) عن ط ، مط ، مب ، ها . (٧) فى ط ، مط ، مب ، ها « سلف » .

أخبرنى[1] أبو الحسن الأسدىّ قال : حدّثنى الرِّياشى عن الأصمعىّ قال : قال كعب الأشقرىّ يهجو زيادا الأعجم :

وأقلفَ صلّى بعد ما ناكَ أُمَّه * يَرَى ذاك فى دِين المَجوس حَلالا[2]

فقال [له[3]] زياد : يابن النَّمامة أهى أخبرتك أنّى أقلف ؟ فغلبه زياد .

والقصيدة التى أوّلها :

* طربتُ وهاج لى ذاك ادّكارا *

وفيه الغناء المذكور بذكره خبرُ كعبِ الأشقرىّ، يمدح بها المهلّب بن أبى صُفرة ويذكر قتالَه الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة[4] التى فيها الغناء :

شعر له فيه غناء

غَرِضْن بمجلسِى وكرِهْنَ وَصلِى * أوانَ كُسِيتُ من شَمَطٍ عِذارا[5]

زَرَيْن علىّ حين بَدَا مَشيبى * وصارت سَاحَتِى للهمّ دارا[6]

أتانى والحديثُ له نَماءٌ * مقالةُ جائر أحفى وجارا[7]

سلوا أهلَ الأباطح من قريشٍ * عن العزّ المؤبَّد أين صارا[8]

ومَن يَحمى الثغورَ إذا استحرّت * حروبٌ لا يَنون لها غِرارا[9]

لقومى الأزد فى الغَمَرات أمضَى * وأوفَى ذِمّةً وأعزّ جارا

(١) كذا فى ب ، س ، جـ والذى فى ط ، مط ، مب ، ها : « حدثنى » .

(٢) الأقلف : من لم يختن . (٣) عن ط ، مط ، مب ، ها .

(٤) كذا فى جميع الأصول . ويلاحظ أن المذكور فى الصوت ثلاثة أبيات لا أربعة .

(٥) غرضن بمجلسى أى مللنه وضجرن منه . والشمط : بياض بالرأس يخالط سواده . والعذار : جانبا اللحية . (٦) زرى عليه : عابه .

(٧) رواية ط ، مط ، مب ، ها « مقالة قائل ... » .

(٨) المؤبد : المخلد .

(٩) لا ينون لها : لا يتوانون ولا يفترون عنها . غرارا : غافلين ، جمع غارّ ، وهو الغافل ، كقيام جمع قائم .

هُمُ قادوا الجيادَ على وَجَاها * من الأمصار يقذفن المِهارا (١)
بكلِّ مَفازة وبكلِّ سَهْبٍ * بَسابِسَ لا يَرَوْنَ لها مَنارا (٢)
إلى كِرمانَ يحملن المنايا * بكلِّ ثنيَّة يوقِدن نارا (٣)
شَوازب لم يصبن الثار حتى * رددناها مكلَّمةً مِرارا (٤)
ويشجرن العوالى السُّمر حتَّى * تَرَى فيها عن الأَسَلِ ازورارا (٥)
غداةَ تَرَكن مصرعَ عبدَ ربٍّ * يُثِرن عليه من رَهَجٍ عِصارا (٦)
ويوم الزحف بالأهواز ظِلْنا * نروِّى منهمُ الأَسَلَ الحِرارا (٧)
فقرّت أعينٌ كانت حديثا * ولم يك نومها إلا غِرارا (٨)
صنائعنا السَّوابغ والمذاكى * ومَن بالمِصر يحتلب العِشارا (٩)

---

(١) الوجى : الحفا . المهار جمع مهر : وهو ولد الفرس .

(٢) المفازة والسهب : الفلاة . والبسابس : جمع بسبس كجعفر، وهى الفلاة . منارا ، أى علما يهدى إلى الطريق .

(٣) كرمان : بلد بفارس . والثنية : الطريق فى الجبل .

(٤) خيول شوازب ، أى ضوامر، جمع شازب، مكلمة : مجرّحة .

(٥) السمر والأسل : الرماح . والعوالى : جمع عالية ، وهى القناة المستقيمة . وازورّ عنه : انحرف ومال .

(٦) ولى عبد ربه الصغير أمر الأزارقة بعد خلع قطرىّ ، ونشبت الحرب بينه وبين المهلب فأجلت الوقعة عنه قتيلا ، وبذا خمدت حروب الأزارقة . والرهج ويحرك : الغبار . والعصار : الغبار الشديد .

(٧) الحرار : جمع حرّان ، وهو العطشان .

(٨) كذا فى جميع الأصول . ورواية ابن أبى الحديد « حزينا » وحزين كقتيل يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .

(٩) صنائع : جمع صنيعة ، وهى المعروف والإحسان . السوابغ : جمع سابغة ، وهى الدرع التامة الطويلة . والمذاكى : الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . والعشار : جمع عشراء ، وهى من النوق التى مضى لحملها عشرة أشهر ، أو هى من الإبل كالنفساء من النساء .

فهنّ يحن كلَّ حِمًى عزيزٍ * ويَحمِين الحقائقَ والذِّمارا[1]

طُوَالاتُ المتُون يَصُنَّ إلا * إذا سار المهلَّب حيث سارا

فلولا الشَّيخ بالمِصْرين ينفِي * عدوَّهمُ لقد تركوا الديارا[2]

ولكنْ قارَع الأبطالَ حتى * أصابوا الأمنَ واجتنبوا القرارا[3]

إذا وَهَنوا وحَلَّ بهمْ عظيم * يَدُقّ العظمَ كان لهمْ جبارا

ومُبْهَمةٍ يَحيد الناسُ عنها * تَشُبُّ الموتَ شَدَّ لها الإزارا

شِهابٌ تنجلى الظَّلماء عنه * يَرَى فى كلّ مبهمَة مَنارا

بل الرحمنُ جارُك إذ وَهَنّا * بِدفعك عن مَحارِمنا اختيارا

بَراك اللهُ حين بَراك بَحرًا * وفجَّر منك أنهارًا غِزارا

١٠ وقد مضت هذه الأبيات متقدِّمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعرِه .

شعره فى المهلب وولده

أخبرنى عمى قال : حدّثنا محمد بن سعد الكُرانى قال : حدّثنى العُمَرىّ عن العُتْبىّ قال : قال عبد الملك بنُ مروان : يا معشر الشعراء، تشبِّهوننا بالأَسَد الأبخر، والجَبَل الوَعْر، والمِلْح الأُجاج؟ ألا قلتم كما قال كعبُ الأشقرىّ فى المهلب وولده :

لقد خاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجى * يؤُمّون عَمرًا ذا الشعيرِ وذا البُرّ

١٥ يؤمُّون مَن نال الغِنَى بعد شَيْبِه * وقاسَى وَليدًا مايقاسِى ذوو الفقر

(١) فهن، أى السوابغ والمذاكى . وفى ط، مط مب، ها : « يهن نبيح » . والذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٢) المصران : الكوفة والبصرة . تركوا الديار : أى ترك الديار أهلوها .

(٣) فى ب، ط، مط : « واجتلبوا » . وفى ها : « واحتلوا القرارا » .

فقـل لجُثَيْم يا لَبَكر بن وائل * مقالةَ مَن يلحَى أخاه ومن يُزْرى[1]
فلو كنتمُ حيًّا صميما نَفَيْتمُ * بخيلكمُ بالرَّغم منه وبالصُّغْر[2]
ولكنّكم يا آلَ بكر بن وائلٍ * يسودُكمُ من كان فى المال ذا وَفْر
هو المانع الكلبَ النُّباحَ وضَيْفُه * خَميصُ الحَشَا يَرعَى النجومَ الّتى تَسرى[3]

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك

قال : وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا[4] تباعد وعداوة، وكانت أمّه سوداءَ فقال يهجوه :

إنّ السواد الذى سُرْبِلتَ تَعرفه * ميراث جَدّك عن آبائه النُّوبِ[5]
أشبهتَ خالَك خالَ اللؤمِ مؤتَسِيًا * بهَدْيِه سالكا فى شرّ أُسْلوبِ[6]

مقتله

قال المدائنىّ فى خبره : وكان ابن أخى كعب هذا عدوّا له يسعى عليه، فلما سأل مَجزاةُ بنُ زياد بن المهلب أباه فى كعب فخلّاه، دسّ إليه زيادُ بنُ المهلّب ابنَ أخيه الشاعر، وجعل له مالا على قتله، فجاءه يوما وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك فى فتنة يزيدَ بن المهلّب وهو بعمان يومئذ، وكان لكعب أخ غيرُ أخيه الّذى قتله ابنُه، فلما قُتل يزيد بنُ المهلّب فرّق مسلمةُ بنُ عبد الملك أعمالَه على عمّالٍ[7] شتّى فولّى البصرةَ وعمانَ عبدَ الرحمن بن سليمان الكلبىّ، فاستخلف عبدُ الرحمن على عمانَ محمدَ بنَ جابر الراسبىّ، فأخذ أخو كعبٍ الباقى ابنَ أخيه الذى

(١) يلحى : يلوم . زرى عليه : عابه .
(٢) الصغر والصغار : الذل .
(٣) خميص الحشا : ضامر البطن .
(٤) الإشارة إلى ابن أخيه الذى قتله .
(٥) النوب : سكان بلاد النوبة جنوبى مصر، واحده نوبىّ .
(٦) ائتسى به : جعله أسوة وقدوة . والأسلوب : الطريق .
(٧) فى ط ، مط : « عماله على أعمال » .

قَتَل كعبا، فقدّمه إلى محمد بن جابر، وطلب القَوَد[(١)] منه بكعب، فقيل له : قُتِل أخوك بالأمس، وتَقتل قاتلَه وهو ابن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وانقضى، فتبقى فردا كقَرْن الأعضب[(٢)] ! فقال : نعم إن أخى كعبا كان سيّدنا وعظيمنا ووَجْهنا، فقتله هذا، وليس فيه خير، ولا فى بقائه عزّ، ولا هو خَلَفٌ من كعب فأنا أقتلُه به، فلا خير فى بقائه بعد كعب، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم .

مدحه لقتيبة ابن مسلم

أخبرنا أبو بكر محمد بنُ خلف بن المَرزُبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنا العُمَرى، عن الهيثم بن عدىّ ولَقيط وغيرهما، قالوا : حاصر يزيدُ بنُ المهلَّب مدينةَ خُوارَزمَ فى أيام ولايته، فلم يَقدِر على فتحها، واستصعَب عليه، ثم عُزِل ووُلّى قتيبةُ بنُ مسلم، فزحف إليها، فحاصرها ففتحها[(٣)]، فقال كعب الأشقرىّ يمدحه ويهجو يزيد بنَ المهلّب بقوله :

٦٤ / ١٣

رمتكَ فِيلٌ بمـا فيها وما ظَلَمتْ * من بعد ما رامها الفَجْفاجةُ الصَّلِفُ[(٤)]

قيسٌ صريحٌ وبعضُ الناس يجمعهم * قُرًى وريفٌ ومنسوبٌ ومُقترِف[(٥)]

منهم شُناسٌ ومَرْدَاذَاءُ نعرفُه * وفَسْخَراء، قُبورٌ حَشْوُها القلَفُ

لم يَركَبوا الخيلَ إلّا بعدما هَرِموا * فهم ثِقالٌ على أكتافها عُنُفُ

---

(١) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

(٢) الأعضب : المكسور أحد قرنيه . (٣) كان ذلك سنة ٩٣ ﻫ .

(٤) كانت مدينة ولاية خوارزم يقال لها « فيل » قديما، ثم سميت المنصورة . و يعنى بالفجفاجة الصاف يديه .

(٥) فى جميع الأصول « صريح قيس » والتصويب عن تاريخ الطبرى ٨ : ٨٤ وذلك أن قتيبة ابن مسلم باهلى، و باهلة : من قبائل قيس عيلان . يقول : إن نسب قتيبة صريح، و يعرّض بآل المهلب بقوله « و بعض الناس » . ومنسوب، أى معروف النسب خالصه، يعنى قتيبة . ومقترف : قرفه بسوء : رماه به .

قال : الفيل الذى ذكره هو حصن خُوارَزم يقال له الكُهُنْدَر، والكهُنْدَر : الحصن العتيق، والفَجْفاجة : الكثير الكلام . وشُناس : اسم أبى صُفرة، فغيّره، وتَسمّى ظالمـا، ومَرْداذاء : أبو أبى صُفْرة، وسمّوْه بسراق[1] لمّـا تعرّبوا، وفَسْخَراء : جدّه، وهم قوم من الخُوز[2] من أهل عُمان، نزلوا الأَزْد، ثم آدّعَوا أنّهم صَلِيبيةٌ صُرَحاءُ منهم،

صـــوت

لأسماءَ رسمٌ أَصبح اليـومَ دارسَا * وقفتُ به يوما إلى اللّيـل حابِسا

بهِيتٍ[3] فلا نَرَى غيرَ مـنزلٍ * قليـل به الآثارُ إلّا الروامسَـا

يدورون بى فى ظلّ كلّ كنيسةٍ * فيلسُوننى قومى وأهوَى الكنائسا

البيت الأوّل من الشعر للعبّاس بن مِرْداس السُّلَمىّ، وبيت العبّاس مصراعُه الثانى :

* توهّمتُ منه رَحْرَحانَ[4] فرا كِسا *

وغيّره يزيد بن معاوية فقال [مكانَ[5]] هذا المصراع :

* وقفتُ به يوما إلى اللّيل حابِسا *

والبيت الثانى للعبّاس بن مِرْداس ، والثالث ليزيدَ بن معاوية، ذكر بعضُ الرُّواة أنه قاله على هذا الترتيب وأَمَر بُدَيحا أن يغنّىَ فيه، ففعل؛ ولم يأت ذلك من جهة يوثَق بها ، والصحيح أنّ الغناء لمـالك، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامىّ ويحيى المكّىّ، وهذا صوت زعموا أن مالكا صنعه على لحن سمعه من الرُّهْبان .

---

(١) فى ب ، س « بشيرا » والتصويب عن ط ، مط ، جـ ، مب ، ها .

(٢) الخوز : جيل من الناس ، أعجمى معرب .

(٣) هيت : بلدة على الفرات . الروامس : الرياح التى تثير التراب وتدفن الآثار .

(٤) رحرحان : جبل قريب من عكاظ خلف عرفات . وراكس : واد .

(٥) الزيادة من نسخة ها ، جـ .

أخبرنى الحسن بنُ يحيى، عن حمّاد بن إسحاق، عن أحمدَ المكّىّ، عن أبيه، عن سِـياط ، أن مالكا دخل مع الوليد بن يزيدَ دَيْرا ، فسمع لحَنْـا من بعض الرُّهبان فاستحسنه، فصنع عليه .

* ليس رَسمٌ على الدَّفِين ببالى *

فلما غنّاه الوليدَ قال له : الأوّل أحسن فعـد إليه . اللحن الثانى الذى لمـالك ، ثقيل بالبنصر عن الهشامىّ وعمرو، وأوله :

دَرَّ دَرُّ الشَّـباب والشعَرِ الأسـ * ـوَدِ والضامراتِ تحت الرحالِ(١)

والخناذيذ كالقداح من الشو * حـط يحملن شِكّةَ الأبطالِ(٢)

---

(١) يقولون لمن يمدح ويتعجب من عمله : لله دره : أى لله عمله ، وربما استعملوه من غير أن يقولوا : لله ، فيقولون : درّ درّ فلان ؛ فاذا شتموه وذموا عمـله قالوا لا دَرّ درّه ، أى لا زكا عمـله ولا كثر خيره .

(٢) الخناذيذ : جياد الخيل أو طوالها جمع خنذيذ بالكسر . وفى ب ، س « والخفاديد » وهو تحريف . والشوحط : شجر تتخذ منه القسى . والشكّة : السلاح .

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

نسبه

العباس بن مرداس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلانَ بنِ مضرَ بن نزار، ويكنَى أبا الهيثم ، وإياه يعنى أخوه سُراقة بقوله يرثيه :

أعَيْنِ ألا ابْكِي أبا الهَيْثَمِ (١) * وأذرِى الدموعَ ولا تسأمى

وهى أبيات تُذكر فى أخباره، وأمّه الخَنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد، وكان العباس فارسا شاعرا شديد العارضة (٢) والبيان ، سيّدا فى قومه من كلا طرفَيه ، وهو مخضرَم أدرك الجاهليّة والإسلام ، ووفد إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، فلما أعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم فَضّل عليه عيينةَ بنَ حِصن والأقرعَ بنَ حابس، فقام وأنشده شعرا قاله فى ذلك ، فأمر بلالا فأعطاه حتى رضى ، وخبره فى ذلك يأتى بعد هذا الموضع؛ والله أعلم .

خبره مع صنم كان لهم

أخبرنى محمد بنُ جرير الطبرىّ قال : حدّثنا محمد بنُ حُميد قال : حدّثنا سلمة ابن الفضل، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر ، عن قَبيصة ، عن عمرو والخُزاعىّ عن العبّاس بن مرْداس بن أبى عامر أنه قال : كان لأبى صنم اسمه ضِمار (٣)، فلمّا حضره الموتُ أوصانى به و بعبادته والقيام عليه، فعمَدتُ إلى ذلك الصنم فجعلته فى بيت، وجعلت آتيه فى كلّ يوم وليلة مرّة ، فلما ظهر أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتُ صوتا فى جوف الليل راعنى ، فوثبتُ إلى ضِمار ، فإذا الصّوت فى جوفه يقول :

(١) فى جـ « أعين لا ابكى على الهيثم » وهو تحريف . والتصويب عما ورد بآخر الترجمة .

(٢) العارضة : القدرة على الكلام ؛ والرأى الجيد .

(٣) ضمار : صنم عبده العباس ابن مرداس ورهطه . وفى ب، س جـ « ضماد » ، وهو تصحيف . والتصويب عن ها .

قل للقبائلِ من سُــليمٍ كلِّهــا * هَلَكَ الأَنيسُ وعاشَ أهلُ المسجدِ

إن الذى وَرِث النبوّة والهــدى * بعد ٱبن مريمَ من قريشٍ مهتدى

أَوَدَى الضِّمارُ وكان يعبَدُ مَرّةً * قبــل الكتابِ إلى النــبيّ محمــد

قال: فكتمتُ الناسَ ذلك، فلم أحدِّث به أحدا حتى ٱنقضت غَزوة الأحزاب، فبينا أنا فى إبلى فى طرف العَقيق وأنا نائم، إذ سمعتُ صوتا شديدا، فرفعتُ رأسى فإذا أنا برجل على حِيالى[1] بعمامة يقول: إن النور الذى وقع بين الأثنين وليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العضباء[2]، فى ديار بنى أخى العنقاء[3]، فأجابه طائف عن شماله لا أُبصره فقال: بَشِّر الجنَّ وأجناسَها، أن وضعت المَطِىّ أحلاسَها[4]، وكفّت[5] السماء أحراسَها، وأن يُغصَّ السَّــوْقُ أنفاسَها[6]، قال: فوثبتُ مذعورا وعرفتُ أنّ محمدا

---

(١) يقال: وقف حياله وبحياله: بإزائه.

(٢) العضباء: اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم.

(٣) العنقاء: لقب ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، قال حسان:

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما.

والأوس والخزرج: ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء ومن بطون الخــزرج بنو عدى بن النجار أخــوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، تزوج منهم جده هاشم سلمى بنت عمرو والنجارية أم عبد المطلب.

(٤) أحلاس: جمع حلس بالكسر، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة.

(٥) فى ب، س «ووكفت» وهو تحريف.

(٦) فى الأصول «أن بعض» ولعل صوابه ما أثبتنا، أى وبشر الجن بأن يغص ... وبشّر هنا بمعنى أنذر، ويغص أنفاسها: يصيبها بغصة، والسوق: الدفع الشديد. والمعنى: لم يعد لها سلطان، وكانت العرب تعتقد أن الجن تأتى بخبر السماء فتلقيه فى جوف الأصنام وجاء فى رواية الروض الأنف: «عن عباس بن مرداس أنه كان فى لقاح له نصف النهار، فاطلعت عليــه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بيض، فقال لى: ياعباس ألم تر أنّ السماء كفت أحراسها، وأن الحرب جرعت أنفاسها، وأن الخيل وضعت أحلاسهــا، وأن الذى نزل عليه البر والتقى يوم الاثنين ليلة الثلاثاء، صاحب الناقة القصواء. قال: فخرجت مرعوبا قد راعنى ما رأيت، وسعيت حتى جئت وثنا لى يقال له الضمار كنا نعبده ونكلم من جوفه ...». والقصواء: التى قطع طرف أذنها، وهو لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تكن ناقته قصواء، وإنما كان هذا لقبا لها، وقيل: كانت مقطوعة الأذن.

رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى، فركبتُ فرسى وسرتُ حتّى انتهيت إليه فبايعته وأسلمْت، وانصرفت إلى ضمار فأحرقتُه بالنار.

خروجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه

وقال أبو عبيدة: كانت تحت العبّاس بن مِرداس حبيبة بنتُ الضحّاك بن سُفيان السُّلَمى أحد بنى رِعْل[1] بن مالك، فخرج عبّاس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فبات بها، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله، وقال له: من سألك عنّى فحدّثه أنّى لحقتُ بيثربَ، ولا أحسبنى إن شاء الله تعالى إلّا آتيا محمدا وكائنا معه، فإنى أرجو أن نكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيرا لم أُسبَق إليه، وإن كان شرّا نصرتُه[2] لخئُولته، على أنى قد رأيت الفضلَ البيّن وكرامةَ الدنيا والآخرة فى طاعته ومؤازرته، واتّباعه ومبايعته، وإيثارِ أمرِه على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله واضحة، وأعلامَ ما يجىء به من الحقّ نيرة، ولا أرى أحدا من العرب يَنصِب[3] له إلا أُعطِىَ عليه الظفرَ والعلوَ، وأرانى قد أُلقِيتْ علىّ محبّةٌ له، وأنا باذلٌ نفسى دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض، قال: ثم سار نحو النبىّ صلى الله عليه وسلّم، وانتهى الراعى نحو إبله، فأتى امرأتَه فأخبرها بالّذى كان من أمره ومسيره إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقامت فقوّضتْ بيتَها، ولحقتْ بأهلها، فذلك حيث يقول عبّاس بنُ مِرداس، حين أحرق ضِمارا ولحق بالنبيّ صلى الله عليه وسلم:

لَعَمرى إنّى يوم أَجعَلُ جاهدا ... ضِمارًا لربّ العالمين مُشارِكَا
وتركِى[4] رسول الله والأَوسُ حوله ... أولئك أنصار له، ما أولئكا؟

(١) رعل: قبيلة من سليم.
(٢) فى جـ، ب «بصرته» وفى س «أبصرته» والصواب عن «ها» وهو تحريف.
(٣) نصب له: عاداه.
(٤) تركى، معطوف على أجعل المنزل منزلة المصدر، أى يوم جعلى ضمارا مشاركا وتركى. ما أولئكا: استفهام للتعظيم والتهويل.

كتاركِ سهلِ الأرضِ، والحزنَ يبتغى * ليَسلُكَ فى غيب الأمور المسالكا
فآمنتُ بالله الّذى أنا عبدُه * وخالفتُ من أمسَى يريد المَمالكا
ووجّهتُ وجهى نحو مكّة قاصدا * وتابعت بين الأخشبين[1] المبارِكا
نبيٌّ أتانا بعدَ عيسى بناطق * من الحقّ فيه الفصل منه كذلكا
أمينا على الفرقان أوّل شافع * وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تلافَى عُرا الإسلام بعد انفصامها * فأحكمَها حتّى أقام المَناسكا
رأيتك يا خير البريّة كلّها * توسّطتَ فى القربى من المجد مالكا[2]
سبقتَهُم بالمجد والجُود والعُلا * وبالغاية القصوى تفوت السّنابكا[3]
فأنتَ المصفّى من قريش إذا سمتْ * غَلاصِمُها[4] تبغى القُروم الفواركا

قال: فقدم عباس على رسول الله صلّى الله عليه وسلم المدينةَ حيث أراد المسير إلى مكّة عامَ الفتح، فواعَدَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قُدَيداً[5]، وقال: القَنى

---

(١) الأخشبان: جبلان مطيفان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر. وفى جـ «الأحسبين» وهو تصحيف.

(٢) يعنى مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

(٣) السنابك: جمع سنبك كقنفذ، وهو طرف الحافر. والمعنى: لا تبلغنها سنابك الخيول المتسابقة إليها.

(٤) غلاصم: جمع غلصمة، وهى أصل اللسان أو الجماعة أو السادة. والقروم: جمع قرم بالفتح، وهو السيد، وأصله الفحل الذى يترك من الركوب والعمل و يودع للفحلة والضراب. والفوارك: جمع فارك، من فرك الرجل امرأته فركا: أبغضها، يعنى أنهم ليسوا ممن تلهيهم النساء عن عظائم الأمور، ومن ذلك قول الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

وقد تمثل به عبد الملك بن مروان حين تهيأ لقتال ابن الأشعث. وفى وصف القروم بالفوارك ملاءمة ظاهرة.

(٥) قديد: موضع قرب مكة.

أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلّم قُديدا وهو ذاهب، لقيه عبّاس فى ألف من بنى سُلَيم، ففى ذلك يقول عبّاس بنُ مرداس :

بلِّغْ عبادَ الله أنّ محمدا * رسولَ الإله راشد أين يمّما (١)

دعا قومَه واستنصر اللهَ ربَّه * فأصبح قد وافَى الإله وأنعما (٢)

عشيّة واعدنا قُدَيدا محمّدا * يؤُم بنا أمرا من الله مُحكَمَا

حلفت يمينا بَرّةً لمحمّد * فأوفيته ألفا من الخيل مُعلَمَا

سرايَا يراها الله وهو أميرُها * يؤم بها فى الدِّين من كان أظلما (٣)

على الخيل مشدودا علينا دُروعُنا * وخيلا كدُفّاع الأَتِىِّ عرمرما (٤)

أطعناك حتّى أسلم الناس كلهم * وحتّى صبحْنا الخيلَ أهل يَلَمْلَما (٥)

وهى قصيدة طويلة .

زوجته تؤنبه على إسلامه

قال : ولمّا عرَف راعى العبّاس بن مرداس زوجتَه بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامَه قوّضتْ بيتها، وارتحلتْ إلى قومها، وقالت تؤنِّبه :

ألم ينه عباس بن مِرْداسَ أنّنى * رأيت الورى مخصوصةً بالفجائع

---

(١) فى هذا البيت خرم . ويمم : طلب . وفى الروض الأنف جـ ٢ ص ٢٦٨ «من مبلغ الأقوام» .

(٢) وافَى الله حقّه ووفاه : أداه ، ويقال : فعل كذا وأنعم : أى زاد .

(٣) يراها الله ، أى بعين رعايته . وأظلم هنا بمعنى ظالم .

(٤) فى الأصول : «عليها» وهو تحريف ، والخيل : الفرسان . وفى السيرة «ورجلا» وهم الرجالة أى المشاة . وسيل أتىّ : وفى ب ، س : «اللواتى» ؛ وهو تحريف . والتصويب عن ها ، والسيرة النبوية . والدفاع : كثرة الماء وشدته وتدافع جريه . وجيش عرمرم : كثير شديد .

(٥) كذا فى الأصول . وفى الروض الأنف : «صبحنا الجمع» . يلملم : ميقات اليمن ، جبل على مرحلتين من مكة . وفى ب ، س «يلما» ؛ وهو تحريف .

أتاهمْ من الأنصار كلُّ سَمَيْـذعٍ (١) * من القوم يَحمِى قومَه فى الوقائع
بكلّ شديد الوَقْع عَضْب، يقودُه (٢) * إلى الموت هامُ المُقرِبات البرائع
لَعَمرى لئن تابعت دينَ محمـد (٣) * وفارقت إخوانَ الصَّفا والصنائع
لبدّلت تلك النفسَ ذلّا بعِـزّة (٤) * غداةَ اختلاف المُرهَفات القواطع
وقوم هم الرأس المقدَّم فى الوغى (٥) * وأهلُ الحِجا فينا وأهـلُ الدَّسائع
سـيوفُهُم عِزُّ الذَّليـل وخيلُهـم * سِهامُ الأعادى فى الأمور الفظائع

شعره لرسول الله حين فضل غيره عليه فى الغنائم وخبر ذلك

فأخبرنى أحمد بنُ محمّد بنِ الجعد قال: حدّثنا محمد بن إسحاق المسيّبى قال: حدّثنا محمد بنُ فُلَيح عن موسى بن عقبة، عن ابن شِهاب، وأخبرنى عمر بن إسمعيل ابن أبى غَيْلان الثَّقفىّ قال: حدّثنا داود بن عمرو الضّبّىّ قال: حدّثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق، وحدّثنيه محمد بنُ جرير قال: حدّثنا محمد بنُ حُمَيد قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق — وقـد دخل حديثُ بعضهم فى حديث بعض — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسّم غنائمَ هَوازنَ، فأكثر العطايا لأهل مكّة، وأجزل القَسْم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين، حتى إنه كان يعطى الرجل الواحد مائة ناقة، والآخر ألف شاة، وزَوى كثيرا من القَسْم عن أصحابه، فأعطى الأقرعَ بنَ حابس وعيينة ابنَ حصن والعباسَ بنَ مرداس عطايا فضّل فيهـا عيينةَ والأقـرعَ على العبّاس، فجاءه العباس فأنشده:

(١) السميذع: السيد الكريم والشجاع.
(٢) المقربات: جمع مقربة، وهى الفرس التى تدنى وتقرب وتكرم، ولا تترك أن ترود لئلا يقرعها فحل لئيم، أو هى التى ضمرت للركوب. البرائع: جمع بريعة، وهى المرأة الفائقة فى الجمال والعقل؛ جعلها هنا وصفا للأفراس. (٣) الصنائع: جمع صنيعة، وهى الإحسان.
(٤) المرهفات: السيوف المرققة. (٥) الدسائع: جمع دسيعة، وهى العطيّة.

وكانت نهابا تلافيتها * بكرّى على المهر فى الأجرع (١)

وإيقاظى الحىَّ أن يرقدوا * إذا هجع القومُ لم أهجع

فأصبح نهبى ونهبُ العبيـ * ـد بين عيينة والأقرع (٢)

وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدْرَإٍ * فلم أُعطَ شيئا ولم أُمنع (٣)

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ * يفوقان مرداسَ فى مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليومَ لا يُرفع

فبلغ قوله رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه فقال له : أنت القائل : «أصبح نهبى ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر : بأبى أنت وأمّى يا رسول الله، لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر، ولا ينبغى لك الشعرُ، وما أنت براوية، قال : فكيف قال؟ فأنشده أبو بكر رضى الله عنه، فقال : هما سواء، لا يضرّك بأيّهما بدأت : بالأقرع أم بعيينة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقطعوا عنّى لسانَه، وأمر بأن يُعطوه من الشّاء والنَّعَم (٤) ما يرضيه ليُمسك، فأُعطِىَ، قال : فوجَدَتِ (٥) الأنصارُ فى أنفسها، وقالوا : نحن أصحاب موطن (٦) وشدّة، فآثر قومه علينا، وقسم قسْما لم يقسمه لنا، وما نراه فعل هذا إلّا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم، فلما بلغ قولَهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فى منزلهم فجمعهم، وقال : من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله، فحمد الله وأثنى عليه

---

(١) فى ب، س «كانت رزايا» والتصويب عن جـ، ها. والنهاب : الغنائم.

(٢) العبيد : اسم فرس العباس بن مرداس. وفى الأصول «عينية» وهو تصحيف.

(٣) رجل ذو تدرأ وتدرأة : مدافع ذو عز ومنعة.

(٤) فى ب، س، جـ : «من النساء»؛ وهو تحريف والتصويب عن ها.

(٥) وجد عليه يجد : غضب. (٦) الموطن : المشهد من مشاهد الحرب.

ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتني مقالةٌ قلتموها ، وموجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم قليلا فكثّركم الله؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم أعداءً فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى .

قال محمد بن إسحاق : وحدّثني يعقوب بن عيينة أنه قال : ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال : أفلا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات ، فأخرجَنا اللهُ بك إلى النور ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفْرة من النار ، فأنقذنا الله ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله ربّا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا . فقال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا ، فقلتم : جئتَنا طريدا فآويناك ، ومخذولا فنصرناك ، وعائلا فأغنَيْناك ، ومكذَّبا فصدّقناك ، وقبِلْنا منك ما ردّه عليك الناسُ ، لقد صدقتم . فقال الأنصار : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم ، وبكى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال : يا معشر الأنصار وَجَدْتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرتُ بها ناسا أتألّفهم على الإسلام ليُسلِموا ، ووكَلْتكم إلى الإسلام ، أولا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذى نفس محمد بيده لو سلك الناسُ شِعْبا[1] وسلك الأنصار شِعْبا لسلكتُ شِعبَ الأنصار ، ولولا الهجرة لكنتُ آمرأ من الأنصار ، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضَلوا[2] لحاهم ، وقالوا : رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حَظًّا وقَسْما ، وتفرّق القوم راضين ، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أشدَّ اغتباطا من المال .

(١) الشعب : الطريق في الجبل .

(٢) أخضله : بله .

وقال أبو عمرو الشيبانى فى هذا الخبر : أَعطَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من أشراف العرب عطايَا يتألّف بها قلوبَهم وقومَهم على الإسلام ، فأعطى كلَّ رجل من هؤلاء النّفر — وهم : أبو سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم ابن حزام، والحرث بن هشام، وسُهَيل بن عمرو، وحُوَيْطِب بنُ عبد العُزّى، وصفوان ابن أميّة، والعلاء بن حارثة الثّقفى حليفُ بنى زُهرة، وعيينة بن حِصْن، والأقرع ابن حابس — مائةً من الإبل، وأَعطَى كلَّ واحد من مَخْرمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بنى عامر بن لؤىّ وسعيد بن يربوع، ورجلا من بنى سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ، وأعطى العبّاسَ بنَ مرداس أباعر، فتسخّطها وقال الأبيات المذكورة ، فأعطاه حتى رضى .

كتب عبد الملك كتابا فيه شعر للعباس يتوعده وخبر ذلك

حدّثنا وكيع قال: حدّثنا الكُرَانىّ قال: حدّثنا عطاء بنُ مصعب، عن عاصم ابنِ الحَدَثان قال : كتب عبد الملك بن مروانَ إلى عبد الله بن الزبير كتابا يتوعّده فيه وكتب فيه :

إنى لَعِندَ الحرب تحمل شِكَّتى * إلى الرَّوْع جَرْداء السَّيَالة ضامرُ[1]

والشعر للعبّاس بن مرداس . فقال ابن الزبير : أَبِالشعر يقوى علىّ؟ والله لا أجيبه إلّا بشعر هذا الرجل ؛ فكتب إليه :

إذا فَرِس العَوالى لم يخالِجْ * همومى غير نصرٍ واقترابِ[2]

(١) الشكة : السلاح . السيالة : واحدة السيال ، وهو شجر سبط الأغصان له شوك أبيض وأراد بها المتن — على التشبيه — وفى الأصول : « السبالة » بالباء .

(٢) فرسه فرسا : دقه وكسره . والعوالى : جمع عالية ، وهى رأس الرمح .

وأنّا والسّوابح يومَ جَمْعٍ (١) * وما يتلو الرسول من الكتاب

هزمْنا الجمعَ جمعَ بنى قِسِيٍّ (٢) * وحكّت بَرْكَها ببنى رِئاب

هذه الأبيات من قصيدة يفتخر فيها العبّاس برسول الله صلّى الله عليه وسلم ونصره له، وفيها يقول:

٥ بذى لَجَبٍ رسولُ الله فيه * كتيبتُه تعرَّضُ للضِّراب (٣)

ولو أدركن صِرمَ بنى هلالٍ * لآمَ نساؤهمْ والنَّقْعُ كابى (٤)

خبر قتل أخيه هريم

قال أبو عُبيدة: وكان هُرَيم بنُ مرداس مجاورا فى خُزاعة فى جِوار رجل منهم يقال له عامر، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلد، وبلغ ذلك أخاه العبّاس ابن مرداس، فقال يحضّ عامرا على الطلب بثأر جاره، فقال:

٦٩/١٣

١٠ إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً * فإنّ شفاء البغي سيفُك فافصِلِ

ونبّئت أن قد عوّضوك أباعرًا * وذلك للجيران غزل بمغزل

فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ * وفيها متاعٌ لامرئٍ متذلّل

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لمّا دعاه علىّ عليه السلام إلى البيعة، وتحدّث الناسُ أنّه وعده أن يولّيه الشأم إذا بايعه. قال: فلما

---

١٥ (١) السوابح: جمع سابح، وهو من الخيل ما يمدّ يديه فى الجرى سبحا. وفى جـ، ب، س «يوم بدر» والتصويب عن ها والسيرة النبوية لابن هشام، وقد قال العباس هذا الشعر يوم حنين. وجمع: المزدلفة.

(٢) فى جـ، ب، س «يوم بنى قسىّ». وقسى هو ثقيف. والبرك: كلكل البعير وصدره الذى يدوك به الشىء تحته، و يقال فى صفة الحرب وشدّة وطأتها: «حكت بركها بهم».

٢٠ (٣) بذى لجب، أى بجيش ذى لجب، واللجب: الجلبة والصياح. وفى الأصول: «كعارضة تعرض للصواب» والتصويب عن السيرة النبوية.

(٤) الصرم: الفرقة من الناس ليسوا بالكثير. والنقع: الغبار. والكابى: المرتفع الضخم.

بلغته هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر بهُرَيم، ثم إن أبا حُلَيس النَّصرىّ لقى خويلدا قاتلَ هُرَيم فقتله، فقال بنو نصر: بُؤْ بدم فلان النصرىّ — رجل كانت خزاعة قتلته — فقال أبو الحليس: لا، بل هو بُؤْ بدم هُرَيم بن مرداس، وبلغ العبّاس، فقال يمدحه بقوله:

أتانى من الأنباء أنّ آبنَ مالكٍ * كفى ثائرا من قومه مَن تغيّبا[2]

[ويلقاك ما بين الخَميس خُويلدٌ * أرى عَجَبا بل قتله كان أعجبا][3]

فدًى لك أمّى إذ ظَفِرتَ بقتلِه * وأقسم أبغى عنك أمّا ولا أبا[4]

فمثلُكَ أدّى نُصرةَ القوم عَنوةً * ومثلُك أعيا ذا السّلاح المجرّبا

وجه بنى نصر

قال أبو عبيدة: أغارت بنو نصر بن معاوية[5] على ناحية من أرض بنى سُليم، فبلغ ذلك العبّاس بنَ مرداس، فخرج إليهم فى جمع من قومه، فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل، وظهرت عليهم بنو سُليم، وأسروا ثلاثين رجلا منهم، وأخذتْ بنو نصر فرسا للعبّاس عائرةً[6] يقال لها زِرّة[7]، فانطلق بها عطية[8] بنُ سُفْيان النَّصرى — وهو يومئذ رئيس القوم — فقال فى ذلك العباس:

أبى قومنا إلا الفرارَ ومن تكن * هوازنُ مولاه من النّاس يُظلَمِ[9]

(١) أى خويلد بؤ . يقال : باء دمه بدمه بوءا وبواء : عدله .

(٢) ثائرا ، أى آخذا بالثأر . (٣) تكملة عن « ها » . (٤) أبغى : لا أبغى .

(٥) هم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ... فهم و بنو سليم أبناء عم . (٦) يريد : شاردة وضالة ، من قولهم : أصابه سهم عائر أى لا يدرى من رماه .

(٧) فى الأصول : « زورة » وهو تحريف ، وصوابه ما أثبتنا كما فى (تاج العروس) .

(٨) فى ب ، س « غبطة » وصوابه ما أثبتنا كما فى ها .

(٩) أبى قومنا : يريد بنى عمهم بنى نصر . يظلم ، أى يتعرّض للظلم والعدوان عليه لضعفهم عن نصرته والذود عنه .

أغار علينا جمعُهم بين ظالم * وبين ابنِ عمٍّ كاذبِ الودِّ أيهم (١)

كلاب وما تفعل كلابٌ فإنها * وكعب سراة البيت مالم تهدم (٢)

فإن كان هذا صُنعُكم فتجرّدوا * لألفين منّا حاسرٍ ومُلأَّم (٣)

وحرب إذا المرء السَّمين تمرَّستْ * بأعطافه بالسيف لم يترمرم (٤)

ولم أحتسبْ سُفيانَ حتى لقيتُه * على مأقط إذ بيننا عِطر مَنْشِم (٥)

فقلت وقد صاح النساء خلالَهم * لخيلىَ شُدّى إنهم قومُ لهذم (٦)

فما كان تهليلٌ لدُنْ أن رميتُهم * بزِرّة رَكْضا حاسرا غيرَ مُلجَم

إذا هي صدّت نحرَها عن رماحهم * أقدمها حتى تنعّل بالدم

وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها * وآخَرُ يهوِى لليدين وللفم (٧)

لَدُن غُدوةً حتى استُبيحوا عشيّةً * وذلّوا فكانوا لحمَة المتلحّم (٨)

فآبوا بها عُرْفا وألقيتُ كَلْكلي * على بَطَل شاكى السِّلاح مكلّم (٩)

ولن يمنع الأقوام إلّا مُشايحٌ * يُطارِد فى الأرض الفضاء ويرتمى (١٠)

---

(١) الأيهم : من لا عقل له ولا فهم .

(٢) كلاب وكعب : هما ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وسراة كل شىء : أعلاه وظهره ووسطه .

(٣) رجل حاسر : لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . وملأّم : عليه لأمة ، وهى الدرع ، والسلاح وأداة الحرب . (٤) تمرّس به : احتك به . وترمرم : حرّك فاه للكلام .

(٥) المأقط : المضيق الذى يقتتلون فيه . ومنشم : امرأة كانت عطارة بمكة ، وكانوا إذا أرادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت فيهم القتلى ، فضربوا بها المثل فى الشؤم فقالوا : أشأم من عطر منشم .

(٦) اللهذم : القاطع من الأسنة أى قوم ذوو لهاذم .

(٧) راغ : مال وحاد . (٨) المتلحم : يريد طالب اللحم ومشتهيه .

(٩) العرف : اسم من الاعتراف ، أى آبوا معترفين بالهزيمة . والكلكل : الصدر . شاكى السلاح : ذو شوكة وحد فى سلاحه ، مكلّم : مجرّح .

(١٠) شايح : قاتل ، وجدّ فى الأمر . وفى الأصول « مشايخ * تطاردن » وهو تصحيف . ارتموا : تراموا .

قال : ثم إن العبّاس بن مرداس جمع الأسارَى من بنى نصر — وكانوا ثلاثين رجلا — فأطلقهم ، وظن أنّهم سيثيبونه بفعله ، وأنّ سفيانَ سيردّ عليه فرسَه زِرّةَ، فلم يفعلوا ، فقال فى ذلك :

أزِرّة خيرٌ أم ثلاثون منكمُ * طليقا رددناه إليكمْ مسلَّما (١)

قال : وجعل العباسُ يهجو بنى نصر ، فبلغه أن سفيانَ بن عبد يغوثَ يتوعّده فى ذلك ، فلقيَه عبّاس فى المواسم ، فقال له سفيان : والله لتنتهِينّ أو لأصرمنّك ، فقال عباس :

أتوعدنى بالصّرْم إن قلت أُوفِنى * فأوفِ وزِدْ فى الصّرمِ لِهزِمةَ التّتن (٢)

وقال العباس أيضا فيه :

ألا مَن مُبلغ سُفيانَ عنّى * وظنِّى أن سيبلغه الرسولُ
ومولاه عطيّة أنّ قِيلا * خلا منّى وأن قد بات قِيل (٣)
سئمتمْ ربّكمْ وكفرتموه * وذلكمُ بأرضكمُ جميلُ (٤)
ألا تُوفِى كما أوفَى شبيبٌ * فحلّ له الولايةُ والشّمول
أبوه كان خيركم وفاءً * وخيركم إذا حُمِد الجميلُ
ألام على الهجاء وكلّ يوم * تلاقينى من الجيران غول (٥)
سأجعلها لأجمَعِكم شِعارا * وقد يَمضى اللسان بما يقول

(١) فى الأصول « طليق » وهو تحريف ، والفصل بين العدد وتمييزه ضرورة ، كقوله :

* ثلاثون للهجر حولا كميلا *

(٢) اللهزمتان : عظمان ناتئان فى اللحيين تحت الأذنين ، يريد يا رأس التتن وأصله .

(٣) القيل : القول ، أو القول فى الشر . خلا : مضى .

(٤) فى ب ، س « شئتم » والتصويب عن جـ .

(٥) الغول : الهلكة والداهية .

وهذه الأبيات من شعر العبّاس بن مرداس التى ذكرنا أخبارَه بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها فى غَزاةٍ غزاها بنى زُبَيْد باليمن .

حربه مع بنى زبيد

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة : جمع العباس بنُ مرداس بن أبى عامر — وكان يقال للعبّاس : مقطِّع الأوتاد — جمعا من بنى سُليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبّح بنى زبيد بتثليثَ من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عددا كثيرا، وغنم حتّى ملأ يديه، فقال فى ذلك :

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسا * وقفتُ به يوما إلى اللّيل حابسَا

يقول فيها :

فدع ذا ولكنْ هل أتاك مَقادنا * لأعدائنا نزجى الثقالَ الكَوادسا (١)

سموْنا لهم تسعا وعشرين ليلةً * نُجيزُ من الأعراض وَحشا بَسابِسا (٢)

فلم أر مِثلَ الحىِّ حيًّا مصبَّحا * ولا مِثلَنا يوم التقَينا فوارسا

إذا ما شددْنا شَدّةً نصَبوا لنا * صدورَ المَذاكى والرماحَ المَداعِسا (٣)

وأحصَدْنا منهمْ فما يبلغوننا * فوارسُ منّا يحبسون المَحابسا

وجُرْدٌ كأنّ الأُسد فوق مُتونها * من القوم مرءوسا كَميًّا ورائسا

وكنتُ أمامَ القوم أوّلَ ضاربٍ * وطاعنتُ إذ كان الطِّعان مُخالسا (٤)

(١) كدست الدواب : أسرعت وركب بعضها بعضا فى سيرها .

(٢) الأعراض : قرى بين الحجاز واليمن . والبسابس : جمع بسبس كجعفر، وهو القفر الخالى .

(٣) المذاكى : الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . والمداعس : جمع مدعس كمنبر وهو من الرماح الغليظ الشديد الذى لا ينثنى ، ودعسه بالرمح : طعنه .

(٤) تخالس القرنان : رام كل واحد منهما اختلاس الآخر . وفى ب ، جـ «مجالسا» وفى ط «تخالسا» .

ولومات منهم من جرحنا لأصبحت * ضباعٌ بأكناف الأراك عرائسا

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أولها :

لمن طللٌ بالخيف أصبح دارسا * تبدّل آراما وعينا كوانسا (١)

٧١ / ١٣

وهى طويلة ، لم يكن فى ذكرها مع أخبار العباس فائدة ، وإنما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور فى أولها .

٥

شعره فى جلاء بنى النضير وجواب خوات له

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال : حدّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدّثنا أبوغزية عن فُليح بن سليمان قال : قال العبّاس يذكر جلاء بنى النّضير ويبكيهم بقوله :

لو أنّ قطينَ الدّار لم يتحمّلوا * وجدت خلال الدار ملهى وملعبا (٢)

فإنّك عمرى هل رأيتَ ظعائنا * سلكن على رُكن الشطاة فميثبا (٣)

[عليهنّ عينٌ من ظباء تبالةٍ * أوانس يُصبين الحليمَ المجرّبا] (٤)

١٠

إذا جاء باغى الخير قلن بشاشةً * له بوجوهٍ كالدنانير : مرحبا

[وأهلًا فلا ممنوع خيرٍ طلبتَه * ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنّبا] (٤)

فلا تحسبنّى كنتُ مولى ابن مشكمٍ * سلامٍ ولا مولى حُيىّ بن أخطبا (٥)

فقال خوّات بن جُبير يجيب العبّاس :

أتبكى على قتلى يهودَ وقد ترى * من الشّجو لو تبكى أحقّ وأقربا

١٥

(١) آرام : جمع رئم ، وهو الظبى الخالص البياض . والعين : بقر الوحش . وكنس الظبى كضرب : دخل فى كناسه ، وهو ما يستره من الشجر . (٢) القطين : أهل الدار . تحملوا : ارتحلوا .

(٣) فى الأصول « السطاة فأثابا » وهو تحريف . والتصويب عن معجم ما استعجم ج ٣ : ص ٧٩٨ ، والشطاة بفتح أوله : موضع قبل خيبر ، ورد ذكره فى أشعار المغازى . وميثب : من خيبر هو موضع صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠

(٤) سقط هذا البيت من ب ، س ، جـ وقد أثبتناه عن ها . (٥) فى ب ، س ، جـ « سلم » وهو تحريف . والمولى : الحليف والصاحب . وحيىّ بن أخطب : سيد بنى النضير .

فهــلّا على قتــلى ببطنِ أُوارةٍ * بكيتَ وما تبكى من الشجو مغضبا
إذا السِّلم دارت فى الصديق رددتَها * وفى الدِّين صَدّادا وفى الحرب ثعلبا (١)
وإنك لمــا أن كلِفت بمِدحــةٍ * لِمن كان عَيْنــا مدحُــه وتكذُّبا (٢)
وجئتَ بأمرٍ كنت أهــلًا لمثــله * ولم تُلفِ فيهم قائلا لكَ مرحبا
فهــلّا إلى قوم ملوكٍ مــدحتَهم * بنَوا من ذُرا المجــد المقدَّم مَنصِبا
إلى معشرٍ سادوا الملوكَ وكُرِّموا * ولَم يُلْفَ فيهم طالبُ الحق مُجدِبا (٣)
أولئــك أَولَى من يهــودَ بمِدحةٍ * تراهمْ وفيهــم عزّةُ المجــد تُرْتَبــا (٤)

فقال عبّاس بنُ مرداس يجيبه :

هجــوتَ صريحَ الكاهنَين وفيكمُ * لهم نِعَم كانت من الدهر تُرْتَبــا (٥)
أولئك أحرى إن بكيتَ عليهمُ * وقومُك لو أدَّوا من الحقّ موجَبا
من الشكرِ إنّ الشكر خيرٌ مَغَبّةً * وأوفَقُ فِعــلا للّذى كان أصوبا (٦)
فصرتَ كمن أمسى يقطِّع رأسَــه * ليبلُغ عزّا كان فيــه مركَّبا
فبَــكِّ بنى هارونَ واذكر فَعــالَهمْ * وقتلهمُ للجــوع إذ كُنْتَ مُســغبا (٧)

(١) فى ب، س، جـ « مداحا » والتصويب عن السيرة لابن هشام .
(٢) فى جـ « عنا » .
(٣) فى ب، س، جـ « محدبا » وهو تصحيف .
(٤) فى ها « أحرى » . والترتب (بضم التاء الأولى وضم الثانية وفتحها) : الشىء المقيم الثابت . وفى الأصول « وفيهم طابع اللؤم » . والتصويب عن السيرة النبوية .
(٥) الصريح : الخالص النسب . والكاهنان : يطلقان على قريظة والنضير .
(٦) فى ب، س، جـ « من السكران السكر » وهو تصحيف .
(٧) أسغب : دخل فى المجاعة فهو مسغب، كما يقال : أقحط : دخل فى القحط .

قال الزبير : فحدّثنى محمد بن الحسن عن مُحرِز بن جعفر قال : التقى عبّاس بنُ مرداس وخوّات بنُ جبير يوما عند عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه، فقال خوّات : ياعباس أأنت الذى رثيتَ اليهود، وقد كان منهم فى عداوة رســول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ! فقــال عباس : إنهم كانوا أخلّائى فى الجاهلية، وكانوا أقواما أنزل بهم فيكرمونى ، ومثلى يشكر ما صُنِــع إليه من الجميل ، وكان بينهما قول حتى تجاذبا ، فقال له خوّات : أما والله لئن استقبلت غَرْب[1] شـبابى ، وشَبَا أنيابى ، وخَشِن جوابى، لتكرهنّ عتابى . فقال عبّاس : والله يا خوّات ، لئن استقبلت عَنِّى وفَنِّى[2] وذكاءَ سِنِّى، لتَفِرّنّ منّى، إيّاى تتوعد ياخوّات، ياعانىَ[3] السوآت ! والله لقد استقبلك اللؤمُ فَرَدَعك[4]، واستدْبَرك فكسَعَك[5]، وعَلاك فوَضَعك، فما أنت بمهجوم[6] عليك من ناحيــة إلّا عن فضل لؤم؛ إيّاى — ثكِلتْك أُمُّك — تروم ؟ وعلىّ تقوم ؟ والله ما نُصِبتْ سُوقُك، ولأُظهرنّ عليك بعدُ[7]؛ فقال عمر لهما: إما أن تسكتا وإما أن أوجعكما ضربا، فصمَتا وكفّا، أخبرنى بذلك على بن نصر قال : حدّثنى الحسن بن محمد بن جرير، وحدّثنى الحرمى بن أبى العلاء، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك. وللعباس مع خَوّات مناقضات أُخَرُ فى هذا المعنى، كرِهتُ الإطالةَ بذكرها.

رثاه أخوه بشعر

قال أبو عبيدة : وكان العباس وسراقة وحَزن وعمــرو بنو مِرْداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلّهم كان شاعرا ، وعبّاس أشعرهم ، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم، ومات فى الإسلام، فقال أخوه سراقة يرثيه :

---

(١) الغرب : الحدّة . والشبا جمع شباة، وهى حد كل شىء . (٢) العنّ : الاعتراض . والفنّ : الأمر العجب، رجل معنّ مفنّ (كمقص) . معنّ : أى يعتن و يعترض فى كل شىء، مفن : يأتى بالعجائب، ومفن أيضا ذوفنون من الكلام . والذكاء : شدّة وهج النار. (٣) أى يا أسير السوآت .
(٤) ردعه بالشىء كفتح : لطخه به . (٥) كسعه بالسيف كمنع ، ضرب دبره به .
(٦) فى ب، س «بمجهوم» وهو تحريف والتصويب عن «ها» . (٧) فى جـ، ها «عنك» .

أعينِ ألا ٱبكى أبا الهيثم * وأذرِى الدموعَ ولا تسأمِى
وأثنى عليــه بآلائــه * بقول ٱمرئ موجَع مؤلَم
[فما كنتُ بائعه بٱمرئ * أراهُ ببـدْوٍ ولا مَوْسـِمِ][1]
أشــدّ على رجل ظـالم * وأدهَى لداهيــة مِيــثم[2]

٥ وقالت أخته عَمْرةُ ترثيه :

لِتَبكِ ٱبنَ مرداسٍ على ما عَرَاهُمُ * عشيرتُه إذ حُـمّ أمس زَوالُهـا
لدى الخصم إذ عند الأمير كَفَاهُمُ * فكانـ إليه فصلُها وجِدالُهـا[3]
ومُعضِـلة للحاملين كـفيتها * إذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُهـا[4]

دعاء النبي عليه السلام لأمته

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ونقل عنه الحديث .

١٠ حدّثنا الحسين بن الطيّب الشجاعىّ البَلْخى بالكوفة قال : حدّثنا أيوب ابن محمد الطّلحى[5] قال : حدّثنا عبد القاهر بن السرىّ السُّلَمى قال : حدّثنا عبد الله ابن كِنانة بن عباس بن مرداس السلمى أن أباه حدّثه عن جدّه عباس بن مرداس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لأمّته عشيّةَ عَرَفة قال : فأجيبَ لهم بالمغفرة إلّا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض ، قال : فإنى آخذ للظلوم من الظالم، قال : أىْ ربِّ إن شئت أعطيتَ للظلوم من الجنة، وغفرتَ للظالم، ١٥ فلم يجب فى حينه ، فلما أصبح فى المزدلِفة أعاد الدعاء ، فأجيب لهم بما سأل ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أو تبسّم، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : بأبى

---

(١) هذا البيت ساقط من ب، س، جـ وقد أثبتناه عن «ها» . (٢) ميثم : شديد الوطء .
(٣) فصلها أى فى الخصومات والمشاكل . (٤) النهل (كسبب) : أوّل الشرب . هوج
٢٠ الرياح : الشديدة الهبوب . طلال : جمع طل وهو أخف المطر وأضعفه . يقول، إنه غياث لقومه وقت الجدب حين تهب الرياح الهوجاء حاملة طلالا لا تغنى ولا تسد حاجة . (٥) الذى فى جـ، «ها» «الصالحى» .

أنت وأمّى ! إن هـذه لساعة ما كنتَ تَضحك فيها أو تَبسّم ، فقال : إنّ إبليس لمّا علم أن الله غفر لأمّتى جعل يَحثُو الترابَ على رأسه ، و يدعو بالوَيْل والثُّبور ، فضحكتُ مِن جَزَعه . تمّت أخبارُ العبّاس .

صــــوت

أرجوكَ بعـد أبى العبّاس إذ بانا * يا أكرَمَ النـاسِ أعراقا وعِيدانا ٥

أرجوك من بعدِه إذ بان سـيِّدنا * عنّا ولولاك لاستسلمت إذ بانا

فأنت أكرمُ من يَمشى على قدم * وأنضرُ الناس عند المَحْل أغصانا

لو مَجّ عُـودٌ على قومٍ عُصَـارتَه (١) * لمجّ عودُك فينـا المِسـكَ والبانا

الشعر لحمّاد عَجْرد ، والغناء لحَكَم الوادىّ ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر فى مجراها . ١٠

(١) فى ب ، س ، جـ « غضارته » والتصويب عن ط ، مط ، ها .

أخبار حمّاد عَجْرد ونســبه

نســبه

هو حمّاد بنُ يحيى بن عمر بن كُلَيب[1]، ويُكنَى أبا عُمَر[2]، مولى [بنى][3] عامر بن صعصعة، وذكر ابن النّطّاح أنه مولى بنى سَراةَ، وذكر سليمان بن أبى شيخ عن صالح ابن سليمان أنه مولى بنى عُقيل، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة، وكان يَبرِى النَّبل، وقيل: بل أبوه كان نَبّالا، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر.

وقال صالح بنُ سليمان: كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس[4] بن كليب، وكانت له هيئــة[5] — وابن عمّــه عُمارة بن حمــزة بن كليب — انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطا، فكانوا بها، وحمّــاد من مخضرَمى الدّولتين الأمويّة والعباسـيّة، إلا أنه لم يشتهر فى أيام بنى أميــة شهرتَه فى أيام بنى العبّاس، وكان خليعا ماجنًــا، متّهما فى دينه، مرميّا بالزندقة.

كان أبــوه مولى لبنى هند، وهجاه بشار له

أخبرنى عمّى قال: حدّثنــا أحمــد بن أبى طاهر قال: قال أبو دعامة: حدّثنى عاصمُ بن أفلحَ بن مالك بن أسماء قال: كانــ يحيى أبو حمّاد عجرد مولًى لبنى هندِ بنت أسماءَ بن خارجة، وكان وكيلا لهــا فى ضَيْعتها بالسَّواد[6]، فولدتْ هندٌ من بِشرِبنِ مروان عبدَ الملك بن بِشر، بجُزعبد الملك ولاء موالى أمّه فصاروا مَواليَه.

قال: ولمــا كان والدُ حمّاد عَجْرد بالسواد فى ضَيْعتها نَبَّطَه[7] بشّارٌ لمّــا هجَاه بقوله:

واشْدُدْ يديك بحمّاد أبى عُمَرٍ * فإنّه نَبَطىٌّ مِنـ زَنابِير[8]

(١) كذا فى ها، ومعجم الأدباء ج ١٠ : ٢٤٩ وفى باقى الأصول «عمرو».
(٢) كذا فى ب، س وهو الصواب؛ وفى باقى الأصول «أبا عمرو». (٣) عن ط، مط.
(٤) كذا فى ط، مط. والذى فى ب، س، جـ «مولى». وفى ها: يونس.
(٥) فى ب، س، جـ «بقية» وما أثبتناه من ط، مط، ها.
(٦) أى سواد العراق. (٧) نبطه: نسبه إلى النبط.
(٨) كذا فى ط، مط. والذى فى باقى الأصول: «دنانير»؛ وهو تصحيف. وزنابير: أرض باليمن.

قال: وإنما لقّبه[(1)] بعجرد عمرو بن سِنْدىّ مولًى ثقيف لقوله فيه :

سَبَحَتْ بغلةٌ ركبتَ عليها * عجبًا منك خَيبــةً للمَسير[(2)]
زعمتْ أنهـا تَراه كبيرا * حَملها عَجرد الزِّنا والفُجور[(3)]
إن دهرا ركبتَ فيه على بغْـ * ـلٍ وأوقفتَه بباب الأمير
لَجديرٌ ألّا نَرى فيــه خيرا * لصغيرٍ منّـا ولا لِكبير
ماآمرؤٌ ينْتَقيك ياعُقْدةالكَلْـ * ـب لأسراره بجِــدٍّ بصير[(4)]
لا ولا مجلسٌ أَجَنَّـك للّــذّ * ات يا عَجْرَدَ الخَنَـا بستير[(5)]

يعنى بهذا القول محمــد بنَ أبى العبّاس السفّاح، وكان عَجْرد فى نُدَمائه، فبلغ هــذا الشعرُ أبا جعفر، فقال لمحمد: مالى ولعجرد يَدخُل عليك؟ لا يَبلغُنى أنك أذنتَ له ، قال : وعَجْرد مأخوذٌ من المعجَرِد، وهو العُريان فى اللّغــة، يقال : تعجرد الرجلُ إذا تَعرّى فهو يتعجرد تعجردا : وعجردتُ الرجلَ أُعجرِدُه عَجردةً إذا عرّيته .

الحمادون الثلاثة

أخبرنى إسماعيل بنُ يونس قال: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة، ونسختُ من كتاب عبــد الله بن المعتز، حدّثنى الثقفىّ عن إبراهيم ابن عمر العامرىّ قال : كان بالكوفة ثلاثة نَفَر يقال لهم الحمّــادون : حمّاد عَجْرد وحمّاد الراوية، وحمّاد [بن][(6)] الزِّبرِقان ، يتنادمون على الشراب ، و يتناشدون الأشعار و يتعاشرون معاشرةً جميــلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، يُرمون بالزندقــة جميعا وأشهرهم بها حمّادُ عَجرد .

(١) كذا فى ط ، مط ، ها . والذى فى ب ، س « سماه » . وقد سقطت هذه الكلمة من جـ .
(٢) سبح الفرس : مدّ يديه فى العدو ، شبهه بالسابح فى الماء . وفى ب ، س « سحبت » .
(٣) حملها : بدل من الهاء فى تراه . (٤) عقدة الكلب : قضيبه .
(٥) أجنك : سترك . الخنا : الفحش . ستير : مستور .
(٦) كذا فى ط ، مط ، ها ، مب . وقد سقطت هذه الكلمة من ب ، س ، جـ .

أخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمَحِىّ أبو خليفة إجازةً عن التوّزىّ (١) : أن حمادا لقِّب بعجرد لأن أعرابيا مرّ به فى يوم شديدِ البَرْد وهو عُريانٌ يلعب مع الصِّبيان فقال له : تعجردتَ يا غلام؛ فسمِّىَ عجردا .

٧٤ / ١٣

قال أبو خليفة : المتعجرد : المتعرِّى؛ والعَجْرد أيضا : الذهب .

سبب مهاجاة بشار

٥ أخبرنى أحمد بنُ يحيى بن على بن يحيى، عن على بن مهدى، عن عبد الله ابن عطية ، عن عبّاد بن الممزّق، وأخبرنى أحمد بنُ عبد العزيز الجوهرىّ، قال : حدّثنا عمرُ بنُ شبة قال : كان السبب فى مهاجاة حمّاد عجردٍ بشّارا أنّ حمّادا كان نديما لنافع بن عُقبة ، فسأله بشّار تنجُّز حاجة له من نافع ، فأبطأ عنها ، فقال بشارٌ فيه :

١٠ مواعيدُ حمّاد سماءٌ مُخيلةٌ * تَكشّفُ عن رعد ولكن ستَبرُقُ (٢)

إذا جئتَه يوما أحالَ على غدٍ * كما وعد الكَمُّون ما ليس يَصدُق (٣)

وفى نافع عنّى جَفاءٌ، وإنّنى * لَأُطرق أحيانا، وذو اللُّبّ يُطرِق

وللنَّقَرَى قومٌ فلو كنتُ منهمُ * دُعيتُ ولكن دونىَ البابُ مغلق (٤)

---

(١) كذا فى ط، مط، ها. وهو الصواب. والذى فى ب، س، جـ : التورى؛ وهو تصحيف.

١٥ (٢) السحابة المخيلة : التى تحسبها ماطرة .

(٣) يعنى أنه كلما تطالب السعى تمهل وسوّف وقال : غدا غدا، وهذا المعنى وارد فى كلامهم، من ذلك قول القائل :

لا تجعلنّا ككمّون بمزرعة * إن فاته الماء أروته المواعيد

المحاسن والأضداد ص ٧٠

٢٠ (٤) فى ب، س « والنقدى » وهو تحريف . يقال : دعاهم النقرى، أى دعوة خاصة، وهو أن يدعو بعضا دون بعض ينقر باسم الواحد بعد الواحد .

أبا عُمَــرٍ خَلّفتُ خلفَــك حاجتى * وحاجةُ غيرى بين عينيك تَبرُقُ
وما زلتُ أستأنيك حتى حسرتَنى * بوعدٍ كجارى الآلِ يَخفَى ويَخفِق (١)

قال : فغضب حمّاد وأنشد نافعا الشِّعرَ، فمنعه من «صلة» (٢) بشّار، فقال بشّار :

أبا عُمَــرٍ ما فى طِلابِيــكَ حاجةٌ * ولا فى الّذى منّيتنا ثمّ أصحــرا
وَعدْتَ فلم تَصدُق وقلتَ غَدًا غَدًا * كما وُعِدَ الكَمُّــون شِرْبا مؤخَّرا ٥

قال : فكان ذلك السببَ فى التّهاجى بين بشّار وحمّاد .

كان من كبار الزنادقة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدّثنى أبو إسحاق الطَّلْحىّ قال : حدّثنى أبو سُهيل قال : حدّثنى أبو نواس قال : كنت أتوهّم أن حمّاد عجرد إنمـا رُمىَ بالزندقة لمجُونه فى شـعره ، حتى حُبِستُ فى حبس الزّنادقة ، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمّتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرءون به فى صلاتهم ، قال : ١٠ وكان له صاحب يقـال له حريث (٣) على مذهبـه ، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّادُ عجردٍ على سبيل التعزيَة له :

بَكَى حُريثٌ فـوقّره بتعــزِيةٍ * مات آبن نَهيا وقد كانا شريكَين
تَفَـاوَضَا (٤) حين شاباَ فى نسائهما * وحَلّلا كلّ شىء بين رِجلَين

(١) استأنى به : انتظـر به ولم يعجله . حسره : كشفه . الآل : السراب، وقيل : الآل هــو ١٥ الذى يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض ، وأما السراب فهو الذى يكون نصف النهار لاطئا بالأرض كأنه ماء جار .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصول، وهى مثبتة فى مختار الأغانى ص ٤١٥

(٣) فى ب ، س ، جـ «حريب» وهو تصحيف؛ والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها . وأراد ٢٠ هاهنا : حريث بن أبى الصلت الحنفى كما سيأتى بعد .

(٤) التفاوض والمفاوضة : الاشتراك فى كل شىء .

أمسى حُرِيثٌ بما سَدَّى له غيراً * كراكب اثنين يرجو قوةَ اثنين[1]

حتى إذا أخذا فى غير وجههما * تفرَّقا وهوَى بين الطريقين

يَعنِى أنه كان يقول بقول الثَّنويَّة[2] فى عبادة اثنين، فتفرَّقا و بقِىَ بينهما حائرا، قال :

وفى حمّاد يقول بشّار أيضا و ينسُبه إلى أنه آبن نِهْيا[3] :

٥ يابن نِهْيا رأسٌ علىّ ثقيلُ * وآحتمالُ الرءوس خَطْبٌ جليلُ

أُدْعُ غيرى إلى عبادة الأثنَيْـ * ـنِ فإنّى بواحـدٍ مشغولُ

يآبن نِهْيَا برِئتُ منك إلى اللّـ * ـه جهارا ، وذاك منّى قليل

قال : فأشاع حمّاد هذه الأبيات لبشّار فى الناس، وجعل فيها مكان « فإنّى بواحد مشغول » : « فإنّى عن واحد مشغول » ليصحّح عليه الزندقة والكفرَ بالله تعالى،

١٠ فما زالت الأبيات تدور فى أيدى الناس حتى آنتهت إلى بشّار، فآضطرب منها وتغيّر وجزِع وقال : أَشاطَ ابنُ الزانية بِدمِى[4] ، والله ما قلت إلّا «فإنّى بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شهَرنى فى الناس [بما يهلكنى][5] .

75/13

هجاء بشارا

أخبرنى محمد بنُ العبّاس اليزيدىّ قال : حدّثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدّثنى صالح بنُ سليمانَ الخَثْعمىّ قال : قيل [لعبد الله بن ياسين][6] : إن بشارا المرعَّث[7]

١٥ (١) كذا فى ط ، مط ، جـ ، مب . والذى فى ب، س « أسدى له عندا » وفى ها « غمرا » .

(٢) الثنوية : فرقة يقولون باثنينية الإله ، أى إله الخير و إله الشر .

(٣) كذا فى ط، مط، مب، ها . وهو يوافق ماورد فى أمالى المرتضى . والذى فى جـ، ب، س « نهبا » بالباء ؛ وهو تصحيف .

(٤) يقال : أشاط دمه وبدمه : أذهبه ، أو عمل فى هلاكه ، أو عرّضه للقتل .

٢٠ (٥) ما بين القوسين من « ها » .

(٦) فى الأصول « قيل له » وما أثبتناه عن مختار الأغانى ص ٤١٥

(٧) كان بشار بن برد يلقب بالمرعّث ، لرعاث كانت له فى صغره فى أذنه ؛ ورعاث بالكسر : جمع رعثة بالفتح ، وهو ما علق بالأذن من قرط ونحوه . وفى ب ، س « المرغث » وهو تصحيف .

هجا حمّادا فنبطه، فقال عبد الله : [قد][1] رأيتُ جدّ حمّاد، وكان يسمّى كُلَيبا، وكانت صناعتُه صناعة لا يكون فيها نَبطىّ، كان يَبرى النِّبالَ ويَريشُها، وكان يقال له : كُلَيب النَّبّال، مولى بنى عامر بن صعصعة .

هجاء بشار له ولصديقه سليم

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ المؤدِّب، قال : حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزىُّ قال: حدّثنى أحمد بنُ خَلّاد قال : كان بشّارٌ صديقا لسُلَيْم بن سالِم مولى بنى سعد، وكان المنصورُ أيّامَ استتر بالبَصرة نزل على سلَيْم بن سالم، فولّاه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجُنْدَيْسابور، فانضمّ إليه حمّاد عجرد، فأفسده على بشّار، وكان له صديقا ، فقال بشّار يهجوهما :

أمسى سُلَيم بأرض السُّوسِ مُرتَفِقًا * فى خَزِّها بعدَ غِرْبالٍ وأَمْدادِ[2]
ليس النعيمُ وإنْ كُنّا نُزَنّ به[3] * إلّا نعيمَ سُلَيمٍ ثمّ حمّادِ
نِيكًا ونَاكَا ولم يَشعُر بذا أحدٌ * فى غفلةٍ مِن نبىّ الرحمة الهادى

فنَشِب الشرُّ بين حمّاد وبشّار .

دخل بينه وبين بشار رجل بصرى

أخبرنى عمّى قال: حدّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه، عن عمر بنِ شبّة، عن أبى أيّوب الزبالى[4]، قال: كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتفاق منهما ورِضًا بأن يَنقُل إلى كلّ واحد منهما وعنه الشِّعر، فدخل يوما إلى بشّار فقال له : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية فىّ ؟ فأنشده :

إنْ تاهَ بشّارٌ عليكمْ فقد * أَمكنتُ بشّارا من التِّيهِ

(١) سقطت من ب ، س . وهى عن باقى الأصول .
(٢) فى ب و س « مرتفعا » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتنا كما فى جـ ، ط ، مط ، ها . وارتفق : اتّكأ على مرفقة : وهى المتكأ والمخدة ، يكنى بذلك عن أنه صار منعما مترفا بعد أن كان ممتهنا . أمداد، جمع مدّ بالضم ، وهو مكيال ، ويفهم من هذا أنه كان قبل الولاية كيّالا .
(٣) أزننه بكذا : اتهمته به . (٤) فى ب و س « الذبالى » ؛ والتصويب عن باقى الأصول .

فقال بشّار : بأىّ شىء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سَمّيتَـه بآسمـــه * ولم يكن حُرٌّ يسمّيه

فقال : سَخِنتْ عينُه[1] ، فبأى شىء كنت أُعرَف ؟ إيهِ ، فقال :

فصــار إنسانا بذكرى له * ما يَبتغى مِن بعد ذِكريه ؟

٥ فقال : ما صنع شيئا ، إيهِ ويحك ؟ فقال :

لم أهْجُ بشّــارا ولكنّنى * هجــوتُ نفسى بهجائِيه

فقال : على هذا المعنى دارَ ، وحولَه حام[2] ، إيهِ أيضا ، وأىّ شىء قال ؟ فأنشده :

أنت ابن برد مِثلُ بُرْ * دٍ فى النّــذالة والرَّذاله

من كان مثلَ أبيك يا * أعمى أبـــوه فـــلا أبا لَه

١٠ فقال : جَوَّدَ آبنُ الزانية ، وتمـام الأبيات الأُوَل :

لم آتِ شــيئا قطُّ فيما مضى * ولست فــيما عشتُ آتيــه

أسوأ لى فى الناس أحدوثةً * من خطإٍ أخطأتُه فيـــه

فأصــبح اليــوم يسبّنى له * أعظمَ شأنا من مَواليــه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بنُ شبّة ، عن خلّاد

١٥ الأرْقط قال : أنشَدَ بشّارا راويتُه قولَ عجرد فيه :

دُعيتَ إلى بُـرْد وأنت لغـــيره * فَهبْكَ آبنَ بُرْدٍ نكتَ أمَّك مَنْ بُرْدُ؟

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد؟ قال : لا ، فقال: أحسن والله ماشاء ابن الزانية.

(١) سخنت عينه : نقيض قرّت ، دعاء عليه .

(٢) فى ب ، س : « وحوله دام » . والتصويب عن باقى الأصول .

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرىّ قال : حدّثنا الحسنُ بنُ عُليل العَنَزىّ قال : حدّثنى محمد بنُ يزيدَ المهلّبى قال : حدّثنى محمد بنُ عبد الله بنِ أبى عُيَينة قال: قال حمادُ عجرد لمّا أُنشد قولَ بشّار فيه :

يا بنَ نِهْيا رأسٌ علىّ ثقيل * واحتمالُ الرأسين أمرٌ جليلُ

فادعُ غيرى إلى عبادة ربّيْـ * ـنِ فإنّى بواحد مشغول

واللهِ ما أبالى بهذا من قوله ، وإنّما يغيظنى منه تجاهلُه بالزندقة ، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأسا ليظن الجهّال أنّه لا يعرفها ، لأن هذا قولٌ تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو واللهِ أعلمُ بالزَّندقة من مانى .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وأحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار وحبيب بن نصر المهلّبى، قالوا: حدّثنا عمرُ بنُ شبّة، قال: حدّثنا أبو أيوب الزبالىّ قال : قال بشار لراويةِ حمّاد : ما هجانى به اليومَ حمّاد ؟ فأنشَدَه :

ألا مَن مُبلغٌ عنّى الـ * ـذى والدُه بُرْدُ

فقال : صدق ابن الفاعلة ، فما يكون ؟ فقال :

إذا ما نُسب الناسُ * فلا قَبْلٌ ولا بَعْدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرصات[1] من عُقَيل ؟ فما يكون ؟ فقال :

وأعمَى قَلْطَبانٌ ما * على قاذِفِه حَدُّ

(١) كذا، وفى ما « العصاب » .

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل عليه ثمانون جلدة ، هيه ، فقال :

وأعمى يشبه القرد * إذا ما عمى القرد

فقال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبهنى بقرد ، حسبك حسبك ، ثم صفق بيديه ، وقال : ما حيلتى ؟ يرانى فيشبهنى ولا أراه فأشبهه .

٥ وقال : أخبرنى بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا أبو غسان دماذ فذكر مثله ، وقال فيه : لما قال حماد عجرد فى بشار :

شبيه الوجه بالقرد * إذا ما عمى القرد

بكى بشار ، فقال له قائل : أتبكى من هجاء حماد ؟ فقال : والله ما أبكى من هجائه ولكن أبكى لأنه يرانى ولا أراه ، فيصفنى ولا أصفه ، قال : وتمام هذه الأبيات :

١٠ ولو ينكه فى صلد * صفا لانصدع الصلد

دنى لم يرح يوما * إلى مجد ولم يغد

ولم يحضر مع الحضا * ر فى خير ولم يبد

ولم يخش له ذم * ولم يرج له حمد

جرى بالنحس مذ كان (١) * ولم يجر له سعد

١٥ هو الكلب إذا ما ما * ت لم يوجد له فقد (٢)

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى خلاد الأرقط قال : أشاع بشار فى الناس أن حماد عجرد كان ينشد شعرا ورجل بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه ، فقال حماد : علام اجتمعوا ؟ فوالله لما أقول أحسن مما يقول .

٢٠ قال : وكان بشار يقول : لما سمعت هذا من حماد مقته عليه .

(١) فى ب ، س « مذكاة » وهو تحريف .

(٢) فى جـ : « إذا مات كم » .

هجاء بشار له

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال : أخبرَنى أبو إسحاق الطَّلْحى قال : حدّثنى أبو سُهَيل عبدُ الله بن ياسين أن بشّارا قال فى حمّاد عجرد وسهيل بن سالم، وكان سهيلٌ من أشراف أهل البصرة، وكان من عمّال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب ، وكان حمّادٌ وسهيلٌ نديمَين :

ليس النعيمُ وإن كنّا نُزَنّ به * إلّا نعيم سُهَيْلٍ ثمّ حمّادِ
نَاكَا ونِيكَا إلى أن لاح شَيْبُهما * فى غفلةٍ عن نبىّ الرحمة الهادى
فَهْدَيْن طورًا وفَهّادين آونةً * ما كانَ قبلَهما فَهْدٌ بفهّاد (١)
سبحانك اللهُ لو شئتَ امتَسَخْتَهُما * قِردَين فاعْتَلَجَا فى بيت قَرّاد (٢)

قال : يعنى بقوله * ما كان قبلهما فهدٌ بفهّاد * أى لم يكن الفَهد فهّادا، كما تقول : لم يكن زيد بظريف ، ولم يكن زيدٌ ظريفا ، قال ابن ياسين : وفيه يقول بشار أيضا :

مالُمتُ حمّادا على فِسقِه * يلومه الجاهل والمائقُ (٣)
وماهمَا من أَيرِه وآستِه؟ * مَلّكه إيّاهما الخالقُ
ما بات إلّا فوقه فاسقٌ * يَنِيكُهُ أو تحتَه فاسق

هجاؤه لبشار

أخبرنى أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : أنشدنى آبنُ أبى سعد لحمّاد عجرد فى بشّار — قال وهو من أغلظ ماهجاه به عليه — :

نهارُه أخبثُ من ليلِهِ * ويومُه أخبثُ من أمسِه
وليس بالمُقلِع عن غيِّه * حتى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِه (٤)

---

(١) الفهّاد : صاحب الفهود الذى يعلّمها الصيد . (٢) اعتلجا : تصارعا وتقاتلا .
(٣) المائق : الأحمق . (٤) الرمس : القبر .

قال : وكان أغلظَ على بشّار من ذلك كله وأوجعَه له قولُه فيه :

لو طُليتْ جلدتُه عنبرًا * لأفسدتْ جلدتُه العنبَرا

أوطُليتْ مِسكًا ذكيًّا إذًا * تحوّلَ المسكُ عليه خرَا

قال ابن أبى سعد : وقد بالغ بشارٌ فى هجاءِ حمّاد ، ولكن حكم الناسُ عليه لحمّاد
٥ بهذه الأبيات .

اتصاله بالربيع

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال: حدّثنى عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثنى أحمد بن إسحاق قال : حدّثنى عثمان بن سُفيانَ العطّار قال : اتصل حماد عجرد بالربيع[1] يؤدِّب ولدَه، فكتب إليه بشارٌ رقعةً ، فأُوصلَتْ إلى الربيع ؛ فطرده لمّا قرأها، وفيها مكتوب :

١٠ يا أبا الفضل لاتَنَمْ * وقعَ الذئبُ فى الغنَمْ

إنّ حمّادَ عَجْرِدٍ * إنْ رأى غفلةً هجَمْ

بين فَخْذَيه حَربةٌ * فى غِلافٍ من الأدَمْ[2]

إنْ خلا البيتُ ساعةً * مجمجَ الميمَ بالقَلَمْ

٧٨/١٣

فلمّا قرأها الربيع قال: صيّرنى حمّاد دريئةَ الشعراء ، أخرِجوا عنّى حمادا ، فأُخرِج .

١٥ أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازة،عن على بن مهدى،عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممزّق أن حمّاد عجردٍ كان يؤدّب ولدَ العبّاس بن محمد الهاشمى، فكتب إليه بشّارٌ بهذه الأبيات المذكورة ، فقال العباس : مالى ولبشّار؟ أخرجوا عنّى حمّادا ، فأُخرِج .

---

(١) هو الربيع بن يونس وزير المنصور، وتوفى سنة ١٧٠ هـ.

٢٠ (٢) الأدم : الجلد .

هجاؤه لبشار

أخبرنى يحيى بن على قال : حدّثنى محمد بنُ القاسم قال : حدّثنى عبد الله ابن طاهر بن أبى أحمد الزُّبَيْرِىّ قال : لما أخرج العباس بن محمد حمّادا عن خدمته، وٱنقطع عنه ما كان يصل إليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشّارا :

لقد صار بشّار بصيرا بدُبْرِه * وناظِرُه بين الأنام ضَرِيرُ

له مُقلةٌ عمياءُ وٱستٌ بصيرةٌ * إلى الأيْرِ من تحت الثياب تشير

على وُدّه أن الحمير تَنِيكُه * وأنّ جميعَ العالَمين حَمِيرُ

قال أبو الفرج الأصبهانىّ : وقد فعل مِثلَ هذا بعينه حمّاد عجرد بقُطْرُب[1] .

شعره فى قطرب

أخبرنى عمّى عن عبد الله بن المعتزّ قال : حدّثنى أبو حفص الأعمى المؤدّب، عن الزُّبالىّ قال : اتّخذ قطرب النحوىُّ مؤدّبا لبعض ولد المهدىّ، وكان حماد عجرد يطمع فى أن يُجعَل هو مؤدّبه، فلم يتمّ له ذلك، لتهتّكه وشهرته فى الناس بما قاله فيه بشّار، فلما تمكن قطرب فى موضعه صار حماد عجرد كالمُلْقَى على الرَّضْف[2] ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب فى الناس، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها :

قل للإمام جزاكَ الله صالحةً * لا تجمع الدهر بين السَّخْل والذيب[3]

السَّخلُ غِرٌّ وهمُّ الذئبِ فُرصتُه[4] * والذئب يَعلَم ما فى السَّخْل من طِيب

فلما قرأ هذين البيتين قال : انظُروا لا يكون هذا المؤدِّب لُوطياً ، ثم قال : انفُوهُ عن الدار، فأُخرِج عنها، وجِىء بمؤدِّب غيره، ووُكِّل به تسعون خادما يتناوبون ، يحفظون الصبىّ، فخرج قطرب هاربا مما شهر به إلى عيسى بن إدريسَ العِجْلى ابن أبى دُلَف فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات .

(١) هو أبو على محمد بن المستنير البصرى النحوى ، أخذ عن سيبويه ، ولقبه سيبويه بقطرب ، لأنه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول له : ما أنت إلا قطرب ليل ؛ والقطرب : ذكر الغيلان أو الذئب الأمعط أو صغار الجن أو الخفيف أو طائر أو دابة صغيرة لا تستريح من الحركة وتوفى سنة ٢٠٦ هـ .

(٢) فى ج ، ط ، مط ، مب ، « الرصد » . والرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

(٣) السخل والسخال : جمع سخلة : وهو ولد الشاة عند ولادته ذكرا أو أنثى .

(٤) فى ب ، س ، ط « وهم الناس » .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني قال :
لمّا قال حمّاد عجرد في بشّار :

ويا أقبحَ من قِردٍ * إذا ما عَمِيَ القِردُ

قال بشّار : لا إله إلا الله ، قد والله كنت أخاف أن يأتيَ به ، والله لقد وقع لي
٥ هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقتُ به خوفا من أن يُسمَع فأُهجَى به،
حتى وقع عليه النَّبَطيُّ ابنُ الزانية .

كان أبو حنيفة صديقا له

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ، حدّثني العِجْليّ قال :
حدّثني أبو دُهْمان قال : كان أبو حنيفة الفقيه صديقا لحمّاد عجرد ، فنَسَكَ أبو حنيفة
وطلبَ الفقه ، فبَلَغ فيه ما بلغ(١) ، ورفَضَ حمّادا وبسَطَ لسانَه فيه، فجعل حمّاد يلاطفه
١٠ حتى يكفّ عن ذِكره ، وأبو حنيفة يذكره ، فكتب إليه حمّادٌ بهذه الأبيات :

إن كان نسكُكَ لا يتِـ * ـمّ بغير شَتمي وانتقاصي
أو لم تكن إلّا به * ترجو النجاة من القصاص

فاقعد وقم بي كيف شئـ(٢) * ـتَ مع الأداني والأقاصي
فلطالما زكّيتَني * وأنا المقيم على المعاصي
١٥ أيّام تأخذها وتُعـ * ـطي في أباريق الرَّصاص

قال : فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفا من لسانه .

كان يحيى بن زياد صديقا له

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا حماد بن إسحاق
عن أبيه عن النّضر بن حديد قال : كان حمّاد عجرد صديقا ليحيى بن زياد، [وكانا
يتنادمان ويجتمعان على ما يَجتمع عليه مِثلُهما، ثم إن يحيى بن زياد(٣)] أظهر تورّعا

٢٠ (١) ساقطة من ب ، س . (٢) في « ها » « حيث » .
(٣) تكملة عن ط ، مط ، ها ، مب . وسقطت من ب ، س ، ج .

وقراءةً ونزوعا عمّا كان عليه ، وهجر حمّادا وأشباهَه ، فكان إذا ذُكر عنده ثلبه وذكر تهتّكه ومُجونَه ، فبلغ ذلك حمّادا ، فكتب إليه :

هل تذكرنْ دَلَجى إليـ * ـكَ على المضمّرة القِلاص (١)

أيّامَ تعطيـنى وتأ * خُذُ من أباريقِ الرَّصاص (٢)

إن كان نُسكُكَ لا يتـ * ـمّ بغير شَتْمى وانتقاصى

أو كنتَ لستَ بغير ذا * كَ تنالُ منزلةَ الخلاص

فعليك فاشتمْ آمِنا * كلَّ الأمان من القِصاص

واقعد وقمْ بى ما بدا * لك فى الأدانى والأقاصى

فلَطالما زكّيتَنى * وأنا المقيمُ على المعاصى

أيّام أنتَ إذا ذُكِرْ * تُ مناضِلٌ عنى مُناصى (٣)

وأنا وأنت على ارتكا * بِ المُوبِقات من الحِراص

وبِنا مواطنُ ما بُنا * فى البرّ آهلةُ العِراص (٤)

فاتّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد ، فنَسب حمّادا إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حمّاد فيه :

لا مؤمنٌ يُعرَف إيمانُه * وليس يَحيَى بالفتى الكافرِ

منافقٌ ظاهرُه ناسكٌ * مُخالِف الباطنِ للظاهرِ

---

(١) الدلج : السير من أول الليل . وفى ط ، مط « المضبّرة » . والمضبّرة : المكتنزة اللحم . والقلوص من الإبل : الشابة أو الباقية على السير ، والجمع قلائص وقلص ، وجمع الجمع قلاص .

(٢) كذا فى جميع الأصول . والذى فى مب « فتأخذ » .

(٣) ناصاه مناصاة : جاذبه فأخذ كل واحد منهما بناصية صاحبه .

(٤) العراص : جمع عرصة وهى البقعة الواسعة بين الدار التى ليس فيها بناء .

شعره لصديق انقطع عن مجلسه

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدّثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال : كان لحمّادِ عجردٍ إخوانٌ ينادمونه ، فانقطع عنه الشراب ، فقطعوه ، فقال لبعضهم :

لستَ بغضبانٍ ولكنّني * أعرِف ما شأنك يا صاحِ
أأن فقدتُ الرّاحَ[(١)] جانبتَني * ما كان حبُّك على الراح
قد كنتَ من قبلُ وأنت الذى * يعنيك إمسائى وإصباحى
وما أرَى فعلَك إلّا وقد * أفسدنى من بعد إصلاحى
أنتَ من الناس وإن عبتَهم * دُونَكَها منّى بإفصاح[(٢)]

كان من ندماء الوليد بن يزيد

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثني ميمون بن هارون عن أبى محلّم أن الوليد[(٣)] بنَ يزيدَ أمرَ شُراعةَ بن الزَّنْدَبُوذ أن يسمّى له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة، فسمّى له مطيعَ بنَ إياس وحمّادَ عجردٍ والمُطيعىَّ المغنّى ، فكتب فى إشخاصهم إليه، فأُشخصوا، فلم يزالوا فى ندمائه إلى أن قُتل، ثم عادوا إلى أوطانهم.

٨٠ / ١٣

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال: حدّثنى حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل السَّكونىّ قال : تزوّج حمّادُ عجردٍ امرأة، فدخلْنا إليه صبيحةَ بِنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره، فقال لنا : كنتَ البارحةَ جالسا معَ أصحابى أشرب، وأنا منتظرٌ لامرأتى أن يؤتى[(٤)] بها، حتى قيل لى: قد دخلتْ، فقمتُ إليها فوالله ما لَبِثتُها[(٥)] حتى افتضضتُها، وكتبت من وقتى إلى أصحابى :

(١) فى ب ، س « الخمر » وما أثبتناه عن باقى الأصول .
(٢) أى خذها كلمة فصيحة صريحة .
(٣) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، ولى الخلافة سنة ١٢٥ وقتل سنة ١٢٦
(٤) كذا فى ط ، مط ، مب ، ها . والذى فى جـ ، ب ، س « يأتوا » . والسياق يقتضى ما أثبتنا .
(٥) فى ب ، س « لبثها » . والتصويب عن باقى الأصول .

قد فتحتُ الحصنَ بعد آمتناعٍ * بمُشيـــحٍ فــاتحٍ للقِـــلاعِ
ظَفِـرتْ كفِّى بتفريقِ شَمـلٍ * جاءنا تفريقُـــه بآجتماعِ
فإذا شَـعبى وشَـعْب حَبِيبى * إنمـا يلتـامُ بعـدَ آنصداعِ

اجتماعه بوجوه البصرة

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ عن أبيه، وأخبرنى الحسن بن علىّ عن القاسم بن محمد الأنبارى، قال: حدّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد ابن الأسود بن الهيثم، عن إبراهيمَ بنِ محمّد بن عبد الحميد، قال: اجتمع عمّى سهم بنُ عبد الحميد وجماعةٌ من وجوه أهل البَصرة عند يحيى بن حُميد الطويل، ومعهم حمّاد عجرد، وهو يومئذ هاربٌ من محمد بن سليمان، ونازلٌ على عُقبة بن سَلْم وقد أَمِن، وحضر الغَداء، فقيل له: سهمُ بنُ عبد الحميد يصلِّى الضحى، فآنتظر، وأطال سهمٌ الصلاةَ، فقال حماد:

ألا أيهـذا القـانتُ المتهجِّدُ * صـلاتُك للرّحمن أم لىَ تَسـجُدُ؟[1]
أما والّذى نادَى من الطُّور عبدَه * لِمَنْ غـيرِ ما بِرٍّ تقـوم وتقعـد
فهلّا اتّقيتَ اللهَ إذ كنتَ واليا * بصنعاءَ تبرى من وَليتَ وتجـرُد
ويَشهد لى أنّى بذلك صادقٌ * حُرَيثٌ ويَحيَى لى بذلك يَشهد
وعند أبى صَفوانَ فيـك شهادةٌ * وبكرٍ، وبكرٌ مُسـلِمٌ متهجِّـد
فإن قلتَ زِدْنى فى الشهود فإنّه * سيشهد لى أيضـا بذاك محمّـد

قال: فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادرا، فقال له: قبحك الله يا زنديق، فعلتَ بى هـذا كله لشَرَهك فى تقـديم أكلٍ وتأخيرِه! هاتوا طعامَكم فأطعِموه لا أطعَمَه الله تعالى، فقدِّمت المائدة.

(١) القانت: الطائع. والمتهجد: المصلى بالليل.

شعر لمحمد ابن الفضل السكونى يعتذر إليه به

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى، عن أبيه ، عن إسحاق الموصلىّ، عن محمد بن الفضل السَّكُونى[1] قال : لقيت حمّادَ عجرد بواسط وهو يمشى وأنا راكب، فقلت له : انطلِق بنا إلى المنزل، فإنى الساعةَ فارغ لنتحدّث ، وحبستُ عليه الدّابة ، فقطعنى شُغْلٌ عَرَض لى لم أقدرْ على تركه ، فمضيتُ وأُنْسِيتُه ، فلما بلغتُ المنزلَ خفتُ شرّه، فكتبت إليه :

أبا عُمَرٍ اغْفِرْ هُديتَ فإنّنى * قد آذنبتُ ذنبا مخطئا غيرَ عامِدِ
فلا تَجِدنْ فيه علىّ فإننى[2] * أُقِرُّ بإجرامى ولستُ بعائد
وهَبْه لنا تفديك نفسى فإنّنى * أرى نعمةً إن كنتَ لستَ بواجِد
وعُدْ منك بالفضلِ الّذى أنتَ أهلُه * فإنّكَ ذو فضلٍ طريفٍ وتالدِ

فكتب إلىّ مع رسولى :

محمدُ يابنَ الفَضْل ياذا المحامد * ويا بهجةَ النادى وزينَ المَشاهِد[3]
وحقِّكَ ما أذنبت منذ عرفتَنى * على خطأٍ يوما ولا عَمْد عامِد
ولو كان، ما ألْفيتَنى متسرِّعا * إليكَ به يوما تسرُّعَ واجِد

أى لو كان لكَ ذنب ما صادفتَنى مسرعا إليك بالمكافأة[4] :

ولو كانَ ذُو فضل يسمَّى لفضلِه * بغير آسمه سُمِّيتَ أُمّ القلائد

(١) فى ب ، س ، حـ ، ط ، مط ، مب « محمد بن الفضل السلولى » وهو تحريف ؛ والتصويب عن ها والأغانى جـ ١٣ طبع دار الكتب المصرية .
(٢) وجد عليه يجد بكسر الجيم وضمها موجدة ووجدا : غضب .
(٣) فى ب ، س ، حـ « يا أبا الفضل » وهو خطأ . والصواب عن ط ، مط ، مب ، ها . وفى ها « المساجد » .
(٤) المكافأة : المجازاة .

قال : فبينا رقعتُه فى يدىْ وأنا أقرؤها إذ جاءنى رسولُه برقعة فيها :

قد غَفَرْنا الذنب يابن الـ * ـفضـلِ والذنبُ عظيمُ

ومسىءٌ أنتَ يآبن الـ * ـفضـل فى ذاك مُلِيمُ (١)

حينَ تخشانى على الذنـ * ـبِ كما يُخشَى اللئيمُ

ليس لى إن كان ما خِفـ * ـتَ من الأمر حريمُ

أنا واللهِ ــ ولا أفـ * ـخَرُ ــ للغيظ كظومُ

ولأصحابى وَلاءٌ * رَبُّه بَرٌّ رحيمُ (٢)

وبما يُرضيهمُ عنـ * ـىَ ويُرضينى عليمُ

مديحه لجلة من أبناء ملوك فارس.

أخبرنى يحيى بن علىّ، عن أبيه عن إسحاق قال : خرج حمّادُ عجردٍ مع بعض الأمراء إلى فارسَ ، وبها جِلّةٌ من أبناء الملوك ، فعاشر قوما من رؤسائها ، فأحمد معاشرتَهم ، وسُرّ بمعرفتهم ، فقال فيهم :

ربّ يوم بفَسَاءٍ (٣) * ليس عندى بذميم

قد قرعتُ العيشَ فيه * مَعَ نَدْمانٍ كريم

مِن بنى صَيْهونَ (٤) فى البيـ * ـت المعلّى والصّميم

فى جِنانٍ بين أنهـا * رٍ وتعريشِ كُروم

نتعاطَى قهوةً تُشْـ * ـخِص (٥) يقظانَ الهُموم

بنتَ عشرٍ تترك المُكْـ * ـثِرَ منها كالأمِيم (٦)

---

(١) ألامَ : أتى ما يلام عليه . (٢) رواية ها : «ولأصحابى ــ ولا منّ به ــ رب رحيم» .

(٣) كذا فى ب ، س . وفسا (بالقصر) : أنزه مدينة بفارس فيما قيل ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، مدّه هنا للشعر . وفى ط ، مط ، جـ ، مب ، ها «رب يوم لى بفسا» . (٤) كذا فى ط ، مط . وفى ها . «مهبود» . (٥) القهوة : الخمر . وشخص كمنع : خرج من موضع إلى غيره ، وأشخصه : أخرجه . (٦) يقال : رجل أميم ومأموم ، أى يهذى من أم رأسه .

فيهــا دَأْبًا أحــيِّ * ويحــيِّيني نــديمي
في إناءٍ كِسْرَوىٍّ * مســتخِفٍّ للحلــيم
شَرْبةٌ تَعْــدِل منــه * شــربتى أمّ حَكيم
عنــدنا دِهْقــانةٌ(1) حُســانــةٌ ذاتُ هَمــيم
جَمعتْ ما شئتَ من حُسـ * ـنٍ ومن دَلٍّ(2) رَخــيم
في اعتــدال من قَــوامٍ * وصــفاءٍ مِن أَديم
وَبَنانٍ كالمَـدارِى(3) * وثَنــايَا كالنجـوم
لم أنَلْ منهـا سوى غَمْـ * ـزَةِ كفٍّ أو شَميم(4)
غـيرَ أنْ أَقْرَصَ(5) منهـا * عُكْنةَ الكَشْحِ الهَضيم
وَبَــلَى أَلْطِــم منهـا * خــدَّها لطمَ رَحــيم
وبنفسى ذاكَ يا أَسْـ * ـوَدُ من خــدٍّ لَطِيم

يعنى الأسودَ بنَ خلف كاتبَ عيسى بن موسى .

حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل وشعر له في ذلك

أخبرنى محمد بن مَزْيَد بن أبى الأزهر قال : حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أبيه عن أبى النضر قال : كان حريث بن أبى الصلت الحنفىّ صديقا لحمّاد عجرد ، وكان يعابِثُه بالشّعر ، ويَعيبُه بالبخل ، وفيه يقول :

حُرَيثٌ أبو الفضــل ذو خِبْرةٍ * بمــا يُصلِــح المِعَــدَ الفاسدهْ
تخــوّف تُخْمــةَ أضيافِه * فعــوّدَهم أكلةً واحــده

(1) دهقانة : مؤنث دهقان بالكسر والضم : وهو التاجر وزعيم فلاحى العجم ورئيس الإقليم ، معرّب . والهميم : الدبيب . (2) الدل : الدلال ، ورخم الكلام ككرم ونصر فهو رخيم : لان وسهل . (3) المدارى : جمع مدرى بكسر الميم ، وهو المشط . (4) الشميم : الشم . (5) كذا في ط ، مط ، مب ، ها . والذى في ب ، س ، جـ « أرقص » وهو تصحيف . والعكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا .

قوله فى رجل حبق فى مجلسه

أخبرنى هاشم بنُ محمد الخُزاعىّ قال : حدّثنا عيسى بنُ إسماعيل تِينَة ، عن ابن عائشة قال : ضَرَط رجل فى مجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بنُ إياس ، فتجلّد(١) ، ثم ضرط أخرى متعمّدا ، ثم ثلّث ، ليظنوا أن ذلك كلّه تعمُّد ، فقال له حماد : حَسبُك يا أخى فلو ضرطت ألفا لعلم بأن الخُلف(٢) الأوّل مُفلِت .

شعره فى قريش حين صلى به

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال : حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال : حدّثنى مُعاذ بنُ عيسى مولَى بنى تميم قال : كان سليمانُ بنُ الفُرات على كَسْكَرَ(٣) ، ولّاه أبو جعفر المنصور ، وكان قُرَيْشٌ مولَى صاحبِ المصلَّى بواسِط فى ضِياع صالح — وهو سِنْدِىّ(٤) — فحدّثنى مُعاذ بنُ عيسى قال : كنّا فى دار قريش ، فحضرت الصلاةُ ، فتقدّم قريشٌ فصلّى بنا وحمّاد عجرد إلى جَنْبى ، فقال لى حمّاد حين سلّم : اِسمَع ما قلتُ ، وأنشدَنى :

قد لقيتُ العامَ جَهْدًا * مِن هَنَاتٍ وهَنَاتِ(٥)
مِن همومٍ تعترينى * وبلايَا مطبِقاتِ(٦)
وجَوًى شيّب رأسى * وحَنَى منّى قَناتى
وغُدُوّى ورَواحى * نحوَ سَلْم بن الفراتِ
وائتمامى بالقَمَارِىِّ(٧) * قريشٍ فى صلاتى

(١) فى ب ، س « فتخلد » وهو تصحيف ؛ والتصويب عن باقى الأصول .
(٢) الخلف : الكريه الرائحة .
(٣) كسكر : كورة واسعة كانت قصبتها واسط التى بين الكوفة والبصرة .
(٤) نسبة إلى السند ، وهى من بلاد الهند . وفى ب ، س « وهو سيدى » وهو تحريف . والتصويب عن جـ ، ط ، مط ، مب ، ها .
(٥) هنات وهنات ، أى شدائد وأمور عظام .
(٦) مطبقات ، أى مغطية .
(٧) القمارىّ : نسبة إلى قمار ، وهو موضع ببلاد الهند ينسب إليه العود .

خبره مع غلام أمرد

أخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدّثنا أبو أيّوبَ المَدينيّ عن مصعبٍ الزُّبيري قال : حدّثني أبو يعقوبَ الخُرَيمي قال : كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد، ومعنا غلام أمرَد ، فوضع حمّاد عَيْنَه عليه وعلى الموضع الّذي ينام فيه ، فلما كان الليلُ اختلفتْ مواضعُ نومِنا، فقمتُ فنِمتُ في موضع الغلام، قال : ودَبَّ حمّاد إليّ يظنُّني الغلامَ ، فلما أحسستُ به أخذتُ يدهُ فوضعتُها على عيني العوْراء — لأعلمه أنّي أبو يعقوب — قال : فنتر يدَه ومضى في شأنه وهو يقول : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

شعره في جوهر

أخبرني عمّي قال : حدّثني مصعب قال : كان حمّاد عجردٍ ومُطيعُ بن إياس يختلفان إلى جوهر جاريةِ أبي عَوْن نافع بنِ عَوْن بن المُقْعَد ، وكان حمّاد يحبّها ويُجَنّ بها، وفيها يقول :

إنّي لأهوَى جوهرًا * ويُحِبّ قلبي قلبَها

وأُحِبُّ من حبّي لها * مَن ودَّها وأحبَّها

وأحبُّ جاريةً لها * تُخفِي وتَكتُمُ ذنبَها

وأحبُّ جيرانًا لها * وابنَ الخبيثة ربَّها

٨٣/١٣

رثاؤه للأسود ابن خلف

أخبرني عمّي قال : حدّثني محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال : حدّثني أبيضُ بنُ عمرو قال : كان حمّاد عجردٍ يعاشر الأسوَدَ بن خلَف ولا يكادان يفترقان ، فمات الأسود قبله ، فقال يرثيه — وفي هذا الشعر غناء — :

صـــوت

قلتُ لحنّانةٍ دَلُوحٍ * تَسُحُّ من وابِلٍ سَفُوحِ (١)

جادَتْ علينا لها رَبابٌ * بواكِفٍ هاطِلٍ نَضُوحِ (٢)

أُمِّى الضَّرِيحَ الّذى أُسمِّى * ثم استَهِلِّى على الضَّرِيحِ (٣)

على صَدَى أسودَ المُوارَى * فى اللَّحد والتُّرب والصَّفِيحِ (٤)

فآسقِيه رِيًّا وأَوطِنِيه * ثم آغتَدِى نحوَه ورُوحِى (٥)

اغدِى بسُقْيايَ فأصبِحيه (٦) * ثم آغبِقِيه مع الصَّبوحِ

ليس من العدل أن تَشِحِّى * على آمرئٍ ليس بالشحيحِ

الغناء ليونسَ الكاتب ذكره فى كتابه ولم يجنِّسْه .

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر

أخبرنى عمّى قال : أنشَدَنا الكُرانى قال : أنشَد مصعبٌ لحمّاد عجردٍ يهجو أبا عَوْن مولَى جَوْهر، وكان يُقَيِّنُ (٧) عليها، وكان حمّاد عجردٍ يميل إليها، فإذا جاءهم

---

(١) سحابة حنانة : لها حنين كحنين الإبل ، أى صوت يشبه صوتها عند الحنين . وسحابة دلوح : كثيرة الماء . سفوح : مبالغة فى سافح أى منصب ، من سفح .

(٢) الرباب : جمع ربابة ، وهى السحابة التى قد ركب بعضها بعضا . بواكف ، أى بمطر واكف أى سائل . نضوح ، أى ينضح بالماء ، وفى ط ، مط « جاد » .

(٣) أمى : اقصدى . استهلى ، أى ارفعى الصوت بالبكاء .

(٤) الصدى : جثة الميت . الصفيح : واحد الصفائح ، وهى الحجارة العريضة .

(٥) أوطنه : اتخذه وطنا . (٦) كذا فى ط ، مط . وفى باقى الأصول : « بسقيا فأصبحيه » : وصبحه كنع : سقاه الصبوح وهو شرب الغداة ، وغبقه كنصر وضرب : سقاه الغبوق وهو شرب العشى . يريد اتصال هطلها عليه ودوامه صباحا ومساء .

(٧) كذا فى ط ، مط ، مب . والذى فى باقى الأصول « يغير » .

ثقل، ولم يمكنْ أحدا من أصدقائها أن يخلو بها، فيضرّ ذلك بأبى عون، فجاءه يوما وعنده أصدقاء بجاريته، فحجبها عنه، فقال فيه :

إنّ أبا عون ولن يرعوى * ما رقّصتْ رَمْضاؤها جُنْدُبا (١)

ليس يَرَى كَسْبا إذا لم يكن * من كسبِ شُفْرَىْ جوهرٍ طيبا (٢)

٥ فسلّط الله على ما حَوَى * مـئزرُها الأفعى أو العقربا (٣)

يُنْسَب بالكَشْخ ولا يَشتهِى * بغير ذاكَ الإسمِ أن يُنْسَبا (٤)

وقال فيه أيضا :

إن تكن أغلقتَ دونىَ بابًا * فلقد فتّحتَ للكَشْخِ بابا

وقال فيه أيضا :

١٠ قد تخرطمتَ علينا لأنّا * لم نكن نأتيك نبغى الصّوابا (٥)

إنّما تُكرِم مَن كان منّا * لسنانِ الحَقْوِ منها قِرابا (٦)

وقال فيه أيضا :

يا نافعُ ابنَ الفاجرَهْ * يا سيّدَ المؤاجِرَهْ (٧)

---

(١) الرمضاء : الأرض الشديدة الحرارة . الجندب بفتح الدال وضمها : ضرب من الجراد ،
١٥ والجندب إذا رمض فى شدّة الحر لا يقر على الأرض ، بل يطير فيسمع لرجليه صريرٌ ، والمعنى : ولن يرعوى ما دامت الرمضاء ترقص الجندب . (٢) الشفر : حرف الفرج . (٣) المئزر : الإزار .

(٤) ينسب بالكشخ ، أى يسمى بالكشخان ، وسيأتى فى شعره بعد :

فقد أصبحت فى الناس * إذا سميت كشخانا

والكشخان : الديوث .

٢٠ (٥) تخرطم : يريد اخرنطم .

(٦) الحقو بالفتح ويكسر : الخصر ، ومعقد الإزار من الجنب . لسنان الحقو ، أى لحقوها الشبيه بالسنان فى الرقة والضمور . وفى جـ ، ب ، س « الحقوا » وهو تحريف ، والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها . (٧) آجر المملوك إيجارا ومؤاجرة : أكراه .

يا حِلْفَ كلِّ داعِرٍ * وزوجَ كلِّ عاهرَهْ
ما أَمَـــةٌ تملِكها * أو حُـــرّة بطاهره
تجـارةٌ أحــدثتَهـا * فى الكشخ غيرُ بائره
لـو دخلتْ عفيفةٌ * بيتَك صارت فاجرَهْ
حتّى متى ترتَع فى الـ * ـخُسْران ياّبن الخاسرَه
تجمَــع فى بيتــك بيـ * ـن العِرْس والبَرابِره (١)

وقال يهجوه :

أنتَ إنسانٌ تُسمَّى * دارُه دارَ الزّوانى
قد جرى ذلك بالكرْ (٢) * خ على كلّ لسان
لك فى دارِ حرُيزْ (٣) * نِى وفى دارِ حرانِ

وقال فيــه :

تفرحُ إن نيكتْ، وإنْ لم تُنَكْ * بتَّ حزينَ القلب مستعبِرا (٤)
أسكرَكَ القومُ فساهلتَهم (٥) * وكنتَ سهلا قبــل أن تَسكَرا

وقال فيــه :

قل للشقىّ الجَــدّ غير الأسعَدِ * أتحِبُّ أنكَ فقحةُ ابنِ المُقْعِد؟ (٦)
لو لم يجِــد شيئا يسكّنها به * يوما لسكّنها بزُبِّ المَسجِد

وقال فيــه :

أباعون لقد صَــفَّـ * ـرَ زُوّارُك أُذْنَيكا؟
وعينــاكَ ترَى ذاكَ * فأعمَى اللهُ عينيــكا

(١) العرس : امرأة الرجل . (٢) الكرخ : محلة ببغداد .
(٣) فى جـ، ط، مط، مب «خوان» وفى ب، س «حوان» وهو تحريف . والتصويب عن «ها» .
(٤) استعبر : بكى . (٥) ساهله : ياسره . (٦) الفقحة : حلقة الدبر .

هجا بشارا ببيت من الشعر

أخبرنى حبيب بنُ نصر المهلّبى قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : لما قال حمّاد عجرد فى بشّار :

نُسِبْتَ إلى بُرْد وأنتَ لغَيْره * وَهَبْكَ لبُرد نِكتَ أُمَّك مَن بُرْدُ؟

قال بشّار : تهيّأ له علىّ فى هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء، قوله «نُسبتَ إلى بُرد» معنًى؛ ثم قوله : « وأنت لغيره » معنًى آخر، ثم قوله : « فهبك لبرد » معنًى ثالث، وقوله : «نكت أمّك» شتمٌ مفرَد، وآستخفافٌ مجدَّد، وهو معنًى رابع، ثم ختمها بقوله : مَنْ بُرْدُ؟ ولقد طَلب جرير فى هجائه للفرزدق تكثيرَ المعانى، ونحا هذا النحوَ، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ فى بيت، وهو قوله :

لمّا وَضعتُ على الفرزدقِ مِيسَمِى * وضَغَا البَعيثُ جَدَعتُ أنفَ الأخطلِ[1]

فلم يُدرِك أكثر من هذا .

هجاؤه له أيضا

أخبرنى حبيب بنُ نصر قال : حدّثنا عمر بنُ شبّة قال : قال أبو عبيدة : ما زال بشّارٌ يهجو حمّادا ولا يرفُثُ[2] فى هجائه إيّاه حتى قال حمّاد :

مَن كان مِثلَ أبيك يا * أعمَى أبوه فلا أبَا لَهْ

أنت آبنُ بُرْد مِثلُ بُرْ * دٍ فى النّذالة والرذالهْ

---

(١) قبل هذا البيت :

أعددت للشعراء سمّا ناقعا * فسقيت آخرهم بكأس الأوّل

والميسم : المكواة، يريد به أهاجيه التى يكويه بها . وضغا ضغوا : استخذى، وضغا : صاح وضجّ، وضغا السنور والكلب : صوّت وصاح، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضرب فاستغاث . وفى جـ «وضعا» وفى مختار الأغانى « وصعا »، وفى ب، س « وصع البعيث » . والتصويب عن ط، مط، مب، ها .

(٢) رفث فى منطقه كطلب وضرب وأرفث : أفحش فيه أو صرح بما يكنى عنه .

زَحَرَتْك من بُخْـرِ آستِهـا * فى الحُشِّ خارئةٌ غزالهْ (١)
من حيث يَخرج جَعْرُ منْـ * ـتِنة مدنَّســة مُــذاله (٢)
أعمَى كستْ عينيـه مِن * وَذَحِ آسـتِها وكَسَت قَذاله (٣)
خِـنْزيرةٌ بَظْـراءُ منـ * ـتنةُ البُـداهَة والعُـلاله (٤)
رَسْحـاء خضراءُ المَغا * بِن ريحُهـا ريحُ الإهـالهْ (٥)
عَـذْراءُ حُبـلَى بالقَـوْ * مِ للَخانة والضَّـلاله (٦)
مَرَقتْ فصارت قَحْبـةً * بجعـالةٍ وبـلا جِعَـاله (٧)
ولقـد أقلتُـك يابْنَ بُرْ * دٍ فاجترأتَ فـلا إقاله

فلمّا بلغتْ هذه الأبياتُ بشّارا أطرق طويلا، ثم قال : جزى الله ابنَ نِهْيَا خيرا، فقيل له : علامَ تَجْزِيه الخيرَ؟ أعلى ما تَسمع؟ فقال : نعم، والله لقد كنت أردّ

(١) يقال : زحرت به أمه وتزحرت عنه : ولدته، والحش : المتوضأ، سمى به لأنهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين .

(٢) الجعر : ما يبس من العـذرة فى الدبر . وفى ب، س « جعد » وهو تحريف، والتصويب من ط، مط، مب، ها . والمذالة : الأمة .

(٣) الوذح : ما تعلق بأصـواف الغنم من البعر والبول، وفى جـ « ودج » وفى ب، س ومختار الأغانى « ودح » وهو تصحيف . والتصويب عن ط، مط، ها، مب . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

(٤) البداهة والعـلالة : يقال لأول جرى الفرس : بداهتـه، والذى يكون بعـده : علالته، قال الأعشى :

إلا بداهة أو عـلا * لة سابح نهد الجزاره

والمعنى : أنها منتنة أوّل ما تلقاها وبعد لقائها .

(٥) رسحاء : قليلة لحم العجز والفخذين والقبيحة . والمغابن : جمع مغبن كمنزل وهو الرفغ بالضم : أى الإبط وما حول فرج المرأة . ويعنى بخضراء المغابن : أنها طويلة العانة . والإهالة : الشحم والزيت .

(٦) فى ب، س « للخانة » ؛ والتصويب عن باقى الأصول .

(٧) مرقت : أي خرجت عن عفافها . قحبة : فاجرة . الجعالة مثلثة : الجعل وهو الأجر .

على شيطانى أشياءَ من هجائه إبقاءً على المودّة ، ولقد أَطلَق من لسانى ما كان مقيّدا عنه ، وأهدَفَنى عورةً ممكنةً منـه ، فلم يزل بعد ذلك يَذكُرُ أمَّ حمّاد فى هجائه إيّاه، ويذكُرُ أباه أقبحَ ذِكر، حتى ماتت أمُّ حمّاد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحمّاد :

أبا حامدٍ إن كنتَ تَرثِى فأَسْـعِدِ * وَبكِّ حِرًا ولّتْ به أمُّ عجـردِ [(١)]

حِرًا كان للعُزّاب سَهْلا ولم يكن * أبِيًّـا على ذى الزَّوجة المتـوددِ

أُصيبَ زُناةُ القومِ لمـّا توجّهتْ * به أمُّ حمّـادٍ إلى المضجَع الرّدى [(٢)]

لقـد كان للأَدنى وللجـارِ والعِدا * وللقـاصد المعـتَرِّ والمـتَرَيِّدِ [(٣)]

أخبرنا محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال : حدّثنـا أبو حاتم قال : قال يحيى بن الجَوْن العبدىّ راويةُ بشّار : [أنشدتُ بشّارا] [(٤)] يوما قولَ حمّاد :

راوية بشار ينشده شعرا لحماد

١٠

ألا قـل لعبد الله إنّك واحدٌ * ومثلُك فى هـذا الزمان كثيرُ

قَطعتَ إخائى ظالمـا وهجرتَنى * وليس أخى مَن فى الإخاءِ يجور

أُديمُ لأهل الوُدّ ودّى، وإنّنى * لمن رام هجرى ظالمـا لهَجور

ولو أن بَعضِى رابَنى لقطعتُـه * وإنّى بقطع الرائبـين جـدير

فلا تحسبنْ مَنْحِى لكَ الودَّ خالصا * لعـزٍّ ولا أنّى إليـك فقـير

١٥

ودونَك حظّى منكَ لستُ أريدُه * طَوالَ اللّيـالى ما أَقامَ ثَبـير [(٥)]

(١) أى فأسعدنى وأعنّى بالبكاء . وفى س «وابك» وهو تحريف . والتصويب عن باقى الأصول .

(٢) فى الأصول : « إلى مضجع » وهو تحريف ، والتصويب عن مختار الأغانى .

(٣) فى ب ، س ، ها « والقاصد المعتل والمتردد . وما أثبتناه عن ط ، مط ، مب» .

(٤) هذه التكملة ساقطة من ب ، س ، ج . وقد أثبتناها عن ط ، مط ، مب ، ها .

٢٠

(٥) ثبير : جبل بظاهر مكة .

فقال بشّار : ما قال حمّادٌ شعرا قطُّ هو أشدّ علىّ من هــذا ، قلتُ : كيف ذاك ولم يَهْجُك فيــه ؟ وقد هجاك فى شــعر كثير فلم تجزع . قال : لأن هــذا شعر جيّد ومِثلُه يُروى ، وأنا أَنفَس(١) عليه أن يقول شعرا جيّدا .

إعجاب محمد بن النطاح بشعره

أخبرنى علىّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدّثنى هارون بن علىّ بن يحيى المنجّم قال : حدّثنى علىّ بن مهدىّ قال : حدّثنى محمد بن النطّاح قال : كنت شديدَ الحبّ لشعر حمّادِ عجرد ، فأنشدتُ يوما أخى بكرَ بنَ النطّاح قولَه فى بشّار :

أساتُ فى رَدّى على ابن آستها * إســاءةً لم تُبــقِ إحســانا(٢)
فصار إنســانا بذكرِى له * ولم يكن من قبــلُ إنســانا
قرعْتُ سِــنّى نَدما سادِما(٣) * لو كان يغــنى ندمى الآنا
يا ضَــيعةَ الشعر ويا سَــوْءَتا * لِى ولإزمــانىَ أزمانــا
من بعد شتمى القِردَ لا والّذى * أنــزلَ تــوراةً وقــرآنا(٤)
ما أحدٌ مِن بعد شَتْمى له * أنذَلُ مِــنّى ، كانَ مَن كانا

(١) نفس عليه الشىء كفرح نفاسة : لم يره أهلا له .

(٢) فى ب ، س « أسأت فى ردّى لمن أسأنا » والتصــويب عن جـ ، ط ، مط ، مب ، ها . ومعنى « على ابن استها » : على ابن الأمة ، وكانت العرب تسمى بنى الأمة : « بنى استها » و يقال للذى ولدته أمة : « يابن استها » يعنون است أمة ولدته ، أى أنه ولد من استها ، قال الأعشى :

أسفها أوعدت يابن اســتها * لست على الأعــداء بالقــادر

انظر (لسان العرب مادّة سته) .

(٣) السدم محرّكة : الهمّ أو مع ندم أو غيظ مع حزن ، سدم كفرح فهو سادم وسدمان .

(٤) كذا فى ب ، س ، جـ . والذى فى باقى الأصول « وفرقانا » .

قال : فقال لى : لمن هــذا الشعرُ ؟ فقلتُ : لحمّــاد عجردٍ فى بشّار ، فأنشأ يتمثّــل بقول الشاعر :

ما يَضُرّ البحــرَ أَمسى زاخراً * أَنْ رَمَى فيــه غلامٌ بحجَــرْ

ثم قال : يا أخى ، إنْسَ هذا الشعرَ فنسيانه أزيَن بك ، والخرسُ[1] كان أستَر على قائله .

٨٦/١٣

هجاء بشار أكثر مما هجاه هو

أخبرنى علىّ بنُ سليمان قال : حدّثنى هرون بنُ يحيى قال : حدّثنى علىّ ابنُ مهدىّ قال : أجمَعَ العلماءُ بالبَصرة أنه ليس فى هجاء حمّاد عجردٍ لبشّارٍ شىءٌ جيّد إلا أربعين بيتا معدودةً ، ولبشّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيّد ، قال : وكلّ واحد منهما هو الذى هَتَك صاحبَه بالزّندَقة وأظهرَها عليــه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمّــاد عجردٍ وتهتّك بفضــل بلاغةِ بشّار وجَوْدة معانيه ، و بقِىَ بشّارٌ على حاله لم يَسقط ، وعُرِف مذهبُهُ فى الزندقة فقُتِل به .

مجاشع بن مسعدة يهجو حمادا

أخبرنى محمد بنُ العبّاس اليزيدىّ قال : حدّثنى عمّى[2] الفضلُ عن إسحاقَ الموصلىّ أنّ مُجاشِعَ بنَ مَسعدة أخا عَمرِو بنِ مَسعدة هجا حمّاد عجــردٍ وهــو صبىّ حينئــذ ليرتفع بهجائه حمّادا ، فترَك حمّادا وشَبّب بأمّه ، فقال :

راعتْــك أمُّ مُجــاشع * بالصــدِّ[3] بعد وِصالِهــا

وآستبدَلتْ بِكَ والبــلا * ءُ عليك فى آستبدالهــا

---

(١) كذا فى جـ ، ط ، مط ، مب ، ها ، وهو الصواب . والذى فى ب ، س « والحزن » ؛ وهو تصحيف .

(٢) ساقطة من ب ، س ، جـ . وقد أثبتناها عن باقى الأصول .

(٣) راعتك : أفزعتك بالصد : وفى جـ ، ب ، س « والصدق » ؛ وهو تحريف ، والتصويب عن ط ، مط ، مب ، ها .

جِنّيـــةٌ مِن بربَرٍ * مشهــورةٌ بجمـالهـا
خرامُهـا أشهى لنـا * ولهـا من آستحلالهـا (١)

فبلغ الشعرُ عَمرو بن مَسعدة ، فبعث إلى حمّاد بصلة ، وسأله الصفحَ عن أخيه ، ونال أخاه بكلّ مكروه ، وقال له : ثكلتك أمُّك ، أتتعرض لحمّـاد وهو يُناقف بشّارا (٢) ويقاومهُ ، والله لو قاومتَه لمـا كان لك فى ذلك فخر ، ولئن تعرّضت له ليهتِكنّك وسائر أهلك ، وليفضَحنَّا فضيحةً لانغسلها أبدا عنّا .

شعره فى جارية

أخبرنى عمى قال : حدّثنا محمد بنُ سعد الكُرانىّ قال : حدّثنى أبو علىّ بنُ عمّار قال : كان حمّاد عجـرد عنـد أبى عمرو بن العلاء ، وكانت لأبى عَمرو جاريةٌ يقال لها مَنيعة ، وكانت رسحاءَ (٣) عظيمةَ البَطن ، وكانت تَسخَر (٤) بحمّاد ، فقال حمـّاد لأبى عمرو : أغن عنّى (٥) جاريتَك فإنّها حَمْقاء ، وقد آستغلقتْ (٦) لى ، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لهـا حماد عجرد :

لــو تأتّى لك التحوُّلُ حتّى * تجعلى خَلفَك اللطيفَ أَمامَا
ويكونُ القُدّامُ ذوالخِلْقةِ الجَزْ * لةَ خَلْفـا مؤثّلا مستكاما (٧)
لإذًا كنتِ يامنيعةُ خيرَ النّـا * س خَلْقًا وخيرَهم قُـدّاما

(١) فى جـ « أشهى لنـا من استجلالها » وفيه سقط من الناسخ .
(٢) المناقفة والنقاف : المضاربة بالسيوف على الرءوس .
(٣) رسحاء : وصف من الرسح بالتحريك ، وهو قلة لحم العجز والفخذين .
(٤) كذا فى ب ، س . والذى فى جـ ، ط ، مط ، مب ، ها : « تعجرد حماد » .
(٥) أغنها عنى : اصرفها وكفها ، قال تعالى : ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ أى يكفه .
(٦) من قولهم : استغلقت علىّ بيعته : إذا لم يكن لى خيار فى ردّها .
(٧) فى ب ، س .
ويكون القــدام فى الخلف منـ * ـنك حبرى ... ...
والتصويب عن باقى الأصول . والمؤثل : المجتمع . والمستكام : اسم مفعول من استكام الرجل المرأة : إذا جامعها .

شعره فى محمد بن طلحة

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى قال : حدثنى الحسن بن عُمارة قال : نزل حمّاد عجرد على محمد بن طلحة، فأبطأ عليه بالطعام، فاشتد جوعه، فقال فيه حمّاد :

زرتُ امرأً فى بيته مرّةً * له حَياءٌ وله خِيرٌ (١)

يَكرَه أن يُتخِم أضيافَه * إنّ أذى التُّخمة محذورُ

ويَشتهى أن يؤجَرُوا عندَه * بالصَّوْم والصالحُ مأجورُ

قال : فلمّا سمعها محمد قال له : عليك لعنة الله، أى شىء حملك على هجائى، وإنما انتظرتُ أن يُفرَغ لك من الطعام؟ قال : الجوعُ وحياتِك حملَنى عليه، وإن زدتَ فى الإبطاء زدتُ فى القول، فمضى مبادرا حتى جاء بالمائدة .

٨٧/١٣

أخبرنى الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبى الأزهر قالوا: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حفص بن أبى وزّة صديقا لحمّاد عجرد، وكان حفص مرميّا بالزّندقة، وكان أعمَش أفطسَ أغضفَ (٢) مقبَّح الوجه، فاجتمعوا يوما على شراب، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون، فأخذ حفص بن أبى وَزّةَ يطعن على مرقِّش ويعيب شعرَه ويلحِّنهُ، فقال له حمّاد :

ردّه على حفص ابن أبى وزة حين طعن على مرقش

لقد كان فى عينيك ياحفصُ شاغلٌ * وأنفٌ كَثِيلِ العَوْدِ عمّا تَتَبّعُ (٣)

تَتَبّعُ لَحنًا فى كلامِ مرقِّش * ووجهُك مبنىٌّ على اللَّحنِ أجمعُ

فأُذْناك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ (٤) * وعيناك إيطاءٌ فأنت المرقَّعُ

(١) الخير : الكرم والشرف والأصل . (٢) الأغضف : المتدلى الأذنين كالكلب على التشبيه .

(٣) الثيل : بالكسر والفتح : القضيب . والعود : الجمل المسن .

(٤) الإقواء، هو اختلاف حركة الروىّ كأن يكون فى آخر البيت كلمة «المحمود» مرفوعا وفى آخر البيت الثانى «الممدود» مجرورا . والإكفاء : هو أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها ميما وبعضها نونا وبعضها دالا وبعضها طاء وبعضها حاء ونحو ذلك . والإيطاء، هو إعادة كلمة الروىّ لفظا ومعنى، وهو عيب .

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال : ذكر أبو دِعامةَ عن عاصم بن الحارث بن أفلح، قال : رأى حمّاد عجرد على بعض الكتّاب جُبّة خَزّ دَكْناء فكتب إليه :

شعره فى جبة لبعض الكتّاب

إنّنى عاشق لجبّتك الدكـ * ـناء عشقا قد هاج لى أطرابى

فبحقّ الأميرِ إلا أتَتْنى * فى سَراحٍ مقرونةً بالجَواب

ولك اللهُ والأمانةُ أن أجـ * ـعلها أشهُرا أميرَ ثيابى

فوجه إليه بها ، وقال للرسول : قل له وأىّ شىء لى من المنفعة فى أن تجعلَها أمير ثيابك ؟ وأىّ شىء علىّ من الضرر فى غير ذلك من فِعْلك ، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحا لكان أحسن ، ولكنّك رَذّلْت لنا شعرك فاحتملناك .

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىّ والحسن بن علىّ الخَفّاف، قالا : حدّثنا الحسن بن عليل العَنَزىّ عن علىّ بن منصور قال : مرِض حمّاد عجرد فلم يَعُدْه مُطيع ابن إياس ، فكتب إليه :

مرض فلم يعده مطيع بن إياس فقال شعرا فى ذلك

كفاكَ عيادتى من كان يرجو * ثوابَ الله فى صلةِ المريض

فإنْ تُحدثْ لك الأيّام سُقْما * يحولُ جَريضُه دونَ القَريض (١)

يكنْ طُول التأوّه منكَ عندى * بمنزلة الطّنين من البَعوض

أخبرنى عمّى قال : حدّثنا ابن أبى سعد قال : زعم أبو دِعامةَ أن التّيحان (٢) ابن أبى التّيحان قال : كنت عند حمّاد عجرد فأتاه والبة بن الحباب (٣) ، فقال له : ما صنعت فى حاجتى ؟ فقال : ما صنعت شيئا ، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى علىّ :

(١) يقال : جرض بريقه ، أى ابتلع ريقه على هم وحزن بجهد ومشقة . والقريض : الشعر .
(٢) يقال : رجل تيحان يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد .
(٣) هو أستاذ أبى نواس ، من شعراء الكوفة .

عثمانُ ما كانت عِدا * تُك بالعِـدات الكاذبهْ
فعَـلامَ ياذا المَكرُما * تِ وذا الغُيوثِ الصائبـة(١)
أخّـرتَ وهىَ يسـيرةٌ * فى الرُّزْءِ(٢) حاجـةَ والبهَ؟
فأبُـو أسامــةَ حقُّـه * أحـدُ الحقوق الواجبـه
فأستحىِ مِن تَرْدادِه * فى حاجــةٍ متقـاربه(٣)
ليست بـكاذبةٍ(٣) ، ولـو * والله كانت كاذبه
فقضَيتَها أحمَـدتَ غِـبَّ * قضائهـا فى العاقبـة
إنّى ومـا رأيى بعـا * دمٍ عاتبٍ أو عاتبـه(٤)
لأرى لمثـلك كلّمـا * نابت عليـه نائبـه
ألّا يَرُدّ يَـدَ آمرِئٍ * بسُطت إليـه خائبـه

قال : فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له : ما صنعتَ ؟ فقال : قَضَى حاجتى وزاد .

خبره مع المفضّل ابن بلال

أخبرنى عمى قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه عن الزبالى قال : بلغ حمّاد عجردٍ أنّ المفضّل بنَ بلالٍ أعانَ بشّارا عليه وقدّمه وقرّظه، فقال فيه .

عَجبًا للمفضّـل بنِ بلالٍ * ما له يا أبا الزُّبـير ومالِى
عربىٌّ لا شكّ فيه ولامِرْ * يةَ ما بالُه وبالُ المـوالى

قال : وأبو الزبير هـذا الذى خاطبـه هو قبيس بنُ الزبير ، وكان قُبَيْس و يونس ابنُ أبى فَروة كاتبُ عيسى بن موسى صديقَين له ، وكانوا جميعا زنادقةً ، وفى يونس يقول حمّاد عجردٍ وقد قَدِم من غَيبة كان غابها :

(١) صاب المطر صوبا : انصب .
(٢) فى ب ، س : « فى الرّد » .
(٣) فى ها « بكاربه » ، « كاربه » .
(٤) كذا فى ها . وفى باق الأصول « غائب أو غائبة » وهو تصحيف . ولعلها « عاتب أو عاتبه » .

كيف بعدى كنتَ يا أبو * نُس لا زلتَ بخير
وبغير الخير لا زا * لَ قُبيسُ بنُ الزبير
أنت مطبوعٌ على ما * شئتَ من خيرٍ ومير (١)
وهو إنسانٌ شبيهٌ * بكُسَيْرٍ وعُوير (٢)
رَغْمه أهوَنُ عند الـ * ـناس من ضَرْطة عير (٣)

خبره مع سعاد الجارية

أخبرنى علىّ بنُ سليمانَ الأخفش ووكيع قالا : حدّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيدىّ. قال : حدّثنى إسحاق المَوْصلىّ عن السّكونى قال : ذكر محمدُ بنُ سنان أنّ حمّادَ عجرد حضر جاريةً مغنّية يقال لها سُعاد — وكان مولاها ظريفا — ومعه مطيع بنُ إياس، فقال مطيع :

قبّلينى سعادُ بالله قُبلَهْ * وآسألينى لها فديتكِ نِحلَهْ (٤)
فوربِّ السماء لو قلتِ لى صَلِّ * ـلِ لوجهى جعلتُه الدهرَ قِبلَه

فقالت لحمّاد : اِكفِنيه ياعمّ ، فقال حمّاد :

إنّ لى صاحبا سواكَ وَفِيّا * لا مَلولاً لنا كما أنتَ مَلّهْ (٥)
لا يُباع التقبيل بيعا ولا يُشْـ * ـرَى فلا تجعل التعشُّقَ عِلّه

فقال مطيع : ياحمّاد، هذا هجاء: وقد تعدّيتَ وتعرّضتَ، ولم تأمرْك بهذا؛ فقالت الجارية — وكانت بارعة ظريفة — أَجَل؛ ما أردنا هذا كلّه (٦) ، فقال حماد :

(١) مار عياله : جلب لهم الميرة بالكسر، أى الطعام؛ ويقال : ما عنده خير ولا مير .
(٢) يقال فى المثل : «كسير وعوير وكل غير خير» ، فى الخصلتين المكروهتين .
(٣) العير : الحمار، وغلب على الوحشىّ . (٤) النحلة : العطية .
(٥) رجل ملة : إذا كان يمل إخوانه سريعا .
(٦) كذا فى جـ، ط، مب، ها . والذى فى ب، س : «مؤدّبة» .

أنا واللهِ أشتهِى مِثلَها منـ * ـكِ بنُحْلٍ ، والنُّحل فى ذاكَ حَلَّهْ (١)

فأجيبى وأنعِمى وخُذى البـذْ * لَ وأَطفِى بقُبلةٍ منكِ غُلَّهْ (٢)

فرضىَ مطيع ، وخجلتْ الجارية ، وقالت : اكفيانى شرّكما اليوم ، وخُذا فيما جئتُما له .

خبره مع غلام بعث به إليه مطيع

٥ أخبرنى محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدّثنا أبو أيّوبَ المَدينىّ ، عن مصعب الزبيرىّ عن أبى يعقوب الخُرَيمى قال : أهدَى مطيعُ بنُ إياس إلى حمّاد عجرد غلاما وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بغلامٍ تتعلّم عليه كَظْمَ الغيظ .

٨٩/١٣

أخبرنى وكيع قال : حدّثنا أبو أيوبَ المدينىّ قال : ذكر محمدُ بنُ سِنانٍ أنّ مطيع بنَ إياس خرج هو وحمّادُ عجردٍ ويحيى بن زياد فى سفر ، فلمّا نزلوا فى بعض ١٠ القرى عُرِفوا ، ففرِّغ لهم منزل ، وأُتُوا بطعامٍ وشراب وغناء ، فبينا هم على حالهم يشربون فى صحن الدار ، إذ أشرفتْ بنتُ دِهْقانٍ من سطح لها بوجه مشرق رائق ، فقال مطيع لحماد : [ما] (٣) عِندَك؟ فقال حماد : « خذ فيما شئت » (٤) فقال مطيع :

شعره ومطيع فى بنت دهقان

ألا يا بأبى النـاظـ * ـرُ من بينهمُ نحوى

فقال حمّاد عجردٍ :

١٥ ألا ياليتَ فـوقَ الحَقْـ * ـوِ منها لاصِقًا حَقْوِى

(١) النحل (بضم النون) : الهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق . حلة : حلال .

(٢) وخذى البذل ، أى ما بذله لك مطيع .

(٣) عن ها ، وسقطت من باقى الأصول .

(٤) كذا فى ها . والذى فى س ، ب ، جـ ، ط ، مط ، مب : « شبب بها » .

فقال مطيع :

وأنّ البُضْعَ يا حمّا * دُ منها شَوْبُك المَرْوِى (١)

فقال يحيى بن زياد :

و ياسَقْيًا لسَطْح أشـ * ـرقتْ من بينهم حذْوِى (٢)

أخبرنى عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدّثنا حماد بنُ إسحاق عن أبيه : أن حمّادَ عجردٍ قال فى جوهرٍ جاريةِ أبى عَوْن : — قال : وفيه غناء — :

صـــوت

إنِّى أحبُّك فاعلمى * إن لم تكونى تعلمينا

حبًّا أقلُّ قليلِه * بجَميع حُبِّ العالمينا

شعره فى وداع أبى خالد الأحول

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا حمّادبن إسحاق عن أبيه قال: كان حمّاد عَجْرد صديقا لأبى خالد الأحوَل أبى أحمد بن أبى خالد، فأراد الخروج إلى واسط ، وأراد وَداعَ أبى خالد ، فلما جاءه لذلك حجَبه الغلام وقال له : هو مشغول فى هذا الوقت، فكتب إليه [يقول] (٣) :

عليك السلامُ أبا خالدٍ * وما لِلوَداع ذكرتُ السلاماَ

ولكنْ تحيّة مستطرِب * يُحِبُّك حبَّ الغَوِىِّ المداما (٤)

(١) البضع : الفرج . والشوب : العسل ، واللبن ، يقال : سقاه الشوب بالروب ، أى العسلَ باللبن ، وسقاه الشوب بالذوب ، أى اللبن بالعسل .

(٢) الحذو والحذاء : الإزاء والمقابل .

(٣) عن ط ، مط . وسقطت من باقى الأصول .

(٤) استطرب : طلب الطرب .

أردت الشُّخُوصَ إلى واسطٍ * ولستُ أطيل هناك المُقاما
فإن كنتَ مكتفيا بالكتا * ب دون اللّمام تركتُ اللِّماما(١)
وإلّا فأوصِ هَدَاك المَلِيـ * ـكُ بوابَكم بى وأوصِ الغلاما
[فإن جئتُ أُدخلت فى الداخليـ * ـن إمّا قعودا وإمّا قياما](٢)
٥ فإنْ لم أكن منكَ أهلاً لذاكَ * فلا لومَ لستُ أحِبُّ الملاما
لأنّى أذُمّ إليـك الأنا * مَ أخزاهمُ اللهُ طـرّا أناما
فإنّى وجدتُهـمُ كلّهمْ * يُميتون حمدًا ويُحيُون ذاما(٣)
سوى عُصبةٍ لستُ أعنيهمُ * كرامٍ فإنّى أحبّ الكراما
وأقلِلْ عَديدَهم إنْ عددتَ * فما أكثرَ الأرذلين اللِّئاما

مازحته لمطيع ابن إياس وشعرهما فى ذلك

٩٠/١٣

١٠ أخبرنى عيسى بن الحسين قال : حدّثنى أبو أيّوب المَدِينىّ قال : قال ابن عبد الأعلى الشيبانىّ : حضر حمّاد عجرد ومطيعُ بنُ إياس مجلسَ محمد بنِ خالد وهو أمير الكوفة لأبى العباس ، فتمازحا ، فقال حماد :

يا مُطيعٌ يا مُطيـعُ * أنتَ إنسانٌ رَقيـعُ
وعن الخـير بطىءٌ * وإلى الشرّ سريع

١٥ فقال مطيع :

إنّ حمّادا لئـيمُ * سِفْلَةُ الأصل عديمُ
لا تَراه الدهرَ إلّا * يهَنِ العَـيرِ يهيمُ(٤)

---

(١) ألم به : زاره غبا ، وهو يزورنا لماما ، أى فى بعض الأحايين .
(٢) سقط هذا البيت من ب ، س . وقد أثبتناه عن باقى الأصول .
٢٠ (٣) الذام : العيب .
(٤) الهن : كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة .

فقال له حماد : ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لتمادي الشرّ ولجاج الهجاء لقلتُ لك قولا يبقَى ، ولكنّي لا أفسد مودّتك ، ولا أكافئك إلاّ بالمديح ، ثم قال :

كل شيء لى فداءٌ * لمطيع بنِ إياس
رجلٌ مستملَحٌ فى * كلّ لينٍ وشِماس (١)
عِدْلُ رُوحى بين جَنْـ * ـبيّ وعينيّ براسى (٢)
غَرس اللهُ له فى * كبِدى أحلَى غِراس
لستُ دهرِى لمطيع بـ * ـنِ إياسٍ ذا تناسِ
ذاكَ إنسانٌ له فضـ * ـلٌ على كلّ أُناس
فإذا ما الكأس دارتْ * وٱحتساها مَن أُحاسِى (٣)
كان ذِكرانا مُطيعًا * عندها رَيحانَ كاسى

هجاؤه عيسى ابن عمرو

أخبرنى أحمد بنُ العبّاس العسكرىّ ومحمد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفىّ قالا : حدّثنا الحسن بنُ عُلَيل العنَزىّ قال : حدّثنا التّوزىّ قال : كان عيسى بنُ عمرو بنِ يزيدَ صديقا لحمّاد عَجْرد (٤)، وكان يواصله أيّامَ خدمته للربيع ، فلمّا طرده الربيع وٱختلّت حالهُ جفاه عيسى، وإنما كان يصله لحوائجَ يَسأل له الربيعَ فيها، فقال حمّاد عجرد فيه :

أوصلُ النـاس إذا كانت له * حاجةٌ عيسَى وأقضاهمْ لحـقّْ
ولعيسى إنْ أتَى فى حاجة * مَـلَقٌ يُنسى به كلَّ مَـلَق
فإن ٱستغنَى فما يَعدِلُه * نَخوةً كسرَى على بَعْضِ السُّوَق
إن تكن كنتَ بعيسى واثقـا * فبهذا الخُلُق من عيسَى فثِق

(١) الشماس : النفور والإباء ؛ شمس الفرس شموسا وشماسا : منع ظهره .
(٢) العدل : النظير . (٣) أحاسى : أساقى . (٤) فى ها « لعجرد » .

وله يهجوه أيضا

قال العَنَزِيّ : وأنشدنى بعضُ أصحابنا لحمّاد فى عيسى بنِ عمرَ أيضا :

كم من أخٍ لك لستَ تنكرُهُ * ما دمتَ من دنيـاكَ فى يُسُرِ
متصـــنِّع لك فى مـــودّته * يلقـاك بالتّرحيب والبِشرِ
يُطرِى الوفاءَ وذا الوفاءِ ويَلـ * ـحَى الغدرَ مجتهدا وذا الغَدْرِ
فإذا عَـدَا والدهرُ ذو غِيَرٍ * دهرٌ عليـك عَـدَا مع الدهرِ
فآرفض بإجمالٍ مـودّةَ مَن(1) * يَقلِي المقِـلَّ ويَعشَق المثْرِى
وعليك من حالاه واحدةٌ * فى العُسْر إمّا كنتَ واليسرِ
لا تخلطنّهـــمُ بغـــيرهـمُ * من يَخلط العِقيَـان بالصُّفْرِ(2)

٩١
١٣

هجا حشيشا الكوفى

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال : حدّثنى آبن أبى فَنَن قال : حدّثنى العتّابى، وأخبرنى عمّى عن أحمدَ بن أبى طاهر قال : قال العتّـابى : وحديث آبن أبى طاهر أتمّ، قال : كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حُشَيش وكانت أمّه حارثيّة ، فمدحه حمّاد عجرد فلم يُثِبه ، وتهاوَن به ، فقال يهجوه :

يا لَقَـــومى للبـــلاءِ * ومَعَـاريضِ الشّـقاءِ
قَسَـــمَتْ ألوِيَةَ بيـ * ـنَ رجالٍ ونِســـاءِ
ظفرتْ أختُ بنى الحا * رث منهـا بـــلِواء
حادثٌ فى الأرض يرتا * عُ له أهـــلُ السماء

قال : فعُرِضتْ أسماء العمّال على المنصور فكان فيها آسم حُشيش، فقال : أهو الّذى يقول فيه الشاعر :

يا لَقَـــومى للبـــلاءِ * ومَعَـاريضِ الشّـقاءِ؟

(1) فى ها « أخوّة » . (2) العقيان : الذهب . والصفر : النحاس وفى « ها » . « من يخلط العقيان بالتبر » .

قالوا : نعم يا أمير المؤمنين، فقال : لو كان فى هذا خير ما تعرض لهذا الشاعر، ولم يستعمله ، قال : وقال حمّاد فيه أيضا يخاطب سعيدَ بنَ الأسود و يعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرته :

صرتَ بعدى يا سعيد * مِن أخلاّء حُشَيش
أتلوّطتَ أم استُحْـ * ـلِفتَ بعدى أم لايش (١)
حَلَقِىٌّ اِستُه أو * سعُ من اِستِ بُحَيش (٢)
ثم بَغّاءٌ على ذا * أبلغُ الناسِ لفَيش (٣)
يا بَنِى الأشعث ما عَيْـ * ـشُكُمُ عندى بعَيْش
حين لا يُوجَد منكمْ * غيرَه قائدُ جَيْش

قال : وكان بُحَيش هذا رجلا من أهل البَصْرة لم يكن بينه وبين حمّاد شىء ، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَفَد من البَصرة إلى حمّاد قاصدا ، وقال له : يا هذا، مالى ولك، وما ذنبى إليك ؟ قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا بُحَيش ، أما وجدتَ أحدا أوسعَ دُبُرا منّى يُتمثَّل به ؟ فضحك ثم قال : هذه بليّة صبّتها عليك القافية (٤) ، وأنت ظريف وليس يجرى بعد هذا مثله .

هجا أبا عون

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدّثنى محمد بنُ الحسن بن الحَرون . قال : كان حماد عجرد يعاشر أبا عَوْن جدَّ ابن أبى عون العابد، وكان ينزل الكرخ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره، فبلغ أبا عون أنه يحدِّث الناسَ أنه يهوَى جاريةً يقال لها جوهر ، فحجبه وجفاه واطّرحه ، فقال يهجو أبا عون :

(١) لاط ولاوط وتلوّط : عمل عمل قوم لوط . (٢) الحلق : صفة سوء فى الرجل ، من قولهم : أتان حلقية إذا تداولتها الحمر فأصابها بسبب ذلك داء ، وفى « ها » . « تجيش » .
(٣) الفيش والفيشة : رأس الذكر . (٤) فى ها « صبها عليك الروىّ » .

أبا عَوْنٍ لحَاكَ اللّـ * ـهُ — يا عُرَّةُ — إنسانا[١]
فقد أصبحتَ فى الناس * إذا سُمِّيتَ كَشْخانا[٢]
بَنَيْت اليومَ فى الكَشْخ * لأهـل الكَرْخ بنيانا
وشرَّفتَ لهـم فى ذَا * كَ أبـواباً وحيطانا
وألقيْتَ عـلى ذاكَ * من الفُسَّاق أعـوانا
ومُجّانا ولَنْ تَعـدَ * مَ مَنْ يمْجُن مُجّانا
فأخزَى الله من كنتَ * أخاه كان من كانا
ولا زلتَ ولا زال * بأخلاقك خَزْيانا
وعُـرْيانا كما أصبحـ * ـتَ من دِينك عُرْيانا

١٠ وقال فيه أيضا :

إنّ أبا عَوْنٍ ولا * أقـولُ فيـه كذبا
غـاوٍ أتَى مدينَـةً * فسَنَّ فيهـا عجَبـا
إخـوانُه قـد جعـلوا * أُمَّ بَنيـه مَركبا
واتَّخـذوا جـوهرةً * مبْـولَةً وملْعبـا
١٥ إن نِكتَها أرضيتَه * أو لم تَنِكْها غضِبـا
أحبهـمْ إليـه مَن * أدخَـل فيهـا ذَنَبـا
ومَن إذا ما لَمْ يَنِـك[٣] * جَـرَّ إليهـا جَلَبـا

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدّثنـا الغَلَّابىّ عن مهدىّ بن سابق قال : آستعمل محمد بنُ أبى العبّاس وهو يَلِى[٤] البَصرة غَيْلانَ جدَّ عبد الصَّمد بنِ المعذَّل على

٢٠ (١) العرة : الجرب ، والمعنى ياشبيها بالعرة . وفى ها « ما عمر » . (٢) الكشخان : الديّوث . (٣) فى ط ، مط « يعف » . (٤) فى ب ، س « على » .

هجاؤه غيلان جدّ عبد الصمد بن المعذّل

بعض أعشار البصرة ، وظهرَ منه على خيانة ، فعزَله ، وأخذ ما خانه فيه ، فقال حمّاد عجرد يهجوه :

ظَهرَ الأميرُ عليكَ يا غَيْلانُ * إذ خُنتَه إنّ الأميرَ مُعانُ

أمع الدمامة قد جَمعتَ خِيانةً ! * قبحَ الدّميمُ الفاجرُ الخوّانُ

أخبرنى عمى قال : حدّثنى أحمد بن أبى طاهر عن أبى دِعامة قال : أُنشد بشّارٌ قولَ حمّاد عجرد فى غلام كان يهواه يقال له أبو بِشر : ٥

صـــوت

أخى كُفّ عن لومى فإنّك لا تدرى * بما فعل الحبُّ المبرّح فى صدرى

أخى أنت تلحانى وقلبُك فارغٌ * وقلبىَ مشغولُ الجوانح بالفِكرِ

أخى إنّ دائى ليس عندى دواؤه * ولكن دوائى عند قلبِ أبِى بشر ١٠

دوائى ودائى عند من لو رأيتَه * يقلّب عينيه لأقصرتَ عن زَجرى

فأُقسم لو أصبحت فى لوعة الهوى * لأقصرتَ عن لومى وأَطنبتَ فى عذرى

ولكن بلائى منك أنّك ناصحٌ * وأنّك لا تدرى بأنك لا تدرى

فطرب بشّار ثم قال : وَيْلَكم ، أحسنَ والله ! مَن هذا ؟ قالوا : حمّاد عجرد ؛ قال : أَوّه ، وَكَتَمْتُمونى والله بقيّةَ يومى بهمٍّ طويل ، والله لا أَطعَم بقيّةَ يومى طعاما ولأصوم غمّا بما يقول النَّبطىّ آبنُ الزانية مثل هذا . ١٥

$\frac{٩٣}{١٣}$ فى الأول والثانى من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأول ذَكر الهشامىُّ أنه لعَطرّد .

أنشَدَنى جَحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه لحمّاد عجرد :

خليلِى لا يَفِى أبدًا * يمنِّينى غدًا فغدًا ٢٠

وبعدَ غدٍ وبعدَ غدٍ * كذا لا ينقضى أبدا
له جَمْرٌ على كبِدى * إذا حرّكته اتّقدا

شعره فى يحى ابن زياد

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال : حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة قال : حدّثنا الزّبالىّ قال : كان المهدىّ سأل أباه أن يولّى يحيى بنَ زياد[1] عملا، فلم يجبه، وقال : هو خليعٌ متخرّق فى النفقة ماجن، فقال : إنه قد تاب وأناب، وتضمّن عنه ما يُحبّ، فولّاه بعض أعمال الأهواز، فقصده حمّاد عجرد إليها، وقال فيه :

فمن كان يسأل أينَ الفَعالُ * فعندى شفاءٌ لذا الباحث
مَحَلُّ النّدى وفَعالُ النُّهى * وبيتُ العُلا فى بنى الحارث[2]
[حلَلْن بيحيى فخالفنه * حِياءً من الباعث الوارث][3]
فلا تعدِلنّ إلى غيره * لعاجلِ أمرٍ ولا رائث[4]
فإنّ لديه بلا منّةٍ * عطاءَ المرحّلِ والماكث

قال : وقال فيه أيضا :

يحيى امرؤٌ زيّنه ربُّه * بفعله الأقدم والأحدث
إن قال لم يكذب، وإن ودّ لم * يقطع، وإن عاهد لم ينكث
أصبح فى أخلاقه كلِّها * موكَّلا بالأسهل الأدمث[5]
طبيعةٌ منه عليها جرى * فى خُلُق ليس بمستحدَث
ورّثه ذاك أبوه فيا * طِيبَ نثا[6] الوارث والمُورِث

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحمله وكساه، وأقام عنده مدّة ثم انصرف .

(١) من بنى الحرث بن كعب، شاعر مترسل بليغ (انظر الفهرست لابن النديم ص ١٧١) .
(٢) النهى : العقل . (٣) ساقط من ب، س . وقد أثبتناه عن بقية الأصول .
(٤) الرائث : البطىء، من راث يريث . (٥) الأدمث : الأسهل، من دمث كفرح : سهل ولان . (٦) النثا : التحدث عن إنسان بالمدح أو القدح، والمراد هنا الأوّل .

شعره فى عيسى ابن عمرو

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى الكُرانى عن النضر بن عمرو قال : ولِىَ عيسى بنُ عَمرو إمارةَ البصرة مِن قِبَل محمد بن أبى العبّاس السفّاح لمّا خرج عنها عليلا ، فقال له حمّاد عجرد :

قل لعيسى الأمير عيسى بنِ عَمرٍو * ذى المساعى العِظام فى قَحْطانِ

والبناءِ العالى الّذى طال حتّى * قَصُرتْ دونَه يدا كلِّ بانِ

يأبن عمرٍو عمرِو المكارم والتقـ * ـوى وعَمرو النَّدَى وعمرو الطِّعانِ

لك جارٌ بالمِصر لم يجعل اللـ * ـه له منكَ حُرمةَ الجيرانِ

لا يصلِّى ولا يصومُ ولا يَقْـ * ـرأ حرفا من مُحكَم القرآنِ

إنّما مَعدِن الزُّناة من السِّفْـ * ـلة فى بيته ومأوَى الزّوانى

وهو خِدنُ الصِّبيانِ وهو ابن سبعيـ * ـنَ، فماذا يهوَى من الصِّبيانِ؟

طَهِّرِ المصر منه يأيُّها المو[1] * لى المسمَّى بالعدلِ والإحسانِ

وتقرَّبْ بذاك فيه إلى اللـ * ـه تَفُزْ منه فوزَ أهلِ الجِنانِ

يا بن بُرد إخسأْ[2] إليكَ فمثلُ الـ * ـكلبِ فى الناس أنتَ لا الإنسانِ

ولَعمرى لأنت شرٌّ من الكلـ * ـب وأولَى منه بكلِّ هَوانِ

هجا يقطينا بشعر

أخبرنى الحسنُ بنُ علىّ قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدّثنى محمد بنُ صالح الجَبَلىّ قال : كان حمّاد عجرد قد مدح يَقطينا فلم يُثبه، فقال يهجوه :

متى أرَى فيما أرَى دولةً * يَعِزّ فيها ناصرُ الدِّينِ

[ميمونة مجدها ربُّها * بصادق النيّة ميمونِ

تردُّ يقطينا وأشياعه * منها إلى أبزار يقطين

قال : وكان يقطين قبل ظهور الدولة[3] العباسية بخُراسانَ حائكا .

(١) كذا فى ب ، س وفى باقى الأصول « يأيها الوالى » . (٢) خسأ الكلب : طرده وزجره وقال له : اخسأ . (٣) فى ما « الدعوة » .

قال : ومرّ يوما بيونسَ بن فَروةَ الذى كان الربيع يزعم أنه ابنُه ، فلم يَهَشّ له كما عوّده ، فقال يهجوه :

أما ابنُ فـروةَ يونسٌ فكأنه * من كِبْره ابنٌ للإمام القائم](١)

وقال فيـه :

ولقد رضيتَ بعُصبة آخيتَهـمْ * وإخاؤهم لكَ بالمعَـرّة لازمُ

٥ فعلمتُ حين جعلتَهم لك دِخْلةً(٢) * أنّى لعِـرضى فى إخائك ظالمُ

شعره فى ولد لبشار

أخبرنى عمّى قال : حدّثنى المغـيرة بنُ محمـد المهلّبىّ قال : حدّثنى أبو مُعاذ النُّميرىّ أنّ بشّارا وُلد له ابنٌ ، فلمّا وُلد قال فيه حمّاد عجرد :

سائلْ أُمامة يابن بُر * دٍ من أبو هذا الغلامِ؟

١٠ أمِن الحـلالِ أتتْ به * أم مِن مقارَفَة الحـرامِ(٣)

فلتُخـبِرنّك أنّه * بينَ العـراقِى والشآمِى

والآخَـرِ الرومىِّ والـنَّبَطىِّ أيضـا وابن حامِ

أجَعلتَ عِرسَكَ شِقْوةً * غرضًا لأسهُم كلِّ رامِ

أخبرنى أحمد بنُ العبّاس العسكرىُّ قال : حدّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزىّ قال :

١٥ حدّثنى مسعود بنُ بشر قال : مرّ حمّاد عجردٍ بقصرِ شيرينَ، فاستظلّ من الحرّ بين سِدْرَتين(٤) كانتا بإزاء القصر، وسمع إنسانا يغنّى فى شعر مطيع بنِ إياس :

أسـعِدانى يانخلَـتىْ حُلْوانِ * وأرثيا لى من رَيْب هذا الزمانِ

أسـعِدانى وأيقنـا أنّ نحسًا * سـوف يلقاكما فتفـترقانِ

(١) تكلة عن جـ ، ط ، مط ، مب . وقد سقطت من ها ، ب ، س .

٢٠ (٢) دخلة الرجل مثلثة الدال : بطانته .

(٣) قارف الخطيئة : خالطها . (٤) السدر : شجر النبق .

قال شعرا حين سمع بيتى مطيع

فقال حمّاد عجرد :

جعل الله سدرتىْ قصرِ شيري * نَ فــداءً لنخلتىْ حُلوانِ
جئتُ مستسعِدا فلم يُسعِدانى * ومطيعٌ بكت له النخلتانِ

استجازه محمد بن أبى العباس وعدا

أخبرنى يحيى بن علىّ إجازةً عن أبيه ، عن إسحاق ، عن محمد بن الفضل السّكونى قال : كان محمد بن أبى العباس قد وعد حمّاد عجردٍ أن يحمله على بغل ، ثم تشاغلَ عنه ، فكتب إليه حمّاد :

طلبتُ البَــذْلَ ممّن خُـ * ـلقتْ كفّاه للبذلِ
ومَن يَنفِى عن المُمحِـ * ـلِ بالجُود أذَى المَحْلِ[1]
ألا يابنَ أبى العبّا * س يا ذا النائل الجزلِ
أما تذكر يا مولا * ىَ ميعادَك فى البغلِ؟
وذاك الرِّجس فى الدار * جليسٌ لأبى سهلِ[2]
يريك الحزمَ فى الإخلا * ف للميعاد والمَطْلِ

٩٥ / ١٣

شعره فى عثمان ابن شيبة

أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال : حدّثنا سليمانُ المَدِينىّ قال : كان عثمان بنُ شيبةَ مبخّلا ، وكان حمّاد عجردٍ يهجوه ، فجاء رجل كان يقول الشعرَ إلى حمّاد فقال له :

أعِنّى منْ غناكَ ببيتِ شِعْرٍ * على فقرى لعثمانَ بنِ شَيْبَهْ

فقال [له حمّاد][3] :

فإنّك إنْ رَضيتَ به خليلا * ملأتَ يديك من فقرٍ وخَيبهْ

(١) المحل : الجدب . (٢) الرجس : القذر ، عنى به عدوا له .
(٣) ساقطة من ب و س . وقد أثبتناها عن باقى الأصول .

فقال له الرجل : جزاك الله خيرا ، فقد عرّفتنى من أخلاقه ما قطعنى عن مدحه ، فصلتُ وجهى عنه .

هجاؤه مطيع ابن إياس

أخبرنى عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا ابن إسحاق عن أبيه قال : كان حمّاد عجرد يهوَى غلاما من أهل البَصْرة من موالى العَتيك يقال له : أبو بشر الحلو ابن الحلال — أحسبه من موالى المهلّب — وكان موصوفا بالجمال، فأندس له مطيع بنُ إياس ، ولم يزلْ يحتالُ عليه حتى وطِئه ، فغضب حمّاد عجرد من ذلك ، ونَشِب بينهما بسببه هجاء، فقال فيه حمّاد :

يا مطيعُ النّذْلُ أنتَ الـ * ـيومَ مخـذولٌ جهـولُ
لا يغـرَّنْك غـرورٌ * ذو أفانينَ مَـلولُ
ليس يحلو الفعـلُ منه * وهو يحـلو ما يقـولُ
مَـلِذانىٌّ[1] مـع الرِّيـ * ـح إذا مالت يميـلُ
وجَـوادٌ بالمـواعيـ * ـدِ وبالبَـذْل بخيـلُ
ليس يُرضيه من الجُعْـ * ـل كثيرٌ أو قليـلُ[2]
ذاكَ ما اخترت خليلا * بئس واللهِ الخليـلُ
إنمـا يكفيك أن يأ * تيك فى السرِّ رسـول
ساخـراً منـكَ يمنّيـ * ـك أمانىَّ تطـول

وقال فى مطيع أيضا وقد لجّ الهجاء بينهما :

عجبتُ للـدَّعى فى النـاس منزلةً * وليس يَصـلح للدّنيـا وللـدِّينِ
لو أبصَروا فيك وجهَ الرأيِ ما تركوا * حتى يَشُدُّوك كَرْها شَدَّ مجنـونِ

(١) الملذانىّ : الكذوب الذى لا يصحّ ودّه .

(٢) كذا فى ب ، س . والذى فى ط ، مط ، مب : « إذا ميف القليل » .

ما نالَ قطُّ مطيعٌ فضلَ مَنزلةٍ * إلّا بأن صرتُ أهجوه ويهجونى
ولو تركتُ مطيعا لا أجاوبُه * لكان ما فيه م الآفات يكفينى
يختار قربَ الفُحول المُرْد معتمِداً * جَهْلا ويترك قُربَ الخرَّد العِينِ (١)

مدحه وتعزيته داود بن إسماعيل ابن على بن عبد الله ابن العباس

أخبرنى يحيى بنُ علىّ بنِ يحيى إجازةً عن أبيه عن إسحاق قال : قال حمّاد عجرد فى داود بنِ إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزّيه عن ابنٍ مات له ويستجيزه :

إنّ أرجَى الأنام عندى وأَوْلا * هُمْ بِمَدْحى ونصرتى داودُ
إن يعش لى أبو سليمان لا أحْ * فِلُ ما كادنى به من يكيد (٢)
هدّ رُكنى فَقدى أباكَ فقد شـ * ـدّ بك اليومَ رُكنىَ المهدود
قائلٌ فاعلٌ أبىٌّ وفىٌّ * مُتلِفٌ مُخلِفٌ مُفيدٌ مُبيد
وَفَتى السنّ فى كمالِ ابنِ خمسيـ * ـنَ دَهاءً وإرْبةً بل يزيد (٣)
مِخلَطٌ مِزيَلٌ أريبٌ أديبٌ * راتقٌ فاتقٌ قريبٌ بعيدُ (٤)
وهو الذائد المدافع عنّى * وعزيزٌ ممنّعٌ من يذود (٥)

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرىّ قال : حدّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدّثنى عبد الملك بنُ شَيبان قال : ولّى أبو جعفر المنصورُ محمّدَ بنَ أبى العباس السفاح

---

(١) الخرّد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس . والعين : جمع عيناء ، وهى الواسعة العين .
(٢) يقال : ما حفله وما حفل به ، أى ما بالى ، ورفع هنا جواب الشرط وهو ضعيف .
(٣) الإربة : العقل .
(٤) رجل مخلط مزيل ، أى يخالط الأمور ويزايلها ، والمزيل : الرجل الكيس اللطيف ، والمزيل أيضا : الجدل فى الخصومات الذى يزول من حجة إلى حجة .
(٥) فى س « عنه » وهو تحريف .

البَصرة ، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنّين منهم حمّاد عجرد ، وحكَمُ الوادى ودَحْمان ، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه ، وشَرِب الشرابَ وعاث[(١)] ، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله ، قال : وكان ابن أبى العبّاس كثيرَ الطيّب ، يملأ لحيتَه بالغالية[(٢)] حتى تسيلَ على ثيابه فتسودّ ، فلقّبوه أبا الدِّبس[(٣)] ، وقال فيه بعض شعراء أهل البَصرة :

٥ صِرْنا من الرِّبح إلى الوكْسِ * إذْ وَلِىَ المصرَ أبو الدِّبسِ
ما شئتَ مِن لُؤمٍ على نفسِه[(٤)] * وجنسُه من أكرم الجنسِ

أخبرنى أحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال : حدّثنا علىّ بنُ محمدٍ النَّوفلىّ قال : حدّثنى أبى قال : كان أبو جعفر المنصورُ يُبغِض محمدَ بنَ أبى العبّاس ويُحبّ عيبَه ، فولّاه البَصرة بعقِب مَقتَل إبراهيم بن عبد الله بن حسن[(٥)] ، فقدِمَها ، وأصحبَه المنصورُ

١٠ قوما يعاب بصُحبتهم مُجّانا زنادِقه : منهم حمّاد عجرد ، وحمّاد بنُ يحيى ، ونُظَراء لهم ، ليَغُضّ منه ويرتفع ابنُه المهدىّ عند الناس ، وكان محمد بنُ أبى العباس محمَّقا ، فكان يغلّف لحيتَه إذا ركِب بأواقٍ من الغالية ، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة ،

كان ماجنا زنديقا

(١) عاث : أفسد . (٢) الغالية : نوع من الطيب مركّب من مسك وعنبر وعود ودهن .
(٣) الدبس : عسل التمر وعصارته .
١٥ (٤) فى الأصول «فى لوم» ، «وحبسه» ، «الحبس» وهو تحريف ، والتصويب عن مختار الأغانى ص ٤٢٧ أى أن ذاته وحدها هى المعيبة .
(٥) كان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (الملقب بالنفس الزكية) قد خرج على أبى جعفر المنصور ، وغلب على المدينة وعزل عنها أميرها من قبل المنصور ، فندب المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله ، وكانت الغلبة لعسكر المنصور ، فقتل محمد بن عبد الله وحمل رأسه إلى المنصور
٢٠ سنة ١٤٥ هـ . ثم خرج أخوه إبراهيم بن عبد الله ومضى إلى البصرة ودعا إلى نفسه ، فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى بعد رجوعه من قتل أخيه ، فالتقوا بقرية يقال لها باخمرى قريبة من الكوفة ، فكانت الغلبة لعسكر المنصور أيضا وقتل إبراهيم فى المعركة سنة ١٤٥ هـ .

فلقّبه أهلُ البَصرة أبا الدِّبس، قال ولمّا أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه: قد عزمتُ على أن أعترض أهلَ البصرة بالسيف فى يوم الجمعة، فأقتلَ كلّ من وجدتُ، لأنّهم خرجوا مع إبراهيم بنِ عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك، لما يعرفونه منه، ثم جاءوا إلى أمّه سَلمة[1] بنت أيوب بنِ سلمةَ المخزوميّة فأعلموها بذلك، وقالوا: والله لئن همّ بها ليُقْتلنّ ولنُقْتلنّ معه، فإنما نحن فى أهل البصرة أُكلةُ رأس، فخرجتْ إليه وكشفتْ عن ثديها وأقسمتْ عليه بحقّها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه.

أدّبه محمد بن أبى العباس

أخبرنا يحيى بن علىّ بن يحيى إجازةً قال: حدّثنى أبى عن إسحاق الموصلى قال: كان حمّاد عجرد فى ناحية محمد بن أبى العبّاس السفّاح، وهو الّذى أدّبه، وكان محمد يهوَى زينبَ بنتَ سليمان[2] بن على، وكان قد قدم البصرة أميرا عليها من قِبَل عمّه أبى جعفر، فخطبها، فلم يزوّجوه لشيء كان فى عقله، وكان حمّاد وحَكَم الوادى ينادمانه، فقال محمد لحمّاد: قل فيها شِعرا، فقال حمّاد فيها على لسان محمد ابن أبى العبّاس، وغنّى فيه حَكَم الوادى:

صوت

زينبُ ما ذنبى وماذا الّذى * غضِبتمُ منه ولَم تُغضَبوا[3]
واللهِ ما أعرِف لى عندكمْ * ذنبا ففيمَ الهجرُ يا زينبُ؟
إن كنتُ قد أغضبتكُمْ ضَلّةً[4] * فأستعتِبونى إننى أُعتِبُ
عُودُوا على جهلى بأحلامكمْ * إنى ـ وإن لم أذنِبِ ـ المذنبُ

(١) كذا فى جميع الأصول. والذى فى مختار الأغانى ص ٤٢٧ «أم سلمة».
(٢) هو سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عم المنصور.
(٣) ولم تغضبوا، أى لم آت ما يستوجب غضبكم.
(٤) الضلة: الضلال. استعتبه: أعطاه العتبى وهى الرضا. وأعتبنى فلان: ترك ما كنت أجد عليه من أجله، ورجع إلى ما أرضانى عنه بعد إسخاطه إياى عليه.

٩٧
١٣

الغناء لحَكَم فى هـذه الأبيات خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشامىّ وفيه هَزَج يقال : إنه لخليد بن عبيد الوادىّ ، ويقال لَعريب .

نسيب محمد بن أبى العباس بزينب بنت سليمان

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولى قال: حدّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال : حدّثنى عمـرو بن بانةَ قال : كان لمحمّـد بن أبى العبّاس السّـفّاح شعر فى زينبَ ، وغنّى فيه حَكَم الوادى :

٥

صـــوت

قُـولَا لزينبَ لو رأيـ * ـتِ تشوُّقى لكِ وٱشترافى[1]

وتلفُّـتى كيما أرا * كِ وكان شخصُكِ غيرَ خاف

وشَمِمْتُ رِيحَكِ ساطعًا * كالبيت جُمِّر للطَّواف

فتركتِنى وكأنّمـا * قلـبى يغـرَّز بالأشافى[2]

١٠

خطبته لها .

أخبرنى محمد بن يحيى أيضا قال : حدّثنى الحارث بن أبى أسامة عن المدائنىّ قال : خطب محمد بنُ أبى العباس زينبَ بنتَ سليمان ، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلّا أنه قال فيه: فقال محمد بن أبى العبّاس فيها ، وذَكر الأبيات كلَّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّادا .

١٥

قال أبو الفرج مؤلِّف هذا الكتاب: هذا فيما أُراه غَلَطٌ من رواته، لمّا سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حَكَمٍ، نسبوه إلى محمـد بن أبى العبّاس ، وقد ذَكر هـذا الشعرَ بعينه إسحاقُ الموصلىّ فى كتابه ، ونسـبه إلى ابن رُهَيْمةَ وهو من زَيانب يونسَ الكاتب المشهورة، معروفٌ ومنها فيه يقول:

فذَكرتُ ذاكَ ليونسٍ * فذكرتُه لأخٍ مُصافِ

٢٠

(١) تشوّف إلى الشيء : تطلع وتطاول وأشرف . والاشتراف : الانتصاب .

(٢) الأشافى : جمع إشفى بكسر الهمزة ، وهو المثقب .

وذكر إسحاق أن لحن يونس فيه خفيف رمل بالبنصر فى مجرى الخنصر، وأن لحن حَكَم من الثقيل الأوّل بالبنصر، قال محمد بن يحيى : ولمحمد بن أبى العباس فى زينب أشعارٌ كثيرة ممّا غَنّى فيها المغنّون، منها :

صــــوت

زينبُ مالى عنكِ من صبرِ * وليس لى منكِ سوى الهجرِ
وجهُكِ والله وإن شفّنى[1] * أحسنُ من شمسٍ ومن بدرِ
لو أبصرَ العاذلُ منكِ الذى * أبصرتُه أسرع بالعذرِ ٥

الغناء فى هذه الأبيات لحَكَم خفيف رمل بالوسطى .

غنّى دحمان فى شعر قيس بن الخطيم

وأخبرنى محمد بن يحيى قال: حدّثنا الغَلاّبىّ قال: حدّثنى عبدالله بنُ الضّحّاك عن هشام بنِ محمد قال : دخل دَحْمانُ المغنّى مولًى بنى مخزوم — وهو المعروف ١٠ بدَحْمانَ الأشقر — على محمد بن أبى العبّاس وعنده حَكَم الوادى ، فأحضر محمدٌ عشرةَ آلاف درهم وقال : من سَبق منكما إلى صوت يُطربنى فهذه له ؛ فابتدأ دَحمانُ فغنّى فى شعر قيس بن الخَطيم :

حَوْراءُ ممكورةٌ منعّمةٌ * كأنما شَفَّ وجهَها نَزَفُ[2]

فلم يهشّ له ، فغنّى حَكَم فى شعر محمّدٍ فى زينب : ١٥

زينبُ مالى عنكِ من صبرِ * وليس لى منكِ سوى الهجرِ

قال : فطرب وضرب برجله وقال له : خُذْها، وأمر لدَحمانَ بخمسة آلاف درهم، قال : ومن شعره فيها الّذى غَنّى فيه حَكَم أيضا :

(١) شفه الهم : هزله .
(٢) امرأة ممكورة : مرتوية الساقين .

٩٨
――
١٣

صـــوت

أحببتُ من لا يُنصفُ * ورجوتُ من لا يُسعِفُ
نسبٌ تليـدٌ بيننـا * ووِدادُنا مســتطرَفُ
بالله أحلِفُ جاهـدا * ومصدَّقٌ مَن يحلِف
إنى لأكتمُ حبَّها * جَهْدى لِما أتخوّفُ
والحبّ يَنطِق إن سكَتُّ بما أُجِنّ ويُعرَفُ

شعر لابن أبي العباس غنى فيه

الغناء فى هذه الأبيات لحَكَم الوادىّ، ولحنه ثقيل أوّل. قال : ومن شعر محمد فيها الّذى غنّى فيه حَكَم :

صـــوت

أَسعِد الصبَّ يا حَكَمْ * وأعِنْــهُ علـى الألَمْ
وأدِرْ فى غِنائه * نَغَمًا تشــبه النِّعَم
أجميـلٌ بأن تُرَى * نائمـا وهـو لم ينَمْ
لائمى فى هـواىَ زيـ * ـنبَ أنصِفْ ولا تَلُمْ
لَبِس الجسمُ حُـلّةً * فى هواها من السَّقَم

غنّاه حَكَم، ولحنُه هَزَج .

سكر حماد مع حكم الوادى عند محمد بن أبي العباس فناموا دونه

وقد أخبرنى الحسن بنُ علىّ قال : حدّثنـا أبو أيّوبَ المَدِينى قال : قال بُرَيْهٌ الهاشمىّ حدّثنى من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حمّاد وحَكَمٌ الوادىّ يغنّيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سَكِروسَكِروا، فكان محمّد أوّل من أفاق منهم ، فقام إلى جماعتهم ينبّههم رجلا رجلا ، فلم يجد فيهم فَضْلا سوى حمّاد

عجرد وحَكَمَ الوادىّ ، فأنتبَها ، وابتدءوا يشربون ، فقال عجردٌ على لسانه ، وغنّى فيه حَكَمٌ :

أسعِد الصبَّ يا حَكَمْ * وأَعِنْه على الألَمْ
أجميلٌ بأن تُرى * نائماً وهوَ لم يَنَمْ

هكذا ذكر هذا الخبرَ الحسن ، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً .

٥

محمد بن أبى العباس يشبب بزينب بنت سليمان

أخبرنى محمد بن يحيى قال : أنشدنى أبو خليفة وأبو ذَكْوانَ والغلّابىّ لمحمد ابن أبى العبّاس فى زينبَ بنتِ سليمان بن علىّ :

يا قمرَ المِرْبَد قد هِجتَ لى * شوقاً فما أنفكّ بالمِرْبَد
أُراقبُ الفرقَد من حبِّكمْ (١) * كأنّنى وُكِّلتُ بالفرقَد
أَهيم ليلِى ونهارِى بكمْ * كأنّنى منكمْ على مَوعد
عُلِّقتُها رَيّا الشَّوى طَفْلةً (٢) * قريبةَ المولد من مَولدى
جَدّى إذا ما نُسبتْ جدّها (٣) * فى الحسَب الثاقب والمحتِد
والله ما أنساكِ فى خَلوتى * يا نورَ عينىّ ولا مَشهَدى

١٠

كان محمد نهاية فى الشدّة

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى الحارث بن أبى أسامة قال : حدّثنى المدائنى قال : كان محمدُ بنُ أبى العبّاس نهايةً فى الشدّة ، فعاتبَه يوما المهدىُّ ، فغمزَ محمدٌ ركابَه حتى انضغطتْ رِجلُ المهدىّ فى الركاب ، ثم لم تخرج حتى ردّ محمّد الركابَ بيده ، فأخرجَها المهدىّ حينئذ .

١٥

(١) الفرقد : النجم الذى يهتدى به .
(٢) علقتها : أحببتها . ريا : ممتلئة . الشوى : اليدان والرجلان . الطفلة : الرخصة الناعمة .
(٣) فى جـ « ما جدى إذا » وفى ب ، س « ما جدى إذ » وهو تحريف ، والتصويب عن باقى الأصول . والمحتد : الأصل .

٢٠

حماد يمدح محمد ابن أبي العباس

٩٩ / ١٣

أخبرني محمد قال : حدّثنا أبو ذَكْوانَ قال : حدّثنا العُتْبيّ قال : كان محمد ابن أبي العبّاس شديدا قويّا جَوادا ممدَّحا، وكان يلوى العمودَ ثم يلقيه إلى أختـه رَيْطَة فتردّه ، وفيه يقول حمّاد عجرد :

أرجوك بعدَ أبي العبّاس إذ بانا * يا أكرم النـاس أعراقا وعيدانَا

٥ فأنت أكرمُ من يمشى على قَـدَمٍ * وأنضرُ الناس عند المَحْل أغصانا

لو مَجّ عُـودٌ على قـوم عُصارَتَه * لمَجّ عُودُك فينـا المِسْكَ والبـانا

خبر عزل محمد ابن أبي العباس عن البصرة

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثنا الغلّابيّ قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن قال : لمـا أراد محمد بن أبي العبّاس الخروجَ عن البَصرة لمّـا عزله المنصورُ عنها قال :

١٠ أيا وقفـةَ البـينِ ما ذا شَبَبْتِ * من النّـار فى كَبِد المُغـرمِ!

رَميتِ جوانحَـه إذ رَميتِ * بقـوسٍ مُسـدّدةِ الأسهُـمِ

وقفنـا لزينبَ يومَ الـوَداع * على مِثـل جَمر الغَضَى المُضرَم

فمِنْ صَرْف دمـع جرى للفـراقِ * لممـتزِجٍ بعـدَه بالـدّم

شبب حماد عجرد بزينب بنت سليمان

أخبرني محمد قال: حدثنا الفضل بنُ الحُباب قال: حدّثنا أبو عثمانَ المـازنيّ قال : قال حمّاد عجرد يشبّب بزينبَ بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس :

١٥ ألا مَن لقلبٍ مستهامٍ معـذَّبِ * بحبِّ غزالٍ فى الحِجـال مُربَّبِ (١)

يراه فـلا يسطيع رَدّا لطَرْفـه * إليـه حِـذارَ الكاشحِ المترقّب

(١) الحجال : جمع حجلة كرقبة ، وهى موضع يزين بالثياب والستور للعروس . مربب : مربى .

ولولا مليكٌ نافذٌ فيه حكمُه * لأدنى وصالًا ذاهبا كلَّ مذهب

تغبَّرتُ خلفَ اللهو بعد صِراوةٍ (١) * فبحتُ بما ألقاه من حبِّ زينبِ

قال : فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان ، فنذر دمَه ، ولم يقدر عليه لمكانه من محمد .

رثى حماد محمد ابن أبى العباس بشعر

أخبرنى محمد بن يحيى قال : حدّثنى الغلابىّ عن محمد بن عبد الرحمن قال : مات محمد بن أبى العبّاس فى أول سنة خمسين ومائة، فقال حمّاد يرثيه بقوله :

٥

صرتُ للدهر خاشعا مستكينا * بعد ما كنت قد قهرتُ الدهورا

حين أودى الأمير ذاك الذى كنـ * ـتُ به حيث كنتُ أُدعَى أميرا

كنتُ إذ كان لى أجير به الدهـ * ـر فقد صرتُ بعدَه مستجيرا

يا سمىّ النبىّ يا بن أبى العبـ * ـاس حقّقتَ عندىَ المحذورا

سلبتْنى الهمومُ إذ سلبتنيـ * ـك سرورى فلست أرجو سرورا

١٠

ليتنى متّ حين موتك لا بل (٢) * ليتنى كنت قبلَك المقبورا

أنت ظلّلتنى الغَمام بنُعمـا * ك ووطّأتَ لى وِطاءً وَثيرا (٣)

لم تدعْ إذ مضيتَ فينا نظيرا * مثل ما لم يدع أبوك نظيرا

خبر موت محمد ابن أبى العباس

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيدىّ قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا محمد بن سلّام الجُمَحىّ (٤) قال : كان خَصيب الطبيب نصرانيّا نبيلا ، فسقى محمد ابن أبى العباس شربةَ دَواءٍ وهو على البَصرة ، فمرض منها ، وحُمل إلى بغداد فمات بها ،

١٥

(١) ورد هذا الشطر فى ب ، س هكذا : « وعيرت بالكتمان بعد صراوة » والتصحيح عن باقى الأصول . وتغبر الناقة : احتلب غبرها ، والغبر : بقية اللبن فى ضرع الناقة . والخلف : حلمة الضرع . والصرار : ما يشد فوق خلف الناقة من خيط لئلا يرضعها ولدها .

(٢) فى ب ، س « قبل » وما أثبتناه عن باقى الأصول ، وهو أولى لسياق الكلام .

٢٠

(٣) وثير : لين .

(٤) فى ب ، س « يسير : الحى » وهو تحريف ؛ والتصويب عن باقى الأصول .

واتُّهم خصيب فحُبس حتى مات، وسئل عن علّته وما به فقال : قال جالينوس : إن مثل هذا لا يعيش صاحبه، فقيل: له إن جالينوس ربّما أخطأ، فقال : ما كنت قطّ إلى خطئه أحوج منّى اليوم ، وفى خصيب يقول ابن قنبر :

ولقد قلتُ لأهلى * إذ أتونى بخصيبِ
ليس والله خصيبٌ * لِلّذى بى بطبيب
إنّما يعرِف ما بى * من به مِثلُ الّذى بى

أخبرنى حبيبُ بن نصر وأحمدُ بنُ عبد العزيز وإسمعيل بنُ يونس، قالوا : حدّثنا عمر بنُ شبّة قال: حدثنى عبد الله بن شيبان(1) وابن داحة، وأخبرنى يحيى بن علىّ ابن يحيى إجازة قال : حدثنى أبى عن إسحاق قال : لما مات محمد بن أبى العباس طلب محمد بنُ سليمانَ حمّاد عجردٍ لِما كان يقوله فى أخته زينبَ من الشعر، فعلم أنه لا مُقام له معه بالبَصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمانَ بن علىّ، وقال فيه :

تنصله لأخى زينب بشعر

من مقرٍّ بالذنب لم يوجب الله * ـه عليه بسيء إقرارا
ليس إلّا بفضل حلمك يعتـ * ـدّ بلاءً(2)، وما يُعدّ اعتذارا
يابن بنت النّبى أحمدَ لا أجـ(3) * ـعلُ إلّا إليكَ منك الفرارا
غير أنّى جعلتُ قبرَ أبى أيّـ * ـوبَ لى من حوادث الدهر جارا
وحرِىٌّ من استجار بذاكَ الـ * ـقبرِ أن يأمنَ الردى والعِثارا
لم أجد لى من العباد مجيراً * فاستجرتُ التراب والأحجارا

(1) فى ب ، س « سنان » والتصويب عن باقى الأصول .
(2) البلاء : الإنعام .
(3) كذا فى ب ، س ، جـ . والذى فى ط ، مط ، مب ، ١٠ .
يابن بنت النبى لا أجعل التو * بة إلا...

لستُ أعتاضُ منك فى بغيةِ العِـ * ـزِّ ة قحطانَ كلَّها ونزارا (١)
فأنا اليومَ جارُ من ليس فى الأر * ضِ مجيرٌ أعزُّ منه جوارا
يابن بيتِ النبيِّ يا خيرَ من حَـ * ـطَّت إليه الغواربُ الأكوارا (٢)
إن أكن مُذنبا فأنت ابْنُ من كا * ن لمن كان مُذنبا غفّارا
فاعْفُ عنّى فقد قَدَرتَ وخيرُ الـ * ـعفوِ ما قلتَ كن فكان اقتدارا ٥
لو يطيل الأعمارَ جارٌ لِعزٍّ * كان جارى يطوِّل الأعمارا

أخبرنى أحمد بن العبّاس العسكرىُّ ومحمّد بنُ عمرانَ الصَّيْرفىّ قالا : حدثنا الحسنُ بنْ عُلَيل العَنَزىّ قال : حدّثنى على بنُ الصبّاح قال : كان محمد ابن سليمانَ قد طلب حمّاد عجرد بسبب تَسبيه بأخته زينب، ولم يكن يَقدِر عليه لمكانه من محمد بن أبى العبّاس ، فلما هلك محمّد جَدّ ابنُ سليمانَ فى طلبه ، وخافه حمّاد خوفا شديدا ، فكتب إليه : ١٠

اعتذر إلى محمد ابن سليمان بشعر

يابن عمِّ النبيِّ وابنِ النبيِّ * لعلىٍّ إذا انتمَى وعلىِّ
أنت بدرُ الدجى المُضىءُ إذا أظـ * ـلَمَ واسودّ كلُّ بدرٍ مُضىِّ
وحَيَا الناسِ فى المُحول إذا لم * يُجَدِ غيثُ الربيعِ والوَسْمِىِّ (٣)
إنّ مولاكَ قد أساءَ ومن أعـ * ـتب من ذنبه فغيرُ مُسىِّ ١٥
ثم قد جاء تائبا فاقبل التو * بة منه يا بنَ الوَصىِّ الرضِىِّ (٤)

(١) كذا فى ب ، س ، جـ . وفى ط ، مط ، مب ، ها :
لست أعتاض منكم فى ابتغاء الـ * ـعز ... ...
(٢) الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى الظهر ، وأعلى مقدّم السنام . والأكوار : جمع كور بالضم : وهو الرحل أو بأداته . (٣) الحيا : المطر . المحول : جمع محل ، وهو الجدب . والوسمى : مطر الربيع الأول لأنه يَسِم الأرض بالنبات . ٢٠
(٤) يقول الشيعة : إن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة من بعده لعلى كرم الله وجهه ، فلقبوا عليا بالوصىّ ، وهو أوصى بها لمن بعده ، وهكذا كل إمام وصىّ من قبله .

١٠١ / ١٣

قال: ومضى إلى قبر أبيه سليمان بن عليّ فاستجار به، فبلغه ذلك، فقال: والله لأبلّنّ قبرَ أبي من دمه، فهرب حمّاد إلى بغداد، فعاذ بجعفر بن المنصور، فأجاره، فقال: لا أرضى أو تهجوَ محمد بنَ سليمان، فقال يهجوه:

هجاؤه محمد بن سليمان

قل لوجه الخصيِّ ذى العار إنّى * سوف أُهدى لزينبَ الأشعارا

قد لعمرى فررتُ من شدّة الخو * ف وأنكرتُ صاحبيَّ نهارا

وظننتُ القبورَ تَمنَعُ جارا * فاستجرت الترابَ والأحجارا

كنتُ عند استجارتى بأبى أيّـ * ـوبَ أبغى ضلالةً وخسارا

لم يُجِرنى ولم أجد فيه حظًّا * أضرم اللهُ ذلك القبرَ نارا

قال: وقال فيه:

له حَزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتِبٍ * وغُلْمةُ سِنَّوْرٍ بلَيلٍ تُوَلوِلُ(١)

وقال فيه يهجوه:

وقال أيضا يهجوه

يابنَ سليمانَ يا محمّدُ يا * من يشترى المكرُمات بالسَّمَنِ

إن(٢) فخرتْ هاشمٌ بمكرُمةٍ * فخَرتَ بالشحم منكَ والعُكَنِ

لؤمُكَ بادٍ لمن يراك إذا * أقبلتَ فى العارضَين والذَّقَنِ

ليتك إذ كنتَ ضيّقا نَكِرا * لم تُدْعَ من هاشمٍ ولم تَكُنِ

جدّاك جدّان لم تُعَب بهما * لكنّما العيبُ منك فى البدنِ

قال: فبلغ هجاؤه محمدَ بنَ سليمان فقال: والله لا يُفلِتنى أبدا، وإنما يزداد حتفا بلسانه، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبدا.

وقد اختُلف فى وفاة حمّاد.

---

(١) تولول: تعول.

(٢) فى ها «أنت».

فأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنى أبو داحة وعبد الملك بن شيبان أن حمّادا هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستترا، و بلغ محمدا خبره، فأرسل مولى له إلى الأهواز، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة .

خبر مقتله

وأخبرنى أحمد بن العبّاس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا : حدّثنا الحسن ابن عُلَيل العَنَزى عن أحمد بن خَلّاد أن حمادا نزل بالأهواز على سُلَيم بن سالم فأقام عنده مدّة مستترا من محمد بن سليمان، ثم خرج من عنده يريد البَصرة، فمرّ بشِيرزَاذَانَ فى طريقه ، فمرض بها ، فاضطرّ إلى المُقام بها بسبب علّته ، فاشتدّ مرضُه ، فمات هناك ودُفن على تَلْعة[1]، وكان بشّار بلغه أن حمّادا عليل لما به ، ثم نُعِى إليه قبل موته ، فقال بشّار :

لو عاش حمّاد لهونا به * لكنّه صار إلى النار

شعر له وهو يحتضر

فبلغ هذا البيتُ حمادا قبل أن يموت وهو فى السِّيَاق[2]، فقال يردّ عليه :

نُبِّئتُ بشّارا نَعانى وللـ * ـموت بَرانى الخالقُ البارى

ياليتنى مِتّ ولم أهْجُه * نعم ولو صرتُ إلى النار

وأىُّ خزىٍ هو أخزَى مِن أنْ * يقالَ لى يا سِبّ بَشّار

قال : فلمّا قَتل المهدىُّ بشّارا بالبَطيحة[3] اتفق أن حُمل إلى منزله ميتا ، فدفن مع حماد على تلك التّلعة، فمرّ بهما أبو هشام الباهلىُّ الشاعر البَصْرى الّذى كان يُهاجى بشارا، فوقف على قبريهما وقال :

(١) التلعة : القطعة المرتفعة من الأرض . (٢) السياق : نزع الروح .
(٣) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

قد تَبِع الأعمى قَفَا عَجْرِدٍ * فأصبَحا جارَين فى دارِ
قالت بِقاعُ الأرضِ لا مَرْحبا * بقُرب حمّاد وبَشّار
تجاوَرَا بعد تنائيهما * ما أبغَضَ الجارَ إلى الجار
صارَا جميعا فى يدَىْ مالِكٍ * فى النّار والكافرُ فى النار

صوت

٥

هل قلبُكَ اليومَ عن شَنْباء منصرِفُ * وأنتَ ما عشتَ مجنونٌ بها كَلِفُ
ما تُذكَرُ الدهرَ إلّا صدّعت كَبِدًا * حَرَّى عليكَ وأَذْرتْ دمعةً تَكِف

ذَكر أبو عمرو الشيبانى أن الشّعر لحُرَيث بن عتّاب الطائى، وذكر عمرُو بنُ بانةَ أنه لإسماعيل بنِ يسار النّسّاء، والصحيح أنه لحُرَيث، والغناء لغَريض ثقيل أوّل

١٠ بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامىُّ أنه لمالك .

أخبار حُرَيث ونسبه

نسبه

حُرَيث بنُ عَنّاب (بالنون)[1] ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عنين[2] ابن نائل بن أَسوَدان، وهو نبهان بنُ عمرو بنِ الغَوْث بن طيّء، شاعر إسلامىّ من شعراء الدولة الأموية، وليس بمذكور من الشعراء، لأنه كان بدويّا مُقِلّا غيرَ متصدٍّ بالشعر للناس فى مدح ولا هجاء، ولا يَعْدو شعره أمرَ ما يخصّه .

أخبرنى بنسبه وما أذكره من أخباره عمّى عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو الشّيبانى، عن أبيه، وتمام الأبيات التى فيها الغناء بعد البيتين الأوّلين قوله :

يشبب بحبى بنت الأسود

يدومُ وُدّى لمن دامت مودّتُه * وأصرفُ النفسَ أحيانا فتنصرف[3]

يا وَيْحَ كلِّ محبٍّ كيف أرحمُه * لأنّنى عارف صدقَ الذى يصف[4]

لا تأمننْ بعد حُبّى خُلّةً أبدًا * على الخيانة إنّ الخائن الطَّرِف[5]

كأنها رِيشةٌ فى أرض بَلْقَعة[6] * من حيثما واجهتْها الريحُ تنصرف

يُنسِى الخليلين طُولُ النأيِ بينهما * وتلتقِى طُرَفٌ شَتّى فتأتلف

قال أبو عمرو، قال حريث هذه القصيدة فى امرأة يقال لها حُبّى بنت الأسود من بنى بُحْتُر بن عَتُود، وكان يهواها ويتحدّث إليها، ثم خطبها، فوعَدَه أهلُها أن يزوّجوه

(١) فى ب، س، جـ: «عون».
(٢) كذا فى جـ، ط، مط، مب. والذى فى ب، س، ها «عنبر».
(٣) كذا فى ط، مط، ها. والذى فى ب، س، جـ، مب:

* وأصرف الناس أحيانا فينصرفوا *

(٤) فى رواية «كأنى ... بعض». (٥) الطرف: الرجل الحديث الشرف.
(٦) كذا فى ب، س، جـ، مب. والذى فى ط، مط، ها «عرض».

ووعدته ألّا تجيب إلى تزويج إلّا به ، فخطبها رجل من بنى ثُعَل وكان موسرا فمالت إليه وتركت حُرَيثا ، وقد خُيّرت بينهما فاختارت الثُّعَلىّ ، فتزوّجها . فطفق حريث يهجو قومها وقوم المتزوّج بها من بنى بُحْتُر وبنى ثُعَل ، فقال يهجو بنى ثُعَل :

بنى ثُعَل أهلَ الخنا ما حديثُكم * الكم منطق غاوٍ وللنّاس مَنطِقُ

٥ كأنكمُ مِعزَى قَواصعُ جِرّةٍ (١) * من العِىّ أو طيرٌ بخَفّانَ يَنعِق

١٠٣ / ١٣ دِيافيّةٌ قُلْفٌ كأنّ خطيبَهم * سَراةَ الضُّحَى فى سَلْحه يتمطّق (٢)

قال أبو عمرو : ولم يزل حريثٌ يهجو بنى بُحْتُر وبنى ثُعَل من أجل حُبّى ؛ فبينا هو ذات يوم بخيبرَ وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفِنائه يُنشد الشعر الذى قاله يهجو به بنى ثُعَل وبنى بُحْتُر ابنَى عَتود ، وبخيبر يومئذ رجل من بنى جُشَم

١٠ ابن أبى حارثة بن جُدَىّ بن تَدُولَ بن بُحْتُر يقال له أَوْفَى بنُ حُجْر بن أَسيد بن حُيَىّ ابن ثُرَمْلة بن ثرغل بن خثيم بن أبى حارثة عند بنى أخت له من قريش ، فمرّ أوفَى هذا بحريث بن عنّاب وهو يُنشد شعرا هجا به بنى بحتر ، فسمعه أوفَى وهو ينشد قولَه :

وإنّ أحقّ الناس طُرّا إهانةً (٣) * عَتودٌ يُباريه فَريرٌ وثَعلبُ

العَتود : التيس الهَرِم . والفَرير : ولد الظبية . ويباريه : يفعل فعلَه . فدنا منه

١٥ أوفَى وقال : إنى رجل أصمّ لا أكاد أسمع ، فتقرّبْ إلىّ ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال : أنا رجل من قيس ، وأنا أهاجِى هذا الحَىّ من بنى ثُعَل وبنى بُحْتُر ، وأحبّ

---

(١) فى ب ، س : « مواضع حرة » ؛ والتصويب عن باقى الأصول . وقصعت الناقة بجرّتها إذا ردّتها إلى جوفها أو مضغتها . أو ملأت بها فاها . يصفهم بالعىّ والفهاهة .

(٢) التمطق : التذوّق ، وهو إلصاق اللسان بالغار الأعلى فيسمع له صوت ، وذلك عند استطابة

٢٠ الشىء . والفاء فى قوله « فى سلحه » بمعنى الباء .

(٣) كذا فى ب ، س . والذى فى باقى النسخ : « إلا أهابه » .

أن أروى ما قيل فيهم من الهجاء، فأدنَوْه منه، وكانت معه هِراوة قد اشتمل عليها، فلما تمكّن من ابن عَتّاب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بهـا أنفه فحَطمه ، وسقط على وجهه ووثب القرشيّ على أوفَى فأخذه، فوَثَب بنو أخته فانتزعوه من القرشيّ ، وكاد أن يقـع بينهم شرّ ، وأفلتَ أوفَى ودُووِىَ ابنُ عتّاب حتى صَلَح واستوى أنفُه ، فقال أوفَى فى ذلك :

لاقَى ابنُ عَتّاب بخيبرَ ماجدا * يَزَعُ اللئامَ وينصرُ الأحسابا

فضربتهُ بهِراوتى فتركتُه * كالحِلْس منعفرَ الجبينِ مصابا

قال : ثم لحِق أوفَى بقومه، فلمّا كان بعد ذلك بمدّة اتهمه رجل من قريش بأنه سرق عبدا له وباعه بخيبر ، فلم يزل القرشيّ يطلُبه حتى أخذه وأقام عليه البيّنة ، فحُبس فى سجن المدينة ، وجُعلتْ للقرشيّ يدُه، فبعث ابنُ عتّاب إلى عشيرته بنى نَبْهان، فأبَوا أن يعاونوه، وأقبَل عُرفاء بنى بُحْتُر إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقاتِ قومِهم فيهم حصن وسلامة ابنـا معرِّض، وسعدُ بنُ عمرو بن لأم ، ومنصور بنُ الوليـد ابنِ حارثة ، وجَبّار بن أُنَيف ، فَلقُوا القرشيّ وانتَسَبوا له ، وقالوا : نحن نعطيك العِوَض مِن عَبْدك ونرضيك، ولم يزالوا به حتى قَبِـل وخَلّى سبيلَه ، فقال حُرَيثٌ يمدحُهم ويهجو قومَه الأدنَيْن مِن بنى نَبْهان :

لمـا رأيتُ العبدَ نَبْهانَ تارِكى * بلمّاعةٍ فيهـا الحوادثُ تَخطُرُ (١)

نُصِرتُ بمنصورٍ وبابنَىْ معرِّض * وسـعدٍ وجَبّارٍ بل اللهُ يَنصُرُ

وذوالعرش أعطانى المودّةَ منهمُ * وثبّتَ ساقِى بعدما كدتُ أعثُرُ

(١) اللـاعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

إذا رَكب الناسُ الطريقَ رأيتَهم * لهم خابطٌ أعمى وآخر مُبصرُ
لكلّ بنى عمرو بن غَوْثٍ رِباعةٌ (١) * وخيرُهمُ فى الشرّ والخير بُحْـتُرُ

مر بنسوة فضحكن منه فقال شعرا

١٠٤
―――
١٣

وقال أبو عمرو: مرّ ٱبن عَتّاب بعدما أسنّ بنسوةٍ من بنى قُلَيع وهو يتوكّأ على عَصًا فضحكن منه، فوقف عليهنّ وأنشأ يقول :

هزِئتْ نساءُ بنى قُلَيـع أن رأتْ * خَلَقَ القميص على العصا يتركّعُ
وجعلْنـنى هُزُؤًا ولـو يعرفْنـنى * لعلمن أنّى عنـد ضيمى أَرْوعُ (٢)

خبر إغارته على قوم من بنى أسد

قال أبو عمرو : وكان حريثُ بنُ عَتّاب أغار على قوم من بنى أسد فٱستاق إبلًا لهم، فطلبَه السلطان ، فهـرب من نواحى المدينـة وخيبَر إلى جَبَلين فى بلاد طيء يقال لهما : مُرّى والشُّمُوس حتى غَرِمَ عنه قومُه ما طلب، ثم طاوَدَ وقال فى ذلك :

إذا الدِّين أُودَى بالفساد فقل له * يدَعْنا ورُكْنًا من مَعَـدٍّ نصادمُهْ
ببيض خِفافٍ مرهَفاتٍ قواطعٍ * لداودَ فيهـا أثْـرُه وخواتمُـهْ (٣)
وزُرْقٍ كستْها ريشَهـا مَضْرَحيّةٌ * أثيثٌ خَوافى ريشِهـا وقوادمُهْ (٤)
إذا ما خرجْنا خرّت الأُكْمُ سُجَّدًا * لعـزٍّ عَلَا حَـيْزُومُه وملاجمُـهْ (٥)

---

(١) الرِّباعة : السيادة . (٢) الأروع : الذى يروعك بشجاعته .
(٣) أثر السيف : فرنده وجوهره ووشيه . (٤) الزرق : النصال . والمضرحية : جمع مضرحىّ، وهو النسر أو السيد الكريم . والأثيث : الكثير العظم . والخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت . والقوادم : أربع أو عشر ريشات فى مقدّم الجناح .
(٥) الحيزوم هنا : الغليظ من الأرض أو المرتفع منها . الملاجم : جمع ملجم وهـو الطويل من الإبل .

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرّك يقظانُ التراب ونائمُه

وتفزع منّا الإنس والجنّ كلُّها * ويُشرب مهجورُ المياه وعائمه

ستمنع مُرّى والشموس أخاهما * إذا حكم السلطان حُكماً يُضاجمه

يميل فيه . ويروى : يصاجمه ، وقال أبو عمرو : يصاجمه : يزاحمه . والأصحم منه مأخوذ .

إلى هنا انتهى الجزء الرابع عشر من كتاب الأغانى
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس عشر منه
وأوّله أخبار جعفر بن الزبير ونسبه

فهرس

الجـزء الرابـع عشر من الأغانى

فهرس الموضوعات

أخبار محمد بن حازم ونسبه

أخبار ابن القصار ونسبه

صفحة

أخبار معبـــد

أخبار ابن أبي الزوائد ونسبه

أخبار أبى الأسد ونسبه

أخبار قيس بن الحدادية ونسبه

صفحة

أخبار ابن قنبر ونسبه

أخبار الأسود ونسبه

صفحة

أخبار على بن الخليل

أخبار محمد الزف

أخبار أبى الشبل ونسبه

أخبار عثعث

أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه

أخبار ثابت قطنة ونسبه

صفحة

أخبار كعب الأشقرى ونسبه

أخبار العباس بن مرداس ونسبه

أخبار حريث ونسبه

فهـــرس الشـــعراء

فهـــرس رجال السـنـد

فهـــرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهـــرس الأعـــلام

(أ)

(ب)

(د)

(ش)

فهـــرس الأمم والقبـائل

(أ)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

فهـــرس الأماكن

فهـرس أسمـاء الكـتب

فهـــرس القـــوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
يروح	العربا	وافر مجزوء	١٨٣	٣
أخطا ورد	غير صواب	كامل	٩٩	١٥
لاقى	الأحسابا	»	٣٨٤	٦
إنى لأهوى	قلبها	مجزوء الكامل	٣٤١	١١
صلف	الكتبه	رمل	١٩٨	٨
ولقد قلت	بخصيب	رمل مجزوء	١٦٨	٨
ولقد قلت	بخصيب	»	٣٧٧	٤
راجع بالعتبى	المذنب	سريع	٩٣	١٣
متسع	القلب	»	١٠٠	١٢
زينب ماذنبى	ولم تغضبوا	»	٣٧٠	١٤
إن أبا عون	جنابا	»	٣٤٣	٣
يا عين	الطرب	منسرح	٥١	١٢
أرسلت	الكتاب	خفيف	١٨٩	١٠
وابلائى	يا أصحابى	»	٢٨	١٣
إنى عاشق	أطرابى	»	٣٥٢	٣
أبعد خمسين	حرب	مجتث	١٠٥	١٦
أبعد خمسين	حرب	»	١١١	٨
تشبه بالأسد	يجنب	متقارب	٩٧	١٣
لو أن	العاقب	»	٢٧٣	١

(ت)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
مشى	القصبات	طويل	٢٥٠	١
قد لقيت العام	وهنات	»	٣٤٠	١١
سأشكر عمراً	جلت	»	٢٢٣	١١
ليتنى لم أكن	وصلت	خفيف	٥٦	١٥

(ث)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
سقانى	الخبيث	وافر	١٢٧	٤
يحيى امرؤ	والاحداث	سريع	٣٦٣	١٣
إن ريب الزمان	أحداثه	خفيف	٥٥	١٨
فن كان	الباحث	متقارب	٣٦٣	٨

(ج)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
ماذا يكلفك	الحجا	بسيط	٤١	١٥
إن الأموز	ما ارتتجا	»	٤١	١٠
أما والحافظ	المهج	وافر	١٨٥	١٤
غدتك بطول	واللاعج	منسرح	٢٠٢	١

(ح)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
أغاد	وتمزح	طويل	٢٤٣	٣
أناالنارفى أحجارها	فاقدح	»	١٦٣	٣
خليلى من سعد	مريحا	»	١٧١	٥
خليلى من سعد	مريحاً	»	١٧٢	٧
ألم تر	فأسمحا	»	٢٤٨	٩
ولا بعدم	مجدحا	»	٢٤٩	٢
لا أرق	ترحا	بسيط	١٩	٩
قلت لخشانة	سفوح	مخلع البسيط	٣٤٢	٢
فدى لبنى عدى	مراح	وافر	١٣	١١
إذا ما كنت	واللواحى	»	١٨١	٧
من كل	واضح	كامل مجزوء	١٤٥	١٩
محب صد	صبح	هزج	١٣٠	١١
محب صد	صبح	»	١٣٢	١
ياصاح	والراح	سريع	١٨٢	٦
لست	ياصاح	»	٣٣٥	٤
عين بكى	الألواح	خفيف	٤٥	٩

(د)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
لا تجعلنا	المواعيد	طويل	٣٢٣	١٨
دعيت	من برد	»	٣٢٧	١٦
تأوب	هجودها	»	٢٢٩	١٢
نشت بابى النجم	القفد	»	٢٧	١٠
إلى رجب	وسودها	»	٢٣٢	١١
فسبت	من برد	»	٣٤٥	٣
أيا بنة عبد الله	الورد	»	٦٨	٢
أيا بنة عبد الله	الورد	»	٧١	١٣

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
إذا مادعوا	المــرد	طــويل	٨٧	٩
إذا كنت	من ســعد	»	٨٧	٢٠
نمــير	ومزود	»	١٠٨	١٥
أزرعشــا	بحصــاد	»	١١٠	٥
ربيبــة دايات	ومــبرد	»	١٤١	١٩
جزى الله	آل عمر بن خالد	»	١٥٢	٥
رأيت عبيد الله	خالد	»	١٩٩	٦
أقاتلى	الورد	»	٢١٣	٧
لبشر بن مروان	وفى الجهد	»	٢٥٥	٦
أبا خالد	الرفــد	»	٢٨١	٥
أبا عمــر	غير عامد	»	٣٣٧	٦
محمد يأبن الفضل	المشــاهد	»	٣٣٧	١١
أبا حامد	أم عجرد	»	٣٤٧	٤
خليــل	وتنتظرا غداً	»	١٠	١
فــدى	صــاعدا	»	١٥١	١٦
ألا أيهــذا	أم لى تسجد	»	٣٣٦	١١
هل لدهر	من نفــاد	مــديد	١٧٣	٦
مالا مرئ	جــلد	بســيط	٥٩	١٧
أقــول	محــدود	»	٢٩	١٠
ماذا على	مجهودى	»	٣٣	١٩
جهد المقــل	فى الجــود	»	٣٣	٧
أعــدوا	يــدى	»	١٤٠	٤
بنو أمية هبوا	يعقوب بن داود	»	١٧٧	١٩
أنبئت	الأســد	»	٢٢٩	١٨
بئس التبــدل	أطــواد	»	٢٩٢	١٢
أمسى	وأمــداد	»	٣٢٦	٩
ليس النعــيم	حمــاد	»	٣٣٠	٥
يا هنــد	نكداً	»	٢٧٠	١
يا ليت	أم شهدا	»	٢٧٤	١٠
أساكن حفرة	من بعد عهد	وافــر	٥٩	٧
لموسى أعبــد	غير عبد	»	١٣٢	١١
فقالت ما فعلت	بعــدى	»	٢١٧	١٠
إلا طــرقت	وأســد	»	٢٣٦	٩
إذا لاقيت	يزيــدا	وافــر	١٦	٣
خليــلى لايفى	فقــدا	مجزوء الوافر	٣٩٢	٢٠
أفنى	ســديد	كامــل	٢٧٩	٣
قل للأهاتم	يزيــد	»	٢٩٣	١٤
قل للقبــائل	أهل المسجد	»	٣٠٣	١
قل للشــقى	ابن المقعد	»	٣٤٤	١٥
إنا لضرابون	صــاودا	»	٢٧١	٧
إن امرأ	كئوداً	»	٢٧٧	٨
يا ليت	شــهوداً	»	٢٧٨	١١
ألا من مبلغ	بــردد	هــزج	٣٢٨	١٢
إذا مانسب	ولا بعــده	»	٣٢٨	١٤
وأعمى	حــده	»	٣٢٨	١٦
وأعمى	القــرد	»	٣٢٩	٢
شبيــه الوجه	القــرد	»	٣٢٩	٧
ويا أقبــح	القــرد	»	٣٣٣	٣
يا قــر المربد	بالمــربد	ســريع	٣٧٤	٨
ليتك إذ تبتنى	الأبــد	منســرح	١٣٣	١٠
إنمــا المجد	المــولود	خفيف	٨٢	٩
ليت شــعرى	طــريد	»	١٣٩	٤
إن أرجى	داود	»	٣٦٨	٧
تلك هنــد	جــداً	»	١٦٩	٩
حــريث	الفاســده	متقــارب	٣٣٩	١٦

(ذ)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
يابن يحيى ماذا	الحيــاذا	خفيف	١٢٦	٤

(ر)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
ألاتقبلون النصف	القطــر	طــويل	٥	٩
إنّ امرأ	لخــاسر	»	٨	١٤
أجيء على شرط	لا أناظر	»	١٩	١
أيا عجبــا	وتكابر	»	١٩	١٣
دع البــدر	الفــجر	»	٦٠	١٨
جزى الله	أمورها	»	٧٩	١٥

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
زينب	المهجر	سريع	١٦:٣٧٢
لو عاش حماد	النار	»	١١:٣٨٠
نبئت بشاراً	البارى	»	١٣:٣٨٠
قد تبع	فى دار	»	١:٣٨١
تفرح	مستعبرا	»	١٢:٣٤٤
لو طلبت	العنبرا	»	٢:٣٣١
قل للنسيم	وخنزيره	»	١٠:٢٠٣
ياعين بكى	والنور	منسرح	١٤:٢٠٤
قد أوحشت	وتنور	»	١٣:٢٠٦
أقول لما	قدره	»	١٣:٤٦
مولاتنا	بلا نظره	»	١٠:٥٢
يوم سبت	يسير	خفيف	٩:١٨
قل لمن	منير	»	١٠:٦٠
سبحت	المسير	»	٢:٣٢٢
صرت للدهر	الدهورا	»	٧:٣٧٦
من مقر	إقرارا	»	١٢:٣٧٧
قل لوجه	الأشعارا	»	٤:٣٧٩
صل خمرة	خماراً بخمر	مجتث	١٤:١٠١
وقاصرة الطرف	النظر	متقارب	٢١:١٨٥
	(ز)		
أنا لا أرتوى	القطرميز	خفيف	١٣:١١٣
	(س)		
بنت	المجالس	طويل	٨:٢٢٤
تبقلت	القلمس	»	٨:٢٤٩
لأ سماء	حابسا	»	٧:٣١٥
لمن طلل	كوانسا	»	٣:٣١٦
بان الحبيب	بوسواس	بسيط	١٤:١٩١
ياخير من	جلس	كامل	١١:١٧٤
ياخير من	جلس	»	٤:١٧٥
وأجاذب	الورس	»	٢١:١٧٦
قم السماء	الفرس	»	١١:١٧٨
كل شيء	ابن إياس	رمل مجزوء	٤:٣٥٨

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
قل لهضيم	من الناس	سريع	٦:٦١
وباهلى	إفلاس	»	٥:٩٣
والشيخ	رمسه	»	٣:١٧٧
نهاره	من أمسه	»	١٧:٣٣٠
صرنا من الريح	أبو الدبس	»	٥:٣٦٩
	(ش)		
صرت بعدى	حشيش	رمل مجزوء	٤:٣٦٠
	(ص)		
ومولى	وينقص	طويل	١٣:٢٦٠
إن كان	وانتقاصى	كامل مرفل	١١:٣٣٣
هل تذكرن	القلاص	»	٣:٣٣٤
	(ض)		
أتيت الفيض	فيض	وافر	١:١٣٥
كفاك	المريض	»	١٣:٣٥٢
بأبي ريم	مراض	رمل	١:١٩٢
تعالى نجدد	عما مضى	متقارب	٧:١١٢
	(ط)		
أقول	طمطم	متقارب	٥:١٢٣
ما أنا والسير	الضابط	»	١٨:٢٠٧
	(ظ)		
أنت حديثى	الحفظه	منسرح	٩:٥٠
	(ع)		
أجدك	نافع	طويل	٧:١٥٤
ألا أبلغا عنى	الودائع	»	٧:٧٥
فأيهما	وادع	»	١٩:١٥٧
لقد كان	عما تتبع	»	١٢:٣٥١
قد فتحت	للقلاع	مديد	١:٣٣٦
يأيها الجاهل	مصروع	بسيط	٦:٢٨٩
لئن نصبت	غير ترفيع	»	٩:٢٨٩
وبل	وجعا	»	١٣:١٦٤

(م)

(ن)

فهـــرس أنصاف الأبيات

فهـــرس أيام العـــرب

فهـــرس الأمثـال

إصــــلاح خطـــأ

خطـــأ	صـــواب	ص	س
ابن	أبـــو	٣٠	١٠
أبو على بن الخراسانى	أبو على الخراسانى	٣١	٢
قصته مع أبى عمرو	قصته مع ابن أبى عمرو	٣٤	عنوان جانبى
مسعود بن يسير	مسعود بن بشير	٤٨	١٢،٢
وهم بنو الدار	وهم بنو عبد الدار	٧٥	١٢
ابن أسامة	ابن أبى أسامة	٧٦	١٢
هشـام	هاشـــم	٨١	١٢
جـــؤابى	جـــؤاثى	٨١	٢١
قفيـــل	قيـــل	٨٤	٩
أخو النمر	أخوال النمر	٨٧	١٩
حسن	حسين	٩٢	٤
ابن حميد	بعض بنى حميد	٩٥	عنوان جانبى
ابن حميد	الحميـــدى	٩٦	»
الحسين	الحسن	٩٧	٨
الحـلاسى	الخلاسى	١١٦	١٧
ســأل	ســال	١٢١	٣
هجـاؤه	هجـائه	١٣٢	عنوان جانبى
سهـــل	مسهـــل	١٣٨	٢٢
أبـــو	أبـا	١٤٧	عنوان جانبى
أحمد عن ابن عباس	أحمد بن عباس	١٦٥	١٦

خطـــأ	صـــواب	ص	س
لدهمان	لدحمان	١٦٨	١٧
الوليــــد	يـــزيد	١٩٥	عنوان جانبي
هاشمـــة	هاشـــم	٢٠٢	»
عثعث بن الأسود	عثعث الأسود	٢١٥	٨
زُيـاد	زِيـاد	٢٢١	٢
زيـــد	ذِئب	٢٤١	٥
الفهـــدىّ	الفهـــرىّ	٢٤٢	٢١
فى	من	٢٥٨	٣
مِمن	مَن	٢٧٦	٦
أســـد	أســـيد	٢٨١	١٤
الأزدىّ	الأزدىُّ	٢٩٤	٨
عبـــدَ	عبـــدِ	٢٩٦	٦
الحسن	الحسين	٣٠١	١
عمرو والنجارية	عمرو النجارية	٣٠٣	١٥
الحسين	الحسن	٣١٩	١٠
ابن فـروة	ابن أبى فـروة	٣٦٥	١
اســـتجازه	اســـتنجازه	٣٦٦	عنوان جانبي
عبيـــد	عتيـــك	٣٧١	٢
عتّـاب	عتّـاب	٣٨١	٨
»	»	٣٨٤	٢

قام بوضع فهارس هذا الجزء وترتيبها (الأستاذ محمد عبد العظيم بدر المصحّح بالدار) .

(مطبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٤٤/٣٥/٢٠٠٠)

